الجامعة الإسلامية – غــزة
عمادة الدراســات العليــا
كليـــة الآداب
قســم التاريـــخ

الحياة العلمية في فلسطين في مرحلة الصراع الصليبي الإسلامي

(491-690هـ/1098-1291م)

إعداد الطالب/

رشاد عمر المدني

إشراف/

د. رياض مصطفى شاهين

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير فــي التــاريخ الإســلامي (بحث تكميلي) في قسم التاريخ بكلية الآداب في الجامعـــة الإسلامية بغــزة – فلسطين.

1426هـ/2005م

إلى: روح والدي.

إلى: روح والدتي.

إلى: زوجتي الطيبة الكريمة ، أم خالد ، التي ترويني دائماً بماء العلم والعطاء والمحبة... وكان لها فضل كبير في تذليل الصعاب ، وتوفير أجواء الصبر والصمود والسكينة...

إلى: أبنائي الأعزاء: منى وخالد وأحمد ومحمد ومحمود وآلاء وفتحية الذين أضاؤا لنا ، بفضل الله ، سبحانه وتعالي ، درب الخير والسعادة...

إلى: أخواني وأخواتي الأعزاء أدامهم الله.

إلى: كل أصدقائي المحبين.

إلى: أرواح شهداء فلسطين الأبرار.

إلى: أبناء هذا الشعب الثائر ، الصامد.

أهدي هذا الجهد المتواضع

رشاد المدني

شكر وعرفـــان

إنطلاقاً من واجب الوفاء ، ورد الجميل ، فإنني أنتهز هذه الفرصة لأتقدم بوافر الشكر والتقدير وعظيم الامتنان والعرفان لكل من ساهم معي في إخراج هذه الدراسة إلى حيز الوجود ، وأخص بالذكر مشرفي وأستاذي الفاضل الدكتور رياض مصطفى شاهين ، الذي شرفني بقبوله الإشراف على هذه الرسالة ، وحباني بواسع علمه ، وخلاصة تجربته ، ولم يبخل عليَّ بوقته وجهده وتوجيهاته ، وتزويدي بعشرات الكتب من مكتبته ، فجزاه الله خير الجزاء ، وجعل ذلك في ميزان حسناته. وأتقدم بعظيم الشكر إلى أساتذتي في عمادة الدراسات العليا ، قسم التاريخ ، وأخص بالذكر: الدكتور عصام سيسالم ، كذلك أتقدم بالشكر والتقدير إلى الأستاذ الفاضل الدكتور عبد الله عبد المنعم ، وكيل وزارة التربية والتعليم العالي ، والأستاذه الفاضلة زينب الوزير ، وكيل الوزارة المساعد ، لوقوفهما إلى جانبي وتشجيعي طيلة الوقت.

وأتقدم بالشكر الجزيل إلى الأخ الدكتور أحمد المصري ، الذي قام بتدقيق الدراسة لُغوياً ، كما أتقدم بالشكر أيضاً إلى الأخ الفاضل أحمد سلمان عبد الهادي الذي قام بترجمة "ملخص الدراسة" إلى اللغة الإنجليزية، وأتقدم بالشكر العميق إلى الأخوين عبد اللطيف أبو هاشم، ومحمود البطش اللذين زوداني بالعديد من المصادر والمراجع التي أفادت الدراسة.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أتوجـــه بجزيـــل الـــشكر والتقـــدير إلـــى الأخ العزيـــز/ فؤاد أحمد الأسمر ، الذي قام بطباعة هذه الرسالة وتنسيقها وإخراجها.

وكل التحية والشكر والتقدير إلى العاملين في مكتباتنا الرائدة لما قدموه من مساعدة ، وأخص بالذكر مكتبة الجامعة الإسلامية ، ومكتبة جامعة الأقصى ، ومكتبة جامعة الأزهر ، ومكتبة المسجد العمري ، ومكتبة بلدية غـــزة. وأتقدم بالشكر الخالص إلى كل الذين ساعدوني بإحضار بعض الكتب المهمة من مصر والأردن ، وأخص بالذكر: شقيقي الأستاذ/ سمير المدني ، وصديقي العزيز/ إبراهيم النجار. وأخيراً أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأخ تيسير الخالدي لمساعدته في تجهيز هذه الرسالة.

ملخص باللغة العربية

تناولت هذه الدراسة: الحياة العلمية في فلسطين في مرحلة الصراع الصليبي الإسلامي من 491-690هـ/1098-1291م ، فقد تميزت الحياة العلمية في فلسطين خلال القرن الخامس الهجري ، وقبيل العدوان الصليبي عليها بالحيوية والنشاط ، حيث أنشأ الفاطميون مراكز علمية متعددة ، منها: دار العلم الفاطمية ، والمستشفى الفاطمي الذي كان يؤدي خدماته التعليمية والعلاجية ، وخلال حكم الأتراك السلاجقة بعد منتصف القرن الخامس الهجري ، شهدت فلسطين خاصة بيت المقدس إحياءً ثقافياً ، خاصة دراسات الفقه وعلم الحديث وعلم الكلام والتفسير ، وأصبح المسجد الأقصى يعج بالعلماء والفقهاء والطلبة وحلقات الدرس والمناظرة ، وكان من كبار العلماء الوافدين إلى بيت المقدس العالم الإمام الغزّالي الذي ساهم في تفعيل الحركة العلمية في فلسطين إلى جانب العلماء المسلمين الآخرين الذين قدموا من مختلف أقطار العالم الإسلامي.

وفي أواخر القرن الخامس الهجري/القرن الحادي عشر الميلادي قدمت إلى الشرق الحملة الصليبية الأولى ، واستطاع الصليبيون احتلال بيت المقدس سنة 492هـ/1099م ، ثم تواصل العدوان الصليبي على فلسطين وتم احتلال معظم المدن الفلسطينية باستثناء عسقلان التي احتلها الصليبيون في سنة 548هـ/1153م.

ومن أهم نتائج العدوان الصليبي على فلسطين ، قيام الصليبيين باقتراف أبشع المجازر ضد المسلمين إذ قتلوا حوالي 70 ألفاً داخل بيت المقدس ، إضافة إلى بروز ظاهرة هجرة الفلسطينيين إلى خارج فلسطين ، ومنهم آل قدامه الذين نزحوا إلى دمشق ، وأبدعوا في مجال العلم ، فكانت لهم مكانة علمية عالية من خلال نبوغهم وإبداعاتهم في تأليف كثير من التصانيف ، خاصة في العلوم الدينية ، وممن اشتهر من الفلسطينيين في الخارج الإمام العالم القاضي الفاضل الذي كان الساعد الأيمن للملك الناصر صلاح الدين ، والذي بنى في القاهرة سنة 580هـ/1184م ، المدرسة الفاضلية ، وهي من أعظم مدارس مصر.

وفي ظل الاحتلال الصليبي لفلسطين ركدت الحركة الفكرية في فلسطين ، وخاصة بيت المقدس ، وأخمد الصليبيون الحركة الفكرية التي كانت تشيع في بيت المقدس قبيل الاحتلال ،

وبالرغم من ذلك ، حاول الصليبيون الإفادة من الشرق نتيجة اندماجهم وتعاملهم مع المسلمين ، فراحوا يقلدون ما عند الأهالي من مظاهر اجتماعية وأنظمة إدارية وعناصر فكرية ، وبهذا كانت الحروب الصليبية عاملاً من العوامل التي أدت إلى انتشار معارف الشرق في الغرب.

وبعد معركة حطين الخالدة التي حدثت سنة 583هـ/1187م ، وتحرير معظم المدن الفلسطينية ، أخذت الحياة العلمية في فلسطين في النهوض ونشطت الحركة الفكرية ، وعادت مظاهرها من جديد ، وقدم إلى فلسطين وخاصة بيت المقدس عدد كبير من العلماء ، من مصر والشام وغيرها ، الذين ساهموا في إحياء وبعث النشاط الفكري في فلسطين ، وأقيمت المدارس والمراكز العلمية والدينية ، كما قام السلاطين والملوك الأيوبيون والمماليك بدعم وتشجيع الحياة العلمية ، فاستقبلوا العلماء في بلاطهم وأكرموهم ، وأغدقوا عليهم الأموال والجوائز. وفي عهد الأيوبيين والمماليك ازدهرت العلوم الدينية وعلوم اللغة العربية والعلوم العقلية.

وأنهى الباحث دراسته بخاتمة أورد فيها بعض النتائج التي توصل إليها ، إضافة إلى استعراض قائمة المصادر والمراجع وملاحق الدراسة.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، وعلى آله وأصحابه ومن اتبعه بإحسان إلى يوم الدين وبعد،

شكل العدوان الصليبي على فلسطين ، بكل ممارساته الوحشية ، وجرائمه البشعة ، أحد أبرز العقبات الأساسية في وجه الازدهار العلمي والتقدم الحضاري فيها ، إذ تعرضت الحياة العلمية والحركة الفكرية لضربة قاسية ، وأصيبت بانتكاسة خطيرة ، أدت إلى ضعفها وتراجعها طيلة فترة الاحتلال الصليبي للمدن الفلسطينية ، ولم تظهر دوافع الاهتمام بالحياة العلمية في فلسطين ، وبمظاهرها المختلفة ، إلا بعد هزيمة الصليبيين في موقعة حطين ، واسترداد المسلمين لبيت المقدس وباقي المدن الفلسطينية ، وعلى الرغم من المكانة الكبيرة والقيمة العظيمة لفلسطين ، كونها أرضاً مقدسة ، ومركزاً مهماً من مراكز العلم والحضارة ، لوجود المسجد الأقصى فيها ، وكثرة علمائها ، إلا أنها ، لم تحظ بدراسة مفصلة ومتخصصة ، تبرز الحياة العلمية والحركة الفكرية فيها في مرحلة الصراع الصليبي الإسلامي من سنة 491-690هـ/1098-1291م ، فقد كانت العناية من قبل المؤرخين منصبة على النواحي التاريخية والسياسية والعسكرية التي شهدتها الأحداث في تلك الفترة ، وقلما نجد اهتماماً بالنواحي الحضارية والثقافية ، ومن هنا كان سبب اختيارنا لهذه الدراسة ، ولذلك ركز الباحث جهوده من أجل إبراز هذا الجانب الحضاري المهم بكل مظاهره ، وذلك من خلال البحث والتنقيب في دائرة واسعة ومتنوعة من المصادر.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة من خلال ذكر المعطيات التالية:

1- إن معظم المؤرخين والباحثين الذين كتبوا عن فلسطين في ظل السيطرة الصليبية لم يولوا اهتماماً كبيراً للجوانب الحضارية والعلمية ، وخاصة أن الصليبيين أنفسهم لم يهتموا بهذه الجوانب.

2- إن معظم المصادر والدراسات التي تحدثت عن فلسطين في مرحلة الصراع الصليبي الإسلامي (في حدود علم الباحث) لم تتحدث عن مظاهر الحياة العلمية في معظم المدن الفلسطينية حيث كان التركيز على الجانب السياسي والعسكري وقد أشار بعضها إلى الحركة العلمية والمدارس والعلماء في بيت المقدس فقط.

3- إن المعلومات عن العلماء في فلسطين في مرحلة الصراع الصليبي الإسلامي قليلة ومتناثرة في المصادر المختلفة ولذلك جاءت هذه الدارسة ، لترصد هذه المعلومات وتجمعها وتظهرها بشكل يخدم موضوع الدراسة.

أهداف الدراسة:

توضح الدراسة مجموعة أهداف أهمها:

1- كشف الدور الذي لعبه الاحتلال الصليبي للقضاء على الحركة العلمية وقتل العلماء في فلسطين.
2- إبراز دور المؤسسات العلمية وخاصة المدارس في تنشيط الحياة العلمية في فلسطين.
3- إبراز دور العلماء الفلسطينيين وجهودهم العلمية داخل فلسطين وخارجها.
4- إبراز إنجازات السلاطين والملوك الأيوبيين والمماليك وتوضيح دورهم في إحياء الحركة العلمية والثقافة في فلسطين.
5- تزويد المكتبة العربية والباحثين بمعلومات وحقائق عن مظاهر الحياة العلمية والثقافية في فلسطين زمن الصليبيين والأيوبيين وبداية العهد المملوكي للاطلاع عليها والاستفادة منها.

وقد واجه الباحث أثناء إعداد هذه الدراسة بعض الصعوبات والمشاكل ، كان من أهمها:

1- طول الفترة الزمنية للدراسة ، إذ أنها تناولت موضوع الحياة العلمية في فلسطين طيلة قرنين من الزمان ، مما أجبر الباحث على الرجوع إلى عدد كبير من المصادر والمراجع المختلفة.
2- عدم توفر المعلومات اللازمة بشكل مباشر في المصادر المختلفة ، فقد تناثرت هذه المعلومات هنا وهناك ، مما جعل الباحث يستغرق وقتاً طويلاً ، ويبذل جهوداً كبيرة في تجميع هذه المعلومات.
3- قلة عدد المصادر والمراجع الأجنبية ، ذات العلاقة بموضوع الدراسة ، في مكتبات الجامعات المحلية ، مما جعل الباحث يرجع إلى بعضها من خلال المراجع المنشورة.

منهجية الدراسة:

انتهجت الدراسة منهج البحث التاريخي الوصفي التحليلي ، وذلك من خلال جمع المعلومات والروايات التاريخية المتنوعة من المخطوطات والمصادر والمراجع والدوريات المختلفة العربية منها والأجنبية ، ودراستها وتحليلها ومقارنتها بما يخدم موضوع الدراسة وإنجازها بشكل علمي وموضوعي.

أما خطة الدراسة ، فقد اشتملت على تمهيد ، وأربعة فصول رئيسية:

تناول التمهيد الحديث عن الحياة العلمية في فلسطين قبيل العدوان الصليبي عليها ، مشيراً إلى أهم المراكز العلمية ، ودور العلماء في تلك الفترة.

واستعرض الفصل الأول ، أحداث العدوان الصليبي والسيطرة على المدن الفلسطينية ، وقتل العلماء وتدمير المكتبات ، وتحويل المساجد إلى كنائس ، إضافة إلى تسليط الأضواء على تهجير العلماء الفلسطينيين من مدنهم وقراهم ، ودورهم في ازدهار الحياة العلمية خارج فلسطين ، وخاصة في مصر والشام.

وتحدث الفصل الثاني حول صورة الحياة العلمية في فلسطين في ظل السيطرة الصليبية ، وقدوم عدد من الرحالة الأوروبيين إليها ، إضافة إلى نشاط العلماء الفلسطينيين خارج فلسطين في تلك الفترة ، واختتم هذا الفصل بالحديث عن أثر الحروب الصليبية على الغرب الأوروبي من الناحية العلمية ، إضافة إلى قيام بعض علماء المسلمين لزيارة فلسطين وهي تحت السيطرة الصليبية.

أما الفصل الثالث ، فقد جاء بعنوان "جهود السلاطين الأيوبيين والمماليك في دعم الحياة العلمية في فلسطين في الفترة من 583-690هـ/1187-1291م" حيث ركز على مساهمات العلماء الفلسطينيين في الحياة العلمية والحركة الفكرية في فلسطين ، واهتام وتشجيع السلاطين والملوك لها ، كما تناول هذا الفصل الحديث عن المؤسسات والمراكز العلمية والدينية القائمة وأهمها: المساجد ، والمدارس ، والربط ، والزوايا ، والبيمارستانات ، وبين هذا الفصل أيضاً صفات المعلمين ، ومؤهلاتهم العلمية ، ورواتبهم ، ودورهم في الحياة السياسية والحياة العامة. واختتم هذا الفصل بالحديث عن الطلاب ونفقاتهم وأعمارهم ، ومراحل تعليمهم ، وأوقات دراستهم ، وأساليب وطرق تدريسهم ، إضافة إلى الحديث عن الرحلة العلمية ، والإجازة العلمية.

أما الفصل الرابع ، فقد دار البحث فيه حول العلوم النقلية والعقلية التي كانت سائدة في فلسطين في تلك الفترة ، موضوع الدراسة ، وهي العلوم الدينية وعلوم اللغة العربية ، والطب والحساب والهندسة وغيرها.

وقد تضمنت الرسالة أيضاً مقدمة ودراسة تحليلية لأهم المصادر ، وخاتمة ، إضافة إلى استعراض قائمة المصادر والمراجع وملاحق الدراسة.

وفي الختام ، فهذه خلاصة جهدي ، وما وفقني الله إليه وأعانني عليه ، فإن كان صواباً فمن الله ، وإن لم أبلغ المراد ، فتلك من طبيعة البشر ، لأن الواحد منا لا يدعي في عمله الكمال ، فالكمال لله وحده سبحانه وتعالى ، والحمد لله رب العالمين.

دراسة تحليلية لأهم المصادر والمراجع

إن دراسة موضوع الحياة العلمية في فلسطين - في مرحلة الصراع الصليبي الإسلامي في الفترة من (490-690هـ/1098-1291م) - يفرض على الباحث الرجوع إلى مصادر ومراجع متنوعة ؛ لجمع أكبر عدد ممكن من المعلومات المتعلقة بهذا الموضوع ، الذي لم تذكره المصادر بشكل مباشر ، ولم تتحدث عنه بدرجة كافية لتشمل جميع جوانبه خلال قرنين من الزمان (491-690هـ/1098-1291م). وربما يكون السبب في ذلك هو انشغال مؤرخي تلك الفترة وتركيزهم على النواحي السياسية والحربية ، فاشتغلوا في تسجيلها والحديث عنها ، ولم يتناولوا موضوع الحياة العلمية بشكل من التفصيل ، ولذلك ، فإن إعداد دراسة واضحة عن الحياة العلمية في فلسطين خلال الفترة المشار إليها ، لا يمكن إنجازها إلا من خلال البحث والتنقيب في دائرة واسعة ومتنوعة من المصادر لرصد وجمع الإشارات والمعلومات المبعثرة كافة المتصلة بالحياة العلمية والحركة الفكرية ؛ لذلك كان لزاماً علينا الرجوع إلى أوفر عدد من هذه المصادر التي زودت موضوع الدراسة بكثير من المعلومات القيمة التي لولاها لما قدر لهذه الدارسة أن تخرج بالصورة التي هي عليها الآن.

من هذه المصادر الهامة:

أولاً: كتب التاريخ العام:

1- ابن القلانسي ، أبو يعلي حمزة بن أسد بن علي التميمي الدمشقي (ت 555هـ/1160م) ، "تاريخ دمشق".

نشأ ابن القلانسي في أسرة دمشقية امتازت بالثقافة الدينية والأدبية ، ولذلك كان ابن القلانسي كاتباً وأديباً ، وقد تولى رئاسة دمشق مرتين ، وكان متميزاً في كتابة الإنشاء ، فأتيح له أن يطلع على محفوظات الدولة في دمشق([1]).

يعد كتاب ابن القلانسي "تاريخ دمشق" من الكتب القيمة التي تعالج فترة هامة في تاريخ المسلمين وهي فترة الحروب الصليبية ، وتعود أهمية هذا الكتاب كون مؤلفه كان معاصراً للأحداث ، وشاهدَ عِيانٍ عليها ، وقد زودنا ابن القلانسي بمعلومات عن أحداث العدوان الصليبي على المدن الفلسطينية وتواريخها ومظاهرها البشعة ، والمجازر الوحشية التي ارتكبها الصليبيون ضد المسلمين ، ولا غنى لأي باحث في الحروب الصليبية عن كتاب ابن القلانسي.

---

[1]) الحموي ، معجم الأدباء ، جـ4 ، صـ164-165. الذهبي ، سير ، جـ15 ، صـ149.

2- العماد الكاتب الأصفهاني ، محمد بن محمد بن حامد (ت 597هـ/1200م) ، "الفتح القسي في الفتح القدسي"([1]).

يعد كتاب "الفتح القسي في الفتح القدسي" ، من الكتب المهمة لدراسة تاريخ الحروب الصليبية في عصر الملك الناصر صلاح الدين ، فقد تناول الأحداث من سنة 583هـ/1187م ، وحتى سنة 589هـ/1193م ، وتأتي أهمية هذا الكتاب كون مؤلفه كان معاصراً وشاهداً عياناً لأحداث تلك الفترة ، وكان ملازماً للملك الناصر صلاح الدين ، وقد أفاد الباحث منه بمعلومات هامة عن جهود الملك الناصر صلاح الدين في محاربة الصليبيين واسترداد البلاد الإسلامية منهم ، وعودة مظاهر الحياة العلمية إلى فلسطين ، خاصة بيت المقدس وإنشاء المؤسسات العلمية فيها.

3- ابن الأثير ، عز الدين علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت 630هـ/1232م).

ولد ابن الأثير سنة 555هـ/1160م ، بجزيرة ابن عمر ، وهاجر مع أسرته إلى الموصل سنة 576هـ/1180م ، وشاهد حروب الصليبيين مع جيش الموصل بعد سنة 584هـ/1184م ، ولهذا اعتمد على ما سمعه ونقله في الحوادث الواقعة قبل سنة 584هـ/1188م([2]) ، أما بعدها ، فيعد ابن الأثير مصدراً معاصراً لها([3]).

ألف ابن الأثير العديد من الكتب التاريخية أهمها: "الكامل في التاريخ" ، وقد امتاز في كتابه بحسن الاطلاع والرؤية الدقيقة الفاحصة للأحداث التاريخية التي عاصرها ، ويعد هذا الكتاب من أهم المصادر التاريخية التي تناولت الأحداث التاريخية منذ بدء الخليقه وحتى أحداث سنة 628هـ/1230م ، وهو مرتب على نظام الحوليات ، وقد أفادت الدراسة من هذا الكتاب ، من خلال ما احتواه الجزءان: الثامن والتاسع من معلومات حول أحداث الحروب الصليبية ، وسيطرة الصليبيين على المدن الفلسطينية وأثرها على الحياة العلمية في فلسطين ، كما أفاد الباحث من بعض تراجم الأعلام والعلماء والفقهاء المسلمين الذين ورد ذكرهم في هذا المصدر وشاركوا في الحياة العلمية في فلسطين وخارجها.

---

[1]) العماد الكاتب الأصفهاني: ستأتي ترجمته في سياق البحث.

[2]) ابن الأثير ، التاريخ الباهر ، صـ7.

[3]) السعداوي ، المؤرخون ، صـ9.

4- ابن شداد ، بهاء الدين يوسف (ت 632هـ/1234م) ، "النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية"، وهو الكتاب المعروف باسم "سيرة صلاح الدين".

يعد هذا الكتاب من أهم المصادر التي أرخت لحياة الملك الناصر صلاح الدين وجهاده ضد الصليبيين ، ذلك أن مصنفه التحق بخدمة صلاح الدين منذ سنة 584هـ/1188م ، وكان ملازماً له ، ومن هنا تأتي أهمية هذا المصنف كون مصنفه كان شاهدَ عيانٍ للأحداث ومشاركاً بها ، وكان له علاقات واسعة مع العلماء والفقهاء في عصر صلاح الدين وما بعده.

تناول ابن شداد في كتابه الأحداث التي بدأت منذ سنة 558هـ/1162م ، وأنهاه بسنة 589هـ/1193م ، وهي سنة وفاة الملك الناصر صلاح الدين ، وقد أفدت من هذا الكتاب فيما حواه من معلومات عن شخصية الملك الناصر صلاح الدين وجهاده وفتوحاته وتشجيعه واحترامه وحبه للعلم والعلماء.

5- أبو شامة ، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي (ت 665هـ/1266م). "الروضتين في أخبار الدولتين"([1]).

تناول أبو شامة في مصنفه أحداث الفترة الممتدة من سنة 540هـ/1145م ، حتى سنة 597هـ/1200م ، وتأتي أهمية هذا الكتاب كون صاحبه اعتمد على مصادر عديدة معاصرة للفترة الأيوبية أهمها: "تاريخ دمشق" لابن عساكر ، و"الفتح القسي في الفتح القدسي" للعماد الأصفهاني ، و"النوادر السلطانية" لابن شداد ، ولذلك يعد هذا الكتاب من المصادر التاريخية المهمة التي أفادت الدراسة في أكثر من موضع ، فقد زودنا أبو شامة بمعلومات قيمة عن فتوحات الملك الناصر صلاح الدين ، وانتعاش الحياة العلمية فيها خاصة في بيت المقدس ، حيث قدم إليها عدد كبير من العلماء كان على رأسهم ابن الزكي صاحب أول خطبة في المسجد الأقصى بعد الفتح ، كما زودنا هذا المصدر بعدد من الشعراء الفلسطينيين الذين ساهموا بقصائدهم في تمجيد انتصارات الملك الناصر صلاح الدين وفي بعث الحمية والحماس لمقاومة الصليبيين وهزيمتهم والتخلص منهم.

[1]) أبو شامة: انظر ترجمته صـ148-149.

كما أفادت الدراسة من مصدر أخر لأبي شامة وهو "تراجم رجال القرنين السادس والسابع الهجريين" المعروف بـ"الذيل على الروضتين" ، وهو مرتب ترتيباً حولياً ، يبدأ بحوادث عام 590هـ/1193م ، وينتهي بحوادث عام 665هـ/1266م ، وقد تضمن هذا الكتاب الكثير من تراجم علماء الشام وفلسطين في الفترة موضوع الدراسة ، فقدم بذلك معلومات قيمة للدراسة عن جوانب مهمة في حياتهم العلمية والاجتماعية ، خاصة وأن أبا شامة كان معاصراً لعدد من هؤلاء العلماء وتربطه بهم علاقات وطيدة بحكم اشتغاله بالتدريس في أماكن عديدة ، وكان من هذه الأماكن: المدرسة الصلاحية ببيت المقدس.

6- ابن شداد ، عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم (ت 684هـ/1285م) ، "الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة".

عاش ابن شداد بالشام ، وبعد سقوطها بأيدي المغول ، رحل إلى مصر ، واستوطنها ، وصار له مكانه عالية لدى الملك الظاهر بيبرس ، والمنصور قلاوون ، وكان فاضلاً أديباً ، له العديد من المؤلفات التاريخية ، ولكن أهمها هو كتاب "الأعلاق الخطيرة" ، الذي جمع فيه بين التاريخ والجغرافيا ، وجعله ثلاثة أقسام ، أحدها خاص بمسقط رأسه حلب ، وخصص القسم الثاني لدمشق والأردن وفلسطين ولبنان ، والثالث جعله لمنطقة الجزيرة([1]).

ويعد هذا المصدر من المصادر التاريخية المهمة ، وتأتي أهميته كون ابن شداد اعتمد في كتابه على العديد من المصادر التاريخية مثل: كتاب "تاريخ دمشق" لابن القلانسي ، و"الكامل في التاريخ" لابن الأثير ، وقد أفادت الدراسة من كتاب "الأعلاق الخطيرة" من خلال المعلومات التي ذكرها ابن شداد في القسم الثاني من كتابه ، والتي تتعلق باحتلال الصليبيين للمدن الفلسطينية ثم تحريرها من قبل الملك الناصر صلاح الدين.

7- ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم (ت 697هـ/1297م) ، "مفرج الكروب في أخبار بني أيوب"([2]).

---

[1]) الذهبي ، سير ، جـ17 ، صـ258. الغامدي ، بلاد الشام ، صـ20-21.

[2]) ابن واصل: انظر ترجمته صـ175.

يعد هذا الكتاب المصدر الأول لدراسة تاريخ بني أيوب لما فيه من تفاصيل عنهم ، قلما توجد كاملة في كتاب آخر ، وهو كتاب حولي ، أرخ فيه مؤلفه للحوادث المهمة حتى سنة 681هـ/1282م ، وقد أفادت الدراسة من هذا المصدر في مواضع كثيرة ، منها على سبيل المثال ، لا الحصر ، المعلومات التي تحدثت عن جهاد صلاح الدين ضد الصليبيين وفتوحاته وانتصاراته ، وكذلك اهتمام السلاطين والملوك الأيوبيين بالحياة العلمية في فلسطين ، وعلى رأسهم الملك الناصر صلاح الدين ، والملك المعظم عيسى.

8- ابن كثير ، عماد الدين إسماعيل بن عمر (ت 774هـ/1372م) ، "البداية والنهاية".

ولد ابن كثير سنة 700هـ/1300م ، قدم دمشق وله سبع سنين مع أخيه بعد موت أبيه ، اجتهد كثيراً ، وسمع من كثير من العلماء حتى برع في علوم الحديث والتفسير والتاريخ ، ولابن كثير العديد من التصانيف المهمة([1]).

يعد كتاب "البداية والنهاية" لابن كثير من الكتب التاريخية المهمة أرخ فيه للأحداث منذ بدء الخليقه وحتى سنة 767هـ/1365م ، واتبع فيه الترتيب الحولي ، وقد أفادت الدراسة كثيراً من الجزأين الثاني عشر والثالث عشر ، حيث ذكر ابن كثير فيهما معلومات كثيرة عن عدد كبير من العلماء والأعلام الفلسطينيين وغيرهم ممن شاركوا في ازدهار الحياة العلمية في فلسطين وخارجها خلال فترة الدراسة.

ثانياً: كتب التراجم والطبقات:

اعتمدت الدراسة على عدد من كتب التراجم والطبقات كان من أهمها:

1- ابن أبي أصيبعة ، موفق الدين أحمد بن القاسم بن خليفة الخزرجي ، الشهير بابن أبي أصيبعة (ت 668هـ/1269م) ، "عيون الأنباء في طبقات الأطباء".

ولد ابن أبي أصيبعة في دمشق سنة 600هـ/1203م ، كان عالماً بالأدب والطب والتاريخ ، وكان له فضل عظيم بما جمعه من أخبار ومعلومات ، فاق فيها غيره في التاريخ الطبي ، فقد ترجم لأطبائه تراجم دقيقة بلغت أربعمائة ترجمة([2]).

---

[1]) ابن العماد ، شذرات ، جـ6 ، صـ432.

[2]) المصدر السابق ، جـ5 ، صـ468. الغامدي ، بلاد الشام ، صـ24.

وقد زودنا ابن أبي أصيبعة بمعلومات عن علم الطب في فلسطين في فتـرة الدراسـة ، وعن الأطباء الفلسطينيين وغيرهم الذين عملوا في البيمارستان الصلاحي الـذي أقامـه الملـك الناصر صلاح الدين ببيت المقدس.

2- ابن خلكان ، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكـر (ت 681هـ/1282م) ، "وفيـات الأعيان وأنباء أبناء الزمان".

ولد ابن خلكان في إربل سنة 608هـ/1211م ، وتفقه بالموصل والشام ، ولقـى كبـار العلماء ، سكن مصر مدة وناب في القضاء ، ثم ولي قضاء الشام عشر سـنين ، وكـان إمامـاً فاضلاً ، جيد القريحة ، بصيراً بالعربية ، علامة في الأدب ، والشعر ، والتاريخ([1]).

يعد هذا الكتاب من كتب التراجم المهمة ، وتكمن أهميته في كون مصنفه اعتمـد علـى مصادر عديدة منها: "تاريخ دمشق" لابن عساكر ، و"النوادر السلطانية" لبهاء الدين بـن شـداد ، وغيرها ، وقد ترجم ابن خلكان لعدد كبير من العلماء والأدباء الفلـسطينيين وغيـرهم ، الـذين شاركوا في ازدهار الحياة العلمية في فلسطين وخارجها في العصرين الأيوبي والمملوكي ، كمـا ترجم ابن خلكان أيضاً لعدد من السلاطين والملوك الأيوبيين والمماليك ، وكـان لبعـضهم دور فاعل في دعم وتشجيع الحياة العلمية في فلسطين ، وقد أفادت الدراسة كثيراً من تلك التراجم.

3- الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمـان (ت 748هـ/1347م) ، "سـير أعـلام النبلاء".

ولد الذهبي سنة 673هـ/1274م بدمشق ، وبرع في علوم الحديث والقراءات والتاريخ ، صنف مصنفات عديدة بلغت حوالي مئة مصنف ، وفي عام 741هـ/1340م كـف بـصره فانقطع عن التأليف ، وأكب على التدريس بمدارس دمشق حتى وفاته([2]).

يعد كتاب الذهبي "سير أعلام النبلاء" من أكبر الموسوعات التاريخية الشاملة التي بحثت في التراجم والطبقات ، ومن خصائص موسوعة الذهبي أنها احتضنت سبعة قـرون ونيفاً مـن

---

[1]) الذهبي ، سير ، جـ17 ، صـ281-282. ابن العماد ، شذرات ، جـ6 ، صـ29-30.

[2]) الذهبي ، سير ، جـ1 ، مقدمة المحقق ، صـ13-15. ابن العماد ، شذرات ، جـ6 ، صـ335.

تاريخ رجال الإسلام ، وذلك منذ فجر الدعوة الإسلامية وحتى سنة 746هـ/1345م ، كما أنها تناولت جميع طبقات الشعب ، خلفاء وسلاطين وملوك ، وحكام ، وأمراء ، وشعراء ، وأدباء ، ونحاة ، ومسلمين ، وغير مسلمين. وقد أفادت الدراسة من هذه الموسوعة في معظم فصول الدراسة ؛ إذ زودتنا بمعلومات وفيرة عن عدد كبير من العلماء والفقهاء الفلسطينيين وغيرهم ممن ورد ذكرهم في الدراسة ، وشارك بعضهم في تفعيل الحياة العلمية والحركة الفكرية في فلسطين وخارجها.

وهناك مصادر أخرى للذهبي أفادت الدراسة ، منها: "تذكرة الحفاظ" و"العبر في خبر من غبر" ، و"تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام".

ومن كتب التراجم الأخرى التي أفادت الدراسة أيضاً: "طبقات الشافعية الكبرى" لمؤلفه ، عبد الوهاب بن علي السبكي (ت 771هـ/1369م) ، و"طبقات الفقهاء الشافعيين" لابن كثير ، و"طبقات المفسرين" لمؤلفه ، شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوودي (ت945هـ/1538م).

ثالثاً: كتب الجغرافيا والرحلات:

قدمت كتب الجغرافيا معلومات قيمة عن الكثير من المدن والقرى الوارد ذكرها في الدارسة ، كما حددت هذه المعلومات المواقع الجغرافية لتلك المدن والقرى ، أما كتب الرحلات ، فقد كان لأصحابها دور كبير في جمع المعلومات المتنوعة من خلال مشاهداتهم وتجاربهم وعلاقاتهم العامة والخاصة مع الناس من مختلف الطبقات الاجتماعية ، وقد أفادت الدراسة من هذه المعلومات في مواضع مختلفة.

ومن أهم كتب الجغرافيا والرحلات التي أفادت الدراسة:

1- ناصر خسرو (ت 480هـ/1087م) ، "سفر نامة".

ولد ناصر خسرو سنة 394هـ/1003م ، وفي عهد السلاجقة خدم حاكم خراسان وتولى أمر خزانته في مرو مدة طويلة ، قام برحلته المشهورة ، وهي رحلة تقع حوادثها بين سنة 437 وسنة 444هـ/1045-1052م ، بدأها من مرو في خراسان ، ماراً بأذربيجان وأرمينية والشام

وفلسطين ومصر والحجاز ونجد وجنوبي العراق ، ثم عاد إلى إيران منتهياً إلى مدينة بلـــخ فـــي خراسان ، ووصل ناصر خسرو فلسطين سنة 438هـــ/1046م ، حيـــث زار بيـــت المقـــدس ، ومدن: عكا ، وقيسارية ، والرملة ، وطبرية([1]) ، وقد زودنا خسرو بمعلومات عن "المستـــشفى العظيم" الذي شاهده في بيت المقدس ، وهو المستشفى الذي أقامه الفـــاطميون ، كـــذلك زودنـــا بمعلومات عن بعض المساجد التي شاهدها وزارها في بعض المدن الفلسطينية.

2- ابن منقذ ، أسامة بن مرشد بن علي (ت 584هـــ/1188م) ، "الاعتبار".

ولد ابن منقذ في قلعة شيزر سنة 488هـــ/1095م ، ثم سكن دمشق زمن نـــور الـــدين محمود ، وانتقل بعدها إلى القاهرة ، وعندما دخل الملك الناصر صلاح الدين دمشق ، استدعاه ، وغمره بعطفه وإحسانه وقربه إليه ، فمدحه أسامة ، وكان قد جاوز الثمانين عاماً مـــن عمـــره ، ويعد أسامة بن منقذ من الرجال المشهورين ، والشعراء المبرزين ، وكان له علاقات شخـــصية مع الصليبيين في أوقات السلم([2]).

تكمن أهمية هذا المصدر في أن مؤلفه كان معاصراً للأحداث ، وكان شاهداً عيانـــاً ، إذ أن كتاباته كانت خلاصة تجاربه ، ومشاهداته في البلاد التي قام بزيارتها ، وخاصـــة فلـــسطين وهي تحت السيطرة الصليبية ، وقد ساعده على ذلك علاقاته الطيبة وصداقته مـــع الـــصليبيين ، ويمكن القول: إن كتاب ابن منقذ هو عبارة عن مذكرات تصور الحياة الـــسياسية والاجتماعيـــة والثقافية التي عاشها المؤلف زمن الحروب الصليبية. وقد أمدنا كتاب "الاعتبار" بمعلومات بينـــت تقييم الجوانب العلمية والثقافية للصليبيين ، خاصة في مجال الطب ، فقد أشار ابن منقذ إلى أنـــه رأى الحماقة مجسمة في أعمالهم الطبية في فلسطين.

3- ياقوت الحموي (ت 626هـــ/1228م) ، "معجم البلدان".

ولد في الفترة الواقعة بين سنتي 574-575هـــ/1178-1179م ببلاد الروم ، أسر مـــن بلاده صغيراً ، وابتاعه ببغداد رجل تاجر يعرف بعسكر ابن أبي نصر إبراهيم الحموي، وجعله

---

[1]) خسرو ، سفر نامة ، مقدمة المترجم ، صـــ8-9 ، 15 ، صـــ66.

[2]) ابن خلكان ، وفيات ، جـــ1 ، صـــ195-196 ، 199. الذهبي ، سير ، جـــ15 ، صـــ369-370. البيشاوي ، نابلس ، صـــ33 ، هامش (80).

في الكُتاب لينتفع به في ضبط تجارته ، وواجه ياقوت الحموي صعوبات كثيـرة فـي حياته ، لكن هذه الصعوبات لم تمنع ياقوت من أن يصبح من كبار المؤرخين والأعلام البارزين في عصره([1]).

يعد كتاب ياقوت "معجم البلدان" موسوعة جغرافية نظراً لـوفرة المـادة التـي أوردهـا وتحدث فيها عن البلدان والأقاليم والمدن والجبال والأنهار ، وغير ذلك ، وكتاب "معجم البلـدان" مرتب على حسب الحروف الأبجدية ، ولا غنى ، عنه للباحـث فـي التـاريخ ، والجغرافيـا ، والأدب ، وتاريخ البلدان ، خاصة في تحقيق أسماء المدن والبلدان والمعـالم الجغرافيـة ، وقـد أفدت منه في تحقيق وتعريف أسماء المدن والأماكن التي وردت في الدراسة.

ولياقوت الحموي أيضاً كتاب "معجم الأدباء" ، وهذا المصدر زودنا بمعلومـات كثيـرة عن عدد من كبار الأدباء والعلماء والفقهاء الفلسطينيين وغيرهم الذين شاركوا في ازدهار الحياة العلمية والحركة الفكرية في فلسطين وخارجها ، خاصة في العهد الأيوبي.

رابعاً: المصادر المتأخرة:

من أهم المصادر المتأخرة لموضوع الدراسة الكتب التالية:

1- المقريزي ، أحمد بن علي (ت 845هـ/1441م) ، "المقفى الكبير".

ولد المقريزي سنة 766هـ/1364م ، بحارة برجوان بمدينة القاهرة ، وهـو بعلبكـي الأصل ، مصري المولد والمنشأ ، وعرف باسم المقريزي نسبة إلى حارة المقارزة فـي مدينـة بعلبك في لبنان ، عكف على دراسة القرآن وعلوم الدين والتاريخ وغيرهما ، وتقلد العديـد مـن الوظائف ، كان أخرها وظيفة الحسبة بالقاهرة.

يعد المقريزي من فحول المؤرخين المسلمين ، وله مؤلفات تاريخية كثيرة ، وقد تميزت كتاباته بالدقة والمتانة والموضوعية([2]).

---

[1]) ابن خلكان ، وفيات ، جـ6 ، صـ127-129. الذهبي ، سير ، جـ16 ، صـ259-260.

[2]) السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ2 ، صـ21. الغامدي ، بلاد الشام ، صـ24-25.

وكتاب "المقفى الكبير" أشبه بموسوعة كبيرة ضمت تراجم كثيرة للعديد من العلماء والفقهاء والأدباء والأعيان البارزين ، وقد كان منهم عدد من العلماء الفلسطينيين الذين شاركوا في الحياة العلمية في فلسطين وخارجها. وقد أفادت الدراسة أيضاً ، في كثير من المواضع ، من كتب أخرى للمقريزي منها: "السلوك لمعرفة دول الملوك" ، و"المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار" ، المعروف بـ"الخطط المقريزية".

2- العليمي ، مجير الدين عبد الرحمن بن محمد (ت 927هـ/1520م) ، "الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل".

يعد هذا الكتاب من أوسع المصنفات التي تناولت تاريخ بيت المقدس منذ فجر الخليقه وحتى سنة 900هـ/1494م ، وقد احتل هذا المصدر مكانة كبيرة في هذه الدراسة كونه من أوفر وأهم المصادر التي تناولت الحياة العلمية في بيت المقدس في العهدين الأيوبي والمملوكي ، حيث وصف الكثير من مدارسها ومساجدها وزواياها وغيرها من المراكز التعليمية الأخرى ، كما ذكر تراجم لعدد كبير من علمائها وفقهائها ، والعلماء الوافدين إليها الذين شاركوا في ازدهار الحياة العلمية في فلسطين في العهدين: الأيوبي والمملوكي.

3- ابن طولون ، شمس الدين محمد بن علي (ت 953هـ/1546م) ، "القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية".

أورد ابن طولون في هذا الكتاب معلومات كثيرة عن أسرة بني قدامه ، وعلمائها الحنابلة ، وغيرها من الأسر الفلسطينية الأخرى التي اجبرت على ترك قراها نتيجة العدوان الصليبي عليها ، وقد أمكن من خلال هذا الكتاب التعرف على عدد كبير من هؤلاء العلماء والفقهاء ممن كان لهم فضل كبير في إنشاء المدارس ونشر العلم والمعرفة في حي الصالحية بدمشق وغيرها ، في العصرين الأيوبي والمملوكي.

4- النعيمي ، عبد القادر بن محمد (ت 978هـ/1570م) ، "الدارس في تاريخ المدارس".

يعد هذا الكتاب من أوسع المصنفات التي تناولت الحياة العلمية في بلاد الشام منذ القرن الخامس وحتى القرن العاشر الهجري ، فقد ذكر عدد كبير من المدارس ودور القرآن

والحديث والزوايا والربط والمساجد ، إضافة إلى ذكر عدد كبير أيضاً مـــن العلمـــاء والفقهـــاء والمدرسين. وقد أفادت الدراسة من هذا المصدر من خلال المعلومات التي أوردها النعيمي عـــن المدارس التي أسسها العلماء الفلسطينيون في دمشق مثـــل: مدرســـة أبـــي عمـــر ، والمدرســـة الضيائية ، كما زودنا الكتاب بمعلومات عن عدد من المدرسين والعلماء الفلسطينيين وغيـــرهم ، الذين درسوا في مدارس دمشق وبيت المقدس.

5- حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله (ت 1067هـ/1656م) ، "كشف الظنون عن أســـامي الكتب والفنون".

يعد هذا الكتاب من أوسع المصادر التي ذكرت إنتاج العلماء الفكـــري مـــن المـــصنفات والمؤلفات ، وقد أفادت الدراسة منه في معظم فصولها.

وبالإضافة إلى ما سبق ذكره ، فقد رجعت إلى عدد من المصادر الأخرى ومن أهمها:

1- ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت 597هـ/1200م) ، "المنتظم في تـــاريخ الملوك والأمم ".
2- النويري ، أحمد بن عبد الوهاب (ت 733هـ/1332م) ، "نهاية الأرب في فنون الأدب".
3- الغساني ، الملك الأشرف (ت 803هـ/1400م) ، "العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك".
4- القلقشندي ، أحمد بن علي (ت 821هـ/1418م) ، "صبح الأعشى في صناعة الإنشا".
5- ابن تغري بردي ، جمال الدين أبو المحاســـن يوســـف (ت 874هــــ/1469م) ، "النجـــوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة".

خامساً: المصادر المترجمة

أفادت الدراسة من المعلومات التي أوردها بعض المؤرخين والرحالـــة الأوربيـــين فـــي مصنفاتهم التي صنفوها حول الحروب الصليبية والحياة العامة في فلسطين ، وتكمن أهمية هـــذه المصادر في أن بعض أصحابها كانوا شهودَ عيانٍ على أحداث تلك الحروب ، ومن أهـــم هـــذه المصادر:

1- ريموندا جيل([1]) Raymond of Aguilers:

صنف ريموندا جيل كتاب "تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس"

"Historia Francorum qui Ceperunt Iherusalem"

وكان ريموندا جيل من مؤرخي الحملة الصليبية الأولى (1095-1099م) ، وقد عاصر أحداثها وكان شاهدَ عِيانٍ عليها ، وقد اعتمدت الترجمة العربية لهذا الكتاب التي قام بها حسين محمد عطية([2]).

أفادت الدراسة من المعلومات التي ذكرها ريموندا جيل حول كيفية دخول الصليبيين بيت المقدس ، وقد عبَّر ريموندا جيل بفرحة الصليبيين وسعادتهم واصفاً ذلك اليوم بأنه من صنع الرب.

2- فوشيه الشارتري([3]) Fulcher of Chartres:

وضع فوشيه الشارتري كتابه "أعمال الفرنجة حجاج بيت المقدس".

"Gesta Francorum Iherusalem Peregrinantium"

وقد اعتمدت على الترجمة العربية لهذا الكتاب التي قام بها زياد العسلي ، وهي بعنوان: "تاريخ الحملة إلى القدس". وتكمن أهمية هذا الكتاب في أن مؤلفه كان معاصراً لأحداث الحملة الصليبية الأولى ، كما أنه كان شاهد عيان لمعظم الأحداث التي دونها في كتابه ، ولذلك يعد كتابه من المصادر المهمة لدراسة الحروب الصليبية. وقد زودنا فوشيه الشارتري بمعلومات عن مجازر الصليبيين في فلسطين ، خاصة تلك المجزرة التي ارتكبها الصليبيون ضد المسلمين

---

[1]) ريموندا جيل: أحد رجال الدين الصليبيين ، كان من قادة الحملة الصليبية الأولى بأمر من البابا ، وحظي بثقة الإمبراطور البيزنطي الكسيس كومنين ، بعد أن أشعر الإمبراطور بأهمية منصبه بين أقرانه من قادة الحملة ، انظر: ريموندا جيل ، تاريخ الفرنجة ، مقدمة المترجم ، صـ30.

[2]) ريموندا جيل ، تاريخ الفرنجة ، مقدمة المترجم ، صـ9.

[3]) فوشيه الشارتري: ولد بمدينة شارتر بفرنسا سنة 451هـ/1059م ، كان ممن حضروا مؤتمر كليرمونت الكنسي الذي عقد في سنة 489هـ/1095م بفرنسا ، وشهده نحو ثلثمائة من رجال الدين ، ثم رافق الحملة الصليبية الأولى التي غادرت مدينة شارتر الفرنسية إلى أن انضمَّ إلى بلدوين الأول الذي اصطحبه إلى الرها ، وأقام معه نحو سنتين ، وعندما تولى بلدوين عرش القدس ، بعد وفاة أخيه جودفري ، انتقل فوشيه معه وبقي ملازماً له حتى وفاته سنة 512هـ/1118م ، أما فوشيه فقد مكث في بيت المقدس حتى وفاته سنة 521هـ/1127م ، انظر توديبود ، تاريخ الرحلة ، مقدمة المترجم ، صـ19 ، هامش (1). الشارتري ، تاريخ ، مقدمة المترجم ، صـ7 ، 10. البيشاوي ، الممتلكات ، صـ32 ، هامش (1). رنسيمان ، تاريخ ، صـ160-161.

بالمسجد الأقصى ، إذ ذكر الشارتري بأن عدد القتلى من المسلمين كان قد بلغ عــشرة آلاف ، قطعت رؤوسهم. كما أفادنا الشارتري بمعلومات حول حــصار الــصليبيين للمــدن الفلــسطينية وسيطرتهم عليها خاصة مدينتي: عكا وعسقلان.

3- وليم الصوري([1]) William of Tyre:

صنف وليم الصوري كتابه "تاريخ الأعمال المنجزة فيما وراء البحار".

“Gestarum Historia Rerum in Partibus Transmarinis”

وقد اعتمدت على الترجمة العربية لهذا الكتاب التي قام بها سهيل زكار ، وهي بعنــوان "تاريخ الحروب الصليبية".

ويعد كتاب وليم الصوري موسوعة في تاريخ الحروب الصليبية ، وتكمن أهميته في أنه يتناول فترة طويلة من تاريخ الصليبيين ، امتدت حتى سنة 580هـ/1184م ، وقد اعتمد ولــيم في تدوين كتابه على مؤلفات بعض المؤرخين الصليبيين الذين عاصروا أحداث الحملة الــصليبية الأولى من أمثال فوشيه الشارتري ، وريموندا جيل وغيرهما ، وتأتي أهميته أيضاً ، كون مؤلفه كان معاصراً أحداث الحروب الصليبية ، وكان شاهد عيــان عليهــا ، ولا غنــى لأي باحــث تاريخي عن معلومات ومحتويات هذا الكتاب ، وكما يقف ابن القلانسي علــى رأس المــؤرخين العرب المسلمين الذين أرخوا لدمشق ، يقف وليم الصوري علــى رأس المــؤرخين الــصليبيين الذين أرخوا لمملكة بيت المقدس الصليبية. وقد أفدت من كتاب الصوري من خــلال المعلومــات التي ذكرها حول احتلال الصليبيين للمدن الفلسطينية وارتكابهم المجازر الوحشية ضد المــسلمين وخاصة في بيت المقدس وقيسارية كما زودنا كتاب الصوري بكثيــر مــن المعلومــات حــول الاضطهاد الصليبي للمسلمين وقد تجلت مظاهر هذا الاضطهاد في إصــدار الــصليبيين قــراراً بتحريم دخول المسلمين مدينة القدس أو الإقامة فيها لكونهم غير جديرين بالاحترام ، كما أمدنــا

---

[1]) وليم الصوري: ولد وليم الصوري قبيل سنة 525هـ/1130م في بيت المقدس ، وقد أمضى فترة صباه فيها، سافر إلى أوروبا متنقلاً بين فرنسا وإيطاليا طلباً للعلم فدرس الفلسفة والرياضيات والقانون وعلــم اللاهــوت ، وفي سنة 561هـ/1165م ، عاد إلى الشرق حيث أصبح رئيس ديوان الرسائل في مملكة بيت المقدس ، ثم تقلد عدة مناصب دينية كان آخرها رئيساً لأساقفه صور من سنة 571-580هـ/1175-1184م ، كما عمل وليم الصوري مستشاراً للمملكة الصليبية من سنة 570هـ/1174م وحتى وفاته سـنة 582هــ/1186م. انظــر: الصوري ، تاريخ ، مقدمة المترجم ، صـ70-73. توديبود ، تاريخ الرحلة ، مقدمــة المتــرجم ، صــ26. رنسيمان ، تاريخ ، جـ2 ، ق2 ، صـ772-773. عثمان ، مدينة صور ، صــ339-340. الــسعداوي ، المؤرخون ، صـ41-42.

كتاب الصوري بتراجم عديدة لبعض الشخصيات الهامة في مملكة بيت المقدس مثل الملك بلدوين الأول ، والقائد الصليبي جود فري.

وبالإضافة إلى ما سبق ذكره فقد رجعت إلى عدد من المصادر الأخرى لبعض الرحالة الأوربيين ومن أهمها:

1- سايولف Saewulf: "وصف رحلة الحاج سايولف لبيت المقدس والأراضي المقدسة 1102-1103م".
2- الحاج الروسي دانيال الراهب ، "وصف الأراضي المقدسة في فلسطين 1106-1107".
3- ثيودريش Theodrich: "وصف الأماكن المقدسة في فلسطين في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي". وقد اعتمدنا على الترجمة العربية التي قام بها سعيد البيشاوي ورياض شاهين.
4- بورشارد Burchard: "وصف الأرضي المقدسة".

والجدير بالذكر أنني قد اعتمدت في هذه المراجع الأربعة على الترجمة العربية التي قام بها سعيد البيشاوي.

المحتويات

فهرس الملاحق

تمهيد

الحياة العلمية في فلسطين قبيل العدوان الصليبي

1- المراكز العلمية

2- العلماء

3- العلوم السائدة في فلسطين خلال القرن الخامس الهجري

كانت فلسطين قبيل العدوان الصليبي عليها تخضع للفاطميين الـذين خاضـوا صـراعاً متواصلاً مع التركمان السلاجقة([1]) في أواخر عهدهم ، ففي سنة 463هـ/1070م اتجه إتسز بن أوق([2]) أحد أبرز زعماء التركمان السلاجقة إلى فلسطين ففتح مدينة الرملة([3]) ، وسار منها إلى بيت المقدس ، وحاصرها وفيها عساكر المصريين ، ففتحها وملك ما يجاورهما من البلاد ماعدا عسقلان([4]).

اتخذ "إتسز" مدينة القدس مركزاً لحكمه ، وأبطل الدعوة للفـاطميين ، وخطـب للخليفـة العباسي([5]) ، والسلطان السلجوقي ملكشاه([6]) ، ودعا علماء السُنة من الشرق والغرب للقدوم إلى القدس ، فعادت مراكز الحديث النبوي إلى الانتعاش([7]) ، ثم اتجهت أنظاره إلى دمشق ، وتمكـن من السيطرة عليها سنة 468هـ/1075م([8]) ، ولم يكتف "إتسز" بإنهـاء النفـوذ الفـاطمي فـي فلسطين ودمشق ، بل أخذ يستعد لغزو مصـر الفاطمية والاستيلاء عليها وإخضاعهـا للدولـة

---

[1]) السلاجقة: يُنسب السلاجقة إلى زعيمهم الأول سلجوق بن دقاق ، وهم إحدى القبائل التركية التـي اعتنقـت الإسلام ، كان موطنها الأصلي بتركستان ، وقد أطلق عليهم ألقاب أُخرى مثل: التركمان ، الأتراك ، الغز ، إلا أن لقب السلاجقة هو الذي غلب عليهم بعد هجرتهم بقيادة زعيمهم قادماً بهم من بلاد التركستان إلى مـا وراء النهر في أواخر القرن الرابع الهجري. انظر: يوسف، إرشيد ، سلاجقة الشام والجزيرة ، صـ15.

[2]) أتسز بن أوق: يقال له الأفسيس ، صاحب دمشق ، من أمراء السلطان ملكشاه ، وهو أول من ملك دمشق من الأتراك ، كانت مدة ولايته ثلاث سنوات وستة أشهر ، وكان يلقب بالمعظم ، قتـل سـنة 471هـ/1078م. انظر:ابن الأثير ، الكامل ، جـ8 ، صـ276. ابن كثير ، البداية ، جـ12 ، صـ128.

[3]) الرملة: مدينة عظيمة بفلسطين ، كانت رباطاً للمسلمين ، سكنها جماعة من العلماء والأئمة فنـسبوا إليهـا. انظر: الحموي، معجم، جـ3 ، صـ69 – 70.

[4]) ابن القلانسي ، تاريخ ، صـ166. ابن الأثير ، الكامل ، جـ8 ،صـ242. ابن شداد ، الأعلاق ، جـ2 ، ق2 ، صـ199-200. العليمي ، الأنس ، جـ1 ، صـ444. رنسيمان ، تاريخ ، جـ1 ، صـ116. بروكلمان ، تاريخ ، صـ256. نوار ، العدوان الصليبي ، صـ50. يوسف ، سكان القدس ، صـ122.

[5]) الخليفة العباسي: أبو جعفر عبد الله بن القادر بالله أحمد بن إسحاق بن المقتدر جعفر العباسي البغدادي ، ولد سنة 391هـ/1000م ، وتوفي سنة 467هـ/1074م. انظر: الذهبي ، سير ، جـ11 ، صـ568-570.

[6]) فوزي ، الوسيط ، صـ126. خرابشة ، فلسطين في العصر السلجوقي ، صـ660.

ملكشاه: هو أبا الفتح بن أبي شجاع محمد ألب إرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق الملقب جلال الدولـة ، توفي سنة 485هـ/1092م وعمره 37 سنة ، ومدة ملكه تسع عشرة سنة وأشهر. انظر: ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ16 ، صـ313.

[7]) حمودة ، موسوعة ، صـ684.

[8]) ابن الأثير ، الكامل ، جـ8 ، صـ266. رنسيمان ، تاريخ ، جـ1 ، صـ116.

السلجوقية ، ففي سنة 469هـ/1076م ، تحرك "إتسز" بجيشه باتجاه مصر ومعه 20 ألف فارس ، لكن حملته فشلت ، وعاد منهزماً إلى دمشق([1]).

انتهز أهل فلسطين وخاصة في مدينة بيت المقدس هزيمة "إتسز" أمام الفاطميين ، فثاروا عليه ، وأعلنوا الثورة والعصيان([2]) ، فما كان من "إتسز" إلا أن قرر استعادة بيت المقدس بعد عصيانها ، فاقتحمها سنة 469هـ/1076م ، ونهبها ، وارتكب بها مجزرة رهيبة كان ضحيتها ثلاثة آلاف شخص من أهلها([3]). لم يسكت الفاطميون عن الجريمة المروعة التي ارتكبها "إتسز" ضد السكان في بيت المقدس ، بل أرادوا المواجهة والانتقام من "إتسز" وجيشه ، ففي سنة 471هـ/1078م أرسل الفاطميون حملة بقيادة ناصر الدولة الجيوشي للهجوم على فلسطين ودمشق ، فاحتلت القدس ، ثم تقدمت إلى دمشق ، فحاصرتها وهاجمتها حيث كان "إتسز"([4]). ولما شعر "إتسز" بالخطر ، وبجدية الحملات الفاطمية وتصميمها على استعادة سيطرتها ونفوذها في بلاد الشام ، اضطر للاتصال بتاج الدولة تتش بن ألب إرسلان([5]) في حلب ، والاستنجاد به لإنقاذه من الحصار ، فتحرك تتش على الفور باتجاه دمشق ، فلما قرب منها ، رحل عنها عسكر مصر كالمنهزمين ، وعندما وصل إليها ، خرج له إتسز ، فما كان من تتش إلا أن قبض عليه وقتله سنة 471هـ/1078م ، وبذلك ملك تاج الدولة

---

[1]) ابن القلانسي ، تاريخ ، صـ176. ابن شداد ، الأعلاق ، جـ2 ، ق2 ، صـ200. كرد علي ، خطط ، جـ1، صـ237. خرابشة ، فلسطين ، صـ661.

[2]) ابن الأثير ، الكامل ، جـ8 ، صـ269. نوار ، العدوان ، صـ33. العسلي ، القدس في التاريخ ، صـ173. عثامنة ، فلسطين في خمسة قرون ، صـ285. خرابشة ، فلسطين ، صـ661.

[3]) ابن شداد ، الأعلاق ، جـ2 ، ق2 ، صـ200. رنسيمان ، تاريخ ، جـ1 ، صـ117. كرد علي ، خطط ، جـ1 ، صـ238. العسلي ، القدس ، صـ174. يوسف ، سكان القدس ، صـ123. خرابشة ، فلسطين ، صـ662.

[4]) ابن القلانسي ، تاريخ ، صـ182. ابن شداد ، الأعلاق ، جـ2 ، ق2 ، صـ200-201. رنسيمان ، تاريخ ، جـ1 ، صـ117. فوزي ، الوسيط ، صـ126.

[5]) تتش بن ألب إرسلان: تاج الدولة ، أبو سعيد ، تتش بن ألب إرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق السلجوقي ، ولد سنة 458هـ/1065م ، وتوفي سنة 488هـ/1095م. انظر: ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ17 ، صـ19.

دمشق وأعمال فلسطين([1]). وما تم له ذلك ، حتى أقطع بيت المقدس إلى أحد قادته ، وهو أرتق بن أكسب ، أحد أمراء التركمان([2]) ، والذي جعله نائباً عنه في المدينة([3]).

وبعد وفاة أرتق سنة 484هـ/1091م ، تسلم مقاليد الحكم ابناه سقمان وإيلغاري ، وظلا في الحكم حتى سنة 491هـ/1097م ، حيث قدمت جيوش الفاطميين ، بقيادة الأفضل بن بدر الجمالي أمير الجيوش([4]) ، باتجاه بيت المقدس ، فطلب من سقمان وإيلغاري تسليم المدينة ، حقناً للدماء ، فأبيا عليه ذلك ، فقام بحصار المدينة ونصب عليها نيفاً وأربعين منجنيقاً ، وحاصرهم أكثر من أربعين يوماً ، حتى اضطرا إلى التسليم وأعلنا رغبتهما في الصلح ، وفعلاً تسلم الأفضل بيت المقدس سنة 491هـ/1097م ، وأحسن إلى ابني أرتق ، ومنحهما الأمان ، ولم يمسهما بسوء ، ورحلا منها إلى مدينة دمشق ، وعادت بيت المقدس إلى النفوذ الفاطمي مرة أخرى ، واستناب الأفضل في المدينة أميراً من قبله هو الأمير افتخار الدولة ، وأعاد لها الخطبة للخليفة الفاطمي وقطعها للخليفة العباسي والسلطان السلجوقي([5]) ، وبقيت بيت المقدس في أيدي

---

[1]) ابن القلانسي ، تاريخ ، صـ183. ابن عساكر ، تهذيب ، جـ2 ، صـ334. ابن الأثير ، الكامل ، جـ8 ، صـ276-277. ابن خلكان ، وفيات ، جـ1 ، صـ295. ابن شداد ، الأعلاق ، جـ2 ، ق2 ، صـ201. الذهبي ، سير ، جـ13 ، صـ616. ابن تغري بردي ، النجوم ، جـ5 ، صـ153. رنسيمان ، تاريخ ، جـ1 ، صـ117. خرابشة ، فلسطين ، صـ663.

[2]) هو جد الملوك الأرتقية ، وكان رجلاً شهماً ذا عزيمة واجتهاد. انظر ترجمته في: ابن خلكان ، وفيات ، جـ1 ، صـ191.

[3]) ابن خلكان ، وفيات ، جـ1 ، صـ191. أبو الفداء ، المختصر ، جـ2 ، صـ27. النويري ، نهاية الأرب، جـ28 ، صـ27. الحياري ، القدس في زمن الفاطميين ، صـ36. فوزي ، الوسيط ، صـ127. خليل ، الإمارات الأرتقية ، صـ65.

يذكر كل من كلود كاهن وستيفن رنسيمان ومحمد كرد علي أن فلسطين لا القدس وحدها أقطعت لأرتق ، ولكن أيا من المصادر العربية التي رجع إليها الباحث لم تشر إلى ذلك ، وإنما ذكرت أن القدس هي التي أقطعت إلى أرتق. انظر: كاهن ، كلود ، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية ، صـ50. رنسيمان ، تاريخ ، جـ1 ، صـ116. كرد علي ، خطط الشام ، جـ1 ، صـ246.

[4]) أمير الجيوش: شاهنشاه ، أبو القاسم بن أمير الجيوش بدر الجمالي ، صاحب الديار المصرية ، ولي بعد أبيه ، وكانت ولايته 28 سنة ، وهو مدبر دولة الفاطميين ، ولد بعكا سنة 458هـ/1065م ، وتوفي سنة 515هـ. انظر: الذهبي ، سير ، جـ14 ، صـ427. ابن كثير ، البداية ، جـ12 ، صـ203.

[5]) ابن القلانسي ، تاريخ ، صـ221. ابن خلكان ، وفيات ، جـ1 ، صـ191. ابن الأثير ، الكامل ، جـ8 ، صـ405. النويري ، نهاية ، جـ28 ، صـ246-247. ابن خلدون ، تاريخ ، جـ5 ، صـ210. المقريزي ، إتعاظ الحنفا ، جـ3 ، صـ22. ابن تغري بردي ، النجوم ، جـ5 ، صـ157. نوار ، العدوان ، صـ103. العوفي ، الحركة الصليبية ، صـ18. جوني ، دمشق ، صـ49-50.

المصريين إلى أن قصدها الفرنج في سنة 492هـ/1098م وحصروها نيفاً وأربعين يوماً ، حتى ملكوها عنوة([1]). وهكذا انتقلت السيادة على بيت المقدس وما حولها من المدن وساحل فلسطين إلى السيادة الفرنجية، وانطوت صفحة مشرقة من التاريخ الإسلامي ، لتبدأ مرحلة جديدة من الصراع الإسلامي الفرنجي ، غيرت مظاهر الحضارة الإسلامية ، وأثرت في الحياة العلمية في فلسطين.

المراكز العلمية:

تميزت الحياة العلمية في فلسطين خلال القرن الخامس الهجري ، قبيل العدوان الصليبي عليها ، بالحيوية والنشاط ، فقد أنشأ الفاطميون في فلسطين مؤسستين هامتين هما: دار العلم الفاطمية ، والبيمارستان الفاطمي ، كانت دار العلم في بيت المقدس من المعاهد التي كانت لها شأن عظيم في القرن الخامس الهجري ، وهي فرع لدار العلم الفاطمية ، القائمة بالقاهرة([2]) ، تهدف إلى نشر المذهب الفاطمي، وكانت مركزاً يعج بالنشاط الفكري ، تعقد فيها المجالس العلمية الكثيرة([3]). أما البيمارستان([4]) الذي أنشأه الفاطميون في بيت المقدس ، فقد وصفه ناصر خسرو([5]) بقوله: "وفي بيت المقدس مستشفى عظيم ، عليه أوقاف طائلة ، ويصرف

---

[1]) ابن القلانسي ، تاريخ ، صـ222. ابن الأثير ، الكامل ، جـ8 ، صـ405. ابن شداد ، الأعلاق ، جـ2 ، ق2 ، صـ201-202. أبو الفداء ، المختصر ، جـ2 ، صـ28. نوار ، العدوان ، صـ121. خرابشة ، فلسطين ، صـ664.

[2]) وتعرف أيضاً بدار الحكمة ، أسسها بالقاهرة ، الحاكم بأمر الله في أواخر القرن الرابع الهجري (395هـ/1004م) ، وعين لها طائفة من الفقهاء والقراء والنحويين ، ورجال الحديث والأدب واللغة وعلماء الهيئة والطب والرياضة والمنطق والفلسفة ، وضمت الدار مكتبة ضخمة نقلت إليها الكتب في سائر العلوم والآداب. انظر: المقريزي ، الخطط ، جـ1 ، صـ458. ابن تغري بردي ، النجوم ، جـ4 ، صـ223.

[3]) بدوي ، الحياة العقلية ، صـ27. السيد ، الدولة الفاطمية في مصر ، صـ585. حمادة ، المكتبات في الإسلام ، صـ100-101. زيدان ، تاريخ التمدن الإسلامي ، جـ3 ، صـ230. يوسف ، مقدمة في تاريخ التعليم الفلسطيني ، صـ21.

[4]) البيمارستان: كلمة فارسية معناها المستشفى وهي مؤلفة من كلمة (بي) ومعناها "بدون" و(مار) ومعناها "الحياة والحيوية" و(ستان) ومعناها "مكان" ، فمعنى الكلمة كلها: مكان للمرضى ، قال الجوهري في الصحاح: المارستان دار المرضى. انظر: الجوهري ، إسماعيل ، الصحاح ، جـ3 ، صـ978. عبد الدايم ، التربية عبر التاريخ ، صـ162.

[5]) وصل ناصر خسرو إلى بيت المقدس سنة 438هـ/1046م ، انظر: خسرو ، سفر نامة ، صـ66.

لمرضاه العديد من العلاج والدواء ، وبه أطباء يأخذون مرتباتهم من الوقـف"([1]). ولـم يـذكر ناصر خسرو معلومات إضافية عن هذا المستـشفى مثـل: أقـسامه ، عـدد المرضـى الـذين يستوعبهم ، أو أسماء الأطباء العاملين فيه ، وغير ذلك من التفاصيل الأخرى.

كان لهذا البيمارستان مهمة تعليمية ، ففيـه كـان الطـلاب يتعلمـون العلـوم الطبيـة والصيدلانية على يد أطباء متخصصين([2]) ، ويبدو أن هذا المستشفى ، الـذي وصـفه خـسرو بالعظيم ، كان من المراكز الطبية المهمة ، ويتسع لعدد كبير من المرضى ، خاصة وأنـه بقـي يقدم خدماته في فترة الاحتلال الفرنجي لبيت المقدس ، وقد عمل الصليبيون علـى توسـيعه([3]). وخلال فترة حكم الأتراك السلاجقة ، شهدت فلسطين ، وخاصة مدينة بيـت المقـدس ، إحيـاءً ثقافياً ، خاصة ، دراسات الفقه الشافعي والفقه الحنفي ، وكان المسجد الأقصى ، بالإضافة إلـى مكانته الدينية الرفيعة ، مركزاً مهماً لحياة علمية نشيطة ، وتدريس العلوم الإسلامية مثـل علـم الفقه ، وعلم الحديث ، وعلم الكلام ، والتفسير ، وأصبحت بيت المقدس تعج بالعلمـاء والفقهـاء الوافدين إليها من بلدان العالم الإسلامي المختلفة([4]). كان لهؤلاء الفقهاء ببيت المقـدس مـدارس ومراكز خاصة بهم ، تعقد فيها حلقات دراسية ، ومناظرات ، ومجالس علم ، يحضرها الطلبـة بصورة منتظمة([5]) ، من هذه المدارس ، مدرستان سـنّيتان ، إحـداهما للـشافعية عنـد بـاب الأسباط([6]) ، يرأسها الشيخ يحيى بن علي المعروف بابن الصائغ([1]) ، يجتمع فيها فقهاء الشافعية

---

[1]) خسرو ، سفر نامة ، صـ68. عبد المهدي ، الحركة الفكرية ، صـ41. الدباغ ، بلادنا فلسطين ، جـ3 ، صـ136. السعيد ، المستشفيات الإسلامية ، صـ253. سعيد ، مدن فلسطين ، صـ201.

[2]) غوانمة ، تاريخ نيابة بيت المقدس ، صـ144. خرابشة ، فلسطين ، صـ670.

[3]) غوانمة ، تاريخ ، صـ133. السعيد ، المستشفيات ، صـ253.

ولم يذكر الدكتور أحمد عيسى ، البيمارستان الفاطمي في كتابه "تاريخ البيمارستانات في الإسلام" رغم أنه تحدث عن أكثر من 100 بيمارستان كانت منتشرة في معظم أنحاء بلاد الشام ومصر وفلسطين والأناضول والمغرب وتونس ومراكش وغيرها.

[4]) العسلي ، الفكر الديني ، جـ3 ، ق2 ، صـ448. عباس ، رحلة ابن العربي إلى المشرق ، صـ67. أورد إحـسان عباس نص رحلة ابن العربي إلى المشرق في كتابه "فصول حول الحياة الثقافية والعمرانية في فلسطين"، صـ51-65. العسلي ، معاهد العلم في فلسطين ، صـ26 ، 29. العسلي ، القدس ، صـ167-168. عباس ، فـصول ، صـ26. الحياري ، القدس ، صـ14 ، 43-44. عبد المهدي ، الحركة ، صـ32.

[5]) العسلي ، القدس ، صـ168. الحياري ، القدس ، صـ15.

[6]) باب الأسباط: أحد أبواب مدينة بيت المقدس من جهة الشرق وهو الموضع المعروف بالمهد ، ومنه يهبط الدرج إلـى القسم السفلي من الحرم ، انظر: عباس ، إحسان ، فصول هامش68 ، صـ69. شراب ، بيت المقدس ، صـ170-171.

للدرس والمناظرة ، والأخرى مدرسة للحنفية ، وهي مدرسة أبي عقبة ، وشيخها القاضي الريحاني ، وكلتا المدرستين أُسستا في فترة حكم السلاجقة ، وتمتعتا بمستوى علمي عال ، وقد نافستا المسجد الأقصى في المجال التعليمي([2]).

ومن المراكز العلمية الأخرى في بيت المقدس موضع يقال له "الغوير" ، الواقع بين باب الأسباط ومحراب زكريا ، كان يقيم فيه ، الشيخ العالم أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي([3]) ، وكانت تعقد فيه حلقات الدرس والمناظرة بحضور العلماء والفقهاء من أهل بيت المقدس وغيرهم من العلماء الوافدين([4]). كان العلامة أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب الأندلسي الطرطوشي ، أحد العلماء الذين نزلوا بيت المقدس ، ولد بطرطوشة سنة 451هـ/1059م ، قرأ الفرائض والحساب بوطنه ، وقرأ الأدب على أستاذه ابن حزم([5]) ، كان إماماً عالماً زاهداً ورعاً ديناً متواضعاً ، رحل إلى المشرق سنة 476هـ/1083م ، قدم إلى بيت المقدس ، وسكن الشام ، ودرس بها ، وبعد صيته ، وأخذ عنه الناس هناك علماً كثيراً([6]).

---

[1]) ابن الصائغ: أبو الفضل ، الشيخ الإمام الفقيه الكبير القاضي يحيى بن علي الدمشقي الشافعي ، ولد سنة 443هـ/1051م ، وتوفي سنة 534هـ/1139م ، للمزيد عن ترجمته ، انظر: ابن الأثير ، الكامل ، جـ8 ، صـ757. الذهبي ، سير ، جـ14 ، صـ540-541. ابن العماد ، شذرات ، جـ4 ، صـ262-263.

[2]) عباس ، رحلة ابن العربي ، صـ65 ، 80 ، 83. العسلي ، معاهد ، صـ30. عبد المهدي ، الحركة ، صـ21. يوسف ، مقدمة في تاريخ التعليم الفلسطيني ، صـ22.

[3]) نسبة إلى طرطوشة ، وهي مدينة بالأندلس على ساحل البحر. انظر: الحموي ، معجم البلدان ، جـ4 ، صـ30. ابن خلكان ، وفيات ، جـ4 ، صـ265.

[4]) عباس ، فصول ، صـ56. عبد المهدي ، الحركة ، صـ22. العسلي ، معاهد ، صـ30.

[5]) ابن حزم: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ، عالم الأندلس في عصره ، وأحد أئمة الإسلام في علوم الحديث والفقه ، ولد بقرطبة سنة 384هـ/994م وتوفي سنة 456هـ/1063م. انظر: ابن خلكان ، وفيات ، جـ3 ، صـ325 ، 328.

[6]) للمزيد عن ترجمته ، انظر: الحموي ، معجم البلدان ، جـ4 ، صـ30. ابن خلكان ، وفيات ، جـ4 ، صـ262 ، 264. الذهبي ، سير ، حـ14 ، صـ417-418. ابن تميم المقدسي ، مثير الغرام ، صـ363. المقريزي ، المقفى ، جـ7 ، صـ409. العليمي ، الأنس، جـ1 ، صـ439. العسلي ، معاهد ، صـ29. أبو خليل ، الحضارة العربية الإسلامية ، صـ462.

أشار صاحب "مثير الغرام" أن العالم الطرطوشي قدم إلى المشرق سنة 496هـ/1102م ، وهذا يتنافى مع العديد من المصادر التي ذكرت أنه قدم سنة 476هـ/1083م ، ولا يعقل أن يكون الطرطوشي قد أتى إلى الشام وفلسطين وهي تحت الاحتلال الفرنجي ، ويبدو أن هناك خطأ ارتكبه الناسخ وكتب 496 بدلاً من 476.

كان الطلبة يحضرون إلى "الغوير" حيث يقيم الشيخ الطرطوشي ، فيأخذون عنه ، وقد ذكر ابن العربي([1]) ، أنه قابل الطرطوشي في هذا المكان وسمع كلامه وحظي به ثم قال: "وانفتح لي به إلى العلم كل باب ، ونفعني الله به في العلم ، وتيسر لي على يديه أعظم أمل ، فاتخذت ببيت المقدس مكاناً ، والتزمت فيه القراءة ، لا أقبل على دنيا ولا أكلم إنسيا ، نواصل الليل بالنهار"([2]).

لم يقتصر نشاط الإمام الطرطوشي في بيت المقدس على الوعظ والتدريس والمشاركة في حلقات المناظرة ، بل كانت له تصانيف كثيرة منها: "سراج الملوك" ، وكتاب "بر الوالدين" ، وكتاب "الفتن" ، "تعليق الخلاف" ، "الحوادث والبدع" ، "العمدة في أصول الفقه" ، "تحريم الغناء" ، "الزهد والتصوف" ، "السعود في الرد على اليهود"([3]). هكذا كان الإمام الطرطوشي ، علماً من أعلام الفكر والمعرفة ترك بصماته الواضحة على مسيرة الحركة الفكرية والحياة العلمية في بلاد الشام وفلسطين ، فهو العالم والفقيه والواعظ والمنظر وصاحب التصانيف الكثيرة ، وهو الذي عاصر كوكبة من فطاحل العلماء والفقهاء واجتمع مع العديد منهم مثل الإمام العلامة حجة الإسلام أبو حامد الغزالي([4]). استمر الطرطوشي في عطائه إلى أن توفي في الإسكندرية سنة 520هـ/1126م([5]).

ومن المراكز التي لها علاقة بالحياة العلمية في فلسطين ، الكتاتيب([6]) وهي أسبق أنواع المعاهد التعليمية وجوداً في العالم الإسلامي ، حيث انتشرت في فلسطين ، وخاصة في مدينة

---

[1]) الإمام العالم ، أبو بكر ، محمد بن عبد الله الأندلسي الإشبيلي ، قدم إلى الشام وفلسطين في أواخر القرن الخامس الهجري ، انظر ترجمته صـ47-49.

[2]) عباس ، فصول ، صـ56. عباس ، رحلة ابن العربي ، صـ80-81.

[3]) ابن خلكان ، وفيات ، جـ4 ، صـ263. المقريزي ، المقفى ، جـ7 ، صـ416.

[4]) المقريزي ، المقفى ، جـ7 ، صـ409.

[5]) ابن خلكان ، وفيات ، جـ4 ، صـ264. الذهبي ، العبر ، جـ2 ، صـ414. الذهبي ، الإعلام ، صـ213. العليمي ، الأنس ، جـ1 ، صـ439. ابن العماد ، شذرات ، جـ4 ، صـ207.

[6]) الكتاتيب: جمع كتَّاب ، وقد عرفه ابن منظور بقوله: "الكتاب موضع تعليم الكتاب" ، انظر: ابن منظور ، لسان العرب ، جـ1 ، صـ699.

الرملة ، منذ فجر التاريخ ، وكان أماكن هذه الكتاتيب إما في المسجد ، أو في بيت المدرس ، أو في أماكن أخرى([1]).

كانت هذه الكتاتيب هي المكان الرئيس لتعليم الأطفال القراءة والكتابة وحفظ القرآن([2]) ، وقد جاء في حوادث عام 460هـ/1067م ، أنه حصلت زلزلة في بلاد الشام عامة ، وفلسطين خاصة ، وكانت مدمرة هدمت الكثير من دور الرملة ، وحكي أن معلماً كان في كتّابه – أي في الكتّاب - مئتا صبي ، وقع الكُتاب عليهم ، فما سأل أحد عن واحد منهم ، لأن ذويهم كلهم قتلوا([3]).

المدرسة الناصرية:([4])

من المراكز العلمية المشهورة ببيت المقدس ، في القرن الخامس الهجري ، المدرسة الناصرية ، الواقعة بجانب باب الرحمة ، نسبة إلى مؤسسها الشيخ نصر بن إبراهيم المقدسي ، المتوفي سنة 490هـ/1096م([5]). وعرفت هذه المدرسة أيضاً باسم المدرسة الغزّالية ، لإقامة الإمام الغزّالي بها عند قدومه إلى بيت المقدس سنة 488هـ/1095م([6]). ولأهمية هذه المدرسة،

---

[1]) شلبي ، تاريخ التربية الإسلامية ، صـ48. العمري ، تاريخ العلم عند العرب ، صـ18. الزرو ، الحياة العلمية في الشام ، صـ21. جودة ، مدينة الرملة ، صـ285.

[2]) عبد الدائم ، التربية عبر التاريخ ، صـ146.

[3]) ابن القلانسي ، تاريخ ، صـ159. أبو الفداء ، المختصر ، جـ1 ، صـ544.

[4]) المدرسة الناصرية: ذكرها محمد كرد علي باسم المدرسة النصرية. انظر: كرد علي ، محمد ، خطط ، جـ6، صـ117. ووافقه في ذلك العسلي الذي أشار إليها أيضاً باسم الزاوية النصرية كما ذكر أنها أقدم مدارس القدس ، أسست حوالي سنة 450هـ/1058م ، أي في العهد الفاطمي الشيعي. انظر: العسلي ، معاهد ، صـ46 ، 96.

ويبدو أن هذه المدرسة ، وهي مدرسة سنية ، لم تكن قائمة في ظل الحكم الفاطمي الشيعي ، الذي كان ينافس ويقاوم فكر أهل السُنة من المذاهب الأخرى مثل الحنفي والشافعي ، وحيث أن حكم الفاطميين كان قد انتهى في القدس سنة 463هـ/1070م ، بقدوم السلاجقة السُنيين ، واستمرار حكمهم مدة 28 سنة (463هـ/1070م-491هـ/1097م) ، إذن، ومما لاشك فيه أن هذه المدرسة السُنية كانت قد أُنشئت في عهد السلاجقة ، أي في سنة 463هـ/1070م أو بعد ذلك ، وليس في سنة 450هـ/1058م أثناء الحكم الفاطمي كما يقول العسلي.

[5]) العليمي ، الأنس ، جـ2 ، صـ76. ابن العماد ، شذرات ، جـ4 ، صـ103. العارف ، المفصل في تاريخ القدس ، صـ240. عبد المهدي ، الحركة الفكرية ، صـ15.

[6]) العليمي ، الأنس ، جـ1 ، صـ434. العسلي ، معاهد ، صـ98.

ودورها الفاعل في تنشيط وإحياء العلوم الشرعية من فقه وحديث وغيرها ، فقد زارهـا العـالم الأندلسي ، القاضي ، أبو بكر بن العربي سنة 485هـ/1092م ، واجتمع مع علماء الشافعية ، حيث كانوا مجتمعين بها للمناظرة ، فقال: "عمدت إلى مدرسة الشافعية ، فألفيت بها جماعة مـن علمائهم في يوم اجتماعهم للمناظرة عند شيخهم القاضي الرشيد ، يحيـى الـذي كـان اسـتخلفه عليهم شيخنا الإمام الزاهد ، نصر بن إبراهيم النابلـسي المقدسـي ، وهـم يتنـاظرون علـى عادتهم([1]).

ولم تظهر المدارس في فلسطين في القرن الخامس الهجري ، خـلال الحكـم الفـاطمي والسلجوقي لها ، باستثناء بيت المقدس ، وكانت عمليات التدريس للطلبة تتم في المساجد ، حيث كانت تدرس العلوم الدينية، وكان القرآن أول ما يدرس ويحفظ للطلاب ، بالإضـافة إلـى علـم الحديث وروايته ، والفقه ، والتفسير ، وإلى جانب العلوم الدينية ، كانت المساجد تـدرس علـم اللغة بمختلف فروعه([2]).

العلماء:

لقد بينت المصادر العربية المختلفة ، أن فلسطين قد شهدت ، خـلال القـرن الخـامس الهجري وعلى الأخص بعد استيلاء السلاجقة عليها ، نشاط ملحوظاً في الحركة الفكرية والحيـاة العلمية ، ودراسات العلوم الدينية ، والتي شارك فيها عدد كبيـر مـن العلمـاء مـن فلـسطين وخارجها ، حيث انتعشت حلقات الدرس والمناظرة ، لا في القدس وحسب ، بل في معظم المدن الفلسطينية ، ولم يقتصر هذا النشاط داخل فلسطين، بل لقد ساهم العديد من العلماء الفلـسطينيين في هذه النشاطات خارج فلسطين([3]).

كانت هناك زاوية في الجانب الغربي من الجامع الأموي بدمشق ، أطلق عليها اسم زاوية الشيخ نصر المقدسي ، وعرفت أيضاً باسم المدرسة الغزالية ، لإقامة الإمام الغزالي بها مدة. انظر: النعيمي ، الدارس في تاريخ المـدارس ، جـ1 ، صـ313-314.

[1]) عباس ، فصول ، صـ56. عباس ، رحلة ابن العربي ، صـ80. عبد المهدي ، الحركة ، صـ21. العسلي ، معاهد ، صـ98.

[2]) الدباغ ، الموجز في تاريخ الدول الإسلامية ، صـ24. كرد علي ، خطط ، جـ6 ، صـ66. النقـاش، العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والفرنج ، صـ93. البيشاوي ، نابلس ، صـ203-204.

[3]) أورد الباحث العديد من هذه المصادر في هوامش صفحات هذه الدراسة ، والتي أشـارت إلـى نـشاطات وإنجازات العديد من العلماء سواء من أهل فلسطين أم الوافدين إليها.

ومن العلماء الفلسطينيين الذين برزوا في القرن الخامس الهجـري ، العـالم المحـدث ، الأديب ، إسماعيل بن رجاء بن سعيد بن عبيد الله ، المعروف بأبي محمد العسقلاني ، نسبة إلـى عسقلان ، وذكر ابن عساكر أن إسماعيل بن رجاء ، شافعي المذهب ، برع في علـوم الحديث والفقه والأدب ، وأنه حدث بمصر([1]) ، ثم عاد إلى مدينة الرملة ، فنسب إليهـا ، تـوفي سـنة 423هـ/1031م([2]). ومنهم أيضاً ، المحدث ، الحسين بن الحسن بن سباع الرملي ، نسبة إلـى الرملة ، إمام جامع دمشق وخطيبها ، كان قد أم بالجامع قرابة عشرين عاماً ، لم يـشهد عليـه غلط في التلاوة ، ولا سهو في الصلاة ، توفي سنة 428هـ/1036م([3]).

ومن العلماء الوافدين إلى فلسطين ، الإمام العالم ، الواعظ ، المحدث ، إسـماعيل بـن علي بن الحسن الاستراباذي ، ولد في إستراباذ([4]) سنة 375هـ/985م ، قدم دمشق ، وحدَّث بها ، وأملي ببيت المقدس ، وحدث بها ، وتوفي فيها سنة 448هـ/1056م([5]).

ومن علماء خراسان ([6]) الذين قدموا إلى فلسطين ودرسوا بالمسجد الأقصى ، المحـدث الإمام الحافظ ، أبو القاسم ، سعد بن علي بن محمد بن علي بن الحسين الزنجاني ، ولـد سـنة

---

[1]) ابن عساكر ، تاريخ ، جـ8 ، صـ405.

[2]) ابن عساكر ، تهذيب تاريخ دمشق الكبير ، جـ3 ، صـ22-23. الدباغ ، بلادنا فلسطين ، جـ8 ، صـ164. جودة ، مدينة الرملة ، صـ307.

[3]) ابن عساكر ، تهذيب ، جـ4 ، صـ294. جودة ، مدينة الرملة ، صـ303.

[4]) إستراباذ: بلدة كبيرة مشهورة ، من أعمال طبرستان ، أخرجت خلقاً من أهل العلم في معظم الفنون والعلوم. انظر: الحموي ، معجم البلدان ، جـ1 ، صـ174.

[5]) ابن عساكر ، تهذيب ، جـ3 ، صـ38. ابن منظور ، مختصر ، جـ3 ، صـ367-368. الدباغ ، بلادنا ، جـ3 ، صـ148-149.

[6]) خراسان: بلاد واسعة ، تشتمل على أمهات من البلاد منها ، نيسابور ، هراة ، مرو ، بلخ ، وسرخس ومـا يتخلل ذلك من المدن التي دون نهر جيحون. انظر: الحموي ، معجم البلدان ، جـ2 ، صـ350.

380هـ/990م ، سمع من عبد الرحمن بن الطبيز([1]) بدمشق ، وحدَّث عنه ، مكي بن عبد السلام المقدسي الرميلي([2]) ، ومحمد بن طاهر المقدسي([3]) ، وآخرون ، كان حافظاً متقناً ، ثقة، ورعاً ، كثير العبادة([4]). توفي الزنجاني سنة 471هـ/1078م([5]). ومنهم ، أبو عبد الله ، حسين بن أحمد الزوزني ، عالم بالأدب من أهل زوزن([6]) ، قدم بيت المقدس في أواخر القرن الخامس الهجري ، وشارك في الحياة العلمية ودرس بالمسجد الأقصى ، له "ترجمان القرآن" ، "شرح المعلقات السبع" وكتاب "المصادر" ، توفي الزوزني سنة 486هـ/1093م([7]).

ومن العلماء الفلسطينيين الذين برزوا في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري ، واهتم بعلم الفقه ، أبو الخير ، سلامة بن إسماعيل بن جماعة المقدسي ، صاحب شرح المفتاح لابن القاص([8]) ، وله أيضاً مصنفات أخرى منها كتاب الفروق الذي سماه ، "الوسائل في فروق المسائل" ، "أحكام التقاء الختانين" ، توفي أبو الخير سنة 480هـ/1087م([9]).

---

[1]) ابن الطبيز: الشيخ أبو القاسم ، عبد الرحمن بن عبد العزيز بن أحمد المشهور بابن الطبيز ، ولد سنة 330هـ/941م ، وتوفي سنة 431هـ/1039م ، للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ13 ، صـ321. ابن العماد ، شذرات ، جـ3 ، صـ409.

[2]) الرميلي: نسبة إلى الرميلة ، وهي قرية من قرى بيت المقدس ، انظر: الحموي ، معجم البلدان ، جـ3 ، صـ73. استشهد الرميلي سنة 492هـ/1098م على أيدي الصليبيين ، انظر ترجمته صـ76.

[3]) محمد بن طاهر المقدسي: المحدث العالم ، ولد سنة 448هـ/1056م ، وتوفي سنة 507هـ/1113م ، انظر ترجمته صـ54.

[4]) الذهبي ، سير ، جـ13 ، صـ657. الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، جـ3 ، صـ243.

[5]) الذهبي ، العبر ، جـ2 ، صـ329-330. ابن كثير ، البداية ، جـ12 ، صـ128. ابن العماد ، شذرات ، جـ4 ، صـ32.

[6]) زوزن: كورة واسعة بين نيسابور وهراة ، كانت تعرف بالبصرة الصغرى لكثرة من أخرجت من الفضلاء والأدباء وأهل العلم. انظر: الحموي ، معجم البلدان ، جـ3 ، صـ158.

[7]) حاجي خليفة ، كشف الظنون ، جـ2 ، صـ573. الزركلي ، الأعلام ، جـ1 ، صـ346. زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، جـ3 ، صـ45. عباس ، فصول ، صـ26.

[8]) ابن القاص: هو أحمد بن أبي أحمد الطبري المعروف بابن القاص الفقيه الشافعي ، المتوفى سنة 335هـ/946م ، شرح كتابه ، أبو الخير ، سلامة ، في مجلدين. انظر: ابن خلكان ، وفيات ، جـ1 ، صـ68. حاجي خليفة ، كشف ، جـ2 ، صـ621.

[9]) للمزيد عن ترجمته ، انظر: ابن الصلاح ، طبقات الفقهاء الشافعية ، جـ2 ، صـ756. السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، جـ4 ، صـ62. الأسنوي ، طبقات الشافعية ، جـ2 ، صـ220. العليمي ، الأنس ، جـ1، صـ433. حاجي خليفة ، كشف ، جـ2 ، صـ241. الدباغ ، مصطفى ، بلادنا ، جـ3 ، صـ149.

ومن العلماء الوافدين إلى بيت المقدس في النصف الثاني من القرن الخامس الهجـــري ، العالم ، طاهر بن بركات بن إبراهيم بن علي بن محمد ، أبـــو الفـــضل الدمـــشقي ، المعـــروف بالخشوعي ، من رجال الحديث ، حدث ببيت المقدس سنة 466هــ/1073م ، وسمع منه الفقيه ، نصر بن إبراهيم المقدسي ، ومكي بن عبد الـــسلام الرميلـــي ، تـــوفي أبـــو الفـــضل ســـنة 482هــ/1089م([1]).

وكان من أبرز العلماء الوافدين إلى بيت المقدس ، شيخ الإسلام ، أبـــو الفـــرج ، عبـــد الواحد بن محمد بن علي الشيرازي الأصل([2]) ، الفقيه الحنبلي ، كان وافر العلم ، متين الـــدين ، حسن الوعظ ، إماماً عارفاً بالفقه والأصول([3]). قدم الشام ، وسكن بيت المقـــدس ، ونـــشر فيـــه مذهب الإمام أحمد رضي الله عنه، ثم أقام بدمشق ، فنشر المذهب بها أيضاً ، له تصانيف كثيـــرة منها: المبهج والإيضاح ، التبصرة في أُصول الفقه ، ومسائل الامتحان([4]).

ولاشك أن الشيخ أبو الفرج الشيرازي ، وهو العالم الفقيه ، صاحب التصانيف ، وناشر المذهب الحنبلي في فلسطين والشام ، قد شارك مشاركة كبيرة فـــي تفعيـــل الحيـــاة العلميـــة ، والحركة الفكرية ، في فلسطين وخارجها ، وذلك من خلال أتباعه وتلاميذه.

ولم تحدد المصادر التي رجع إليها الباحث تاريخ قدوم العـــالم الـــشيرازي إلـــى بيـــت المقدس ، أو الفترة الزمنية التي قضاها في فلسطين ، ويبدو أنه كان يتنقل بـــين بيـــت المقـــدس ودمشق والمدن الأخرى في أوقات مختلفة. وقد عاصر الشيخ الشيرازي الملك تتش ، الذي كـــان

---

[1]) للمزيد عن ترجمته ، انظر: ابن عساكر ، تهذيب ، جــ7 ، صـــ50. الذهبي ، تـــاريخ الإســـلام ، وفيـــات 481هــ-490هــ ، صـــ85. الزركلي ، الأعلام ، جــ1 ، صـــ344.

[2]) نسبة إلى شيراز: وهي مدينة عظيمة مشهورة ، وهي قصبة بلاد فارس ، وقد نسب إلى شيراز جماعة كثيرة من العلماء في كل فن. انظر: الحموي ، معجم البلدان ، جــ3 ، صـــ380-381.

[3]) ابن القلانسي ، تاريخ ، صـــ206. ابن الأثير ، الكامل ، جــ8 ، صـــ365. الذهبي ، العبـــر ، جـــــ2 ، صـــ352. الذهبي ، سير ، جــ14 ، صـــ141.

[4]) العليمي ، الأنس ، جــ1 ، صـــ433-434. النعيمي ، الدارس ، جــ2 ، صـــ51-52. حاجي خليفة ، كشف ، جــ1، صـــ295. ابن العماد ، شذرات ، جــ4 ، صـــ83. الدباغ ، بلادنا ، جــ3 ، صـــ149-150. العسلي ، الفكر ، جــ3 ، ق2 ، صـــ448.

يحبه ويقدره ويعظمه ، نظراً لسعة أُفقه ، ومكانته ، وغزارة علمه([1]). توفي العالم ، أبو الفرج بدمشق سنة 486هـ/1093م([2]).

ومن العلماء الفلسطينيين الذين برزوا خارج فلسطين ، الوزير اليازوري([3]) الفلسطيني ، أبو محمد ، الحسن بن عبد الرحمن ، كان قاضياً في الرملة على مذهب أبي حنيفة ، ثم قدم مصر ، فاستوزره المستنصر الفاطمي([4]) سنة 442هـ/1050م ، ثم قبض عليه وقتله سنة 450هـ/1058م([5]).

ومن العلماء الفلسطينيين من أهالي غزة ، الإمام العالم المحدث ، ابن الترجمان ، أبو الحسين محمد بن الحسين بن علي بن الترجمان الغزي ، ولد بغزة ، وسكن عسقلان ، وسمع من علمائها ، وكان شيخ الصوفية فيها ، كما سمع بقيسارية([6]) ودمشق ، كان صالحاً عفيفاً متواضعاً ، مكثراً من الحديث([7]). صنف كتاب "فضائل عسقلان"([8]) ، وحدث عنه محمد بن

---

[1]) الذهبي ، العبر ، جـ2 ، صـ352. النعيمي ، الدارس ، جـ2 ، صـ51. ابن العماد ، شذرات ، جـ4 ، صـ83.

[2]) ابن الأثير ، الكامل ، جـ8 ، صـ365. الذهبي ، سير ، جـ14 ، صـ141. النعيمي ، الدارس ، جـ2 ، صـ52. ابن العماد ، شذرات ، جـ4 ، صـ82. الزركلي ، الأعلام ، جـ1 ، صـ346.

[3]) نسبة إلى يازور ، وهي بليدة بسواحل الرملة من أعمال فلسطين بالشام. انظر: الحموي ، معجم البلدان ، جـ5 ، صـ425.

[4]) المستنصر الفاطمي: المستنصر بالله ، أبو تميم معد بن الظاهر علي بن الحاكم بأمر الله منصور ابن العزيز بن المعز العبيدي ، صاحب مصر ، ولد سنة 420هـ/1029م ، وتوفي سنة 487هـ/1094م. انظر: ابن خلكان ، وفيات ، جـ5 ، صـ229-230. ابن العماد ، شذرات ، جـ4 ، صـ88.

[5]) للمزيد عن ترجمته ، انظر: ابن الأثير ، الكامل ، جـ8 ، صـ179. أبو الفداء ، المختصر ، جـ1، صـ525، 532. المقريزي ، المقفى ، جـ3 ، صـ407. الزركلي ، الأعلام ، جـ1 ، صـ330. الدباغ ، بلادنا ، جـ11 ، صـ197.

[6]) قيسارية: بلد على ساحل بحر الشام ، تعد في أعمال فلسطين ، وكانت قديماً من أعيان أُمهات المدن. انظر: الحموي ، معجم البلدان ، جـ4 ، صـ421.

[7]) السمعاني ، الأنساب ، جـ1 ، صـ455-456. ابن الأثير ، اللباب ، جـ1 ، صـ211.

[8]) السلفي ، معجم السفر ، صـ73.

أحمد الرازي([1]) ، وآخرون ، وكان شيخ المشايخ بمصر في زمانه ، عاش 95 سنة ، توفي بمصر سنة 448هـ/1056م([2]).

ومن أبناء فلسطين الذين برعوا في علم الحديث ، العالم المحدث ، أحمد بن محمد بن أحمد الكناني الفلسطيني ، المكني بأبي الحسين ، قام بجولات علمية واسعة ، وحدث بدمشق عن محمد بن أحمد بن القاسم([3]). سمع منه أبو محمد بن السمرقندي([4]) ، توفي أحمد بن محمد سنة 464هـ/1071م([5]).

ولم يكن العلماء والفقهاء والمحدّثون ، هم وحدهم الذين قدموا إلى بيت المقدس ، فقد قدم إليها الشاعر الأديب ، أحمد بن محمد بن عقيل الشهرزوري([6]) ، كان إماماً فاضلاً ، أديباً شاعراً ، توفي بالقدس سنة 462هـ/1069م ، وقيل 466هـ/1073م([7]).

---

[1]) الرازي: الشيخ العالم ، أبو عبد الله ، ولد سنة 434هـ/1042م ، وتوفي سنة 525هـ/1130م. للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ14 ، صـ470. ابن العماد ، شذرات ، جـ4 ، صـ225.

[2]) الذهبي ، سير ، جـ13 ، صـ467-468. الذهبي ، العبر ، جـ2 ، صـ293. ابن العماد ، شذرات ، جـ3 ، صـ453.

ولم يحدد السمعاني السنة التي توفي فيها ابن الترجمان ، لكنه قال ، أن وفاته كانت بعد سنة أربعين وأربعمائة. انظر: الأنساب ، جـ1 ، صـ456.

[3]) ابن القاسم: الفقيه الإمام ، أبو الحسين ، ولد سنة 332هـ/943م ، وتوفي سنة 407هـ/1016م ، للمزيد عن ترجمته انظر: الذهبي ، سير ، جـ13 ، صـ165. ابن العماد ، شذرات ، جـ3 ، صـ330.

[4]) ابن السمرقندي: الشيخ الإمام ، المحدث ، أبو محمد ، عبد الله بن أحمد بن عمر ، ولد سنة 444هـ/1052م ، وتوفي سنة 516هـ/1122م. للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ14 ، صـ402-403. ابن العماد ، شذرات ، جـ4 ، صـ190.

[5]) ابن عساكر ، تاريخ ، جـ5 ، صـ206. ابن منظور ، مختصر ، جـ3 ، صـ228. جودة ، صادق ، مدينة الرملة ، صـ304.

[6])الشهرزوري: نسبة إلى شهرزور ، وهي كورة واسعة في الجبال بين إربل وهمذان ، انظر: الحموي ، معجم البلدان ، جـ3 ، صـ375.

[7]) ابن عساكر ، تهذيب ، جـ2 ، صـ68. الدباغ ، بلادنا ، جـ3 ، صـ149. وفي النجوم الزاهرة ، لابن تغري بردي ، جـ5 ، صـ82 ، أنه توفي سنة 460هـ/1067م.

ومن العلماء الفلسطينيين الذين حدثوا بالخارج ، أبو طاهر ، إبراهيم بن محمد بن عبد الرزاق ، الحافظ الحيفي([1]) ، سمع بطرابلس([2]) ، وحدث في صور([3]) سنة 476هـ/1083م([4]).

ومن علماء فلسطين من أبناء عسقلان ، المحدث ، أبو الحسن العسقلاني ، على بن عبد الصمد بن عثمان بن سلامة بن هلال ، ويعرف بالمفيد ، ولد ونشأ بعسقلان ، التي غادرها متوجهاً إلى دمشق عندما وقعت زلزلة مدمرة سنة 425هـ/1033م([5]) ، وفي دمشق ، سمع من أبي الحسن بن السمسار([6]) ، صحيح البخاري ، ومن أبي الحسن على بن الحسن بن علي بن ميمون الربعي([7]) ، وآخرين ، وطاف معظم مدن الشام ومصر في طلب الحديث ، ثم رجع إلى عسقلان وحدث بها سنة 488هـ/1095م([8]).

ولم يقتصر النشاط العلمي لأبناء فلسطين ، خلال القرن الخامس الهجري ، على العلوم الدينية فقط ، بل أنجبت فلسطين عدداً من العلماء البارزين في علوم الأدب واللغة ومنهم ، الأديب المبدع ، أبو علي ، الحسن بن محمد بن عبد الصمد بن أبي الشخباء العسقلاني ، وقيل: الحسن بن عبد الصمد ، الكاتب ، صاحب الرسائل والخطب ، كان من فرسان النثر ، وله فيه

---

[1]) الحيفي: نسبة إلى قصر حيفا ، وحيفا ، حصن على ساحل بحر الشام ، قرب يافا. انظر: الحموي ، معجم البلدان ، جـ2 ، صـ332.

[2]) طرابلس: ويقال لها: أطرابلس ، وهي مدينة على ساحل دمشق. انظر: المقدسي ، أحسن التقاسيم ، صـ35 ، 136.

[3]) صور: مدينة مشهورة سكنها خلق من الزهاد والعلماء وكان من أهلها جماعة من الأئمة ، كانت من ثغور المسلمين وهي مشرفة على بحر الشام ، وهي معدودة في أعمال الأردن. انظر: الحموي ، معجم البلدان ، جـ3 ، صـ433.

[4]) للمزيد عن ترجمته ، انظر: ابن عساكر ، تهذيب ، جـ2 ، صـ289. الدباغ ، بلادنا ، جـ11 ، صـ486-487. ذكر الحموي أن الحيفي حدث بصور سنة 486هـ/1093م. انظر: الحموي ، معجم البلدان ، جـ2 ، صـ332.

[5]) في هذه السنة ، كثرت الزلازل بمصر والشام ، وكان أكثرها بالرملة ، انظر: ابن الأثير ، الكامل ، جـ8 ، صـ18. ابن العماد ، شذرات ، جـ3 ، صـ384.

[6]) ابن السمسار: الشيخ الجليل ، علي بن موسى بن الحسين ، أبو الحسن الدمشقي ، توفي سنة 433هـ/1041م. للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ13 ، صـ326-327.

[7]) الربعي: الشيخ الإمام المقرئ، توفي سنة 436هـ/1044م، للمزيد عن ترجمته، انظر: الذهبي ، سير ، جـ13، صـ377-378.

[8]) ابن عساكر ، تاريخ ، جـ43 ، صـ72-73. عبد الهادي ، عسقلان منذ منتصف القرن الرابع الهجري ، صـ408.

اليد الطولى ، وقيل: إن القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني([1]) ، كان رجل اعتماده على حفظ كلامه ، وأنه كان يستحضر أكثره ، كما شارك ابن أبي الشخباء في تسيير مهام ديوان الرسائل والكتابة فيه للمستنصر صاحب مصر([2]).

وممن كتبه ابن أبي الشخباء ، يهنئ بكسر إتسز بن أوق سنة 469هـ/1076م: قوله: (الذين قال لهم الناس ، إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا ، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل. فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله ، والله ذو فضل عظيم)([3]) ، قد ارتفع الخلاف بين الكافة أن الله ذخر للدولة الفاطمية ، ثبت الله أركانها ، من الحضرة العلية المنصورة الجيوشية ، خلد الله سلطانها ، مَنْ حَمى سوادها ، ونصر أعلامها ، وضم نشرها ، وحفظ سريرها ومنبرها ، بعد أن كان الأعداء الذين ارتضعوا دَرَّ إنعامِها ، وتوسموا بشرف أيامها ، فطردت يدُ الاصطناع إملاقهم ، وأثقلت قلائد الإحسان أعناقهم ، فخفروا ذمم الولاء ، وكفروا سوابغ الآلاء..."([4]).

ومن شعره:

أصبحت تخرجني بغير جريمة	من دار إكرام لدار هوان
كدَمِ الفصاد يراق أرذلَ موضع	أبداً ويخرجُ من أعزَ مكان
ثقلت موازينُ العباد بفضلهم	وفضيلتي قد خفّفت ميزاني([5])

توفي ابن أبي الشخباء في القاهرة سنة 482هـ/1089م([1]).

---

[1]) نسبة إلى مدينة بيسان ، والبيساني هو: وزير الملك الناصر صلاح الدين ، توفي سنة 596هـ/1199م. انظر: الحموي، معجم البلدان ، جـ1 ، صـ527. ستأتي ترجمته.

[2]) للمزيد عن ترجمته ، انظر: الحموي ، معجم الأدباء ، جـ3 ، صـ385-386. ابن خلكان ، وفيات ، جـ2 ، صـ89. الذهبي ، تاريخ ، وفيات 481هـ-490هـ ، صـ83. المقريزي ، المقفى ، جـ3 ، صـ338. المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، جـ2 ، صـ147. الزركلي ، الأعلام ، جـ1 ، صـ344. غوانمة ، تاريخ ، صـ143.

وللاطلاع على بعض النماذج من رسائل ابن أبي الشخباء ونثره وشعره ، انظر: ابن بسام الشنتريني ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ق4 ، جـ2 ، صـ627-661.

[3]) سورة آل عمران ، الآيتان: 173 ، 174.

[4]) الحموي ، معجم الأدباء ، جـ3 ، صـ392-393.

[5]) المقريزي ، المقفى ، جـ3 ، صـ338.

ومن كبار العلماء البارزين الذين وفدوا إلى بيت المقدس ، الشيخ الإمام العالم ، الفقيه الشافعي ، أبو حامد، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزّالي الطوسي ، الملقب حجة الإسلام ، ولد بطوس([2]) سنة 450هـ/1058م، قدم بغداد سنة 484هـ /1091م ، حيث فوضه

الوزير نظام الملك([3]) بالتدريس في مدرسته النظامية([4]) ، وأعجب به أهل العراق ، وارتفعت عندهم منزلته([5]). وفي سنة 488هـ/1095م ، توجه الإمام أبو حامد الغزّالي إلى دمشق ، وترك التدريس في النظامية ، وأناب عنه أخوه للعمل فيها ، وفي دمشق واصل الغزّالي عمله بالتدريس في زاوية الجامع الأموي في الجانب الغربي منه ، ثم توجه إلى بيت المقدس ، فاعتكف بالمدرسة النصرية التي أصبحت تعرف بالغزّالية ، لإقامته بها، وشرع في التأليف ، وأعمال العبادة ، وزيارة المشاهد والمواضع المعظمة([6]).

---

[1]) ابن خلكان ، وفيات ، جـ2 ، صـ91. الذهبي ، سير ، جـ14 ، صـ91. الزركلي ، الأعلام ، جـ1 ، صـ344. الدباغ ، بلادنا ، جـ8 ، صـ163.

وفي اتعاظ الحنفا ، للمقريزي ، جـ2 ، صـ328 ، أنه توفي سنة 486هـ/1093م.

[2]) طوس: مدينة بخراسان تشتمل على بلدتين ، يقال لأحدهما الطابران وللأخرى نوقان. انظر: الحموي ، معجم البلدان، جـ4 ، صـ216-217.

[3]) نظام الملك: الوزير ، أبو علي ، نظام الملك ، الحسن بن علي بن إسحاق ، ولد سنة 408هـ/1017م ، وتوفي سنة 485هـ/1092م ، كان عالماً ، ديناً ، جواداً ، عادلاً ، حليماً ، كان مجلسه عامراً بالقراء والفقهاء وأئمة المسلمين ، وأهل الخير والصلاح، وزر للسلطان ألب إرسلان ولولده السلطان ملكشاه أربعاً وثلاثين سنة. انظر: ابن الأثير، الكامل ، جـ8 ، صـ348-349 ، 351. أبو شامة ، الروضتين في أخبار الدولتين ، جـ1 ، صـ26.

[4]) بني الوزير نظام الملك المدارس والربط والمساجد في البلاد ، وهو أول من بني هذه المدارس ، وشرع في عمارة مدرسته ببغداد سنة 457هـ/1064م ، وقد سميت بالمدرسة النظامية. انظر: أبو شامة ، الروضتين ، جـ1 ، صـ25. ابن خلكان ، وفيات ، جـ1 ، صـ29. المصدر نفسه ، جـ2 ، صـ129. شلبي ، تاريخ التربية ، صـ118.

[5]) ابن عساكر ، تاريخ ، جـ55 ، صـ200. سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، جـ2 ، صـ548. ابن خلكان ، وفيات ، صـ4 ، صـ216-217. الذهبي ، سير ، جـ14 ، صـ321 ، 325. السبكي ، طبقات ، جـ3 ، صـ417 ، 419. المقريزي ، المقفى ، جـ7 ، صـ80. العليمي ، الأنس ، جـ1 ، صـ436.

[6]) ابن الأثير ، الكامل ، جـ8 ، صـ382. ابن خلكان ، وفيات ، جـ4 ، صـ217. ابن تميم المقدسي ، مثير الغرام ، صـ363. ابن كثير ، البداية ، جـ12 ، صـ160. العليمي ، الأنس ، جـ1 ، صـ434. المصدر نفسه ، جـ2 ، صـ76. العارف ، المفصل ، صـ240.

وكان طبيعياً أن يتفاعل الإمام الغزَّالي - وهو مقيم في بيت المقدس - مع الحركة العلمية النشطة التي شهدتها المدينة بوجود عدد من أبرز العلماء والفقهاء سواء من أهل فلسطين أو من خارجها ، ولاشك بأن الغزَّالي قضى أوقاته في بيت المقدس في الاشتغال بالعلم مع غيره من العلماء ، الذين ساهموا مساهمة كبيرة في إنعاش وازدهار الحياة العلمية ، وخاصة العلوم الدينية ، حتى أن المقدسيين أنفسهم أعجبوا بدروس الإمام الغزَّالي ، فطلبوا منه أن يكتب لهم شرحاً مبسطاً للعقيدة الإسلامية ، فكتب: "الرسالة القدسية"([1]) في كتاب "قواعد العقائد"([2]) ، وذكر الغزَّالي نفسه أنه صنف لأهل القدس هذه الرسالة ، وأضاف الغزَّالي: أنها مودعة في الفصل الثالث من هذا الكتاب ، أي كتاب "قواعد العقائد" ، وهو عبارة عن أربعة فصول ، والفصل الثالث منه في: "لوامع الأدلة للعقيدة التي ترجمناها في القدس" كما يقول الغزَّالي([3]).

وهكذا ، يتبين أن الغزَّالي لم يصنف في بيت المقدس إلا "الرسالة القدسية" المودعة في "قواعد العقائد".

أما كتابه "إحياء علوم الدين" فقد ألفه في دمشق([4]) ، وليس في بيت المقدس كما تذكر بعض المصادر والمراجع([5]).

ومن أهم مصنفات الغزَّالي أيضاً([6]):

---

[1]) حاجي خليفة ، كشف ، جـ1 ، صـ660.

[2]) المصدر نفسه ، جـ2 ، صـ317.

[3]) الغزَّالي ، إحياء علوم الدين ، جـ1 ، صـ145، 167. وانظر: العسلي ، معاهد ، صـ98.

[4]) ابن الأثير ، الكامل ، جـ8 ، صـ382. الذهبي ، العبر ، جـ2 ، صـ357. ابن كثير ، طبقات الفقهاء ، جـ2 ، صـ534. ابن قاضي شهبة ، طبقات الشافعية ، جـ1 ، صـ293-294. ابن العماد ، شذرات ، جـ4 ، صـ90، 145. عبد المهدي ، الحركة ، صـ20.

[5]) سبط ابن الجوزي ، مرآة ، جـ2 ، صـ549. ابن تميم المقدسي ، مثير الغرام ، صـ363. العليمي ، الأنس ، جـ1 ، صـ434. العسلي ، كامل ، معاهد ، صـ98. كرد علي ، خطط ، جـ6 ، صـ117. الدباغ ، بلادنا ، جـ3 ، صـ151.

[6]) سبط ابن الجوزي ، مرآة ، جـ2 ، صـ555. ابن خلكان ، وفيات ، جـ4 ، صـ217-218. اليافعي ، مرآة الجنان ، جـ3 ، صـ179. ابن كثير ، طبقات ، جـ2 ، صـ535. المقريزي، المقفى، جـ7، صـ80-81. ابن قاضي شهبة ، طبقات ، جـ1 ، صـ293-294. زيدان ، جرجي ، تاريخ آداب اللغة العربية ، جـ3 ، صـ101-102.

البسيط في الفقه ، الوسيط ، الوجيز ، الخلاصة في الفقه ، المستصفى ، تهافت الفلاسفة ، المنقــذ من الضلال ، جواهر القرآن ، بداية الهداية ، محك النظر ، المنحول والمنتحل في علم الجــدل ، الاقتصاد في الاعتقاد.

توفي الإمام الغزّالي سنة 505هـ/1111م ، ودفن بظــاهر الطــابران وهــي قــصبة طوس([1]).

ومن العلماء الكبار الذين أنجبتهم فلسطين ، في القرن الخامس الهجري ، ويعد واحداً من أبرز الأعلام والفقهاء والمفكرين المسلمين ، الذين كان لهم دور عظيم فــي النهــضة الفكريــة وازدهار الحياة العلمية في فلسطين وخارجها ، إنه الشيخ الإمام ، العلامة ، الفقيــه الــشافعي ، المحدث ، شيخ الإسلام ، أبو الفتح ، نصر بن إبراهيم بن نصر بن إبراهيم بــن داود النابلــسي المقدسي ، أصله من نابلس ، ولد قبل سنة عشر وأربعمائة ، أقام بالقدس مدة طويلــة ، فــي الزاوية ، التي على باب الرحمة ، المنسوبة إليه ، فكان يحدث ، ويفتي ، ويدرس بها([2]).

تتلمذ الفقيه نصر على يد نخبة كبيرة من العلماء والفقهاء ، فكان من شيوخه الذين ســمع منهم ، وتفقه عليهم ، وروى عنهم: الفقيه أبو الفتح ، سليم بن أيوب بن سليم الرازي([3]). ومــنهم: الفقيه علي بن محمد بن علي بن أحمد بن أبي العلاء المصيصي([4]). ومن شيوخه أيضاً: محمــد

خلف لنا الغزالي آثاراً علمية خالدة ، وقد قيل أنه وضع نحواً من مائتين وثماني وعشرين مؤلفاً ، أكثرها فــي الدين والفلسفة والتصوف والتاريخ ، للاطلاع على المزيد من مؤلفاته ، انظر: السبكي ، طبقــات ، جـــ3 ، صـــ434-435. حسن ، حسن، تاريخ الإسلام ، جـــ4 ، صـــ533-536.

[1]) ابن عساكر ، تاريخ ، جـــ55 ، صـــ204. الحموي ، معجم البلدان، جـــ4 ، صـــ49. ابن خلكان ، وفيات، جـــ4 ، صـــ218-219. الذهبي ، الإعلام ، صـــ208. السلامي ، مختصر التواريخ ، ورقة 278. المقريزي ، المقفى ، جـــ7 ، صـــ80. ابن العماد ، شذرات ، جـــ4 ، صـــ143.

[2]) للمزيد عن ترجمته ، انظر: ابن عساكر ، تاريخ ، جـــ62 ، صـــ15. ابن الصلاح ، طبقــات ، جـــ2 ، صـــ892. الذهبي ، سير ، جـــ14 ، صـــ192-193. الذهبي ، تاريخ ، وفيات 481هـــ-490هـــ ، صـــ346. السبكي ، طبقات ، جـــ3 ، صـــ289. ابن قاضي شهبة ، طبقات ، جـــ1 ، صـــ274. ابن تغــري بــردي ، النجوم ، جـــ5 ، صـــ159. العليمي ، الأنس ، جـــ1 ، صـــ434. عبد المهدي ، الحركة ، صـــ17.

[3]) الرازي: الفقيه الشافعي الأديب ، ولد سنة نيف وستين وثلاثمائة ، وتوفي سنة 447هـــ/1055م ، للمزيد عن ترجمته ، انظر: ابن خلكان ، وفيات ، جـــ3 ، صـــ397-399. الذهبي ، سير ، جـــ13 ، صـــ423-424.

[4]) المصيصي: الإمام الفقيه أبو القاسم ، ولد سنة 400هـــ/1009م ، وتوفي سنة 487هـــ/1094م ، للمزيد عن ترجمته ، انظر: ابن كثير ، طبقات ، جـــ2 ، صـــ482-483. ابن العماد ، شذرات ، جـــ4 ، صـــ86.

بن جعفر بن علي ، أبو بكر الميماسي([1]). ومنهم: ابن سعدان ، أبو عبد الله ، محمد بن عبد السلام([2]). ومنهم: محدث الكوفة ، أبو الغنائم ، محمد بن علي بن ميمون الكوفي([3]).

وبلا شك ، فإن مثل هذا العالم الكبير الذي تلقى دراسته وعلومه على يد هذه النخبة العظيمة من العلماء والفقهاء ، كان قد شارك وساهم وأبدع في نشر العلم ، وتعليم الناس ، حتى تخرج علي يديه عدد كبير من تلاميذه ، وأصبحوا من العلماء المشهورين الذين نشطوا وشاركوا في إثراء الحياة العلمية في فلسطين وخارجها. ومن هؤلاء العلماء: العالم ، أبو الحسن ، إدريس بن حمزة بن علي الرميلي ، من أهل الرملة ، كان عالماً من فحول الأئمة ، فقيهاً فاضلاً ، اشتغل في المناظرة والجدل ، استوطن سمرقند([4]) ودرس بها إلى أن توفي سنة 504هـ/1110م([5]). ومن تلاميذ الشيخ نصر المقدسي أيضاً ، الفقيه الإمام ، العالم ، أبو الفتح ، سلطان بن إبراهيم بن مسلم المقدسي الشافعي ، ولد ببيت المقدس سنة 442هـ/1050م، تفقه على أستاذه الشيخ نصر ، دخل مصر بعد سنة 470هـ/1077م ، فأخذ عنه فقهاؤها ، حتى كان أكثر فقهاء مصر من تلامذته ، من مصنفاته: الذخائر ، أحكام التقاء الختانين ، توفي سنة 518هـ/1124م([6]).

---

[1]) الميماسي: من كبار شيوخ نصر المقدسي ، توفي سنة 435هـ/1043م ، للمزيد عن ترجمته ، انظر: السبكي ، طبقات، جـ3 ، صـ288-289. المقريزي ، المقفى ، جـ5 ، صـ495-496. ابن العماد ، شذرات ، جـ3 ، صـ418.

[2]) محمد بن عبد السلام: الشيخ الجليل الصدوق ، توفي سنة 443هـ/1051م ، للمزيد عن ترجمته ، انظر: ابن عساكر ، تاريخ ، جـ62 ، صـ15. الذهبي ، سير ، جـ13 ، صـ416-417.

[3]) الكوفي: ولد سنة 424هـ/1032م ، وتوفي سنة 510هـ/1116م ، للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ14 ، صـ288-290. ابن تميم المقدسي ، مثير الغرام ، صـ364.

[4]) سمرقند: بلد معروف مشهور ، قيل إنه من أبنية ذي القرنين بما وراء النهر ، وهو قصبة الصغد مبنية على جنوبي وادي الصغد. انظر: الحموي ، معجم البلدان ، جـ3 ، صـ246-247.

[5]) للمزيد عن ترجمته ، انظر: ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ17 ، صـ121. ابن الأثير ، الكامل ، جـ8 ، صـ542. السبكي ، طبقات ، جـ4 ، صـ26. الأسنوي ، طبقات ، جـ1 ، صـ287.

[6]) للمزيد عن ترجته ، انظر: الذهبي ، العبر ، جـ2 ، صـ410-411. الذهبي ، الإعلام ، صـ213. اليافعي ، مرآة ، جـ3 ، صـ222-223. ابن كثير ، طبقات ، جـ2 ، صـ597-598. السيوطي ، حسن المحاضرة ، جـ1 ، صـ188. العليمي ، الأنس، جـ1 ، صـ438-439. ابن العماد ، شذرات ، جـ4 ، صـ201. الدباغ ، بلادنا ، جـ3 ، صـ235.

ومن تلاميذ الشيخ نصر أيضاً: الفقيه الشافعي ، أبو الحسين ، يحيى بن الفــرج ، تفقــه على شيخه نصر ، وحدث عنه ، ثم انتقل إلى الإسكندرية وتولى القضاء فيها ، كان زميلاً لهبــة الله بن المحسن بن رزق الله المقدسي ، وهاجر معه إلى الإسكندرية بعد استيلاء الفــرنج علــى بيت المقدس سنة 492هـ/1098م([1]). ومنهم: الفقيه ، أبو القاسم هبة الله بن المحسن بــن رزق الله المقدسي ، من فقهاء الشافعية المشهورين ، وهو من قدماء أصحاب الفقيه نصر ، تفقه عليــه ببيت المقدس ، كان جيد الأخلاق ، متواضعاً ، محبوباً من الناس ، انتقل إلــى بيــت المقــدس ، وكان ينوب أبو الحسين ، يحيــى بــن الفــرج فــي الإسكندرية ، توفــي أبــو القاســم سنــة 514هـ/1120م([2]). ومنهم: الفقيه ، الواعظ ، الشاعر ، أبو الطيب ، أحمد بن عبد العزيز بــن محمد المقدسي ، المتوفى سنة 529هـ/1134م([3]) ، ومن شعره([4]):

يَنــالُ الفتى بالُجودِ مــا لا تنالُهُ	سيوف تقد السابري حدادُ
وبالرأي إصلاحُ الأمورِ وكم بدا	لتاركــه بين الأنـــام فسادُ
تــأن إذا لم يتضــح لــك مطلبٌ	فإن التأني في الأمور رشادُ
وسرك فاحفظــهُ وكُن كاتمــاً له	فإن ظهور السر حين يُعــادُ
ولم أرَ كـــالـــدنيا لمن كان قادراً	يُســاق إليــه خيرهــا ويُزادُ

ومنهم أيضاً: العالم ، أبو القاسم ، إسماعيل بن عبد الملك بن علي الطوسي الشافعي ، صــاحب الإمام الغزالي ، سمع شيخه ، الفقيه نصر سنة 489هـ/1095م ، وكــان عالمــاً بالأصــول ، وتوفي سنة 529هـ/1134م([5]).

---

[1]) للمزيد عن ترجمته ، انظر: الأسنوي ، طبقات ، جـ2 ، صـ228. ابن كثير ، طبقات ، جـ2 ، صـ541. السيوطي، حسن المحاضرة ، جـ1 ، صـ189. عباس ، فصول ، صـ76. الدباغ ، بلادنا ، جـ3 ، صـ150-151.

لم يجد الباحث في المصادر التي رجع إليها ، تاريخ وفاة الفقيه أبو الحسين ، يحيى ، لكن هذه المصادر أشارت إلى أنه هاجر مع زميله ، هبة الله بن المحسن ، إلى الإسكندرية بعد استيلاء الفرنج على بيت المقــدس ســنة 492هـ/1099م.

[2]) السلفي ، معجم السفر ، صـ421. عباس ، فصول ، صـ76.

[3]) للمزيد عن ترجمته ، انظر: ابن الصلاح ، طبقات ، جـ2 ، صـ708. الأســنوي ، طبقــات ، جـ2 ، صـ230-231. ابن كثير ، طبقات ، جـ2 ، صـ564-565. المقريزي ، المقفى ، جـ1 ، صـ484.

[4]) ابن منظور ، مختصر ، جـ3 ، صـ157.

[5]) للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ14 ، صـ504. ابن كثير ، طبقات ، جـ2 ، صـ477.

وتابع الشيخ نصر نشاطه العلمي خارج فلسطين ، فقد قدم دمشق سنة 480هـ/1087م ودرس فيها بالزاوية الغربية من الجامع الأموي ، والتي أصبحت تعرف باسمه ، وهي التي يقال لها المدرسة الغزَّالية ، لإقامة الغزَّالي بها([1]). ولما غادر الشيخ نصر بن إبراهيم بيت المقدس ، خلف على تدريس الطلبة وتخريجهم ، أحد كبار تلامذته ، وهو أبو الفضل ، القاضي الرشيد ، يحيى بن علي بن عبد العزيز ، المعروف بابن الصائغ الدمشقي.

ولم تحدد المصادر التي رجع إليها الباحث ، الفترات الزمنية التي قضاها الشيخ نصر في بيت المقدس أو في دمشق ، لكن هذه المصادر أشارت إلى قيام الشيخ نصر بجولات وزيارات إلى بعض المدن ، حيث كان يتنقل بينها ويقيم فيها ، من أجل الدراسة ونشر العلم ، ومن هذه المدن ، غزة ، صور ، صيدا ، دمشق ، وبيت المقدس ، كما أشارت هذه المصادر إلى أن الشيخ نصر قدم دمشق سنة 480هـ/1087م ، في أواخر عمره ، وسكن فيها عشرة سنوات إلى أن توفي سنة 490هـ/1096م([2]). ولم يقتصر دور العالم الفقيه نصر المقدسي على نشاطه في التدريس والإفتاء والحديث ، بل إنه ساهم مساهمة كبيرة في تصنيف العديد من الكتب المتخصصة في العلوم الإسلامية ، وخاصة في فقه المذهب الشافعي ، ومن هذه التصانيف: التهذيب في المذهب([3]) ، الكافي([4]) ، التقريب([5]) ، الانتخاب الدمشقي ، الحجة على تارك المحجة ، شرح الإشارة([6]).

---

[1]) الذهبي ، سير ، جـ14 ، صـ193 ، الذهبي ، تاريخ ، وفيات سنة 481هـ -490هـ ، صـ346. الأسنوي ، طبقات ، جـ2 ، صـ207. ابن كثير ، البداية ، جـ13 ، صـ148. ابن كثير ، طبقات ، جـ2 ، صـ491. النعيمي ، الدارس ، جـ1 ، صـ313-314.

[2]) ابن عساكر ، تاريخ ، جـ62 ، صـ18. الذهبي ، سير ، جـ14 ، صـ192-193. الذهبي ، العبر ، جـ3 ، صـ363. الذهبي ، الإعلام ، صـ202. اليافعي ، مرآة ، جـ3 ، صـ152-153. السبكي ، طبقات ، جـ3 ، صـ289. ابن كثير ، طبقات ، جـ2 ، صـ491. ابن العماد ، شذرات ، جـ4 ، صـ103.

[3]) حاجي خليفة ، كشف ، جـ1 ، صـ415.

[4]) المصدر نفسه ، جـ1 ، صـ333.

[5]) المصدر نفسه ، جـ1 ، صـ379.

[6]) ابن الصلاح ، طبقات ، جـ2 ، صـ892. الذهبي ، سير ، جـ14 ، صـ194-195. السبكي ، طبقات ، جـ3 ، صـ288. الأسنوي ، طبقات ، جـ2 ، صـ208. العليمي ، الأنس ، جـ1 ، صـ434. عباس ، فصول ، صـ74.

ومن الوافدين إلى بيت المقدس ، في الربع الأخير من القرن الخامس الهجري ، وكان لهم دور كبير في إبراز وإعطاء صورة حية للحياة العلمية ، والحركة الفكرية ، في بيت المقدس ، ابن العربي ، ففي سنة 485هـ/1092م ، قام شاب أندلسي من أهل إشبيلية ، ومواليدها سنة 468هـ/1075م ، بالقدوم إلى الشام مع والده ، في طريقهما إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج ، وفي الفترة التي زار فيها هذا الشاب بيت المقدس ، كان الحكم فيها بيد السلاجقة الذين شهد عهدهم ازدهاراً علمياً وإحياءً ثقافياً ، وخاصة في علوم الفقه والحديث وغيرهما من العلوم الإسلامية الأخرى ، هذا الشاب هو ، الإمام ، العالم ، القاضي ، أبو بكر ، محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن العربي الأندلسي الإشبيلي([1]).

وعندما وجد ابن العربي نفسه أمام عدد كبير من العلماء والفقهاء الذين كانوا يمارسون نشاطهم الفكري في المسجد الأقصى ، ويعقدون حلقات الدرس والمناظرة ، قرر البقاء في بيت المقدس ، وطلب من والده أن يذهب إلى الحج وحده ، ويبدو هذا واضحاً في قوله لأبيه مشيداً بالحركة العلمية في بيت المقدس: "إذا كانت لك نية في الحج فامض لعزمك ، فإني لست برائم عن هذه البلدة حتى أعلم علم من فيها ، وأجعل ذلك دستوراً للعلم وسلماً إلى مراقيها"([2]).

وهكذا يتضح ، أن ابن العربي أصر على البقاء في القدس ، والتفرغ للاشتغال ، بالعلم والدراسة ، وكان هذا واضحاً في قوله: "وأدخل إلى مدارس الحنفية ، والشافعية في كل يوم ، لحضور التناظر بين الطوائف ، لا تلهينا تجارة ، ولا تشغلنا صلة رحم"([3]). وأمام هذه الرغبة القوية لابن العربي لبقائه في بيت المقدس ، فقد امتدت زيارته لفلسطين أكثر من ثلاث سنوات([4]).

---

[1]) للمزيد عن ترجمته ، انظر: ابن عساكر ، تاريخ، جـ54، صـ24. ابن بشكوال، الصلة، صـ558-559. ابن خلكان ، وفيات ، جـ4 ، صـ296. الذهبي ، تذكرة ، جـ4 ، صـ61. المقريزي ، المقفى ، جـ6 ، صـ110. الداوودي ، طبقات المفسرين ، صـ162-163. عبد المهدي ، الحركة ، صـ21. الحياري ، القدس ، صـ11.

[2]) عباس ، فصول ، صـ56. عباس ، رحلة ابن العربي ، صـ61 ، 80. عبد المهدي ، الحركة ، صـ31.

[3]) عباس ، فصول ، صـ57. عباس ، رحلة ابن العربي ، صـ81. عبد المهدي ، الحركة ، صـ32.

[4]) عباس ، فصول ، صـ56. عباس ، رحلة ابن العربي ، صـ67. الحياري ، القدس ، صـ12-13. يوسف ، سكان القدس ، صـ118.

سمع ابن العربي بالأندلس ، وبالإسكندرية ، وبمصر ، وبمكة ، وسمع ببيت المقدس ، شيخه ، أبا بكر محمد بن الوليد الطرطوشي ، وأبا القاسم مكي بن عبد السلام المقدسي الرميلي([1]) ، وبدمشق من الفقيه نصر المقدسي ، وببغداد ، لقي أبا بكر الشاشي([2]) ، وأبا حامد الغزالي ، وغيرهم من العلماء والأدباء ، فأخذ عنهم كثير من العلوم ، وخاصة الفقه والأصول ، حتى أصبح إماماً عالماً ، حدَّث وصنف في الحديث والفقه والأصول والأدب والنحو والتواريخ([3]).

لقد تحدث ابن العربي خلال رحلته إلى بيت المقدس ، عن جوانب متعددة من الحياة العلمية والاتجاهات الفكرية ، ومن هذه الجوانب ، تلك المحاورات والمناقشات والمناظرات التي كانت تدور بين علماء بيت المقدس من المسلمين والنصارى واليهود ، في مجالس بحث ومدارسة ، وذكر ابن العربي ، أنه حضر مجلساً عظيماً تناظر فيه حبر اليهود ، المعروف بالتستري والعالم الفقيه الطرطوشي ، وأشار ابن العربي إلى أن بيت المقدس كانت مركزاً لنشاط عدد من الفرق الإسلامية مثل الكرامية([4]) ، والمعتزلة([5]) ، وغيرها([6]).

---

[1]) الرميلي: انظر ترجمته صـ76.

[2]) الشاشي: نسبة إلى شاش ، وهي مدينة وراء نهر سيحون ، انظر: الحموي ، معجم البلدان ، جـ3 ، صـ308. القزويني ، آثار ، صـ538. وهو الإمام العلامة ، شيخ الشافعية ، محمد بن علي بن حامد الشاشي ، ولد سنة 397هـ/1006م ، وتوفي سنة 485هـ/1092م ، للمزيد حول ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ14 ، صـ52-53. ابن العماد ، شذرات ، جـ4 ، صـ79.

[3]) ابن العربي ، العواصم من القواصم ، صـ14. ابن خلكان ، وفيات ، جـ4 ، صـ296. الذهبي ، سير ، جـ15 ، صـ29-30. الذهبي ، تذكرة ، جـ4 ، صـ61. الذهبي ، العبر ، جـ2 ، صـ469. المقريزي ، المقفى ، جـ6 ، صـ110-111. الداوودي ، طبقات ، صـ411.

[4]) الكرامية: نسبة إلى محمد بن كرام ، أبو عبد الله السجستاني ، المتوفى سنة 255هـ/868م ، شيخ الطائفة الكرامية ، وقد نسب إليه جواز وضع الأحاديث على الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وأصحابه ، وغيرهم. انظر: الشهرستاني ، الملل والنحل ، صـ87. ابن كثير ، البداية ، جـ11 ، صـ22. ابن العماد ، شذرات ، جـ2 ، صـ275.

[5]) المعتزلة: يسمون أصحاب العدل والتوحيد ، ويلقبون بالقدرية والعدلية ، ومن شيوخ المعتزلة المشهورين: أبو إسحاق ، إبراهيم بن سيار بن هانئ النظام ، قيل أنه كان على دين البراهمة المنكرين للنبوة والبعث ، توفي سنة بضع وعشرين ومائتين. انظر: الشهرستاني ، الملل والنحل ، صـ34 ، 42. الذهبي ، سير ، جـ9 ، صـ213-214.

[6]) عباس ، رحلة ابن العربي ، صـ65 ، 81-82. عباس ، فصول ، صـ57. عبد المهدي ، الحركة ، صـ32. الحياري ، القدس ، صـ14-15.

ولم يقتصر ابن العربي رحلته العلمية إلى بيت المقدس فقط ، بل قام بزيارة عـــدد مـــن المدن الفلسطينية الأخرى ، فقد ذهب إلى عسقلان ، ومكث فيها ستة أشهر ، ووجد فيها حـــسب قوله "بحر أدب يعب عبابه" ، كما زار عكا وطبرية([1]).

وعاد ابن العربي إلى الأندلس سنة 493هـ/1099م ، وقدم بلده إشبيلية بعلم كثيـــر لـــم يأت به أحد قبله ممن كانت له رحلة إلى المشرق ، فكان من أهل التفنن في العلوم والاســـتبحار فيها ، والجمع لها ، متقدماً في المعارف كلها ، متكلماً في أنواعها ، نافذاً في جميعها ، حريـــصاً على أدائها ونشرها([2]). وهكذا، كان لفلسطين دور واضح في التقدم الحضاري في الأندلس عـــن طريق هؤلاء العلماء أمثال ابن العربي.

ولابن العربي كثير من التصانيف([3]) منها:

عارضة الأحوذي في شرح جامع أبي عيسى الترمذي ، الأصناف في الفقه ، كوكـــب الحـــديث والمسلسلات ، أمهات المسائل ، نزهة الناظر ، ستر العورة ، المحصول في علـــم الأصـــول ، الناسخ والمنسوخ ، معاني الأسماء الحسنى ، الإنصاف في مسائل الخلاف ، أحكـــام القـــرآن ، أنوار الفجر في تفسير القرآن([4]) ، القواصم والعواصم ، قانون التأويل.

توفي ابن العربي سنة 543هـ/1148م([5]) ، ودفن بمدينة فاس([6]).

---

[1]) عباس ، رحلة ابن العربي ، صـــ84. عباس ، فصول ، صـــ59.

[2]) ابن خلكان ، وفيات ، جـــ4 ، صـــ296. المقريزي ، المقفى ، جـــ6 ، صـــ112. الـــداوودي ، طبقـــات ، صـــ164.

[3]) الذهبي ، سير ، جـــ15 ، صـــ29. المقريزي ، جـــ6 ، صـــ111. الداوودي ، طبقات ، صـــ412-413. عباس ، فصول ، صـــ47.

[4]) ألف ابن العربي هذا الكتاب في عشرين سنة حيث بلغ عدد صفحاته ثمانين ألف ورقة. انظر: الداوودي ، طبقـــات ، صـــ413.

[5]) ابن بشكوال ، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس ، جـــ2 ، صـــ559. ابن خلكان ، وفيات ، جـــ4 ، صـــ297. الذهبي ، تذكرة ، جـــ4 ، صـــ63. المقريزي ، المقفى ، جـــ6 ، صـــ112.

[6]) فاس: مدينة مشهورة كبيرة على بر المغرب من بلاد البربر ، وهي حاضرة البحر وأجـــل مدنـــه. انظـــر: الحموي ، معجم البلدان ، جـــ4 ، صـــ230.

وواضح ، أن رحلة ابن العربي إلى فلسطين ، وخاصة بيت المقدس كانت دليلاً قاطعاً وقوياً على أن هذه المدينة ، كانت من المراكز الفكرية المهمة في العالم الإسلامي ، قبيل الاحتلال الصليبي لها.

ومن علماء فلسطين ، خلال القرن الخامس الهجري ، العالم ، الفقيه الشافعي ، أبو عبد الله ، سلمان بن ندى بن طراد بن مطر ، ولد سنة 438هـ/1046م بقيسارية ، كان إماماً في الفقه ، حافظاً له ، سمع الحديث بأصبهان([1]) ، وأسمعه ، وكان من المفتين ، حفظ كتاب الشامل ، لأبي نصر بن الصباغ([2]) ، توفي سلمان بن ندى ، سنة 491هـ/1097م([3]).

ومنهم أيضاً ، الإمام العالم ، الشهيد ، أبو القاسم ، مكي بن عبد السلام المقدسي الرميلي ، ولد سنة 432هـ/1040م ، ونشأ ببلده ، ثم رحل في طلب الحديث إلى مصر والشام والعراق ، فأكثر السماع ، سمع ببيت المقدس: أبا عبد الله بن سلوان([4])، وغيره ، وحدث عنه أبو القاسم بن السمرقندي([5])، وآخرون ، وكان له تلاميذ عديدون في شتى البقاع التي زارها ، ومنهم أبي بكر ، محمد بن عبد الله ، المعروف بابن العربي ، الذي سمع منه ببيت المقدس ، كان الرميلي عالماً ، فقيهاً ، فاضلاً ، صالحاً ، درس الفقه على المذهب الشافعي بالمسجد الأقصى([6]).

---

[1]) أصبهان: مدينة عظيمة مشهورة ، من أعلام المدن ، بخراسان. انظر: البكري ، المسالك والممالك ، جـ2 ، صـ62-63. الحموي ، معجم البلدان ، جـ1 ، صـ206.

[2]) ابن الصباغ: أبو نصر ، عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد ، المعروف بابن الصباغ ، الفقيه الشافعي ، فقيه العراقيين في وقته ، مؤلف كتاب "الشامل" في الفقه ، وهو من أجود الكتب ، ولد سنة 400هـ/1009م ببغداد ، وتوفي سنة 477هـ/1084م. للمزيد عن ترجمته ، انظر: ابن خلكان ، وفيات ، جـ3 ، صـ217-218. الذهبي ، سير ، جـ14 ، صـ14.

[3]) للمزيد عن ترجمته ، انظر: ابن عساكر ، تهذيب ، جـ6 ، صـ214. ابن منظور ، مختصر ، جـ10 ، صـ59. الدباغ ، بلادنا ، جـ11 ، صـ623.

[4]) ابن سلوان: محمد بن علي بن يحيى بن سلوان ، ولد سنة 362هـ/972م ، وتوفي سنة 447هـ/1055م ، للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ13 ، صـ424. ابن العماد ، شذرات ، جـ3 ، صـ451.

[5]) أبو القاسم بن السمرقندي: الشيخ الإمام المحدث ، إسماعيل بن أحمد بن عمر السمرقندي ، ولد بدمشق سنة 454هـ/1062م، وتوفي سنة 536هـ/1141م، للمزيد عن ترجمته، انظر: الذهبي ، سير ، جـ14 ، صـ517-519. ابن العماد ، شذرات ، جـ4 ، صـ272.

[6]) للمزيد عن ترجمته ، انظر: السمعاني ، الأنساب ، جـ3 ، صـ93. ابن الأثير ، اللباب ، جـ2 ، صـ38. الذهبي ، سير ، جـ14 ، صـ222-223. الذهبي ، تذكرة ، جـ4 ، صـ20. عبد المهدي ، الحركة ، صـ24. جودة ، مدينة الرملة ، صـ300.

شارك الشيخ أبو القاسم في الحركة الفكرية في فلسطين ، وخاصة ببيت المقدس ، ولم يقتصر نشاطه العلمي على الاشتغال بالحديث ، فقد اشتغل بالإفتاء أيضاً ، فقد كانت الفتاوى تأتيه من مصر والساحل ودمشق وغيرها ، واشتغل أبو القاسم بالتأليف ، فقد شرع في تأليف كتاب عن تاريخ بيت المقدس وفضائله ، ولكنه لم يكمله بسبب أسره من قبل الصليبيين عند احتلالهم بيت المقدس ، ولما عرفوا أنه من علماء المسلمين ، قتلوه بالحجارة سنة 492هـ/1098م([1]). وهذا يدلل على همجية الاحتلال الصليبي وتقصدهم العلماء والقتل والإبادة لجعل الشعوب الإسلامية تعيش في جهل وتخلف حتى يبقوا مسيطرين عليها مستفيدين من خيراتها.

ومن العلماء المقدسيين الذين شاركوا في الحياة العلمية خلال القرن الخامس الهجري ، في بيت المقدس ، الشيخ الإمام ، العالم ، أبو المعالي ، المشرف بن المرجا بن إبراهيم المقدسي ، كان من كبار علماء بيت المقدس المحدثين ، له "فضائل القدس والشام"([2]) ، وقد عاصر أبو المعالي ، العالم الفقيه ، مكي بن عبد السلام الذي استشهد سنة 492هـ/1098م([3]).

ومن علماء فلسطين المبدعين ، العالم الفقيه ، أبو الفضل ، عطاء المقدسي ، شيخ الصوفية ، وشيخ الشافعية بالمسجد الأقصى ، ذكره أبو بكر ابن العربي في رحلته ، وأضاف أن الشيخ أبا الفضل حضر إلى مجلس كان العلماء يتناظرون فيه([4]).

---

[1]) السمعاني ، الأنساب ، جـ3 ، صـ93. ابن عساكر ، تاريخ ، جـ60 ، صـ256. ابن الأثير ، اللباب ، جـ2 ، صـ38. ابن الصلاح ، طبقات ، جـ2 ، صـ886. الذهبي ، تذكرة ، جـ4 ، صـ20. اليافعي ، مرآة ، جـ3 ، صـ155. الأسنوي ، طبقات ، جـ1 ، صـ287. العليمي ، الأنس ، جـ1 ، صـ436. ابن العماد ، شذرات ، جـ4 ، صـ109. الزركلي ، الأعلام ، جـ1، صـ348. إبراهيم ، فضائل بيت المقدس في مخطوطات عربية قديمة ، صـ95.

[2]) حاجي خليفة ، كشف ، جـ2 ، صـ256. يوسف ، سكان القدس ، صـ124.

[3]) العليمي ، الأنس ، جـ1 ، صـ435. الدباغ ، بلادنا ، جـ3 ، صـ152. إبراهيم ، فضائل ، صـ92. لم يجد الباحث في المصادر التي رجع إليها ترجمة لأبي المعالي ولا تاريخ وفاة.

[4]) العليمي ، الأنس ، جـ1 ، صـ435. عباس ، فصول ، صـ57. الدباغ ، بلادنا ، جـ3 ، صـ151. ولم يجد الباحث في المصادر التي رجع إليها أي ترجمة تبين تاريخ وفاة أبي الفضل ، ولكنه عاصر الفترة التي كان فيها ابن العربي ، ونصر بن إبراهيم المقدسي ، في بيت المقدس وهي الربع الأخير من القرن الخامس الهجري ، حيث كانت الحركة العلمية والنهضة الفكرية في أوج نشاطها.

ولاشك أن حديث أبن العربي حول مشاركة أبو الفضل ، في مثل هذه اللقاءات العلمية ، بحضور عدد من العلماء والفقهاء ، يدل على أن أبا الفضل ، كان من كبار العلمــاء فــي بيــت المقدس ، وأن هناك حركة فكرية نشطة كان يرعاها ، ويعمل على تفعيلها هؤلاء النخبــة مــن العلماء.

ومنهم العالم المحدث ، أبو الحسن ، وحشي بن عبد الله بن إبراهيم المقدسي الــشافعي ، سمع على أبي الفتح ، نصر بن إبراهيم كثيراً من الحديث ، هاجر إلى الإسكندرية بعد اســتيلاء الفرنج على بيت المقدس([1]).

ومن العلماء الوافدين إلى بيت المقدس ، محدث بغداد ، العــالم الفقيــه ، أبــو نــصر ، المؤتمن بن أحمد بن علي بن الحسين([2]) الساجي ، مولده سنة 445هـ/1053م ، كــان أحــد أعلام الحديث ، حافظاً ، صدوقاً ، ثقة ، حسن القراءة ، واسع الرحلة ، كثير الكتابــة ، متــين الورع والديانة ، سمع الحديث الكثير من أبي الحسين بن النقــور([3]) ، وعبــد الله بــن الحــسن الخلال([4]) ، كتب "الشامل" بخط يده لمؤلفه ، ابن الصباغ ، وسكن القدس زمانــاً، حــدَّث عنــه

---

[1]) السلفي ، معجم السفر ، صـ431. عباس ، فصول ، صـ75. ولم يجد الباحث في المصادر التي رجع إليها ترجمة لوحشي بن عبد الله ولا تاريخ وفاة.

[2]) انظر: ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ17 ، صـ138. ابن الأثير ، الكامل ، جـ8 ، صـ554.

[3]) ابن النقور: الشيخ الجليل ، أبو الحسين ، أحمد بن محمد بن أحمد بن عبــد الله بــن النقــور ، ولــد ســنة 381هـ/991م ، وتوفي سنة 470هـ/1077م ، للمزيد عن ترجمته ، انظر: الــذهبي ، ســير ، جـــ13 ، صـ648-649. ابن العماد ، شذرات ، جـ4 ، صـ27.

[4]) الخلال: الشيخ الصالح ، عبد الله بن الحسن بن محمد بن الحسن الخلال ، ولد سنة 385هـ/995م ، وتوفي سنة 470هـ/1077م، للمزيد عن ترجمته، انظر: الذهبي، سير ، جـ13، صـ645. ابن العماد ، شــذرات ، جـ4 ، صـ27.

محمد بن أبي بكر السنجي([1]) ، وأبو بكر السمعاني([2]) ، وآخرون ، توفي الفقيه المؤتمن سنة 507هـ/1113م([3]).

ومن العلماء الوافدين إلى بيت المقدس أيضاً ، في أواخر القرن الخامس الهجري ، الحادي عشر الميلادي ، الفقيه أبو عبد الله اللامشي([4]) ، محمد بن موسى بن عبد الله ، سمع وتفقه ببغداد ، ولي قضاء بيت المقدس مدة ، زمن واليها سقمان بن أرتق ، توفي اللامشي سنة 506هـ/1112م([5]).

ومنهم: الفقيه العالم ، أبو محمد ، عامر بن دغش بن حصن الأنصاري ، سمع ببيت المقدس ، وحدَّث بها ، أقام ببغداد مدة ، وتفقه بالمدرسة النظامية على الشيخ أبي حامد الغزالي ، ولد الفقيه ابن دغش سنة 450هـ/1058م ، وتوفي سنة 531هـ/1136م([6]).

ومن أئمة الحديث والفقه الفلسطينيين البارزين ، الذين ساهموا في إنعاش الحياة العلمية في فلسطين وخارجها ، الإمام ، الحافظ ، الجوَّال ، الرَّحال ، أبو الفضل ، محمد بن طاهر بن علي بن أحمد المقدسي ، المعروف بابن القيسراني ، ولد ببيت المقدس سنة 448هـ/1056م ، كان أحد الرّحالين في طلب العلم والحديث ، سمع ببيت المقدس ، الفقيه نصر بن إبراهيم ، وهو أول من سمع منه ، كما سمع في بلاد كثيرة ، في مصر والشام والعراق ، وفارس ،

---

[1]) السنجي: الشيخ الإمام الفقيه ، محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السنجي ، توفي سنة 555هـ/1160م ، للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ15 ، صـ85.

[2]) السمعاني: تاج الإسلام ، أبو بكر ، محمد بن منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني ، ولد سنة 466هـ/1073م ، وتوفي سنة 510هـ/1116م ، للمزيد عن ترجمته ، انظر: ابن خلكان ، وفيات ، جـ3 ، صـ210-211. الذهبي ، سير ، جـ14 ، صـ350-351.

[3]) للمزيد عن ترجمته ، انظر: ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ17 ، صـ138-139. ابن الأثير ، الكامل ، جـ8 ، صـ554. الذهبي ، سير ، جـ14، صـ311-313. السبكي ، طبقات ، جـ4 ، صـ197-198. ابن كثير ، البداية ، جـ12 ، صـ191. ابن العماد ، شذرات ، جـ4 ، صـ155.

[4]) اللامشي: نسبة إلى لامش ، من قرى فرغانه من بلاد ما وراء النهر ، انظر: السمعاني ، الأنساب ، جـ5 ، صـ671. الحموي ، معجم البلدان ، جـ5 ، صـ8.

[5]) للمزيد عن ترجمته ، انظر: ابن عساكر ، تاريخ ، جـ56 ، صـ75-76. سبط ابن الجوزي ، مرآة ، جـ2 ، صـ564-565.

[6]) ابن عساكر ، تهذيب ، جـ7 ، صـ138.

وخراسان ، وأصبهان ، وحدث عنه كثيرون منهم: أبو جعفر بن أبي علي الهمــذاني([1]) ، وأبــو نصر أحمد بن عمر الغازي([2]) ، ومحمد بن إسماعيل الطرسوسي([3]).

حدَّث ابن القيسراني في بيت المقدس ، وكان مشهوراً بالحفظ والمعرفة بعلوم الحــديث ، وله تصانيف كثيرة منهــا([4]): "أطــراف الكتــب الــستة"([5]) ، "أطــراف الغرائــب" ، وكتــاب "الأنساب"([6]) ، وله معرفة بعلم التصوف وأنواعه ، فقد كان صوفياً ، وصنف في هذا العلم كتاب "صفوة التصوف"([7]) ، وله أيضاً "جواب المتعنت"([8]).
توفي ابن القيسران في بغداد سنة 507هــ/1113م([9]).

ومن العلماء الفلسطينيين الذين نشطوا خارج فلسطين ، العالم ، أبو إسحاق ، إبراهيم بن خلف بن عطاء النابلسي ، ولد بنابلس سنة بضع وثلاثين وأربعمائة ، قدم مصر وســكنها ، روى عن الإمام العالم أبي إسحاق ، إبراهيم بن سعيد الحبَّال([10]) ، وتوفي إبراهيم بن خلف النابلــسي بعد سنة خمس وعشرين وخمسمائة([11]).

---

[1]) الهمذاني: الشيخ الإمام ، الرحال ، الزاهد ، محمد بن أبي علي الحسن بن محمد بن عبد الله الهمــذاني ، ولــد بعــد الأربعين وأربعمائة ، وتوفي سنة 531هــ/1136م ، للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، جــ14 ، صــ564-565. ابن العماد ، شذرات ، جــ4 ، صــ252.

[2]) الغازي: الشيخ الإمام ، الرحال ، أحمد بن عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد ، ولد سنة 448هــ/1056م، وتــوفي سنة 532هــ/1137م. للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جــ14 ، صــ505-506. ابن العماد ، شــذرات ، جــ4 ، صــ253.

[3]) الطرسوسي: الشيخ الجليل الفقيه ، أبو جعفر ، محمد بن إسماعيل بن محمد بن أبي الفتح الطرسوســي ، ولــد ســنة 502هــ/1108م، وتوفي سنة 595هــ/1198م، للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جــ14، صــ413-414. ابن العماد ، شذرات ، جــ5 ، صــ32.

[4]) ابن خلكان ، وفيات ، جــ4 ، صــ287. الذهبي ، سير ، جــ14 ، صــ345 ، 350. الذهبي ، تــذكرة ، جــــ4 ، صــ29. اليافعي ، مرآة ، جــ3 ، صــ195. كرد علي ، خطط ، جــ4 ، صــ35.

[5]) الكتب الستة هي: صحيح البخاري ، وصحيح مسلم ، وسُنن أبي داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه. انظــر: حاجي خليفة ، كشف ، جــ1 ، صــ148.

[6]) حاجي خليفة ، كشف ، جــ1 ، صــ192. زيدان ، تاريخ ، صــ71.

[7]) سبط ابن الجوزي ، مرآة ، جــ2 ، صــ584. حاجي خليفة ، كشف ، جــ2 ، صــ102.

[8]) حاجي خليفة ، كشف ، جــ1 ، صــ476.

[9]) الذهبي ، العبر ، جــ2 ، صــ390. ابن العماد ، شذرات ، جــ4 ، صــ152.

[10]) الحبَّال: من أهل المعرفة والحديث ، ولد سنة 391هــ/1000م ، وتوفي سنة 482هــ/1089م ، للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جــ14، صــ33-38.

[11]) المقريزي ، المقفى ، جــ1 ، صــ148. ابن العماد ، شذرات ، جــ4 ، صــ68.

ومن أعلام الأدب والشعر الفلسطينيين ، الذين برزوا خلال القرن الخامس وأوائل القرن السادس الهجريين ، الشاعر ، أبو إسحاق ، إبراهيم بن عثمان بن محمد الغزي ، أحد المشاهير ممن أنجبتهم غزة، ولد الشاعر إبراهيم ، في مدينة غزة سنة 441هـ/1049م ، كان أحد فضلاء الدهر ، ومن يضرب به المثل في صناعة الشعر ، دخل دمشق ، وسمع الحديث بها من الفقيه نصر المقدسي سنة 481هـ/1088م ، ثم دخل بغداد ، وأقام بالمدرسة النظامية سنين كثيرة ، مدح ورثى كثير من أساتذتها ، ثم رحل إلى خراسان ، حيث انتشر شعره فيها([1]).

ومن أشعاره ، قوله في قصيدة ، يصف فيها الأتراك:

في فتنة من جيوش التُركِ ما تركتْ	للرعدِ كراتهم صوتاً ولا صيتا
قومٌ إذا قوبلوا كانوا ملائكةً	حسناً وإن قوتلوا كانوا عفاريتا([2])

ومن شعره أيضاً:

قالوا هَجرتَ الشعرَ قلت ضرورة	بابُ الدواعي والبواعث مغلقُ
خلت الديارُ فلا كريمٌ يرتجى	منهُ النوال ولا مليحٌ يعشقُ
ومن العجائبِ أنهُ لا يُشترى	ويخان فيه مع الكساد ويُسرق([3])

ومن كلامه أيضاً:

إنما هذه الحياة متاع	والغبي الغبي من يصطفيها
ما مضى فات والمؤملُ غيبٌ	فخذ الساعة التي أنت فيها([4])

توفي الشاعر ، أبو إسحاق الغزي سنة 524هـ/1129م ما بين مرو([5]) وبلخ([1]) ، ونقل إلى بلخ ودفن بها([2]).

---

[1]) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ17 ، صـ257. ابن عساكر ، تهذيب ، جـ2 ، صـ232. ابن الأثير ، الكامل ، جـ8 ، صـ678. ابن خلكان ، وفيات ، جـ1 ، صـ57-58. ابن منظور ، مختصر ، جـ4 ، صـ82. الذهبي ، سير ، جـ14 ، صـ452. اليافعي ، مرآة ، جـ3 ، صـ230. بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، جـ5 ، صـ33.

[2]) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ17 ، صـ257. ابن كثير ، البداية ، جـ12 ، صـ216-217.

[3]) ابن عساكر ، تهذيب ، جـ2 ، صـ233. ابن خلكان ، وفيات ، جـ1 ، صـ58. ابن منظور ، مختصر ، جـ4 ، صـ82.

[4]) ابن عساكر ، تهذيب ، جـ2 ، صـ233. ابن منظور ، مختصر ، جـ4 ، صـ83. ابن كثير ، البداية ، جـ12 ، صـ217.

[5]) مرو: أشهر مدن خراسان وقصبتها ، وأقدمها ، وأكثرها خيراً ، وأحسنها منظراً. انظر: الحموي ، معجم البلدان ، جـ5 ، صـ112. القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ، صـ456.

العلوم السائدة في فلسطين خلال القرن الخامس الهجري:

لم تكن النهضة العلمية التي شهدتها فلسطين خلال القرن الخامس الهجري ، وخاصة في الربع الأخير منه ، مقتصرة على نشاط العلماء والفقهاء ومناقشاتهم ، ومناظرتهم ، إضافة إلى توفر بعض الكتب الدينية ، بل لقد ازدهرت هذه النهضة ونشطت من خلال ازدياد حركة التأليف والتصنيف في العلوم الدينية المختلفة التي كانت سائدة ، وضمت علم الفقه ، علم الحديث ، علم التفسير ، علم القراءات ، وعلم الكلام ، أما باقي العلوم الأخرى وخاصة العلوم العقلية ، فلم تكن سائدة في فلسطين في القرن الخامس الهجري([3]).

ويبدو أن سبب الاهتمام بالعلوم الدينية والتركيز عليها ، دون غيرها من العلوم ، في فلسطين ، يعود إلى عدة أسباب منها: اهتمام السلطة الحاكمة ، بالفكر الديني ، بوصفه أحد عوامل القوة والسيطرة وبسط النفوذ ، ولذلك بذل الفاطميون قصارى جهودهم ، لتثبيت حكمهم ، وامتداد نفوذهم ، وذلك من خلال نشر الفكر الشيعي في القرى والمدن الإسلامية التي خضعت لسيطرتهم في فلسطين وغيرها من البلدان الأخرى ، وكذلك فعل السلاجقة عندما حكموا فلسطين ، فقد شجعوا الفكر الديني السني ، وعملوا على نشره ، في مواجهة الفكر الديني الشيعي ، وقد رأينا أن عهد السلاجقة في فلسطين كان قد تميز بازدهار العلوم الدينية والدراسات الإسلامية ، كذلك أرى أن من أسباب الاهتمام بالعلوم الدينية ، دون غيرها من العلوم الأخرى ، هو الواجب الديني والعمل في سبيل الله ، فالعلماء والفقهاء الذين يعلمون الناس أصول دينهم ، والقراءة السليمة لقرآنهم ، ومسائل الفقه ، والحديث ، والتفسير ، يشعرون بأنهم ، بهذه الأعمال ، يؤدون واجباتهم الدينية ، ويتقربون إلى الله عز وجل طمعاً في نيل الأجر والجزاء والثواب.

ومن الأسباب التي شجعت على ازدهار العلوم الدينية في فلسطين أيضاً ، والاهتمام بها ، هو وجود المسجد الأقصى المبارك ، وما له من قيمة عظيمة ، ومكانه دينية رفيعة في

---

[1]) بلخ: مدينة مشهورة من أمهات بلاد خراسان. الحموي ، معجم البلدان ، جـ1 ، صـ479. القزويني ، آثار ، صـ351.

[2]) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ17 ، صـ258. ابن خلكان ، وفيات ، جـ1 ، صـ60. الذهبي ، سير ، جـ14 ، صـ452. الذهبي ، الإعلام ، صـ214. ابن العماد ، شذرات ، جـ4 ، صـ216.

[3]) حسن ، تاريخ ، جـ4 ، صـ439.

نفوس وأذهان المسلمين في شتى بقاع الأرض ، كونه أولى القبلتين ، وثاني المسجدين ، وثالث الحرمين الشريفين ومسرى النبي محمد ، صلى الله عليه وسلم ، يقول الله تعالى: "سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله"([1]). وكذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا ، والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى"([2]).

كل ذلك ، شجع الطلبة ، والعلماء ، والفقهاء ، على القدوم لبيت المقدس من مختلف بلدان العالم الإسلامي ، إما للدراسة وتلقي العلم ، أو للمساهمة في تدريس العلوم الدينية ، والمشاركة في عقد حلقات العلم والمناظرة.

الفقه:

شهدت علوم الفقه في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي ، انتعاشاً كبيراً في فلسطين ، ولاسيما في النصف الثاني منه ، فقد اجتمع في المسجد الأقصى عدد كبير من العلماء والفقهاء من مختلف البلدان الإسلامية ، وانعقدت فيه المناظرات والحلقات الفكرية([3]). من هؤلاء العلماء والفقهاء:

الشيخ نصر بن إبراهيم المقدسي ، وأبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي ، وعطاء المقدسي ، فقيه الشافعية ، وشيخ الصوفية ، ومكي بن عبد السلام ، الذي كانت تأتيه الفتاوي من مصر والشام ، وأبو الفتح سلطان بن إبراهيم المقدسي ، وسلامة بن إسماعيل بن جماعة ، الذي كان أحد الأعمدة التي وطدت المذهب السني الشافعي في فلسطين ، وإدريس بن حمزة الرميلي ، وأبو الفرج عبد الواحد بن محمد الشيرازي ، وأبو بكر الطرطوشي ، وغيرهم الكثير.

انتشرت كتب الفقه في بلاد الشام وفلسطين([4]) ، خلال القرن الخامس الهجري ، وكان من أهمها في المذهب الشافعي: "مختصر المزني" للشيخ الإمام إسماعيل بن يحيى المزني

---

[1]) سورة الإسراء ، آية 1.

[2]) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب الحج ، باب 95 ، حديث 1397.

[3]) العسلي ، الفكر الديني ، جـ3 ، ق2 ، صـ457.

[4]) تعد فلسطين ، جزء من بلاد الشام ، وتسمى "الشام الأولى" ، انظر: البكري ، المسالك ، جـ2 ، صـ33. يوسف ، فلسطين ، صـ669.

الشافعي([1]) ، وكتاب "التنبيه في الفقه" للشيخ أبـي إسـحاق ، إبـراهيم بـن علـي الـشيرازي الشافعي([2]). وفي المذهب الحنفي ، كان يدرس كتاب "مختصر القدوري" في فـروع الحنفيـة ، للإمام ، أبي الحسن ، أحمد بن محمد القدوري([3]).

أما كتب الفقه الخاصة بالمذهب المالكي ، والتي اهتم العلماء بتدريـسها ، فكـان منهـا: كتاب "المدونة" في فروع المالكية ، لأبي عبد الله ، عبد الرحمن بن القاسم المالكي([4]) ، وكتـاب "الرسالة" في الفقه المالكي ، للشيخ الإمام ، أبي محمد عبد الله بن أبي زيد المالكي القيرواني([5]).

وركز العلماء في المذهب الحنبلي على دراسة عدد من الكتب المُهمـة فـي مـذهبهم ، ومنها: كتاب "مختصر الخرقي" في فروع الحنابلة ، للشيخ أبـي القاسـم عمـر بـن الحـسين الحنبلي([6]).

ولم يقتصر نشاط العلماء في الاطلاع على كتب الفقـه ودراسـتها أو تدريـسها ، بـل ساهموا في تأليف العديد من المصنفات التي ساعدت على تفعيل الحياة العلمية وازدهارهـا فـي

---

[1]) المزني الشافعي: أبو إبراهيم ، صاحب الإمام الشافعي ، توفي سنة 264هـ/881م ، للمزيد عن ترجمته ، انظر: ابن خلكان ، وفيات ، جـ1 ، صـ217-219. السبكي ، طبقات ، جـ1 ، صـ322-323. ابن العماد ، شذرات ، جـ2 ، صـ302-303.

[2]) الشيرازي الشافعي: الإمام ، شيخ الإسلام ، أبو إسحاق ، ولـد سـنة 393هـ/1002م ، وتـوفي سـنة 476هـ/1084م ، للمزيد عن ترجمته ، انظر: ابن خلكان ، وفيات ، جـ1 ، صـ29-31. الذهبي ، سـير ، جـ14 ، صـ7-14.

[3]) القدوري: شيخ الحنفية بالعراق ، ولد سنة 362هـ/972م ، وتوفي سنة 428هـ/1036م ، للمزيـد عـن ترجمته ، انظر: ابن خلكان ، وفيات ، جـ1، صـ78-79. الذهبي ، سير ، جـ13، صـ373-374. ابـن العماد ، شذرات ، جـ3، صـ392-393.

[4]) ابن القاسم المالكي: الفقيه المالكي ، صاحب الإمام مالك ، ولـد سـنة 128هـ/745م ، وتـوفي سـنة 191هـ/806م ، للمزيد عن ترجمته ، انظر: ابن خلكان ، وفيات ، جـ3 ، صـ129-130. ابن العمـاد ، شذرات ، جـ2 ، صـ26.

[5]) القيرواني: الإمام الفقيه ، عالم أهل المغرب ، وأشهر فقهاء المالكية في القرن الرابع الهجري ، له مؤلفـات عديدة ، توفي سنة 389هـ/998م ، للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ12 ، صـ564-565. اليافعي ، مرآة ، جـ2 ، صـ441.

[6]) عمر بن الحسين الحنبلي: العلامة ، شيخ الحنابلة ، أبو القاسم الخرقي ، توفي سنة 334هـ/945م ، للمزيـد عـن ترجمته ، انظر: ابن خلكان ، وفيات ، جـ3 ، صـ441. الذهبي ، سير ، جـ12 ، صـ46-47.

فلسطين ، ومن هؤلاء العلماء: العالم سلامة بن إسماعيل بن جماعة ، له "شرح المفتاح" ، و"الوسائل في فروق المسائل" ، ومنهم الفقيه الحنبلي ، شيخ الإسلام ، أبو الفرج ، عبد الواحد بن محمد الشيرازي ، له "التبصرة في أصول الفقه" ، ومنهم العالم الفقيه ، نصر بن إبراهيم المقدسي ، له مصنفات كثيرة في فقه المذهب الشافعي ، منها: "التهذيب" ، و"التقريب" ، و"الكافي" ومنهم: الإمام الغزالي الذي صنف مصنفات عديدة في الفقه منها: "البسيط في الفقه" ، و"الوسيط" ، و"الوجيز" ، و"الخلاصة في الفقه" ، ومنهم أيضاً: الفقيه الشافعي ، سلطان بن إبراهيم المقدسي ، له "ذخائر الآثار في الفقه". كما كان للعالم الفقيه ، الطرطوشي دور بارز في تصنيف كتب الفقه ، ومنها "العمدة في أصول الفقه".

الحديث:

اهتم العلماء المسلمون بالاشتغال بالحديث بوصفه أهم مصادر التشريع بعد القرآن الكريم لدى المسلمين([1]) ، ومن المصادر التي اعتمد عليها المسلمون لدراسة الحديث: صحيح البخاري([2]) ، صحيح مسلم([3]) ، سُنن: أبو داود([4]) ،

والترمذي([5]) ، وابن ماجه([6]) ، والنسائي([1]).

---

[1]) العسلي ، الفكر الديني ، جـ3 ، ق2 ، صـ451.

[2]) صحيح البخاري: تحقيق محمود نصار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط3 ، 1424هـ/2003م. والإمام البخاري هو: أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن إسماعيل بن إبراهيم ، توفي سنة 256هـ/869م ، للمزيد عن ترجمته ، انظر: ابن خلكان ، وفيات ، جـ4 ، صـ188-190.

[3]) صحيح مسلم: تحقيق صدقي العطار ، دار الفكر للطباعة ، بيروت ، ط1 ، 1424هـ/2003م. والإمام مسلم هو: أبو الحسين ، مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد ، توفي سنة 261هـ/874م ، للمزيد عن ترجمته ، انظر: ابن خلكان ، وفيات ، جـ5 ، صـ194-196. ابن العماد ، شذرات ، جـ2 ، صـ295-297.

[4]) سُنن أبو داود: تحقيق محمد بن عبد العزيز الخالدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1422هـ/2001م ، والإمام أبو داود هو: سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد السجستاني ، توفي سنة 275هـ/888م ، للمزيد عن ترجمته ، انظر: ابن خلكان ، وفيات ، جـ2 ، صـ404. ابن العماد ، شذرات ، جـ2 ، صـ330-332.

[5]) سُنن الترمذي: تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط1 ، د.ت . والإمام الترمذي هو: أبو عيسى ، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك الترمذي ، توفي سنة 279هـ/892م ، للمزيد عن ترجمته ، انظر: ابن خلكان ، وفيات ، جـ4 ، صـ278. ابن العماد ، شذرات ، جـ2 ، صـ342.

[6]) سُنن بن ماجه: تحقيق أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1423هـ/2002م ، والإمام ابن ماجه هو: أبو عبد الله محمد بن يزيد ، توفي سنة 273هـ/886م ، للمزيد عن ترجمته ، انظر: ابن خلكان ، وفيات ، جـ4 ، صـ279. ابن العماد ، شذرات ، جـ2 ، صـ236.

وشهدت فلسطين ، في هذه الحقبة الزمنية ، نشاطاً متميزاً في علم الحديث ، حتى أصبحت بيت المقدس ، المركز الأول لعلم الحديث ، وأصبح المسجد الأقصى ، من أهم المراكز لتدريسه([2]) ، وقد أشتهر من أهل فلسطين طائفة من كبار العلماء المحدثين ، خلال القرن المذكور ، كان في طليعتهم ، الشيخ ، الإمام ، العالم ، الفقيه ، المحدث ، أبو الفتح ، نصر بن إبراهيم المقدسي.

ومنهم ، الأمام ، العالم ، أبو المعالي ، المشرف بن المرجا بن إبراهيم المقدسي ، صاحب كتاب "فضائل القدس والشام" الذي جمع فيه أحاديث كثيرة ، ومنهم ، من تناول كتب الحديث بالبحث والدراسة ، كأبي الفضل ، محمد بن طاهر بن علي المقدسي ، المعروف بابن القيسراني ، له "الجمع بين رجال الصحيحين البخاري ومسلم" ، "أطراف الكتب الستة" و"صفوة التصوف".

ومن الأدلة البارزة على مكانة فلسطين في علم الحديث ، زيارة عدد من أعلام المحدثين لها ، منهم: العالم ، أبو الفضل الدمشقي ، المعروف بالخشوعي ، من رجال الحديث ، سمع منه الفقيه نصر المقدسي ، ومكي بن عبد السلام الرميلي ، ومنهم العالم ، أبو بكر الطرطوشي ، وتلميذه أبي بكر بن العربي ، ومنهم أيضاً المؤتمن الساجي ، وغيرهم.

التفسير:

يعد التفسير من علوم القرآن ، وقد اهتم به العلماء المسلمون نظراً لأهميته في بيان وتوضيح معاني آيات القرآن الكريم ، وبيان الأحكام الشرعية لكثير من القضايا التي تهم حياة المسلمين وشؤونهم العامة والخاصة.

---

[1]) سُنن النسائي: تحقيق أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1422هـ/2002م ، والإمام النسائي هو: أحمد بن علي بن شعيب النسائي ، نسبة إلى نسا وهي مدينة بخراسان ، انظر: الحموي ، معجم البلدان ، جـ5 ، صـ282. توفي النسائي سنة 303هـ/915م ، للمزيد عن ترجمته ، انظر: ابن خلكان ، وفيات ، جـ1 ، صـ77. ابن العماد ، شذرات ، جـ2 ، صـ421-422.

[2]) العسلي ، الفكر الديني ، جـ3 ، ق2 ، صـ451 ، 455.

وخلال القرن الخامس الهجري ، الحادي عشر الميلادي ، ظهر في فلسطين طائفة مـن علماء التفسير الذين قدموا إليها من مختلف بلدان العالم الإسلامي ، فبرعوا فـي هـذا العلـم ، وألفوا فيه ، وقاموا بتدريسه ، ويعد أبو الفرج ، عبد الواحـد بـن محمـد الـشيرازي ، الفقيـه الحنبلي ، من أشهر من صنف في التفسير من علمـاء فلـسطين ، ولـه فـي التفـسير كتـاب "الجواهر" في ثلاثة مجلدات([1]).

ومن العلماء المسلمين الذين برزوا في علـم التفـسير ، الإمـام العلامـة ، المفـسر ، المحدث ، شيخ الإسلام ، أبو عثمان ، إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمـد بـن إسـماعيل بـن إبراهيم الصابوني ، ولد سنة 373هـ /983م ، ببوشنج([2]) ، دخل الصابوني بيـت المقـدس ، وحدث بها ، وشارك في الحركة الفكرية فيها ، ومن مصنفاته: "الفصول في الأصول" ، تـوفي الإمام الصابوني سنة 449هـ/1057م([3]).

وممن برع في علم التفسير أيضاً ، الشيخ العلامة ، أبو مسلم ، محمد بن علي بن محمـد بن الحسين ، ولد سنة 366هـ/976م ، صاحب "التفسير الكبير" ، والـذي هـو فـي عـشرين مجلداً ، كان عارفاً بالنحو ، دخل بيت المقدس ، فأخذ عنه طائفة ، منهم الفقيـه ، أبـو الفـتح ، نصر بن إبراهيم المقدسي ، توفي الشيخ أبو مسلم ، سنة 459هـ/1066م([4]).

كما ساهم ابن العربي في علم التفسير ، فله من المصنفات "أنوار الفجـر فـي تفـسير القرآن" وهو أعظم كتاب له ، ألفه في مدة عشرين عاماً([5]) ، وله أيضاً: "قـانون التأويـل فـي التفسير"([6]).

---

[1]) العليمي ، الأنس ، جـ1 ، صـ434.

[2]) بوشنج: بليدة خصيبة في واد مشجر من نواحي هراة. انظر: الحموي ، معجم البلدان ، جـ1 ، صـ508.

[3]) للمزيد عن ترجمة الإمام الصابوني ، انظر: الحموي ، معجم الأدباء ، جـ3 ، صـ13-16. ابن الأثيـر ، الكامل ، جـ8 ، صـ180. الذهبي ، سير ، جـ13 ، صـ462. الداوودي ، طبقات ، صـ78. ابن العماد ، شذرات ، جـ3 ، صـ458-459.

ولم تحدد المصادر التي رجع إليها الباحث تاريخ قدوم الإمام الصابوني إلى فلسطين أو المدة التي قضاها فيها.

[4]) للمزيد عن ترجمة الشيخ أبو مسلم ، انظر: ابن عساكر ، تاريخ ، جـ54 ، صـ361. القفطـي ، انبـاه الرواه ، جـ3 ، صـ194. الذهبي ، سير ، جـ13 ، صـ520. السيوطي ، بغية الوعاه ، جـ1 ، صـ188. الداوودي ، طبقات ، صـ442. ابن العماد ، شذرات ، جـ3 ، صـ491.

[5]) ابن العربي ، العواصم ، صـ18.

[6]) حاجي خليفة ، كشف ، جـ2 ، صـ281.

ومن أُمهات كتب التفسير المشهورة ، التي انتشرت في فلسطين ، كتاب "الكشف والبيان في تفسير القرآن" لأبي إسحاق الثعالبي([1]) ، وقد عنى به أبو بكر الطرطوشـي ، نزيـل بيـت المقدس ، فاختصره ، وعقد مجلساً لتدريسه داخل المسجد الأقصى سـنة 487هـ/1094م ، وممن قرأه عليه تلميذه، ابن العربي ، الذي تصدر لتدريسه في بـلاد الأنـدلس بعـد عودتـه إليها([2]).

القراءات:

روى البخاري ومسلم ، عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أقرأني جبريل على حرف فراجعته ، فلم أزل أستزده ويزيدني حتـى انتهـى إلـى سبعة أحرف([3])".

وقال صلى الله عليه وسلم: "إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فاقرأوا مـا تيـسر منها([4])"

لقد كان علم قراءة القرآن أقدم العلوم في الإسلام نشأةً وعهداً ، وأشرفها منزلة ، حيـث أن أول ما تعلمه الصحابة من علوم الدين كان حفظ القرآن وقراءته([5]).

وقد حث العلماء والفقهاء على تعليم القرآن ، ومعرفة القراءة الصحيحة له ، خاصة وأن القبائل العربية كانت تختلف في لفظ بعض الكلمات أو طريقة لفظ التلاوة ، فجـاء علـم قـراءة القرآن لمعالجة ذلك([6]).

---

[1]) أبو إسحاق الثعالبي: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعالبي ، المتوفى سنة 427هـ/1035م ، للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ13 ، صـ281-282. الأسنوي ، طبقات ، جـ1 ، صـ159. حاجي خليفـة ، كشف ، جـ2 ، صـ419.

[2]) ابن خير ، فهرسة ما رواه عن شيوخه ، صـ59.

[3]) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل القرآن ، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف ، ومـسلم فـي صحيحه ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب 48 ، حديث 819.

[4]) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل القرآن ، باب أنزل القرآن على سبعة أحـرف ، ومـسلم فـي صحيحه ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف ، حديث 818.

[5]) ابن سعيد الداني ، التيسير في القراءات السبع ، مقدمة الناشر ، صـ3.

[6]) الخطيب ، دور التعليم ، صـ156-157.

وقد أشتهر من هذه القراءات "القراءات السبع" التي اختصت بالانتساب إلى من أشتهر برواياتها من كبار الأئمة في الشام والحجاز والعراق([1]).

وخلال القرن الخامس الهجري ، ظهر في فلسطين ، طائفة من القراء ، أشتهر منهم: العالم المقرئ ، أبو بكر ، أحمد بن الحسين بن أحمد المقدسي ، قرأ على أبي القاسم الزيدي([2]) ، بحران([3]) ، وأبي علي الأهوازي([4]) ، بدمشق ، وآخرون ، توفي سنة 468هـ/1075م([5]).

ومنهم: العالم ، أبو بكر الهروي ، أحمد بن محمد بن علي ، المقرئ الضرير ، قدم إلى بيت المقدس ، وشارك في إنعاش علوم القرآن ، ولد بهراة ، سنة 405هـ/1014م ، ثم سكن

---

[1]) القراءات السبع لكبار أئمة الشام والحجاز والعراق هي:

1- قراءة: ابن عامر ، عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم ، الإمام الكبير ، مقرئ الشام ، المتوفى سنة 118هـ/736م ، انظر: الذهبي، سير ، جـ6 ، صـ106-107.

2- قراءة: ابن كثير ، عبد الله بن كثير بن عمرو بن عبد الله ، الإمام العلم ، مقرئ مكة ، وأحد القراء السبعة ، توفي سنة 120هـ/737م ، انظر: ابن سعيد الداني ، التيسير ، صـ17. الذهبي ، سير ، جـ6 ، صـ126-127.

3- قراءة: عاصم بن أبي النجود ، المتوفى سنة 127هـ/744م ، انظر: ابن سعيد الداني ، التيسير ، صـ19. ابن خلكان ، وفيات ، جـ2 ، صـ391. الذهبي ، جـ6 ، صـ79-80 ، 83.

4- قراءة: أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان التميمي ، البصري ، أحد القراء السبعة ، كان أعلم الناس بالقرآن الكريم والعربية والشعر ، توفي سنة 154هـ/770م ، انظر: ابن خلكان ، وفيات ، جـ3 ، صـ466 ، 469.

5- قراءة: أبو عمارة، حمزة بن حبيب الزيات، شيخ القراءة، توفي سنة 158هـ/774م، انظر: الذهبي ، سير، جـ7، صـ72-73.

6- قراءة: نافع بن نعيم ، إمام الناس في القراءة ، توفي سنة 169هـ/785م ، انظر: ابن سعيد الداني ، التيسير ، صـ17. الذهبي ، سير ، جـ7 ، صـ255-256.

7- قراءة: الكسائي ، أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله ، الملقب بالكسائي ، شيخ القراءات والعربية ، توفي سنة 189هـ/804م ، انظر: ابن سعيد الداني ، التيسير ، صـ19. الذهبي ، سير ، جـ8 ، صـ80 ، 82.

[2]) الزيدي: الإمام العالم المقرئ ، علي بن محمد بن علي الزيدي الحراني الحنبلي ، توفي سنة 433هـ/1041م ، للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ13 ، صـ325-326. ابن العماد ، شذرات ، جـ3 ، صـ412.

[3]) حران: مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أقور ، وهي قصبة ديار مُضر ، وهي على طريق الموصل والشام ، وينسب إليها جماعة كثيرة من أهل العلم ، انظر: الحموي ، معجم البلدان ، جـ2 ، صـ235-236.

[4]) الأهوازي: الإمام العلامة ، إمام القراءات ، أبو علي ، الحسن بن علي بن إبراهيم الأهوازي ، مقرئ أهل الشام ، ولد سنة 362هـ/972م ، وتوفي سنة 446هـ/1054م ، للمزيد عن ترجمته ، انظر: الحموي ، معجم الأدباء ، جـ3 ، صـ322-325. الذهبي ، سير ، جـ13 ، صـ447-450.

[5]) الذهبي ، تاريخ ، وفيات 461هـ-470هـ ، صـ246. ابن الجزري ، طبقات ، جـ1 ، صـ48. الدباغ ، بلادنا ، جـ3 ، صـ149.

دمشق وسمع بها ، وقرأ على شيوخ قرائها ، كان إماماً في علم القراءات ، وألَّف فيه "التذكرة" ، توفي بالقدس سنة 489هـ/1095م([1]).

وممن برز في علم القراءات ، وشارك في الحياة العلمية ببيت المقدس ، خلال القرن الخامس الهجري ، الإمام ، العالم ، المقرئ ، إمام صخرة بيت المقدس ، أبي بكر الطوسي ، محمد بن أحمد بن علي ، قتله الفرنج عند دخولهم بيت المقدس سنة 492هـ/1098م.

ومن علماء بيت المقدس المشهورين بالقراءات ، أبي الفتح ، نصر بن القاسم بن الحسن الأنصاري المقدسي ، الفقيه المقرئ ، ولد ببيت المقدس ، وكان عمره حين حدثت زلزلة الرملة سنتين([2])، قدم دمشق ، وسمع بها أبا محمد بن البري ، ونصر المقدسي ، ثم رجع إلى بيت المقدس ، وأقام بها إلى حين استولى عليها الفرنج ، فقدم دمشق واستوطنها إلى أن مات بها سنة 539هـ/1144م([3]).

علم الكلام:

هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية ، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة ، وسر هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد([4]). وبهذا المعنى ، فإن علم الكلام هو العلم الذي يبحث في طرق الجدال ، والنقاش ، لتصحيح العقيدة الدينية ، والدفاع عنها في عصر كان من أشد العصور اصطداماً بالعقائد الأخرى([5]).

ويعد علم الكلام من العلوم التي كانت سائدة في بيت المقدس ، خلال القرن الخامس الهجري ، وكان ممن أُشتهر في هذا العلم من العلماء ، الإمام ، حجة الإسلام ، الغزَّالي ،

---

[1]) ابن منظور ، تهذيب ، جـ2 ، صـ70. الذهبي ، تاريخ ، وفيات 481هـ-490هـ ، صـ293-294. ابن الجزري ، طبقات ، جـ1 ، صـ125. الدباغ ، بلادنا ، جـ3 ، صـ150.

ولم تحدد المصادر التي رجع إليها الباحث تاريخ قدوم العالم الهروي إلى بيت المقدس ، أو المدة التي قضاها فيها.

[2]) هذه الزلزلة وقعت بفلسطين سنة 460هـ/1067م ، حيث هدمت أكثر دور الرملة وسورها ، ومات أكثر أهلها تحت الردم ، انظر: ابن القلانسي ، تاريخ ، صـ159.

[3]) ابن عساكر ، تاريخ ، جـ62 ، صـ40-41. عباس ، فصول ، صـ77.

[4]) ابن خلدون ، المقدمة ، صـ458.

[5]) الخطيب ، دور التعليم ، صـ161.

والعالم ، سعد الزنجاني ، والعالم ، أبو الحسن العسقلاني ، وهؤلاء ، تلقوا علـم الكـلام علـى الإمام ، أبي المعالي ، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني([1]) ، وسمعوا منه بعض مؤلفاته مثل: كتاب "الشامل في أصول الدين"([2]) ، وكتاب "البرهان فـي أصـول الفقـه"([3]) ، وكتـاب "الإرشاد"([4]) ، وقد انتشرت هذه الكتب في فلسطين ، وخاصة في بيت المقدس حيث كـان يقـيم الغزّالي والزنجاني ، وفي عسقلان حيث كان يقيم أبو الحسن العسقلاني ، وممن سمع هذه الكتب من هؤلاء الأعلام الثلاثة ، أبو بكر بن العربي ، نزيل المسجد الأقصى([5]) ، وقـد ذكـر ابـن العربي في رحلته ، أنه أثناء وجوده في بيت المقدس ، كان قد اطلع بفضل الله علـى أعـراض بعض العلوم الدينية ، ومنها علم الكلام ، والتي هي عمدة الدين ، والطريق إلـى التـدرب فـي معرفة أحكام المكلفين ، الحاوية للمسألة والدليل ، والجامعة للتفريع والتعليل([6]).

وقد ألف الإمام الغزّالي كُتباً عديدة في علم الكلام منها: المنقذ مـن الـضلال ، كتـاب الاقتصاد في الاعتقاد ، وكتاب محك النظر ، كتاب جواهر القرآن ، وكتاب المستظهري في الرد على الباطنية ، وكتاب الغاية القصوى([7]).

ومن الملاحظ أن من أسباب ازدهار الحياة العلمية والحركة الفكريـة فـي فلـسطين ، وخاصة في بيت المقدس ، خلال القرن الخامس الهجري ، تعود إلى ازدهار النشاط الفكـري ، الذي انتشر في مدن العراق والشام ، مثل دمشق ، وبغداد ، والبصرة ، حيث أُقيمت العديد مـن المدارس والمراكز العلمية المختلفة وعلى رأسها ، مدارس الوزير نظام الملك ، التي كان مـن أشهرها ، المدرسة النظامية ببغداد، وقد اهتم العلماء في هذه المدارس ، بتدريس العلوم الدينيـة ، إلى جانب العلوم الأخرى ، وكان من الطبيعي أن تتأثر المراكز العلمية فـي فلسطين ، وعلـى رأسها المسجد الأقصى ، بالنهضة العلمية ، والحركة الفكرية في بلاد الـشام والعـراق ، فقـد لوحظ أن عدداً من العلماء والفقهاء ممن كانوا في الشام والعراق ، والـذين علمَّـوا ، وتعلمَّـوا،

---

[1]) الجويني: الإمام الكبير ، شيخ الشافعية ، توفي سنة 478هـ/1085م ، للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ14 ، صـ16 ، 20. ابن العماد ، شذرات ، جـ4 ، صـ56-59.

[2]) الذهبي ، سير ، جـ14 ، صـ20. ابن العماد ، شذرات ، جـ4 ، صـ57.

[3]) المصدران نفسهما.

[4]) المصدران نفسهما.

[5]) ابن خير ، فهرسة ، صـ258-259.

[6]) عباس ، فصول ، صـ57.

[7]) المقريزي ، المقفى ، جـ7 ، صـ81.

بالمدرسة النظامية ، قدموا إلى بيت المقدس وأقاموا فيها لتدريس الطلبة ، ونشر العلم ، وخاصة العلوم الدينية ، وكان من هؤلاء العلماء على سبيل المثال: العالم ، الفقيه ، مُحدث بغداد ، وأحد أعلام الحديث ، المؤتمن الساجي ، وحجة الإسلام ، الإمام الغزّالي ، الذي كان من أساتذة النظامية ببغداد قبل قدومه لبيت المقدس ، ومنهم العالم ، أبو الفضل الدمشقي ، المعروف بالخشوعي ، من أبرز رجال الحديث ، ومنهم ، المحدث ، عامر بن دغش ، تلميذ الغزّالي ، الذي تفقه بالمدرسة النظامية ، ومن الملاحظ أيضاً أن حالة الاستقرار السياسي ، التي شهدتها بلاد الشام وفلسطين ، خلال القرن الخامس الهجري ، وخاصة في عهد السلاجقة ، قد ساعد وشجع على ازدهار وانتعاش الحياة العلمية فيها.

الفصل الأول

السيطرة الصليبية وآثرها على الحركة العلمية في فلسطين

أولاً: السيطرة الصليبية على المدن.

ثانياً: آثار السيطرة الصليبية على المراكز العلمية

1- مقتل عدد كبير من العلماء.

2- تدمير دور الكتب والمكتبات.

3- تحويل المساجد إلى كنائس.

4- تهجير العلماء وآثرها في ازدهار الحياة العلمية في مصر والشام.

أولاً: السيطرة الصليبية على المدن:

لم يمضِ وقت طويل على عودة الفاطميين إلى فلسطين ، بعد انتصارهم على السلاجقة ، حتى ظهرت أطماع الصليبيين في الاستيلاء على بلاد المشرق العربي ، وخاصة فلسطين ، فقد كانت الرملة ، التي أخلاها سكانها المسلمون خوفاً من الصليبيين ، أول مدينة إسلامية فاطمية يحتلها الفرنج في ربيع الآخر 492هـ/يونية 1099م ([1]). عقد الصليبيون في الرملة مجلساً للحرب ، تقرر فيه ، الزحف وبدء الهجوم على بيت المقدس ، وفعلاً غادر الصليبيون الرملة في شهر ربيع الآخر 492هـ/يونية 1099م ، في طريقهم إلى المدينة المقدسة([2]).

وعندما وصل الصليبيون إلى مشارف بيت لحم ، وفدت عليهم جماعات كثيرة من مسيحيي بيت لحم ، حيث استحثوا القائد الصليبي جود فري دي بويون([3]) ، للإسراع إلى بيت المقدس ، ووعده بالمعاونة في سيره ، وواصل الصليبيون سيرهم حتى بلغوا بيت لحم عند الفجر ، فخرج سكانها واستقبلوهم ، ورحبوا بهم ، وهكذا ، سقطت المدينة بأيديهم سنة 492هـ/1099م([4]).

---

[1]) ابن القلانسي ، تاريخ ، صـ222. ابن شداد ، الأعلاق ، جـ2 ، ق2 ، صـ183. السلامي ، مختصر التواريخ ، مخطوط ، ورقة 274. المقريزي ، اتعاظ ، جـ2 ، صـ160. الصوري ، تاريخ ، جـ1 ، صـ400. رنسيمان ، تاريخ ، جـ1 ، صـ390.

Cf: Stevenson, p. 33.

[2]) جيل ، تاريخ ، صـ225. عاشور ، الحركة، جـ1، صـ195. نوار، العدوان ، صـ101. عمران ، تاريخ ، صـ32.

لم تذكر المصادر العربية وخاصة ابن القلانسي وابن الأثير أية معلومات عن مجلس الحرب الذي عقده الصليبيون في مدينة الرملة أو تاريخ مغادرتهم المدينة في طريقهم إلى بيت المقدس.

[3]) جود فري دي بويون: ولد سنة 450هـ/1058م ، في مقاطعة الرايمز في مدينة بولون الواقعة على البحر الإنجليزي ، وكان ذا شخصية دينية عميقة ، ورعاً ، جاداً ، ثابتاً في القول ، لطيفاً ، دمثاً ، صبوراً ، ذا مهارة وخبرة عسكرية ، وبعد عدة أيام من سقوط بيت المقدس (في 22 يوليو 1099م) ، تم انتخابه كحامي للقبر المقدس ، وتعيينه أميراً ، يحكم بيت المقدس ، ويشرف على إدارتها ، استمر حكمه سنه واحدة ، توفي سنة 1100م. انظر: الصوري ، تاريخ ، جـ1 ، صـ444 ، 447 ، 450 – 452 ، 476. جيل ، تاريخ ، صـ257. الشارتري ، تاريخ ، صـ77. عاشور ، الحركة ، جـ1 ، صـ223. الدويكات ، إقطاعية ، صـ87. البيشاوي، الممتلكات ، صـ61.

[4]) الصوري ، تاريخ ، جـ1 ، صـ403. رنسيمان ، تاريخ ، جـ1 ، صـ391. نوار ، العدوان ، صـ101-102.

واصل الصليبيون مسيرهم باتجاه بيت المقدس وعند وصولهم إليها في شهر ربيع الآخر 492هـ/السابع من يونية 1099م ، حاصروها حصاراً شديداً([1]).

وفي تلك الأثناء ، قام افتخار الدولة ، حاكم بيت المقدس ، الفاطمي ، باتخاذ التدابير كافة والاستعدادات لمواجهة الصليبيين ، بتحصين الأسوار ، وطمر الينابيع والآبار الواقعة خارج المدينة ، وإخفاء الماشية ، وإخراج النصارى وغيرهم من المذاهب الأخرى إلى خارج أسوار المدينة ، وأرسل إلى مصر يطلب النجدة العاجلة([2]).

وبينما كان الصليبيون يواجهون هذا الموقف أمام المدينة المقدسة ، حدث سنة 492هـ/1098م ، أن وصلت إلى الصليبيين أنباء مؤكدة ، أن جيشاً فاطمياً ضخماً على رأسه الوزير الفاطمي ، الأفضل بن بدر الجمالي أمير الجيوش ، كان في طريقه من مصر لإنقاذ مدينة بيت المقدس ، وإنهاء الحصار الفرنجي لها([3]) ، مما حدا بالصليبيين للتفكير في الإسراع في مهاجمة المدينة ، وعبر ابن القلانسي عن ذلك بقوله: "وانتهى إليهم (الفرنج) ، خروج الأفضل من مصر في العساكر الدائرة لجهادهم ، والإيقاع بهم ، وحمايته منهم ، فشدوا في قتاله"([4]).

استخدم الصليبيون في هجومهم ، واقتحامهم المدينة آلات القذف الحربية ، حيث قام جنودهم بقذف حجارة ضخمة ، ذات وزن كبير على الأسوار([5]) ، وفي المقابل استمر المسلمون في مقاومتهم لهذا الهجوم ، وقد عبر عن ذلك المؤرخ الصليبي وليم الصوري بقوله: "وعندما رأى سكان المدينة جهود المسيحيين في تزايد ، حاولوا بدورهم باجتهاد أكثر مواجهة كل خطة بخطة مماثلة ، ومقاومة القوة بالقوة ، واستمروا أيضاً بقذف النبال والقذائف الحجرية على

---

[1]) ابن القلانسي ، تاريخ ، صـ222. ابن الأثير ، الكامل ، جـ8 ، صـ405. ابن شداد ، الأعلاق ، جـ2 ، ق2 ، صـ201. الصوري ، تاريخ ، جـ1 ، صـ415. رنسيمان ، تاريخ ، جـ1 ، صـ392.

[2]) ابن الأثير ، الكامل ، جـ8 ، صـ405. رنسيمان ، تاريخ ، جـ1 ، صـ394-395. عاشور ، الحركة ، جـ1 ، صـ196. الرقب ، صُور ، صـ347.

[3]) ابن القلانسي ، تاريخ ، صـ136 ، 222. المقريزي ، اتعاظ ، جـ2، صـ 160. عاشور ، تاريخ ، جـ1 ، صـ197. نوار ، صـ115.

[4]) ابن القلانسي ، تاريخ ، صـ222.

[5]) الصوري ، تاريخ ، جـ1 ، صـ430.

المهاجمين ، انتقاماً منهم ، وأظهروا نشاطاً رائعاً أعاق تقدم المسيحيين بشكل نـــاجح ، وقــذفوا النار على آلاتنا الحربية"([1]).

ورغم المقاومة الشديدة التي أبداها المــسلمون ، إلا أن الــصليبيين اســتطاعوا دخــول المدينة ، والسيطرة عليها صباح يوم الجمعة ، 22 شعبان سنة 492هــ/15 يوليو سنة 1099م، بعد حصار دام نيفاً وأربعين يوماً ، وارتكبوا فيها مذبحة وحشية ضد المسلمين([2]).

وقد وصف المؤرخ الصليبي ريموندا جيل ، الذي كان شاهد عيان على أحداث المجــزرة ، يوم دخولهم بيت المقدس والاستيلاء عليها بقوله: "وكان يوماً جديراً ، وسعادة جديرة ، وفرحــاً دائماً ، وتحقيقاً لكدنا وحبنا ، جلب كلمات وترانيم جديدة للجميع ، إن هذا اليوم الذي أؤكــد أنــه سيخلد على مدى القرون ، قد بدل أحزاننا وصراعاتنا إلى سعادة وابتهاج ، هذا هو اليوم الــذي صنعه الرب ، سنبتهج ونسعد فيه"([3]).

ولاشك ، أن مذبحة المسجد الأقصى ، التي ارتكبها الصليبيون في بيت المقدس ، وذهب ضحيتها عدد كبير من العلماء والفقهاء المسلمين([4]) ، قد أدت إلى القضاء على مظــاهر الحيــاة

---

[1]) المصدر نفسه. جيل ، تاريخ ، صــ246. نوار ، العدوان ، صــ117.

[2]) ذكرت معظم المصادر العربية أن الصليبيين قتلوا بالمسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفاً ، منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم ، انظر: ابن القلانسي ، تاريخ ، صــ222. ابن الجوزي ، المنتظم ، جــ17 ، صــ47. ابن الأثير ، الكامل ، جــ8 ، صــ405. ابن شداد ، الأعلاق ، جــ2 ، ق2 ، صــ201-202. النويري ، نهاية ، جــ28 ، صــ257. ابن تغري بردي ، النجوم ، جــ5 ، صــ162. المقريزي ، اتعاظ ، جــ2 ، صــ160. وانظر: الصوري ، تاريخ ، جــ1 ، صــ434-435. الشارتري ، تاريخ ، صــ76-77. عاشور ، الحركة ، جــ1 ، صــ197. العسلي ، القدس ، صــ176-177. القوصي ، صلاح الدين ، صــ40.

في حين أن المصادر الأجنبية اختلفت في عدد الضحايا من المسلمين ، فقد ذكر المؤرخ الصليبي فوشيه الشارتري ، أن عدد القتلى من المسلمين ، بلغ عشرة آلاف ، قطعت رؤوسهم ، انظر: الشارتري ، تاريخ ، صـــــ75. أمــا المــؤرخ الصليبي ، وليم الصوري ، فقد ذكر أن عدد قتلى المسلمين في بيت المقدس ، بلغ ، عشرين ألفاً ، عشرة آلاف منهم داخل المسجد الأقصى، وعشرة آلاف آخرين في أماكن مختلفة خارج المسجد ، انظر: الصوري ، تاريخ ، جــ1 ، صــ437. أما ستيفن رنسيمان ، فقد ذكر أنه ليس معروفاً بالضبط عدد ضحايا مذبحة بيت المقدس ، غير أنها أدت إلى خلو المدينة من سكانها المسلمين واليهود ، انظر: رنسيمان ، تاريخ ، جــ1 ، صــ405. وذكر يوشع براور أن الجيش الصليبي قتل ما يقرب من عشرين أو ثلاثين ألفاً من سكان المدينة ، انظر: براور ، الاستيطان ، صــ30.

[3]) جيل ، تاريخ ، صــ247.

[4]) ذكر يوسف حسن درويش غوانمة ، في كتابه "دراسات في تاريخ الأردن وفلسطين في العصر الإسلامي" ، صــ181، أن الفرنج قتلوا عشرة آلاف عالم وفقيه عند دخولهم بيت المقدس ولم يجد الباحث فـــي المــصادر العربية التي رجع إليها ، وخاصة كتابي ابن القلانسي وابن الأثير ، ما يشير إلى ذلك.

العلمية ، والحركة الفكرية في هذه المدينة ، وكان متوقعاً أن تضمحل وتتراجع النشاطات الفكرية في باقي المدن الفلسطينية في ظل العدوان الصليبي عليها وقيام الصليبيين بتطبيق وممارسة سياسة الطرد والقمع والإرهاب ضد المسلمين.

بعد سقوط بيت المقدس بأيدي الصليبيين ، اتجهت أنظارهم إلى بقية المدن الفلسطينية ، فاستولوا على نابلس([1]) ، والخليل([2]) ، ويافا([3]) ، سنة 492هـ/1099م.

وفي نفس السنة المذكورة ، اتجه الصليبيون بقيادة تانكرد إلى طبرية ، واحتلوها بعد فرار أهلها منها إلى دمشق ، ولقوا استقبالاً حافلاً من المسيحيين والسريان الذين كانوا أقلية بها([4]) ، وقام تانكرد بعد ذلك بتحصين طبرية لاتخاذها مركزاً لإمارته المقبلة بإقليم الجليل في شمال فلسطين ، ولذلك ، اتجه إلى مدينة الناصرة المسيحية ، التي استسلمت له ، ثم سار إلى بيسان واستولى عليها([5]).

وهكذا ، تمكن الصليبيون من فرض السيطرة الكاملة على إقليم الجليل في شمال فلسطين([6]).

وفي سنة 493هـ/1100م ، احتلوا غزة([7]) ، وفي سنة 494هـ/1100م ، ملك الصليبيون حيفا عنوة، وأرسوف بالأمان ، وأخرجوا أهلها منها ، وملكوا قيسارية بالسيف ، وقتلوا أهلها ، ونهبوا ما فيها([1]).

---

[1]) ابن شداد ، الأعلاق ، جـ2 ، ق2 ، صـ243. عاشور ، الحركة ، جـ1 ، صـ207. الدباغ ، بلادنا ، جـ6 ، صـ112. البيشاوي ، نابلس ، صـ74. نوار ، العدوان ، صـ137.

[2]) ابن شداد ، الأعلاق ، جـ2 ، ق2 ، صـ240. سترانج ، فلسطين ، صـ262.

[3]) ابن شداد ، الأعلاق ، جـ2 ، ق2 ، صـ256. العليمي ، الأنس ، جـ1 ، صـ448. نوار ، العدوان ، صـ138.

4) ابن شداد ، الأعلاق ، جـ2 ، ق2 ، صـ132.الدويكات ، إقطاعية ، صـ71. وانظر: .Lamb, pp. 218-219

5) ابن شداد ، الأعلاق ، جـ2 ، ق2 ، صـ136. عاشور ، الحركة ، جـ1 ، صـ211. نوار ، العدوان ، صـ161. الخيري ، بيسان ، صـ98. وانظر: .Mayers,p.64

6) Duggan, p. 91.

تمكن القائد الصليبي تانكرد من فرض سيطرته على نابلس وطبرية والناصرة وبيسان وكذلك حيفا ، وأصبحت هذه المدن تشكل ما يعرف باسم إمارة الجليل. انظر: البيشاوي ، الممتلكات ، صـ69. الدويكات ، إقطاعية ، صـ71 ، 97.

7) Dowling, p. 66.

وانظر: سكيك ، غـزة ، جـ2 ، صـ47. العارف ، تاريخ ، صـ130.

وبلغ من قسوة الفرنج ووحشيتهم أنه عندما احتمى أهل قيسارية بأحد مساجد المدينة ، والتمسوا الرحمة من الصليبيين ، اقتحموا عليهم المسجد وارتكبوا بحقهم مذبحة وحشية ، حتى تحول المسجد إلى بحيرة كبيرة من دماء قتلى المسلمين ، وقد ذكر المؤرخ الصليبي وليم الصوري ، أن أقدام المهاجمين تلطخت بدماء القتلى وكانت جثثهم لا تحصى([2]).

هكذا ، رسم الصليبيون صورتهم الوحشية البشعة ، باستمرارهم في ارتكاب أبشع المجازر ضد المسلمين ، منذ اللحظات الأولى لعدوانهم على فلسطين ، فهذا أحد مؤرخيهم ، فوشيه الشارتري الذي تفاخر بما فعله الصليبيون في قيسارية ، فيذكر أن المسلمين "قد لقوا مصيرهم الذي يستحقونه" ، ولم يكتف الصليبيون بذلك ، بل قاموا بوضع أجساد الضحايا في كومة وبقروا بطونها ، وأحرقوها لاسترداد الأموال والحلي التي ابتلعوها عند تعقب الصليبيين لهم([3]).

أما مدينة عكا ، فقد حاصرها الصليبيون ، بقيادة الملك بلدوين الأول([4]) ، في البر والبحر ، وكان واليها آن ذاك ، القائد الفاطمي ، زهر الدولة الجيوشي ، الذي قاتلهم أشد قتال ،

ولم يجد الباحث في المصادر العربية التي رجع إليها وخاصة كتابي ابن القلانسي وابن الأثير أية معلومات أو تاريخ عن احتلال الصليبيين لمدينة غـزة.

[1]) ابن القلانسي ، تاريخ ، صـ225. ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ1 ، صـ368. ابن الأثير ، الكامل ، جـ8 ، صـ434. ابن شداد ، الأعلاق ، جـ2 ، ق2 ، صـ178 ، 215 ، 253. أبو الفداء ، المختصر ، جـ2 ، صـ32.

انظر كذلك: Fulcher of chartres, pp. 152-153.

1) Roger of wendover, vol. 1, p. 455.

انظر كذلك: الصوري ، تاريخ ، جـ1 ، صـ496. عمران ، تاريخ ، صـ35.

2) Fulcher of chartres, pp. 154-155.

انظر كذلك: الصوري ، تاريخ ، صـ496. نوار ، العدوان ، صـ182.

[4]) أشتهر بالفروسية والخبرة العسكرية ، تولى حكم إمارة الرها حتى وفاة أخيه جود فري ، حيث استدعي لحكم بيت المقدس بصفته صاحب الحق الشرعي في خلافة أخيه ، توج ملكاً لمملكة بيت المقدس في ديسمبر 494هـ/1100م ، واستمر حكمه حتى وفاته سنة 512هـ/1118م. انظر: الصوري ، تاريخ ، جـ1 ، صـ477-478 ، 568. الشارتري ، تاريخ ، صـ51-52. رنسيمان ، تاريخ ، جـ2 ، ق1 ، صـ119 ، 172.

حتى ملكوها بالسيف سنة 497هـ/1103م ، وفعلوا بأهلها الأفعال الشنيعة ، وبعد سقوط المدينة ، سار زهر الدولة ، إلى دمشق ، ومنها عاد إلى مصر ([1]).

وذكرت بعض الروايات الإسلامية ، أن زهر الدولة طلب الأمان من الفرنج ، وتسليم المدينة لهم ، إلا أنهم رفضوا منحه الأمان ، وخاصة بعد أن علموا بأن أهل مصر لم ينجدوه([2]) وهذه الروايات تخالف ما أجمعت عليه المصادر الصليبية التي ذكرت أن الفرنج بقيادة بلدوين الأول ، وافقوا على تسليم المدينة بعد أن أمنوا أهلها على أموالهم ، وأرواحهم ، وأملاكهم([3]).

وبسقوط عكا بأيدي الصليبيين ، فقد الفاطميون مركزاً استراتيجياً مُهمّاً من مراكزهم الحربية في فلسطين ، الأمر الذي أدى إلى إضعاف سيطرتهم ونفوذهم على الساحل الفلسطيني ، وتعزيز الوجود الصليبي في فلسطين ، حيث اتخذ الصليبيون مدينة عكا قاعدة لبناء الآلات الحربية المعدة لحصار المدن الساحلية الأخرى التي لم تخضع بعد للمملكة الصليبية([4]).

وهكذا ، نجح الصليبيون باستخدام القوة العسكرية في بسط نفوذهم وسيطرتهم على معظم المدن الفلسطينية ، باستثناء مدينة عسقلان الفاطمية ، آخر المعاقل الإسلامية الساحلية ،

---

[1]) ابن القلانسي ، تاريخ ، صـ232. ابن الأثير ، الكامل ، جـ8 ، صـ465. القزويني ، آثار ، صـ223. ابن شداد ، الأعلاق ، جـ2 ، ق2 ، صـ175. أبو الفداء ، المختصر ، جـ2 ، صـ35. ابن كثير ، البداية ، جـ12 ، صـ176. الشارتري ، تاريخ ، صـ131. سترانج ، فلسطين ، صـ270. عاشور ، الحركة ، جـ1 ، صـ245.

[2]) ابن القلانسي ، تاريخ ، صـ232. الحموي ، معجم البلدان ، جـ4 ، صـ444. ابن شداد ، الأعلاق ، جـ2 ، ق2 ، صـ175. ابن تغري بردي ، النجوم ، جـ5 ، صـ185.

ذكر كل من أبي الفداء ، والذهبي ، أن زهر الدولة فر من المدينة بحراً بعد سقوطها. انظر: أبو الفداء ، المختصر ، جـ2، صـ35. الذهبي ، العبر ، جـ2 ، صـ374.

2) Jaques de virty, p. 5. Benvenisti, pp. 80-81.

انظر كذلك: رنسيمان ، تاريخ، جـ2، ق1، صـ143. الحريري، الحروب، صـ55. الجندي، فلسطين، صـ128، 144.

وبالرغم من قبول الملك بلدوين بتسليم المدينة ومغادرة السكان آمنين بما معهم من الأمتعة إلا أن البحارة الإيطاليين التابعين للجيش الصليبي ، انقضوا على السكان المسلمين أثناء خروجهم من المدينة ، وذبحوا عدداً كبيراً منهم ، وسلبوهم كل ما معهم. انظر: رنسيمان ، تاريخ ، جـ2 ، ق1 ، صـ143.

3) Albert de Aix, p. 632.

انظر كذلك: الصوري ، تاريخ ، جـ1 ، صـ810. السيد ، إمارة ، صـ206-207. سلامة ، عكا ، صـ51-52.

التي استمرت حتى عام 547هـ/1152م ، تشكل مصدر تهديد لحدود مملكة بيت المقدس الصليبية ، حيث كانت الدولة الفاطمية تواصل الدعم المادي والعسكري لهذه المدينة من ناحيتي البر والبحر ، بوصفها نقطة الدفاع عن حدود مصر من الغزو الصليبي ، ولذلك ، أراد الصليبيون أن يقضوا على الوجود الفاطمي في عسقلان والاستيلاء عليها لاتخاذها قاعدة لتهديد الوجود الإسلامي في مصر ([1]).

شرع الصليبيون في حصار عسقلان سنة 547هـ/1152م ، بحراً وبراً([2]) ، واستمر الصليبيون في محاصرتهم للمدينة والهجوم عليها ، إلا أن تلك الهجمات كانت تتبدد أمام شجاعة المحصورين ومقاومتهم وبسالتهم([3]) ، ومع اشتداد الحصار ، وزيادة هجوم الصليبيين ، لم تجد حامية عسقلان بُدّاً من طلب الأمان ، والتسليم ، فقبل الصليبيون ذلك ، واتفق الطرفان على منح العسقلانيين مدة ثلاثة أيام يخرجون منها من المدينة بحرية وآمان ، فخرجوا منها إلى مصر وغيرها ، إلا أن الصليبيين ، لم يلتزموا بهذه الشروط ، فقد قتلوا الكثيرين من المسلمين ، ونهبت جنودهم الأموال والمتاع شأنهم في ذلك شأن كل بلد يدخلونه ، وسقطت عسقلان بعد خمسة شهور من الحصار ، وكان ذلك في سنة 548هـ/1153م ([4]).

وبعد احتلال عسقلان ، واصل الصليبيون سياستهم العدوانية التوسعية في جنوب فلسطين عن طريق إقامة العديد من القلاع والحصون ، فبعد إقامة قلعة غزة في العام

---

[1]) المسحال ، عسقلان ، صـ125. عوض ، الحروب ، صـ76.

[2]) الصوري ، تاريخ ، جـ2 ، صـ811. رنسيمان ، تاريخ ، جـ2 ، ق2 ، صـ545. الدباغ ، بلادنا ، جـ8 ، صـ168.

[3]) تصدي المسلمون للعدوان الصليبي وقاوموا بشجاعة ، وفي حالات كثيرة ، كبدوا الجيش الصليبي خسائر فادحة ، لمزيد من التفاصيل حول تصدي المسلمين ومقاومتهم للصليبيين ، انظر: مقال الدكتور ، علي السيد علي محمود ، في مجلة العصور ، "المقاومة الشعبية للغزوة الصليبية في بلاد الشام ، 491هـ/1097م-690هـ/1291م" ، المجلد السادس ، الجزء الثاني ، 1991 ، صـ231-264. وانظر كذلك: مقال الدكتور ، سعيد البيشاوي ، في مجلة جامعة النجاح للأبحاث ، "المقاومة الشعبية الفلسطينية ضد الفرنجة الصليبيين" ، مجلد 15 ، يونيه ، 2001م.

[4]) ابن القلانسي ، تاريخ ، صـ497. ابن الأثير ، الكامل ، جـ9، صـ95. أبو شامة، الروضتين، جـ1، صـ89-90. ابن شداد ، الأعلاق ، جـ2 ، ق2 ، صـ261. أبو الفداء ، المختصر ، جـ2 ، صـ98. الذهبي ، العبر ، جـ3 ، صـ5. ابن كثير ، البداية ، جـ12 ، صـ249. العليمي ، الأنس ، جـ1 ، صـ472. الصوري ، تاريخ ، جـ2 ، صـ813 ، 823. رنسيمان ، تاريخ ، جـ2 ، ق2 ، صـ547. الدباغ ، بلادنا، جـ8 ، صـ169. المسحال ، عسقلان ، صـ124. سعيد ، مدن ، صـ99.

545هـ/1149م أقام الصليبيون في أقصى جنوب فلسطين قلعة الداروم([1]) في موقـع مرتفـع بشكل مستدير بأربعة أبراج([2]). وقد هدف الصليبيون من بنائها أن تكون قاعـدة متقدمـة علـى الطريق إلى مصر ومسرحاً لعملياتهم العسكرية التي تنطلـق ضـد مـصر ومنطقـة جنـوب فلسطين([3]).

وبسقوط عسقلان ، فقد انتهت السيطرة الفاطمية على فلسطين ، وأتم الـصليبيون بـسط سيطرتهم على ساحل الشام وفلسطين ، وبدلاً من أن تبقى هذه المدينة قاعـدة أماميـة للقـوات الإسلامية في جنوب فلسطين ، فإنها أصبحت قاعدة لغزو مصر([4]).

ثانياً: آثار السيطرة الصليبية على المراكز العلمية

1- مقتل عدد كبير من العلماء:

استخدم الصليبيون ، عند احتلالهم فلسطين ، القوة العسكرية ضد المسلمين ، لإبادة أكبر عدد ممكن منهم ، وطردهم وتشريدهم من بلادهم ، ولما كانت بيـت المقـدس تعـج بالعلمـاء والفقهاء قبل العدوان الصليبي عليها ، فقد اتجهت سياسة الصليبيين إلى قتل عدد كبير من هؤلاء العلماء ، كونهم أهم الرموز الإسلامية ، التي يجب التخلص منها طبقـاً لمبـادئهم ومـواعظهم الدينية الداعية إلى حماية البلاد المقدسة ، واسترداد القبر المقدس من "المسلمين" بسبب اضـطهاد الحجاج الذاهبين لزيارته من الغرب ، واضطهاد المسيحيين المشارقة حسب ادعائهم ، ومن ثـم الاستيلاء على الأرض المقدسة الإسلامية والمسيحية معاً ، والقضاء على الإسلام في الـشرق ، وتأسيس مملكة صليبية ، والعمل على تعزيز هـذه المملكـة ، وتوسـيع حـدودها ، والحفـاظ عليها([5]) ، ورغم أن معظم المصادر العربية ، أشارت إلى استشهاد عـدد كبيـر مـن العلمـاء والفقهاء على أيدي الصليبيين إلا أن معظم هذه المصادر لم تذكر أسـماء كثيـرة مـن هـؤلاء العلماء ، ولم يجد الباحث إلا عدداً قليلاً من هذه الأسماء حسب المصادر التي رجع إليها ، وقـد يعود السبب في ذلك إلى عدم وجود من يقوم بتوثيق أسماء ممن استشهد من هؤلاء العلماء ، لأن

---

[1]) قلعة الداروم: مدينة دير البلح حالياً الواقعة جنوب غـزة.

[2]) سميل ، الحروب الصليبية ، صـ229. انظر كذلك: Jaques de virty,p. 14.

[3]) Smail, The Crusaders in Syria, p. 94.

[4]) رنسيمان ، تاريخ ، جـ2 ، ق2 ، صـ548. الـصوافي ، القـلاع ، صـ84. جـوني ، دمـشق ، صـ253. انظر كذلك: Campbell, p. 231.

[5]) الصوري ، تاريخ ، جـ1 ، صـ169-172. رنسيمان ، تاريخ ، جـ1 ، صـ161. مصطفى ، فلسطين مـا بـين العهدين الفاطمي والأيوبي ، جـ3 ، ق2 ، صـ365. الدباغ ، بلادنا ، جـ3 ، صـ161. العـارف ، المفـصل ، صـ155. نوار ، العدوان ، صـ7.

الغالبية العظمى من سكان بيتِ المقدس ، كانوا قد استشهدوا ، وأصبحت المدينة خالية من السكان([1]) ، وكذلك عدم إتاحة الفرصة لِمنْ بقي من العلماء أو غيرهم ، كي يقوموا بتوثيق مثل هذه الأسماء ، وخاصة أن الأجواء في بيت المقدس وما حولها كانت تتصف بالخوف والرعب وعدم الاستقرار في ظل العدوان الوحشي الصليبي ، ولربما كانت هناك مخطوطات ذكر فيها أسماء كثيرة لهؤلاء العلماء ممن استشهدوا على أيدي الصليبيين ، إلا أنها قد تكون قد فقدت أو اندثرت.

وعلى الرغم من ذلك ، فقد تمكن الباحث من الحصول على أسماء بعض هؤلاء العلماء الشهداء ، وذلك من خلال بعض المصادر التي وثقت لهم ، ومنهم: العالم ، أبو بكر ، محمد بن أحمد بن علي الطوسي ، المقرئ ، الصوفي ، إمام صخرة بيت المقدس([2]) ، ومنهم: العالم ، الفقيه ، العسقلاني ، كامل بن ديسم بن مجاهد بن عروة ، المعروف بالمقدسي ، قتله الصليبيون وهو يصلي([3]) ، ومنهم أيضاً: العالم ، المحدث ، سعد بن أحمد بن محمد ، أبو القاسم النسوي القاضي ، ولد سنة 420هـ/1029م ، سكن دمشق مدة ، وحدَّث بها ، قدم إلى بيت المقدس ، فاستشهد فيها([4]).

ومن العلماء المسلمين الذين استشهدوا على أيدي الصليبيين عند دخولهم بيت المقدس : العالم ، الفقيه ، عبد الجبار بن أحمد بن يوسف الرازي ، الشافعي ، أبو القاسم ، استوطن بغداد مدة ، ثم انتقل إلى بيت المقدس خلال حكم السلاجقة ، واستقر فيها([5]) ، ومنهم أيضاً: الشيخ ، أبو القاسم ، مكي بن عبد السلام بن الحسين بن القاسم الأنصاري الرميلي الشافعي ، أخذه الفرنج أسيراً ، وبعثوه إلى البلاد ، ينادي في فكاكه بألف دينار ، ولما علم الصليبيون أنه من

---

[1]) الحياري ، القدس ، صـ45. الدباغ ، بلادنا ، جـ3 ، صـ166.

[2]) ابن عساكر ، تاريخ ، جـ51 ، صـ89. أبو شامة ، تراجم ، صـ37.

[3]) ابن عساكر ، تاريخ ، جـ50 ، صـ11-12.

[4]) المصدر نفسه ، جـ20 ، صـ203-204. ابن عساكر ، تهذيب ، جـ6 ، صـ82. الدباغ ، بلادنا ، جـ3 ، صـ153.

[5]) ابن الأثير ، اللباب ، جـ2 ، صـ38. السبكي ، طبقات ، جـ3 ، صـ117. العليمي ، الأنس ، جـ1 ، صـ436. الدباغ ، بلادنا ، جـ3 ، صـ152-153. العسلي ، القدس ، صـ176.

علماء المسلمين ، رموه بالحجارة على باب إنطاكية([1]) حتى قتلوه([2]). وهذه بعض الأمثلة على من قتل من أولئك العلماء ، وما خفي كان أعظم.

وهكذا ، فإن إقدام الصليبيين على تطبيق سياسة القتل الجماعي ضد المسلمين في فلسطين ، وخاصة العلماء منهم ، يعكس مظاهر الاضطهاد الصليبي ، ويدل على الطابع الدموي الذي اتصفت به العقلية الصليبية ، وظل ملازماً للشخصية الصليبية على مدى تاريخ استعمارهم لبلاد الشام وفلسطين ، ويمكن تلخيص وجودهم هنا في كلمتين "الدماء والسيطرة" ، متخذين من العامل الديني ذريعة لتنفيذ مآربهم ومخططاتهم الهادفة إلى استيطان الأراضي المقدسة بالقوة ، وبذلك كشف النقاب عن الوجه الحقيقي للمشروع الصليبي([3]).

2- تدمير دور الكتب والمكتبات:

لم يكتف الصليبيون بارتكاب المذابح وأعمال القتل ضد المسلمين وطردهم وتشريدهم من مدنهم وقراهم ، بل دفعتهم وحشيتهم وهمجيتهم للاعتداء على دور الكتب والمكتبات ، فقد أحرقوا ما كان في بيت المقدس من المصاحف والكتب([4]) ، والواقع أن هذه الوحشية والهمجية ، التي امتازت بها الشخصية الصليبية ، قد ازدادت وضوحاً عندما احتل الصليبيون طرابلس سنة 503هـ/1109م([5]) ، وأحرقوا فيها مكتبة دار العلم ، وهي مكتبة بني عمار([1]) ، بما تحويه من

---

[1]) إنطاكية: قصبة العواصم من الثغور الشامية ، وهي من أعيان البلاد وأمهاتها ، موصوفة بالنزاهة والحسن ، وطيب الهواء ، وعذوبة الماء وكثرة الفواكه ، وسعة الخير ، نسب إليها جماعة كثيرة من أهل العلم. انظر: الحموي ، معجم البلدان ، جـ1 ، صـ266 ، 269.

[2]) العليمي ، الأنس ، جـ1 ، صـ436. الحريري ، الإعلام والتبيين ، صـ66. الحياري ، القدس ، صـ43. أورد كل من السمعاني والسبكي ، أن الصليبيين قتلوا الشيخ مكي ، ببيت المقدس في اليوم الثاني عشر من شعبان سنة 492هـ/1099م. انظر: السمعاني ، الأنساب ، جـ3 ، صـ93. السبكي ، طبقات ، جـ3 ، صـ276-277.

[3]) لمزيد من التفاصيل حول أهداف المشروع الصليبي ، والعدوان الهمجي على بلاد المشرق العربي وخاصة فلسطين ، انظر: ابن القلانسي ، تاريخ دمشق. نوار ، العدوان الصليبي على العالم الإسلامي (490-515هـ/1096-1121م). معلوف ، الحروب الصليبية كما رآها العرب. قاسم ، قاسم عبده ، ماهية الحروب الصليبية. رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، الجز ء الأول. عاشور، الحركة الصليبية. عوض ، الحروب ، صـ166.

[4]) المقريزي ، اتعاظ ، جـ2 ، صـ160.

[5]) ابن الأثير ، الكامل ، جـ8 ، صـ534. أبو الفداء ، المختصر ، جـ2 ، صـ44. ابن كثير ، البداية ، جـ12 ، صـ184. الصوري ، تاريخ ، جـ1 ، صـ533.

مصاحف وكتب علوم الدين والتفاسير والأحاديث ، وكانت من أعظم مكتبات الشرق الإسلامي ، حيث إحتوت على ثلاثة ملايين كتاب([2]).

3- تحويل المساجد إلى كنائس:

لم يتردد الصليبيون في مهاجمة أماكن العبادة الإسلامية وتدمير مساجد المسلمين وتحويلها إلى كنائس في أوقات الصراع العسكري([3]) ، فعندما سقط المسجد الأقصى في أيدي الصليبيين عام 492هـ/1098م ، عملوا على تحويل قبة الصخرة إلى كنيسة ، وقد زينوها بالصور والتماثيل ، وعينوا بها مواضع الرهبان ، ومحط الإنجيل ، كما حولوا المسجد إلى منزل لسكنى ملكهم([4]) ، وفي نفس الوقت حولوا مسجد عمر إلى منازل لجنودهم([5]) ، وفي الواقع أن الصليبيين أكدوا على انحطاط أخلاقهم ، وبشاعة سلوكهم ، عندما جعلوا محراب المسجد الأقصى مكاناً لخنازيرهم([6]).

---

[1]) بنو عمار: حكم بنو عمار قسماً من الساحل السوري في القرن الخامس الهجري ، واستمروا في حكمه حتى الحروب الصليبية ، وقد جعلوا طرابلس الشام عاصمتهم ، انظر: ابن الأثير ، الكامل ، جـ8 ، صـ245. ابن خلكان ، وفيات ، جـ1 ، صـ160 ، جـ3 ، صـ410. حمادة ، المكتبات ، صـ133. رنسيمان ، تاريخ ، جـ2 ، ق1 ، صـ94.

[2]) ابن الفرات ، جـ1 ، صـ50. كرد علي ، جـ6 ، صـ191. نوار ، العدوان ، صـ276. النقاش ، العلاقات ، صـ194. حمادة ، المكتبات ، صـ134. سالم ، طرابلس ، صـ386.

لم يذكر كل من ابن الأثير ، وابن خلكان ، جريمة حرق مكتبة دار العلم ، بل ذكرا أن الصليبيين ، عندما احتلوا طرابلس نهبوا أموالها وذخائرها وكتب دار علمها ، انظر: ابن الأثير ، الكامل ، جـ8 ، صـ534. ابن خلكان ، وفيات ، جـ5 ، صـ300.

[3]) ابن منقذ ، الاعتبار ، صـ153. العليمي ، الأنس ، جـ1 ، صـ449. كاهن ، الشرق ، صـ113 ، 215. براور ، الاستيطان صـ59. الرقب ، صُور ، صـ347. محمود ، المقاومة ، صـ238.

[4]) الأصفهاني ، الفتح ، صـ141. أبو شامة ، الروضتين ، جـ2 ، صـ113. ابن واصل ، مفرج ، جـ2 ، صـ229. بدوي ، الحياة ، صـ26. الحويري ، الأوضاع ، صـ223. حول الصليبيون قبة الصخرة إلى كنيسة سموها المعبد المقدس ، وقد كتب بنيامين التطليلي عن ذلك عند زيارته لبيت المقدس وهي في ظل الاحتلال الصليبي حيث قال: "وعليه اليوم البناء الذي يسميه الفرنج المعبد المقدس". انظر: التطليلي ، رحلة ، صـ100. وقد قام بنيامين برحلته في حدود سنتي 561 – 569هـ/1165 – 1173م. انظر: المصدر نفسه ، مقدمة المترجم ، صـ30.

[5]) الإدريسي ، نزهة ، جـ1 ، صـ360.

[6]) ابن واصل ، مفرج ، جـ2 ، صـ217.

وفي عكا أيضاً قام الصليبيون بتحويل مسجدها إلى كنيسة([1]). أما في عسقلان ، فقد تحول جامعها الكبير إلى كنيسة باسم القديس بولس ، وضمت هذه الكنيسة إلى أسقفية بيت لحم([2]). وفي الخليل ، تحول المسجد الجامع بالحرم الإبراهيمي إلى كنيسة([3]). وحول الصليبيون المسجد الكبير في غزة إلى كنيسة أيضاً([4]). وعندما استولى الصليبيون على نابلس ، هدموا مسجدها الكبير وجعلوه ركاماً([5]).

ومهما يكن من أمر ، فإن إقدام الصليبيين على تحويل المساجد إلى كنائس ربما يعود إلى أهداف أراد الفرنج تحقيقها ، من أهمها:

أولاً: التركيز على الأهداف الدينية للحملات الصليبية والظهور أمام العالم الغربي بأن الصليبيين متمسكين في التعاطف الديني تجاه إخوانهم مسيحيي المشرق لإنقاذهم وتخليصهم من ظلم وبطش المسلمين على حد زعمهم.

ثانياً: هدف الصليبيون ، وهم أصحاب الكنيسة اللاتينية ، إلى نشر مذهبهم الكاثوليكي ، وإقامة الكنائس والأديرة اللاتينية على حساب المذاهب المسيحية الشرقية([6]).

ثالثاً: الانتقام من الإسلام والمسلمين ، وبث الرعب والذعر في نفوسهم ، وحرمانهم من حقوقهم الدينية وحرية العبادة ، وتضييق الخناق عليهم ، لإجبارهم على النزوح وترك أراضيهم.

رابعاً: تعزيز وتفعيل دور الكنيسة اللاتينية ، كي تقوم بتأدية مهامها ووظائفها في مختلف جوانب الحياة على أكمل وجه ، وبما يخدم تحقيق المصلحة الصليبية.

خامساً: القضاء على الثقافة الدينية لدى المسلمين ، وكل مظاهر الحياة العلمية العربية ، والحضارة الإسلامية في فلسطين.

4- تهجير العلماء وآثرهُ في ازدهار الحياة العلمية في مصر والشام:

---

[1]) ابن الأثير ، الكامل ، جـ9 ، صـ389. عطية ، المسلمون ، صـ16.

[2]) الدباغ ، بلادنا ، جـ3 ، صـ169. رنسيمان ، تاريخ ، جـ2 ، ق2 ، صـ547.

[3]) السيد ، الخليل ، صـ330.

[4]) الخيري ، غزة ، صـ83.

[5]) النمر ، تاريخ ، صـ47.

[6]) لمزيد من التفاصيل حول دراسة تاريخ الكنيسة اللاتينية في الشرق زمن الحروب الصليبية ، انظر:
Hamilton, Birnard, The Latin Church in the Crusader States, London, 1980.
ويعتبر كتاب هاملتون "الكنيسة اللاتينية في الدويلات الصليبية" من أفضل الكتب التي تخصصت بدراسة تاريخ الكنيسة والأديرة اللاتينية في الشرق زمن الحروب الصليبية.

كانت إحدى النتائج المترتبة على احتلال الصليبيين لفلسطين سنة 492هـ/1098م ، وممارسة أساليب القمع والإرهاب ضد المسلمين ، بروز ظاهرة هجرة الفلسطينيين إلى خارج فلسطين ، حيث لم يكن العلماء والزعماء بأحسن حال من العامة فقد كان على رأس أولئك المهاجرين أسرة بني قدامه([1]) التي اشتهرت بالعلم والمعرفة وكانت تقيم في قرية جماعيل([2]).

ولابد أن نشير هنا إلى أن الإمام العالم ، إمام الحنابلة ، أبي الفرج ، عبد الواحد الشيرازي ، المتوفى سنة 486هـ/1093م ، سبق وأن التقى بشيوخ جماعيل ، ونشر المذهب الحنبلي في جبل نابلس([3]).

لذلك ، فقد ، نشأت في قرية جماعيل حركة دينية تحدت الاحتلال الصليبي ، وحمل لواءها علماء الحنابلة ، وفي طليعتهم آل قدامه ، وكان جد هذه الأسرة قدامه أو ابنه محمد التقى بأبي الفرج عبد الواحد الشيرازي الذي كان قد التقى بشيوخ تلك القرية قبيل الاحتلال الصليبي لفلسطين([4]) ، وقد أشتهر محمد بن قدامه ، ثم ابنه أحمد([5]) ، ثم حفيده محمد ، أبو عمر([6]) بالتقوى والعلم ، وكان أهالي القرى المجاورة يحيونهم ويقدرونهم لورعهم وحسن أخلاقهم([7]).

---

[1]) بنو قدامه ، من قبيلة قضاعة ، وهم قدامه بن جرم بن ربَّان ، كانت مواطنهم في بلاد جماعيل من أعمال نابلس ، ولهذه العائلة فضل كبير في نشر المذهب الحنبلي ، وبعد العدوان الصليبي على فلسطين ، نزلوا دمشق ، واستقروا فيها. انظر: المقريزي ، البيان ، صـ5. الدباغ ، الموجز ، صـ317-318. القطب ، أنساب ، صـ123.

[2]) جماعيل: قرية في جبل نابلس من أرض فلسطين ، منها كان كثير من العلماء الذين استقروا في دمشق. انظر: الحموي ، معجم البلدان ، جـ2 ، صـ157-158.

[3]) صالحية ، التاريخ ، صـ457.

[4]) المرجع نفسه ، صـ460. صفوري ، علماء ، صـ87. مصطفى ، آل قدامه ، صـ10.

[5]) أحمد: أبو العباس ، أحمد بن محمد بن قدامه من أعيان أئمة الحنابلة ، ولد سنة 491هـ/1097م ، وتوفي سنة 558هـ/1162م ، العالم الزاهد الصالح ، كان خطيب قرية جماعيل ، فر بدينه من الفرنج مهاجراً إلى الله ، ونزل مسجد أبي صالح الذي بظاهر باب شرقي ، ثم صعد إلى الجبل ، ونزل هو وآله بسفح قاسيون بدمشق. للمزيد عن ترجمته ، انظر: النعيمي ، الدارس ، جـ2 ، صـ78. العليمي ، المنهاج ، جـ2 ، صـ220. الحافظ ، المدرسة العمرية ، صـ40. المنجد، اللاجئون ، صـ718.

[6]) أبو عمر: الإمام العالم ، الفقيه ، شيخ الإسلام ، محمد بن أحمد بن محمد بن قدامه ، انظر ترجمته صـ85-87.

[7]) العسلي ، الفكر ، صـ460. مصطفى ، آل قدامه ، صـ11.

ومما لاشك فيه أن مثل هؤلاء العلماء ، كانوا يدركون مـــدى الخطـــر الـــصليبي علـــى الإسلام والمسلمين آنذاك ، حيث كانوا يبذلون قصارى جهودهم من أجل مقاومة هذا الاحـــتلال ، ولذلك ، يمكن القول أن مقاومة آل قدامه للصليبيين تمثلت فـــي المزيـــد مـــن التمـــسك بالـــدين والتقوى ، فقد كان شيخهم أحمد بن محمد بن قدامه يسافر ثم يعود إلى قريته ويـــشتغل بـــالعلم ، ويعلم الناس القرآن والعلم ، ويقرأ لهم الأحاديث ، وكان السكان مـــن أبنـــاء القـــرى المجـــاورة يجتمعون إليه ، ولغيره من علماء بني قدامه ، في خطب الجمعة ، مما كان له أثـــر كبيـــر فـــي نفوس هؤلاء السكان بسبب ما يعانونه من ظلم الصليبيين([1]).

ولما شاع خبر الشيخ أحمد وكثر نشاطه ، وصل ذلك إلى أحد الإقطاعيين العُتاه ، الـــذي كان يؤذي الناس في أبشع الأذى ويعاقبهم بالحبس وقطع الأرجل وفرض الضرائب الباهظة([2]) ، والنصوص الإسلامية تسمي هذا الإقطاعي الفرنجي "باليان بن بارزان" ولعل في هـــذه التـــسمية خطأ([3]) وليس في الحكام الفرنجية المعروفين في أواسط القرن السادس الهجري/الثـــاني عـــشر الميلادي ، من يحمل هذا الاسم "ابن بارزان" فإما أن يكون مجرد موظف لجمع المال ، وإما أن يكون الرجل المعني هو باليان شارتر صاحب يبنى وأرسوف ويافـــا ، ويعـــرف باســـم باليـــان الأول([4]). وأما باليان صاحب نابلس ، فهو باليان الثاني الذي تدعوه المصادر الإسلامية أيـــضاً باسم "باليان بن بارزان" الذي تزوج الملكـــة ماريا كومنينا التـــي حازت مدينة نـــابلس إقطاعـــاً على سبيل المعاش ، فأصبح باليان سيداً للمدينة([5]). كما شارك باليان الثاني في محاربة صـــلاح الدين في حطين سنة 583هـــ/1187م ، ثم قام بمفاوضته لتسليم بيت المقدس([6]).

---

[1]) ابن طولون ، القلائد ، صـــ68. العسلي ، الفكر ، صـــ460. خوري ، فضل المقدسيين ، صـــ41. حسين ، بنو قدامه ، صـــ130.

[2]) ابن طولون ، القلائد ، صـــ67. الحافظ ، المدرسة ، صـــ13. المنجد ، اللاجئون ، صـــــ712. ســـيفان ، اللاجئون ، صـــ82.

[3]) انظر: الأصفهاني ، الفتح ، صـــ117 ، 126 ، 197. ابن الأثير ، الكامل ، جـــ9 ، صـــ396. ابن شداد ، النوادر ، صـــ19. أبو شامة ، الروضتين ، جـــ2 ، صـــ77 ، 95. ابن واصل ، مفرج ، جـــ2 ، صـــ211 ، 214. العليمي ، الأنس ، جـــ1 ، صـــ472 ، 473.

[4]) مصطفى ، آل قدامه ، صـــ12. هامش رقم9.

[5]) رنسيمان ، تاريخ ، جـــ2 ، ق2 ، صـــ654 ، 683.

[6]) رنسيمان ، تاريخ ، جـــ2 ، ق2 ، صـــ738 ، 751-752.

ويبدو أن المصادر الإسلامية مزجت ما بين الشخصيتين ، فعَّـدت الثـاني هـو الأول نفسه ، وربما كانت شهرة الثاني وحكمه لنابلس هو الذي جعل الروايات تحسبه الإقطاعي نفـسه الذي كان سبباً في هجرة آل قدامه ، وقيل لباليان: أن الشيخ أحمـد ، يـشغل الفلاحـين عـن أعمالهم ، ويجتمعون عنده يعلمهم ويحرضهم ، فما كان من باليان إلا أن اتخذ قراراً بقتله ، فلمـا سمع بذلك ابن تسير ، كاتب باليان ووزيره ، وكان قلبه يميل إلى المـسلمين ويحـسن إلـيهم ، اتصل بالشيخ ونصحه بمغادرة جماعيل ، عندئذ ، قرر الشيخ أحمد أن يهاجر إلى دمشق خوفـاً على نفسه وعجزه عن إظهار دينه([1]).

وفي الواقع ، أن سياسة الاضطهاد الفرنجي للمسلمين التي مارسها باليان ، والخوف من إظهار الدين ، والضرائب الباهظة التي كان المسلمون يدفعونها ، كانت من الأسباب التي دفعـت المسلمين إلى التفكير في الهجرة من بلادهم. وفعلاً ، نفذ الشيخ أحمد قراره بالتوجه إلى دمشق ، ففي رجب من عام 551هـ/1156م ، رحل ابن قدامه من قريته سراً يصحبه ثلاثة من أقاربـه: ابن أخيه محمد بن أبي بكر ، وزوج أخته عبد الواحد بن علي بن سرور ، وابـن أختـه عبـد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن([2]).

وهكذا ، وصل الفوج الأول من المهاجرين إلى دمشق ونزلوا في مسجد أبي صالح([3]) ، الذي بظاهر باب شرقي ، وكانوا في ضيافة بني الحنبلي([4]) المتـولين علـى وقـف المـسجد وإمامته([5]).

---

[1]) ابن طولون ، القلائد ، صـ68. الحافظ ، المدرسة ، صـ13. المنجد ، اللاجئون ، صـ712. مصطفى ، آل قدامه ، صـ13. عطية ، المسلمون ، صـ15.

[2]) ابن طولون ، القلائد ، صـ68. المنجد ، اللاجئون ، صـ713. الحافظ ، المدرسـة ، صـ14. أُجبـر المسلمون في ثمان قرى على مغادرة أوطانهم سراً نتيجة ما تعرضوا له من قسوة وبطش واضطهاد من قبـل الصليبيين. انظر: محمود ، المقاومة الشعبية ، صـ253.

[3]) مسجد أبي صالح: كان يلزمه أبو بكر بن سند بن حمدوية الزاهد ، وخلفه فيه صاحبه ، أبو صالح ، مفلح بن عبد الله الحنبلي ، المتوفى سنة 530هـ/1135م ، فنسب إليه ، ووقف مسجده على الحنابلة. انظر: النعيمي ، الدارس ، جـ2 ، صـ79. المنحد ، اللاجئون ، صـ715.

[4]) بنو الحنبلي: أسرة حنبلية مشهورة بدمشق. انظر: المنجد ، اللاجئون ، صـ715.

[5]) أبو شامة ، تراجم ، صـ71. ابن كثير ، البداية ، جـ13 ، صـ71. ابن طولون ، القلائـد ، صـ72. المنجد ، اللاجئون ، صـ715.

ومن دمشق كتب الشيخ أحمد إلى ابنه أبي عمر يأمر أهله أن يهاجروا إلى دمشق ، وأكد في كتابه أنه لن يرجع إلى بلاد هي تحت أيدي الكفار ، وقال: ما أقول إلا كما قال إبراهيم عليه السلام: "فمن تبعني فإنه مني ، ومن عصاني فإنك غفور رحيم"([1]) ، فلما بلغتهم الرسالة ، قرروا الهجرة ، وكتموا الأمر ، وكان عدد المهاجرين خمسه وثلاثين ، على رأسهم أولاد الشيخ أحمد وهم: أبو عمر ، والموفق عبد الله ، وعبيد الله ، ورقية وفاطمة ، وآمنة ، ورابعة ، وأمهم([2]).

ثم تتابعت بعد ذلك هجرة آل قدامه وغيرهم من القرى الأخرى ، فتوافدوا على مسجد أبي صالح في السنة الثانية والثالثة ، وأقاموا في ذلك المكان ما يقرب من ثلاث سنوات أو أكثر([3]).

وأثناء إقامة آل قدامه في مسجد أبي صالح حدث نزاع بينهم وبين بني الحنبلي القائمين على المسجد ، إذ خافوا أن يستولي آل قدامه على وقف المسجد ، فقالوا لهم: "ما نخليكم في المسجد حتى تكتبوا خطوطكم ، أنكم من تحت أيدينا ، وأنكم نزلتم علينا" ففعلوا ذلك ، ولم يكتف بنو الحنبلي بذلك ، بل كانوا يضربون من يتردد على آل قدامه في المسجد ، واشتكوا إلى السلطان نور الدين محمود بن زنكي([4]) ، فاستمع إليهم في مجلس حضره القاضي ابن أبي عصرون([5]) ، الذي بين للسلطان أن آل قدامه أهل علم وصلاح وتقوى وحفظ للقرآن ، فأمر نور الدين بنزع الوقف من بني الحنبلي وتسليمه لبني قدامه([1]).

---

[1]) سورة إبراهيم ، أية 36. وانظر: ابن طولون ، القلائد ، صـ68-69. المنجد ، اللاجئون ، صـ713. صفوري ، علماء ، صـ88.

[2]) ابن طولون ، القلائد ، صـ71. الحافظ ، المدرسة ، صـ14. المنجد ، اللاجئون ، صـ714.

[3]) الحافظ ، المدرسة ، صـ14. المنجد ، اللاجئون ، صـ715. خوري ، فضل المقدسيين ، صـ42.

[4]) نور الدين محمود: أبو القاسم ، صاحب الشام ، محمود بن عماد الدين زنكي بن أق سنقر الملقب الملك العادل نور الدين ، ملك دمشق سنة 549هـ/1154م ، كان ملكاً عادلاً زاهداً عابداً ورعاً ، مستمسكاً بالشريعة ، مائلاً إلى أهل الخير ، مجاهداً في سبيل الله ، ولد سنة 511هـ/1117م ، وتوفي سنة 569هـ/1173م بدمشق. للمزيد عن ترجمته ، انظر: ابن خلكان ، وفيات ، جـ5 ، صـ185-187. الذهبي ، سير، جـ15، صـ240-241.

[5]) ابن أبي عصرون: الشيخ الإمام ، العلامة ، الفقيه الشافعي ، الملقب ، شرف الدين ، أبو سعد ، عبد الله بن أبي السري محمد بن هبة الله مطهر بن علي بن أبي عصرون ، قدم دمشق لما ملكها الملك العادل نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي سنة 549هـ/1154م، ولد سنة 492هـ/1098م ، وتوفي سنة 585هـ/1189م

استمر آل قدامه يقيمون في مسجد أبي صالح حتى قرر الشيخ أحمد أن ينتقل بأهله إلى مكان آخر ، فأشير عليه أن ينتقل إلى جبل قاسيون([2]) ، فانتقلوا إليه ، وشرعوا في بناء ديرلهم أطلق عليه اسم دير الحنابلة([3]) ، ثم أخذت البيوت تتسع ، وازداد نشاط المهاجرين فيما بعد في بناء المنازل والحوانيت والمساجد ، حتى أصبحت المنطقة مليئة بالسكان ، واتسعت شهرة آل قدامه الذين عرفوا بالتقوى والزهد والصلاح فسموا بالصالحين ، وسميت المنطقة بالصالحية نسبة إليهم([4]).

إلا أن الشيخ محمد بن أحمد ، أبو عمر ، كان يخفي ذلك عنهم ويقول: "إنما هي نسبة إلى مسجد أبي صالح لأننا نزلنا فيه أولاً لا أنا من الصالحين"([5])

وبالإضافة إلى آل قدامه ، انتقل من نابلس جماعة كثيرون من أقربائهم ، وأنسبائهم ، دعوا بالمقادسة ، منهم آل عبد الهادي ، وجدهم يوسف بن محمد بن قدامه ، وهو شقيق أحمد المهاجر الأول إلى دمشق ، وبنو سرور ، وبنو عبد الواحد ، وأسرة المرداوي ، وأسرة راجح ، ونبغ من هؤلاء جميعاً في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي ، وما بعده عدد كبير من

بمدينة دمشق. للمزيد عن ترجمته ، انظر: ابن خلكان ، وفيات ، جـ3 ، صـ55. الذهبي ، سير ، جـ15 ، صـ346.

[1]) ابن طولون ، القلائد ، صـ79. الحافظ ، المدرسة ، صـ14. المنجد ، اللاجئون ، صـ716. صفوري ، علماء ، صـ89.

[2]) جبل قاسيون: الجبل المشرف على مدينة دمشق. انظر: الحموي ، معجم البلدان ، جـ4 ، صـ295.

[3]) ابن طولون ، القلائد ، صـ82. الحافظ ، المدرسة ، صـ15. المنجد ، اللاجئون ، صـ716. خوري ، فضل المقدسيين ، صـ42.

[4]) ابن كثير ، البداية ، جـ13 ، صـ47. ابن طولون ، القلائد ، صـ66. الحافظ ، المدرسة ، صـ15-16. والصالحية: قرية كبيرة ذات أسواق وجامع في لحف جبل قاسيون من غوطة دمشق ، ويسكنها جماعة من الصالحين ، وأكثر أهلها على مذهب الإمام أحمد بن حنبل. انظر: الحموي ، معجم البلدان ، جـ3 ، صـ390. وقد زار ابن بطوطة الصالحية سنة 726هـ/1325م وقال عنها: "هي مدينة عظيمة لها سوق لا نظير له لحسنه وفيها مسجد جامع ومارستان وبها مدرسة تعرف بمدرسة أبي عمر ، وأهل الصالحية كلهم على مذهب الإمام أحمد بن حنبل". انظر: ابن بطوطة ، رحلة ، جـ1 ، صـ71. صفوري ، علماء ، صـ89.

[5]) أبو شامة ، تراجم ، صـ71. ابن كثير ، البداية ، جـ13 ، صـ71. المقريزي ، المقفى ، جـ5 ، صـ272. النعيمي ، الدارس ، جـ2 ، صـ78. ابن طولون ، القلائد ، صـ66.

العلماء الحنابلة الذين ساهموا في إنتاج نهضة علمية واسعة في دمشق ، دامت بعدهم في آثارهـا قروناً طويلة([1]).

وفي الواقع ، أن علماء آل قدامه ، وغيرهم من العلمـاء الفلسطينيين الـذين بـرزوا بدمشق ، بعد الهجرة المقدسية ، ونشأوا بها ، شاركوا في تفعيل وازدهار الحياة العلمية والحركة الفكرية من خلال إقامة المدارس والمراكز الدينية ، والعمل فيها ، وتأليف التصانيف الكثيرة فـي الفقه والحديث والتاريخ ، وسنتحدث فيما يلي عن أبرز هؤلاء العلماء ونـشاطهم العلمـي فـي القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي:

- الشيخ أبو عمر ، الإمام العالم ، الفقيه ، المقرئ ، المحدث ، شيخ الإسلام ، محمـد بـن أحمد بن محمد بن قدامه: ولد سنة 528هـ/1133م بقرية جماعيل ، سمع بدمشق أبـاه ، وأبـا المكارم بن هلال([2]) ، وأبا الفهم بن أبي العجائز([3]) ، وبمصر أبا محمد ، عبد الله بن بري([4]) ، وإسماعيل الزيات([5]) ، وحدث عنه أخوه الشيخ موفق الدين ، وابناه عبد الله ، وعبد الرحمن([6]).

---

[1]) العسلي ، الفكر ، صـ460. المنجد ، اللاجئون ، صـ719-720. صفوري ، علماء ، صـ93. مصطفى ، آل قدامه ، صـ54.

[2]) ابن هلال: الشيخ الجليل ، أبو المكارم ، عبد الواحد بن محمد بن المسلم بن الحسن بن هلال المتوفى سـنة 565هـ/1169م. للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ15 ، صـ221. ابن العماد ، شـذرات ، جـ4 ، صـ396.

[3]) ابن أبي العجائز: الشيخ أبو الفهم ، عبد الرحمن بن عبد العزيز بن محمد بن أبي العجائز الدمشقي ، المتوفى سنة 576هـ/1180م. للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ15 ، صـ328. ابن العماد ، شذرات ، جـ4 ، صـ441.

[4]) ابن بري: الإمام العلامة ، أبو محمد ، عبد الله بن بري بن عبد الجبار بن بري المقدسي ثم المصري النحوي الشافعي ، ولد سنة 499هـ/1105م ، وتوفي سنة 582هـ/1186م. للمزيد عن ترجمته، انظر: الذهبي، سير ، جـ15، صـ352. ابن العماد، شذرات، جـ4، صـ460.

[5]) الزيات: الشيخ حسان بن تميم بن نصر الدمشقي الزيات ، المتوفى سنة 560هـ/1164م. للمزيـد عـن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ15 ، صـ155.

[6]) أبو شامة ، تراجم ، صـ71. الذهبي ، سير ، جـ16 ، صـ61. ابن كثير ، البداية ، جـ13 ، صـ71. المقريزي ، المقفى ، جـ5 ، صـ272. النعيمي ، الدارس ، جـ2 ، صـ78. ابن العماد ، شذرات ، جـ5 ، صـ101. الحافظ ، المدرسة ، صـ55. حسين ، بنو قدامه ، صـ130.

كان شيخاً صالحاً ، وإماماً فاضلاً ، مقرئاً ، زاهداً ورعاً ، عابداً ، قانتاً لله ، كثير الصيام ، يحافظ على الصلوات الخمس ، وكان كريماً سخياً ، يحمل إلى بيوت الأرامل واليتامى الدراهم والدقيق ولا يعرفونه ، وكان يجاهد في سبيل الله ، ويحضر الغزوات مع صلاح الدين([1]) ، وكان أخوه الموفق يقول عنه: هو شيخنا ، ربانا وأحسن إلينا ، وعلمنا ، وحرص علينا ، وكان للجماعة كالوالد ، يقوم بمصالحهم، ومن غاب منهم خلفه في أهله ، وهو الذي هاجر بنا([2]).

حفظ الشيخ أبو عمر مختصر الخرقي في الفقه([3]) ، وقرا النحو على ابن بري بمصر ، ونسخ بخطه كثيراً ، ومن ذلك "الحلية"([4]) و"إبانة ابن بطة"([5]) و"معالم التنزيل"([6]) و"المغني" لأخيه الموفق ، وكتب مصاحف كثيرة للناس ولأهله ، وكتباً كثيرة بلا أجرة([7]).

ومن مأثره العلمية التي ساهمت في إزدهار الحياة العلمية ، والنهضة الفكرية بدمشق ، المدرسة العمرية التي بناها وأشرف عليها ، وجعلها مدرسة متخصصة في الفقه الحنبلي والحديث ، وظل يعمل مدرساً فيها طوال نصف قرن ، كما حفظ القرآن فيها أمم لا يحصون ،

---

[1]) الذهبي ، سير ، جـ16 ، صـ62. المقريزي ، المقفى ، جـ5 ، صـ273. ابن العماد ، شذرات ، جـ5 ، صـ101، 103.

[2]) أبو شامة ، تراجم ، صـ71. الذهبي ، سير ، جـ16 ، صـ62.

[3]) "مختصر الخرقي في فروع الحنابلة" للشيخ أبي القاسم عمر بن الحسن الحنبلي ، وهو من أعيان الفقهاء الحنابلة ، توفي سنة 334هـ/945م. انظر: ابن خلكان ، وفيات ، جـ3 ، صـ441.

[4]) الحلية: "حلية الأولياء" لأبي نعيم ، الإمام الحافظ ، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني ، المتوفى سنة 430هـ/1038م ، انظر: ابن خلكان ، وفيات ، جـ1 ، صـ91. الذهبي ، سير ، جـ13 ، صـ298.

[5]) إبانة ابن بطة: كتاب "الإبانة الكبرى" لأبي عبد الله ، الإمام الفقيه المحدث ، شيخ العراق ، عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري الحنبلي ، ابن بطة ، المتوفى سنة 387هـ/997م. انظر: الذهبي ، سير ، جـ12 ، صـ538-539.

[6]) "معالم التنزيل" في تفسير القرآن الكريم ، للإمام العالم ، الفقيه الشافعي ، المحدث ، المفسر ، أبي محمد ، الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي ، المتوفى سنة 516هـ/1122م. انظر: ابن خلكان ، وفيات ، جـ2 ، صـ136-137. الذهبي ، سير ، جـ14 ، صـ389-390.

[7]) أبو شامة ، تراجم ، صـ71. الذهبي ، سير ، جـ16 ، صـ63. ابن كثير ، البداية ، جـ13 ، صـ71. ابن العماد ، شذرات ، جـ5 ، صـ101. الحافظ ، المدرسة ، صـ62 ، 66.

فاشتهر أمرها وشاع ذكرها في الأفاق وصارت مأوى للعلمـــاء والعـــاملين ، وســكن الفقهـــاء والصالحين([1]).

وفي سنة 598هـ/1201م ، شرع الشيخ أبو عمر في بنــاء المــسجد الجــامع بــسفح قاسيون([2]).

وبالإضافة إلى اهتمام الشيخ بالعلوم الدينية ، وخاصة الفقه الحنبلي ، فقــد قــال الــشعر أيضاً ، ومن شعره:

أوصيكــم في القول بالقرآن بقول أهل الحــق والإيقان
ليــس بمخلــوقٍ ولا بفــان لكــن كــلامُ الملكِ الدَّيانِ
آياتــه مُشرقــــةُ المعانـــي متلــوةُ في اللفــظ باللسانِ
محفوظةٌ في الصدر والجَنان مكتوبةٌ في الصُحفِ بالبنانِ
والقولُ في الصفاتِ يا إخواني كالذاتِ والعلــمِ مــع البيانِ
إمرارها من غير ما كفــران من غير تشبيهٍ ولا عدوانِ([3]).

استمر الشيخ أبو عمر في عطائه ، يدرس ، ويخطب بجامع الجبل إلى أن تــوفي ســنة 607هـ/1210م ، ودفن بجبل قاسيون([4]).

وقبيل وفاته ، جمع أهله ، واستقبل القبلة ، وكان آخــر كلامــه قولــه تعــالى: "إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون"([5]).

---

[1]) أبو شامة ، تراجم ، صـــ71. النعيمي ، الدارس ، جــ2 ، صـــ77-78. ابن طولون ، القلائد ، صـــ84. ابن العماد ، شذرات ، جــ5 ، صـــ103. بدوي ، الحياة العقلية ، صـــ66-67. صفوري ، علمـــاء ، صـــــ90-91. شميــساني ، مدارس ، صـــ100.

[2]) أبو شامة ، تراجم ، صـــ29. النويري ، نهاية ، جــ29 ، صـــ32. ابن كثير ، البداية ، جــ13 ، صـــ40. مصطفى ، آل قدامه ، صـــ32.

يسمى جامع الجبل المشهور بجامع الحنابلة وبالمظفري وقد أنفق عليه رجل يقال له الشيخ أبــو داود محاســن الفامي حتى بلغ البناء مقدار قامة فنفذ ما كان معه ، فأرسل الملك المظفر كوكبوري ، بن زيــن الــدين علــى كجك ، صاحب إربل مالاً جزيلاً لتتميمه ، فكمل ، وأول من ولي خطابته ، الشيخ أبو عمر. انظر: النعيمــي ، الدارس ، جــ2 ، صـــ335-336.

[3]) ابن العماد ، شذرات ، جــ5 ، صـــ103-104. الحافظ ، المدرسة ، صـــ77-78.

[4]) أبو شامة ، تراجم ، صـــ71. الذهبي ، سير ، جــ16 ، صـــ64. المقريزي ، المقفى ، جــ5 ، صـــ273.

[5]) سورة البقرة ، آية 132.

- الحافظ الإمام ، محدث الإسلام ، أبو محمد ، عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سـرور ، المقدسي ، الجماعيلي ، الحنبلي ، ولد بقرية جماعيل سنة 541هـ/1146م ، وهاجر صغيراً مع الجماعة إلى دمشق سنة 551هـ/1156م ، ولم يكن يبلغ العاشرة([1]).

رحل في طلب الحديث إلى بلدان كثيرة ، فسمع أبا المكارم ، عبد الواحد بن هلال بدمشق ، وعبد الله بن النقور([2]) ، ويحيى بن ثابت([3]) ببغداد ، وعبد الله بن بري ، وأبا طاهر السلفي([4]) بمصر ، والحافظ أبا موسى محمد بن عمر المديني([5]) بأصبهان ، وغيرهم الكثير([6]).

روى عنه ولداه ، أبو الفتح ، وأبو موسى ، وعبد القادر الرهاوي([7]) ، والشيخ موفق الدين ، وابن عبد الدائم ، وعثمان بن مكي الشارعي([8]) ، وأحمد بن حامد الأرتاحي([1]) ، وغيرهم الكثير([2]).

---

[1]) الحموي ، معجم البلدان ، جـ2 ، صـ160. أبو شامة ، تراجم ، صـ46. الذهبي ، تذكرة ، جـ4 ، صـ111. ابن كثير ، البداية ، جـ13 ، صـ92. ابن تغري بردي ، النجوم ، جـ6 ، صـ165. ابن طولون ، القلائد ، صـ71. ابن العماد ، شذرات ، جـ5 ، صـ62. بدوي ، الحياة العقلية ، صـ134.

[2]) ابن النقور: الشيخ المحدث ، أبو بكر عبد الله بن الشيخ أبي منصور محمد بن الشيخ أبي الحسين أحمد بن محمد بن عبد الله بن النقور البغدادي ، ولد سنة 483هـ/1090م ، وتوفي سنة 565هـ/1169م. للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ15 ، صـ220-221.

[3]) بن ثابت: الشيخ الجليل ، أبو القاسم ، يحيى بن ثابت بن بندار بن إبراهيم ، توفي سنة 566هـ/1170م. للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ15 ، صـ225.

[4]) السلفي: الإمام العلامة ، المحدث ، شيخ الإسلام ، أبو طاهر ، أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم ، المتوفى سنة 576هـ/1180م ، وله مائة سنة وست سنين. انظر: الذهبي ، سير ، جـ15 ، صـ279-296.

[5]) المديني: الإمام العلامة ، شيخ المحدثين ، أبو موسى محمد بن أبي بكر عمر بن أبي عيسى أحمد بن عمر بن محمد بن أحمد بن أبي عيسى المديني الأصبهاني الشافعي ، ولد سنة 501هـ/1107م ، وتوفي سنة 581هـ/1185م. للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ15 ، صـ360-363.

[6]) الحموي ، معجم البلدان ، جـ2 ، صـ160. أبو شامة ، تراجم ، صـ47. الذهبي ، سير ، جـ4 ، صـ112. ابن العماد ، شذرات ، جـ5 ، صـ62.

[7]) الرهاوي: الإمام المحدث الرحال ، أبو محمد ، عبد القادر بن عبد الله بن عبد الله الرهاوي الحنبلي ، ولد بالرها سنة 536هـ/1141م، وتوفي سنة 612هـ/1215م. للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ16، صـ102-104.

[8]) الشارعي: الإمام العالم ، أبو عمرو ، عثمان بن أبي الحرم مكي بن عثمان بن إسماعيل المصري الشارعي ، ولد سنة 583هـ ، وتوفي سنة 659هـ. للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ16 ، صـ548-549.

وكان الإمام عبد الغني كثير العبادة ، فقيهاً مفتياً ، زاهداً ، عابداً ، ورعاً ، متمسكاً بالسُنة ، جواداً ، سمحاً ، إذا فتح بشيء من الدنيا حمله بالليل إلى أبواب الأرامل واليتامى ، فألقاه إليهم ومضى لئلا يعرفوه ، وكان قد ضعف بصره من كثرة المطالعة والبكاء([3]).

استمر الحافظ عبد الغني في عطائه ، عالماً فقيهاً ، مفتياً ، ومحدثاً ، وظل يقرأ الحديث بجامع دمشق ، ثم قدم مصر يدرس بها الحديث ، وعاش ضنيناً بوقته ، يقضيه كله في العبادة ، وتلقين القرآن والحديث والتأليف حتى مرض ومات سنة 600هـ/1203م([4]).

ومن مآثره العلمية ، تصانيفه الكثيرة الشهيرة ، فقد ألف الحافظ عبد الغني كتباً تزيد على الأربعين منها: "الكمال في معرفة الرجال"([5]) ، و"الدرة المضيئة في السيرة النبوية"([6]) ، و"الروضة في الأصول"([7]) و"المصباح في عيون الأحاديث الصحاح" في ثمانية وأربعين جزءاً ، اشتمل على أحاديث الصحيحين ، و"نهاية المراد" في السنن ، نحو مائتي جزء ، و"المواقيت" مجلد ، و"الجهاد" مجلد ، و"فضائل أهل البرية" ، و"الذكر" جزءان ، و"الإسراء" جزءان ، و"التهجد" جزءان ، و"محنة الإمام أحمد" ثلاثة أجزاء ، و"صلات الأحياء إلى الأموات" جزءان ، و"فضل مكة" أربعة أجزاء ، و"الأحكام" ستة أجزاء ، و"غنية الحفاظ في مشكل الألفاظ" مجلدان([8]).

---

[1]) الأرتاحي: الإمام المقرئ ، أبو العباس ، أحمد بن حامد بن أحمد بن حمد بن حامد الأرتاحي ثم المصري الحنبلي ، ولد سنة 574هـ/1178م ، وتوفي 659هـ/1260م. انظر: الذهبي ، سير ، جـ16 ، صـ548.

[2]) الذهبي ، تذكرة ، جـ4 ، صـ112.

[3]) أبو شامة ، تراجم ، صـ47. الذهبي ، تذكرة ، جـ4 ، صـ112. ابن كثير ، البداية ، جـ13 ، صـ92. ابن تغري بردي ، النجوم ، جـ6 ، صـ165. ابن العماد ، شذرات ، جـ5 ، صـ63.

[4]) أبو شامة ، تراجم ، صـ46. الذهبي ، تذكرة ، جـ4 ، صـ113 ، 116. اليافعي ، مرآة ، جـ3 ، صـ499. ابن العماد ، شذرات ، جـ5 ، صـ63. بدوي ، الحياة العقلية ، صـ135.

[5]) حاجي خليفة ، كشف ، جـ2 ، صـ430.

وهو معجم مطول لأسماء رجال الحديث ذكر فيه ما اشتملت عليه كتب الحديث الستة من أسماء الرجال. انظر: زيدان ، تاريخ ، جـ3 ، صـ73.

[6]) حاجي خليفة ، كشف ، جـ1 ، صـ569.

[7]) المصدر نفسه ، صـ694.

[8]) الذهبي ، تذكرة ، جـ4 ، صـ112-113. صالحية ، التاريخ ، صـ321. المنجد ، اللاجئون ، صـ721. بدوي ، الحياة العقلية ، صـ135.

- ومن علماء آل قدامه البارزين ، الشيخ الإمام ، العالم ، الفقيه ، عماد الدين ، أبو إسحاق ، إبراهيم بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الجماعيلي ، أخو الحافظ عبد الغني ، وأصغر منه بسنتين، ولد بقرية جماعيل سنة 543هـ/1148م ، هاجر مع أسرته إلى دمشق سنة 551هـ/1156م ، وله ثمان سنين([1]).

سمع من أبي المكارم بن هلال ، وبالموصل من خطيبها أبي الفضل الطوسي ، وفي سنة 569هـ/1173م سافر إلى بغداد بصحبة الشيخ الموفق ، حيث تفقه على أبي الفتح بن المني([2]) ، وأبي الحسن على بن عساكر بن المرحب البطائحي([3]) ، حتى برع وناظر وأفتى ، ورجع إلى دمشق ، وأقبل على إشغال الناس ونفعهم([4]).

حدث عنه البرزالي([5]) ، وابن خليل([6]) ، والمنذري([7]) ، وابن عبد الدائم([8]) ، وولده القاضي شمس الدين محمد بن العماد ، وغيرهم الكثير([9]).

---

[1]) أبو شامة ، تراجم ، صــ104. الذهبي ، سير ، جــ16 ، صــ87. الكتبي ، فوات ، جــ1 ، صــ33. ابن كثير ، البداية ، جــ13 ، صــ92. ابن طولون ، القلائد ، صــ459. ابن العماد ، شذرات ، جــ5 ، صــ140.

[2]) ابن المني: الشيخ الإمام ، العلامة ، المفتي ، شيخ الحنابلة ، أبو الفتح ، نصر بن فتان بن مطر بن المني ، ولد سنة 501هـ/1107م ، وتوفي سنة 583هـ/1187م. للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جــ15 ، صــ353.

[3]) البطائحي: الإمام ، مقرئ العراق ، أبو الحسن ، علي بن عساكر البطائحي كان عالماً بالعربية ، إماماً في السُنة ، ولد سنة 490هـ/1096م ، وتوفي سنة 572هـ/1176م. انظر: الذهبي ، سير ، جــ15 ، صــ251-252.

[4]) أبو شامة ، تراجم ، صــ104. الذهبي ، سير ، جــ16 ، صــ87. ابن طولون ، القلائد ، صــ459.

[5]) البرزالي: محدث الشام ، زكي الدين ، أبو عبد الله ، محمد بن يوسف بن محمد البرزالي ، ولد سنة 577هـ/1181م ، وتوفي سنة 636هـ/1238م. للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، تذكرة ، جــ4 ، صــ144-145.

[6]) ابن خليل: القاضي أبو الخطاب ، محمد بن أحمد بن خليل السكوني الأندلسي ، المتوفى سنة 652هـ/1254م. للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جــ16 ، صــ513.

[7]) المنذري: شيخ الإسلام ، زكي الدين ، أبو محمد ، عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله بن سلامة بن سعد المنذري الشامي ، ولد سنة 581هـ/1185م ، وتوفي سنة 656هـ/1258م ، للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، تذكرة ، جــ4 ، صــ153.

[8]) ابن عبد الدائم: أحمد بن عبد الدائم بن عمر بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المقدسي الفندقي الحنبلي ، ولد سنة 575هـ/1179م في جبل نابلس ، وتوفي سنة 668هـ/1269م. للمزيد عن ترجمته ، انظر:الذهبي ، سير ، جــ17 ، صــ81-83.

[9]) الذهبي ، سير ، جــ16 ، صــ87.

وكان الشيخ إبراهيم عبد الواحد ، عابداً ، زاهداً ، ورعاً ، صواماً ، قواماً ، متواضعاً ، سمحاً ، مفضالاً ، قال عنه الشيخ موفق الدين: "كان من خيـــار أصـــحابنا ، وأعظمهـــم نفعـــاً ، وأشدهم ورعاً ، وأكثرهم صبراً على التعليم ، وكان داعية إلى السُنة ، يقرئ الضعفاء القـــرآن ويطعمهم"([1]).

حفظ "مختصر الفقه" للخرقي ، و"غريب القرآن" للعزيزي([2]) ، وكان عالمـــاً بـــالقراءات والنحو والفرائض ، وغير ذلك من العلوم ، وله من التصانيف: "الفروق في المسائل الفقهيـــة" ، و"الأحكام"([3]).

نشط الشيخ إبراهيم وشارك في ازدهار الحركة الفكرية بدمشق ، وكان يعقد في جامعهـــا الحلقات العلمية ، يقرأ القرآن والفقه ، ويجتمع إليه الطلبة كل ليلة بعد العشاء([4]).

وكان الشيخ إذا دعا ، كما يقول الذهبي: كان القلب يشهد بإجابة دعائه من كثرة ابتهالـــه وإخلاصه ، ومن دعائه المشهور: "اللهم اغفر لأقسانا قلباً ، وأكبرنـــا ذنبـــاً ، وأثقلنـــا ظهـــراً ، وأعظمنا جرماً، وأقلنا حياءً منك ، ووفاءً بعهدك ، وأكثرنـــا تخليطـــاً وتفريطـــاً ، وتقـــصيراً ، وتعثيراً ، وطول أمل مع قرب أجل وسوء عمل"([5]).

هكذا عاش الإمام أبو إسحاق ، عالماً ، مدرساً ، واعظاً ، فقيهاً ، ومفتياً ، حتـــى تـــوفي بدمشق سنة 614هـ/1217م([6]).

---

[1]) الذهبي ، سير ، جـ16 ، صـ88. ابن كثير ، البداية ، جـ13 ، صـ92. ابـــن طولـــون ، القلائـــد ، صـ459-460. ابن العماد ، شذرات ، جـ5 ، صـ140.

[2]) العزيزي: الإمام ، أبو بكر ، محمد بن عزيز السجستاني ، المفسر ، صاحب "غريب القرآن" وقد صنفه في عدة سنين ، بقي العزيزي إلى حدود سنة 330هـ/941م. للمزيد عن ترجمتـــه ، انظـــر: الـــذهبي ، ســـير ، جـ11 ، صـ613-614.

[3]) أبو شامة ، تراجم ، صـ104. الذهبي ، سير ، جـ16 ، صـ88. ابن طولون ، القلائد ، صـ459-460. ابن العماد ، شذرات ، جـ5 ، صـ140.

[4]) أبو شامة ، تراجم ، صـ104.

[5]) الذهبي ، تاريخ ، حوادث ووفيات 611هـ/1214م-620هـ/1223م ، صـ186.

[6]) أبو شامة ، تراجم ، صـ104. الذهبي ، سير ، جـ16 ، صـ90. ابن طولون ، القلائد ، صـ462. ابن العماد ، شذرات ، جـ5 ، صـ140.

• وكان من أبرز علماء بني قدامه الفلسطينيين الشيخ الإمام العلامة شـيخ الإسـلام ، الملقـب موفق الدين ، شيخ الحنابلة ، أبو محمد ، عبد الله بن أحمد بـن محمـد بـن قدامـه المقدسـي الجماعيلي ، ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي ، ولد بقرية جماعيل سنة 541هـ/1146م في أسـرة عرفت بالتقوى والصلاح ، وقدم إلى دمشق مع أسرته سنة 551هـ/1156م ، وله عشر سنين ، وشرع في الإقبال على طلب العلم ، فحفظ القرآن وسمع الحديث([1]).

رحل مع ابن خالته ، الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد إلى بغداد ، وأقاما فيها نحواً مـن أربع سنين ، وفي بغداد ، تفقه الشيخ موفق الدين على الشيخ أبي الفتح بن المني ، وسـمع مـن أبي المعالي أحمد بن عبد الغني به حنيفة الباجسراني([2]) ، وأبي الفضل أحمـد بن صالـح بـن شافع([3]) ، وأبي الحسن علي بن عبد الرحمن بن تـاج الفـراء([4]) ، وهبـة الله بـن الحـسن الدقاق([5]) ، وشهدة الكاتبة([6]) ، وخديجة النهروانية([7]) ، ونفيسة البزازة([8]) ، وسمع بدمشق مـن

---

[1]) المنذري ، التكملة ، جـ3 ، صـ107. أبو شامة ، تـراجم ، صـ139. الـذهبي ، سـير ، جـ16 ، صـ162-163. الكتبي ، فوات ، جـ2 ، صـ158-159. ابن كثير ، البداية ، جـ13 ، صـ117. ابـن طولون ، القلائد ، صـ465. ابن العماد ، شذرات ، جـ5 ، صـ179. بدوي ، الحياة العقلية ، صـ175-176.

[2]) الباجسراني: نسبة إلى "باجسرا" وهي قرية كبيرة بنواحي بغداد ، توفي أبو المعالي سنة 563هـ/1167م. انظـر: الذهبي ، سير ، جـ15 ، صـ203-204. وانظر كذلك: هامش رقم3 ، صـ203 في نفس المصدر المذكور.

[3]) ابن شافع: الإمام الحافظ ، محدث بغداد ، أبو الفضل ، أحمد بن صالح بن شافع ، ولد سنة 520هـ/1126م، وتوفي سنة 565هـ/1169م. للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ15 ، صـ263.

[4]) ابن تاج الفراء: الشيخ الزاهد ، أبو الحسن ، المتوفى سنة 563هـ/1167م ، للمزيد من ترجمته ، انظـر: الذهبي ، سير ، جـ15 ، صـ208.

[5]) الدقاق: الشيخ الجليل ، أبو القاسم ، هبة الله بن الحسن بن هلال بن علي ، ولد سـنة 471هـ/ 1078م ، وتوفي سنة 562هـ/1166م. للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي، سير، جـ15 ، صـ202-203.

[6]) شهدة بنت المحدث أبي نصر أحمد الفرج الدينوري ثم البغدادي ، توفيت سنة 574هـ/1178م. للمزيد عن ترجمتها ، انظر: الذهبي ، سير، جـ15 ، صـ247.

[7]) خديجة النهروانية: امرأة صالحة معمرة ، بنت أحمـد بـن الحـسن بـن عبـد الكـريم ، توفيـت سـنة 570هـ/1174م. انظر: الذهبي ، سير ، جـ15 ، صـ252-253.

[8]) البزازة: وتسمى فاطمة ، بنت محمد بن علي البزازة البغدادية ، توفيت سنة 563هـ/1167م. للمزيد عـن ترجمتها ، انظر: الذهبي، سير ، جـ15 ، صـ214-215.

والده ومن أبي المكارم بن هلال ، وبالموصل من خطيبها أبي الفـضل الطوسـي ، وغيـرهم الكثير([1]).

تفقه على الشيخ موفق الدين خلق كثير ، منهم ابن أخيه شمس الدين عبد الـرحمن([2]) ، وحدث عنه جماعة من الحفاظ وغيرهم ، منهم: الجمال أبو موسى ابن الحافظ عبد الغني ، وأبو شامة([3]) ، وابن النجار([4]) ، وابن خليل ، وابن عبد الدائم ، وغيرهم الكثير([5]).

ولم يكن في زمانه ، بعد أخيه أبي عمر ، أزهد ، ولا أورع منه ، كان كثيـر الحيـاء ، عزوفاً عن الدنيا وأهلها ، ليناً ، متواضعاً ، محباً للمساكين ، حسن الأخلاق ، جواداً ، سـخياً ، كثير العبادة ، إمام الأئمة ، ومفتي الأمة ، خصه الله بالفضل الوافر ، والعلم الكامل([6]).

وتولى الشيخ موفق الدين إمامة الحنابلة بجامع دمشق مدة طويلـة ، وبـرع ، وأفتـى ، ودرس ، وناظر ، وتبحر في فنون كثير ، فكان إماماً في القرآن ، إماماً في التفسير وفـي علـم الحديث ومشكلاته ، أوحد زمانه في الفرائض ، إماماً في أصـول الفقـه ، إمامـاً فـي النحـو والحساب ، إماماً في النجوم السيارة([7]).

---

[1]) الحموي ، معجم البلدان ، جـ2 ، صـ160. أبو شامة ، تراجم ، صـ140-141. الذهبي ، سير ، جـ16 ، صـ163. ابن طولون ، القلائد ، صـ465-466. صالحية ، التاريخ ، صـ321. بدوي ، الحياة العقلية ، صـ176.

[2]) شمس الدين ، عبد الرحمن: ابن أبي عمر ، الشيخ الإمام العالم ، شيخ الإسلام ، شمس الدين ، أبو الفرج ، عبد الرحمن بن الإمام شيخ الإسلام أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامه ، ستأتي ترجمته فيما بعد.

[3]) أبو شامة: الإمام العلامة ، شهاب الدين ، أبو القاسم ، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبـراهيم بـن عثمـان المقدسي ثم الدمشقي الشافعي المقـرئ المحـدث النحـوي. ولـد سـنة 599هـ/1202م ، وتـوفي سـنة 665هـ/1266م. للمزيد عن ترجمته، انظر: الذهبي ، سير ، جـ17 ، صـ76-77.

[4]) ابن النجار: الإمام العالم ، محدث العراق ، أبو عبد الله ، محمد بن محمود بن حسن بن هبة الله بن محاسن البغدادي ، ولد سنة 578هـ/1182م ، وتوفي سنة 643هـ/1245م. للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ16 ، صـ400-402.

[5]) الذهبي ، سير ، جـ16 ، صـ163. ابن العماد ، شذرات ، جـ5 ، صـ183.

[6]) أبو شامة ، تراجم ، صـ140. الذهبي ، سير ، جـ16 ، صـ163. ابن العمـاد ، شـذرات ، جـ5 ، صـ180.

[7]) أبو شامة ، تراجم ، صـ140. الذهبي ، سير ، جـ16 ، صـ164. الكتبي ، فوات ، جـ2 ، صـ159. ابن كثير ، البداية ، جـ13 ، صـ117. ابن العماد ، شذرات ، جـ5 ، صـ181. كرد علي ، خطط ، جـ4 ، صـ41.

ولم تقتصر جهود الشيخ موفق الدين على التدريس والفتيا ، بل ساهم مساهمة كبرى في الإنتاج الفكري ، فصنف تصانيف كثيرة في الفقه وأصوله ، وعلوم الحديث ، والتـــاريخ ، فمـــن تصانيفه في الفقه: "المغني"([1]) شرح به مختصر الخرقي ، ووضـــعه فـــي عـــشرة مجلـــدات ، و"الكافي"([2]) أربع مجلدات ، و"المقنع"([3]) مجلد ، و"الروضة في أصول الفقـــه"([4]) ، و"مختـــصر الهداية" مجلد ، و"العمدة" مجلد صغير ، و"مناسك الحـــج" ، ومن تصانيفه في أصـــــول الـــدين: "البرهـــان في مسألـــة القـــرآن" ، و"ذم التأويـــل" ، و"مسألة العلو" ، و"فضائل الصحابة" ، ومن تصانيفه في الحديث: "مختصر العلل" للخلال([5]) ومن تصانيفه في التاريخ والأنساب: "التبيين في نسب القرشيين"([6]) ، و"الاستبصار في نسب الأنصار"([7]) ، و"التوابين" ، و"معجم شيوخه"([8]).

وللشيخ الموفق قصائد شعرية عديدة ، ومن شعره:

أبعد بياض الشعر أعمر مسكنا   سوى القبر أني إن فعلت لأحمق
يخبـــرني شيبـــي بأنـــي ميت   وشيكـــاً وينعانـــي إلي فيصدق
يخـــرق عمري كل يوم وليلة   فهل مستطاع رقـــع ما يتخرق

---

[1]) حاجي خليفة ، كشف ، جــ2 ، صـــ607.

[2]) المصدر نفسه ، صـــ332.

[3]) المصدر نفسه ، صـــ652.

[4]) المصدر نفسه ، جــ1 ، صـــ689.

[5]) الخلال: الإمام العلامة ، الفقيه ، شيخ الحنابلة وعالمهم ، أبو بكر أحمد بن محمد بـــن هـــارون البغـــدادي الخلال ، صاحب كتاب "العلل" الذي وضعه عن الإمام أحمد في ثلاث مجلدات ، ولد سنة 234هـــــ/848م ، وتوفي سنة 311هــ/923م. للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جــ11 ، صـــ311-312.

[6]) حاجي خليفة ، كشف ، جــ1 ، صـــ297.

سرد الشيخ موفق الدين في هذا الكتاب نسب الرسول صلى الله عليه وسلم ، مع ترجمة مختصرة لسيرته ، وذكر أزواجه ، وأولاده ، ونسب القرشيين حسب قرابتهم له. انظر: صالحية ، التاريخ ، صـــ322.

[7]) يعتبر أفضل ما جمع في أنساب الصحابة وتاريخهم وأخبارهم. انظر: المرجع ، نفسه ، صـــ322.

[8]) الحموي ، معجم البلدان ، جــ2 ، صـــ160. الذهبي ، سير ، جــ16 ، صـــ164. الكتبي ، فوات ، جــ2 ، صـــ159. ابن طولون ، القلائد ، صـــ468-469. ابن العماد ، شذرات ، جــ5 ، صـــ182. بدوي ، الحياة العقلية ، صـــ176-177.

كأني بجسمي فوق نعش ممدداً	فمـن ساكـت أو معول يتحرق
إذا سألوا عني أجابوا وأعولوا	وأدمعهـم تنهـل هذا المـوفق
وغيبت في صدع من الأرض ضيق	وأودعت لحداً فوقه الصخر مطبق
ويحثو على الترب أوثق صاحب	ويسلمنـي للقبر مـن هو مشفـق
فيارب كن لي مؤنساً يوم وحشتي	فأنـي بمـا أنزلتـه مصـدق
وما ضرني أني إلى الله صائر	ومن هو من أهلي أبر وأرفق[1]

استمر الشيخ موفق الدين في عطائه حتى توفي بدمشق سنة 620هـ/1223م ، ودفـن بسفح جبل قاسيون[2].

- ومن علماء آل قدامه أيضاً: العز ابن الحافظ الإمام العالم الرحال ، عز الدين ، أبـو الفـتح ، محمد ابن عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور الجماعيل المقدسي ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي ، ولد بدمشق سنة 566هـ/1170م ، ورحل إلى بغداد سنة 580هـ/1184م ، وهـو ابن أربـع عشرة سنة ، فسمع من أبي الفتح بن شاتيل[3] ، وتفقه على ابـن المنـي ، وسـمع بدمشق من أبي الفهم عبد الرحمن بن أبي العجائز ، والخضر ابن طاوس[4] ، وبأصـبهان مـن مسعود الجمَّال[5] ، وغيرهم[6].

---

1) أبو شامة ، تراجم ، صـ141. ابن كثير ، البداية ، جـ13 ، صـ118. ابن العماد ، شذرات ، جـ5 ، صـ182.

2) الذهبي ، سير ، جـ16 ، صـ167. ابن كثير ، البداية ، جـ13 ، صـ117. ابـن طولـون ، القلائـد ، صـ469. ابن العماد ، شذرات ، جـ5 ، صـ183. حميدان ، أعلام الحضارة ، جـ4 ، صـ55.

3) ابن شاتيل: الشيخ الجليل المعمر ، أبو الفتح ، عبيد الله بن عبد الله بن محمد بن نجا بن شاتيل البغدادي ، ولد سنة 491هـ/1097م، وتوفي سنة 581هـ/1185م. للمزيد عن ترجمته، انظر: الذهبي ، سـير ، جـ15 ، صـ340-341.

4) ابن طاوس: الشيخ المعمر ، أبو محمد ، هبة الله بن أبي طالب ، الخضر بن هبة الله بن أحمد بن عبد الله بن طاوس البغدادي الأصل الدمشقي ، ولد سنة 537هـ/1142م ، وتوفي سنة 618هـ/1221م. للمزيـد عـن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ16، صـ154.

5) الجمال: الشيخ أبو الحسن ، مسعود بن أبي منصور بن محمد بن حسن الأصبهاني الجمَّـال ، ولـد سـنة 506هـ/1112م ، وتوفي سنة 595هـ/1198م. للمزيد عن ترجمته ، انظر: الـذهبي ، سـير ، جـ15 ، صـ427.

6) أبو شامة ، تراجم ، صـ99. الذهبي ، سير ، جـ16 ، صـ84. ابن كثير ، البداية ، جـ13 ، صـ88. الحافظ ، المدرسة العمرية ، صـ234.

حدَّث عنه ولداه تقي الدين أحمد ، وعز الدين عبد الرحمن ، والضياء([1]) ، والبرزالـــي ، وآخرون([2]). وقال الضياء: سافر العز مع عمه الشيخ العماد ، إبراهيم بن عبد الواحد ، ، وأقـــام ببغداد عشر سنين ، فاشتغل بالفقه والنحو والخلاف ، وكان يقرأ للناس الحديث كل ليلـــة جمعـــة بمسجد دار البطيخ([3]) بدمشق ، ثم انتقل إلى الجامع الأموي ، فكـــان يقـــرأ يـــوم الجمعـــة بعـــد الصلاة([4]).

هكذا كان الشيخ عز الدين من أئمة المسلمين ، فقيهاً ، حافظاً للحديث ، عارفاً بمعانيـــة ، وكان أحسن الناس قراءة وأسرعها ، وكان غزير الدمعة عند القراءة ، ثقـــة متقنـــاً ، ســـمحاً ، جواداً ، إلى أن مات سنة 613هـــ/1216م([5]).

- ومنهم: الضياء المقدسي ، ضياء الدين ، أبو عبد الله ، محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبـــد الرحمن بن إسماعيل بن منصور المقدسي الجماعيلي ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي ، ولد بالـــدير المبارك بقاسيون سنة 569هـــ/1173م ، سمع في سنة 576هـــ/1180م وبعـــدها مـــن علمـــاء دمشق ، ومنهم: الخضر بن طـــاوس ، وعبـــد الـــرحمن بـــن علـــي الخرقـــي([6]) ، وبركـــات

ذكر أبو شامة في كتابه "تراجم رجال القرنين" صـــ99 أن عز الدين محمد ابن عبد الغني مـــن مواليـــد ســـنة 576هـــ/1180م ، وليس 566هـــ/1170م ، والصواب أنه من مواليد سنة 566هـــ/1170م ، لأنه سافر إلى دمشق سنة 580هـــ/1184م وعمره أربع عشرة سنة ، حسب معظم المصادر العربية.

[1]) الضياء: هو الضياء المقدسي ، أبو عبد الله ، محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن ، ستأتي ترجمته فيما بعد.

[2]) الذهبي ، سير ، جـــ16 ، صـــ85. ابن العماد ، شذرات ، جـــ5 ، صـــ139. الحافظ ، المدرسة العمرية ، صـــ235.

[3]) مسجد كبير له وقف ، وإمام ، ومنارة ، ومؤذن. انظر: النعيمي ، الدارس ، جـــ2 ، صـــ241.

[4]) الذهبي ، سير ، جـــ16 ، صـــ85. الحافظ ، المدرسة العمرية ، صـــ234.

[5]) أبو شامة ، تراجم ، صـــ99. الذهبي ، سير ، جـــ16 ، صـــ85. ابن كثير ، البداية ، صـــ138. ابن العماد ، شذرات ، جـــ5 ، صـــ138. الحافظ ، المدرسة ، صـــ235.

[6])الخرقي: الإمام الصالح أبو محمد ، ولد سنة 499هـــ/1105م ، وتوفي سنة 587هـــ/1191م. للمزيد عـــن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير، جـــ15 ، صـــ386-387.

الخشوعي([1]) ، وغيرهم ، وبمصر ، سمع في سنة 595هـ/1198م من أبي القاسم البوصيري([2]) وغيره ، وسمع بأصبهان ، ونيسابور ، وهراة ، ومرو ، والموصل ، وهمذان ، وبغداد ، وغيرها من المدن ، ولزم الحافظ عبد الغني وتخرج به([3]). حدث عنه: البرزالي ، وابن النجار ، وغيرهم خلق كثير([4]).

كان الضياء عالماً ورعاً ، تقياً ، زاهداً ، عابداً ، فقيهاً ومؤرخاً ، مجاهداً في سبيل الله ، خرَّج تخاريخ كثيرة مفيدة ، عارفاً بالرجال وأحوالهم ، والحديث صحيحه وسقيمه ، ولم يكن في وقته مثله([5]).

أنشأ الضياء المقدسي المدرسة الضيائية ، وتسمى كذلك دار السُنة ، إلى جانب الجامع المظفري ، وكان يبني فيها بيده ، وأعانه عليها أهل الخير ، وجعلها دار حديث للمحدثين والغرباء الوافدين ، ووقف عليها كتبه وأجزاءه ، وفيها من وقف موفق الدين، الحافظ عبد الغني ، وابن الحاجب([6]) ، وابن سلام([7])، وكانت المدرسة تحوي مسجداً ومكتبة واسعة لدراسة الحديث النبوي والفقه([8]).

---

[1]) الخشوعي: الشيخ العالم المحدث ، أبو طاهر ، بركات بن إبراهيم بن طاهر بن بركات بن إبراهيم الدمشقي الخشوعي ، ولد سنة 510هـ/1116م ، وتوفي سنة 598هـ/1201م. للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ15 ، صـ478-479.

[2]) البوصيري: الشيخ العالم ، مسند الديار المصرية ، أبو القاسم هبة الله بن علي بن سعود بن ثابت البوصيري ، ولد سنة 506هـ/1112م ، وتوفي سنة 598هـ/1201م. للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ15 ، صـ498.

[3]) الذهبي ، سير ، جـ16 ، صـ397-398. الكتبي ، فوات ، جـ3 ، صـ426. ابن العماد ، شذرات ، جـ5 ، صـ346. المنجد ، اللاجئون، صـ719.

[4]) الذهبي ، سير ، جـ16 ، صـ399. ابن العماد ، شذرات ، جـ5 ، صـ348.

[5]) الذهبي ، سير ، جـ16 ، صـ400. ابن العماد ، شذرات ، جـ5 ، صـ347. المنجد ، اللاجئون ، صـ719.

[6]) ابن الحاجب: الشيخ الإمام العلامة ، الفقيه ، النحوي ، أبو عمرو ، عثمان بن عمر بن أبي بكر يونس الدويني. ولد سنة 570هـ/1174م ، وتوفي سنة 646هـ/1248م. للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ16، صـ489-490.

[7]) ابن سلام: نجم الدين ، الحسن بن سالم بن سلام ، كان كثير البر بالحنابلة ، توفي سنة 642هـ/1244م. للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ16 ، صـ387.

[8]) الذهبي ، سير ، جـ16 ، صـ399. الكتبي ، فوات ، جـ3 ، صـ427. ابن مفلح ، المقصد ، جـ2 ، صـ451. ابن العماد ، شذرات ، جـ5 ، صـ347. مصطفى ، آل قدامه ، صـ85 ، 28-29. المنجد ، اللاجئون ، صـ719.

ولم يقتصر الضياء نشاطه العلمي على دراسة الحديث والفقه ، بل برع في تأليف كثير من الكتب ، ومن تصانيفه المشهورة: كتاب "فضائل الأعمال"([1]) ، و"الأحكام"([2]) ثمان مجلدات ، و"الأحاديث المختارة" ، و"الموافقات" في نحو ستين جزءاً ، و"مناقب المحدثين" ثلاثة أجزاء ، و"صفة النار" جزءان ، و"سيرة المقادسة" مجلد كبير ، و"فضائل القرآن" جزء ، و"فضل العلم" جزء([3]).

استمر الضياء في مشواره ومسيرته العلمية يعطي بلا كلل أو ملل حتى وفاته سنة 643هـ/1245م([4]).

هكذا ، استطاع الضياء ، من خلال رحلاته العلمية ، واجتهاده ونشاطه ، وسماعه من كبار العلماء المسلمين في مختلف بلدان العالم الإسلامي ، أن يجعل من نفسه علماً من أبرز أعلام الفكر الذين أسهموا في ازدهار الحياة العلمية والحركة الفكرية في بلاد الشام وغيرها.

- ومن علماء بني قدامه: الفقيه المحدث ، شيخ الحنابلة ، أبي العباس ، أحمد بن محمد بن عبد الغني بن عبد الواحد بن علي سرور المقدسي ، ولد سنة 591هـ/1194م ، سمع بدمشق من أبي طاهر الخشوعي ، وابن طبرزد([5]) ، وتفقه على الشيخ الموفق ، وحفظ ، الكافي له ، وكان من أئمة الحنابلة ، وأحد المشايخ المشهورين بالفقه والحديث ، ودرس وأفتى ، وتخرج به

وعندما قدم التتار إلى دمشق سنة 699هـ/1299م ، شرعوا في نهب الصالحية ، وقتل أهلها ، ونهبوا كتباً كثيرة من المدرسة الضيائية. انظر: ابن كثير ، البداية ، جـ14 ، صـ9-10.

[1]) حاجي خليفة ، كشف ، جـ2 ، صـ254.

[2]) المصدر نفسه ، جـ1 ، صـ82.

[3]) الذهبي ، سير ، جـ16 ، صـ398. الكتبي ، جـ3 ، صـ427. المنجد ، اللاجئون ، صـ720.

[4]) أبو شامة ، تراجم ، صـ177. الكتبي ، فوات ، جـ3 ، صـ427.ابن كثير ، البداية ، جـ13 ، صـ193. ابن العماد ، شذرات ، جـ5 ، صـ348.

[5]) ابن طبرزد: الشيخ الرحالة ، أبو حفص ، عمر بن محمد بن معمر بن أحمد بن يحيى البغدادي ، ويعرف بابن طبرزد ، ولد سنة 516هـ/1122م، وتوفي سنة 607هـ/1210م. للمزيد عن ترجمته، انظر: ابن خلكان، جـ3 ، صـ452-453.

الفقهاء([1]). حدث عنه الشمس بن الواسطي([2]) ، وسليمان بن حمزة([3]) ، وغيرهما([4]). توفي أبو العباس سنة 643هـ/1245م بسفح قاسيون ، ودفن به([5]).

- ومن أبناء جماعيل الذين اشتهروا بدمشق ، الشيخ الإمام العالم ، الفقيه ، أبو عبد الله ، محمد بن خلف بن راجح بن بلال بن هلال بن عيسى المقدسي الجماعيلي الحنبلي ، ولد سنة 550هـ/1155م بجماعيل ، ثم قدم دمشق وسمع بها من أبي المكارم بن هلال ، وقدم مصر ، فسمع بالإسكندرية من السلفي ، وفي بغداد سمع من أبي محمد ابن الخشاب ، وتفقه على ابن المني حتى برع([6]).

حدَّث عنه ، الضياء ، والبرزالي ، وابن عبد الدائم ، والمنذري ، وغيرهم([7]).

كان الإمام العالم ، محمد بن خلف بن راجح ، أحد الشيوخ الصالحين ، زاهداً ، عابداً ، ورعاً ، فاضلاً ، فقيهاً ، محدثاً ، حفظ مقامات الحريري([8]) في خمسين ليلة ، وولي قضاء

---

[1]) الذهبي ، سير ، جـ16 ، صـ454. ابن مفلح ، المقصد ، جـ1 ، صـ174. ابن طولون ، القلائد ، صـ470. ابن العماد ، شذرات ، جـ5 ، صـ339.

[2]) ابن الواسطي: الشيخ المعمر ، شمس الدين ، أبو عبد الله ، محمد بن علي بن أحمد بن فضل بن الواسطي الحنبلي ، ولد سنة 615هـ/1218م، وتوفي سنة 699هـ/1299م. للمزيد عن ترجمته، انظر: الذهبي، سير، جـ17، صـ149-150.

[3]) ابن حمزة: الشيخ الإمام الفقيه ، أبو الفضل ، سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر بن الشيخ أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامه ، ولد سنة 628هـ/1230م ، وتوفي سنة 715هـ/1315م. للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ17، صـ411-412.

[4]) الذهبي ، سير ، جـ16 ، صـ454. ابن طولون ، القلائد ، صـ470.

[5]) الذهبي ، العبر ، جـ3 ، صـ244. ابن طولون ، القلائد ، صـ470. ابن العماد ، شذرات ، جـ5 ، صـ339.

[6]) الذهبي ، سير ، جـ16 ، صـ157. ابن طولون ، القلائد ، صـ463. ابن العماد ، شذرات ، جـ5 ، صـ172.

[7]) الذهبي ، سير ، جـ16 ، صـ158.

[8]) الحريري: العلامة البارع ، صاحب المقامات ، أبو محمد ، القاسم بن علي بن محمد بن عثمان البصري الحريري ، ولد سنة 446هـ/1054م ، وتوفي بالبصرة سنة 516هـ/1122م ، للمزيد عن ترجمته ، انظر: الحموي ، معجم الأدباء ، جـ6 ، صـ195-219. ابن خلكان ، وفيات ، جـ4 ، صـ63-68.

دمشق نيابة ، وكان يدرس الناس بجامع الجبل قبل الزوال ، توفي سنة 618هـ/1221م ، ودفن بقاسيون([1]).

- ومن علماء آل قدامه وأئمة الحنابلة ، الفقيه ، أبو سليمان ، عبد الرحمن بن عبد الغنـــي بـــن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي ، ولد ســنة 584هـــ/1188م ، ســمع بدمــشق مــن الخشوعي وغيره، وبمصر من البوصيري وغيره ، وببغداد من ابن الجوزي([2]) ، وتفقــه علــى الشيخ الموفق حتى برع وأفتى ودرَّس ، وكان إماماً عالماً فاضلاً ورعاً كريم النفس ، توفي سنة 643هـ/1245م ودفن بسفح قاسيون([3]).

- وبرز من أبناء الشيخ العالم أبي عمر ، الشيخ الإمام ، العالم ، مفتي الأمة ، شيخ الإســلام ، كبير الحنابلة ، شمس الدين ، أبو محمد ، عبد الرحمن بن أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن قدامه المقدسي الجماعيلي الصالحي الحنبلي ، ولــد ســنة 597هـــ/1200م بالدير من سفح قاسيون ، سمع من أبيه ، وعمر بن طبرزد ، وعمه موفق الدين ، وتفقــه بــه ، وقرأ عليه "المقنع" ثم شرحه في عشر مجلدات([4]).

حدث عنه ابن عبد الدائم ، والشيخ محي الدين النووي([5]) ، والبرزالي ، وخلق كثير([6]).

---

[1]) أبو شامة ، تراجم ، صـــ130. الذهبي ، سير ، جـــ16 ، صـــ157-158.ابن طولون ، القلائد ، صـــ464. ابن العماد ، شذرات ، جـــ5 ، صـــ172.

[2]) ابن الجوزي: الشيخ الفاضل ، بدر الدين ، أبو القاسم ، علي بن أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي ابن الجوزي، ولد سنة 551هـ/1156م ، وتوفي سنة 630هـ/1232م. للمزيد عن ترجمته، انظر: الذهبي ، سير ، جـــ16، صـــ284-285.

[3]) أبو شامة ، تراجم ، صـــ176. الذهبي ، العبر ، جـــ3 ، صـــ246. ابــن مفلــح ، المقــصد ، جـــــ2 ، صـــ103. ابن طولون ، القلائد ، صـــ477. ابن العماد ، شذرات ، جـــ5 ، صـــ341.

[4]) الذهبي ، سير ، جـــ17 ، صـــ276. ابن مفلح ، المقصد ، جـــ2 ، صـــ107-108. ابن العماد ، شذرات ، جـــ6 ، صـــ35. الحافظ ، المدرسة ، صـــ178.

[5]) النووي: الشيخ الإمام الفقيه ، شيخ الإسلام محي الدين ، أبو زكريا ، يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حـــسين النووي ، ولد سنة 631هـ/1233م ، وتوفي سنة 676هـ/1277م. للمزيد عن ترجمته، انظر: الذهبي ، سير، جـــ17، صـــ321-324.

[6]) الذهبي ، سير ، جـــ17 ، صـــ276. ابن العماد ، شذرات ، جـــ6 ، صـــ36. كحالة ، معجم ، جـــ5 ، صـــ169.

كان كبير الشأن ، بهياً ، وقوراً ، سريع الحفظ والفهم ، بـــديع الكتابـــة ، كثيـــر التعبـــد والصيام والتهجد ، حسن الأخلاق والصفات الحميدة ، وكان مجلسه عامراً بالفقهـــاء والمحـــدثين وأهل الدين([1]).

عمل الشيخ عبد الرحمن قاضياً ، وكان أول من وُلي قضاء الحنابلة بالشام لمـــدة اثنتـــي عشرة سنة ، كما كان أول من وُلي مشيخة دار الحديث الأشرفية البرانية([2])، وقد حدث نحواً من خمسين سنة حتى توفي سنة 682هـــ/1283م ، ودفن بسفح قاسيون([3]).

ومن العلماء الفلسطينيين الذين ساهموا في الحياة العملية في بلاد الـــشام وغيرهـــا مـــن البلدان ، أخ الضياء المقدسي ، الإمام العالم المفتي ، أحمد بن عبد الواحد بن أحمـــد بـــن عبـــد الرحمن بن إسماعيل بـــن منصور السعدي المقدسي ثم الدمشقي الصالحي المعروف بالبخاري ، ولد بدمشق سنة 564هـــ/1168م وكانت وفاته سنة 623هـــ/1226م([4]).

ومنهم: العالم المحدث الجوال ، إسماعيل بن ظفر بن أحمد بن إبراهيم بـــن مفـــرج بـــن منصور بن ثعلب بن عنيبة بن بكار بن عبد الله بن شرف بن مالك بـــن المنـــذر بـــن النعمـــان المنذري النابلسي الأصل الدمشقي المولد ، كانت ولادته سنة 574هـــ/1178م سمع بأصـــبهان وبغداد ونيسابور وحـــران ، وحـــدث عنـــه البرزالـــي والمنـــذري وآخـــرون ، تـــوفي ســـنة 639هـــ/1241م ودفن بسفح قاسيون([5]).

ومنهم: العالم الفقيه ، شرف الدين ، أبو محمد ، حسن بن عبد الله بن عبد الغني بن عبـــد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الصالحي ، ولد سنة 605هـــ/1208م ، توفي بدمشق ســـنة 659هـــ/1260م ، ودفن بسفح قاسيون([6]).

---

[1]) الذهبي ، سير ، جـــ17 ، صـــ276. ابن العماد ، شذرات ، جـــ6 ، صـــ36.

[2]) دار الحديث الأشرفية: تقع بسفح جبل قاسيون على حافة نهر يزيد ، انظر: النعيمي ، الدارس ، جـــ1 ، صـــ36.

[3]) الذهبي ، سير ، جـــ17 ، صـــ277. ابن مفلح ، المقصد ، جـــ2 ، صـــ109. ابن العماد ، شذرات ، جـــ6 ، صـــ36. الحافظ ، المدرسة ، صـــ178 ، 241.

[4]) للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جـــ16 ، صـــ222-223. ابن طولون ، القلائد ، صـــ414-415. ابن العماد ، شذرات ، جـــ5 ، صـــ202.

[5]) للمزيد عن ترجمته ، انظر: المنذري ، التكملة ، جـــ3 ، صـــ586. الذهبي ، سير ، جـــ16 ، صـــ369. ابن طولون ، القلائد ، صـــ390-391.

[6]) للمزيد عن ترجمته ، انظر: أبو شامة ، تراجم ، صـــ211. ابن طولون ، القلائد ، صـــ471. ابن العماد ، شذرات ، جـــ5 ، صـــ434.

ومنهم: الإمام العالم الفقيه المحدث ، أبو العباس ، أحمد بن عبد الدائم بن نعمة بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن بكير المقدسي النابلسي ثم الدمشقي الحنبلي ، ولد سنة 575هـ/1129م بجبل نابلس ، وتوفي سنة 668هـ/1269م([1]).

ومنهم: الشيخ الإمام ، الفقيه المفتي ، قاضي القضاة ، أبو عبد الله ، محمد بن إبراهيم بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الجماعيلي ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي ، ولد سنة 603هـ/1206م بدمشق ، توفي سنة 676هـ/1277م([2]).

ومنهم: العالم المحدث ، أبو الفرج ، عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الملك بن عثمان بن عبد الله بن سعد بن مفلح بن هبة الله بن نمير المقدسي ثم الصالحي ، ولد سنة 606هـ/1209م ، وتوفي بدمشق سنة 689هـ/1290م([3]).

ومنهم: العالم الفقيه ، قاضي القضاة ، نجم الدين ، أبو العباس ، أحمد بن أبي محمد عبد الرحمن بن أبي عمر محمد بن قدامه ، شيخ الحنابلة وابن شيخهم ، ولد سنة 651هـ/1253م ، وتوفي سنة 689هـ/1290م ، ودفن بسفح قاسيون([4]).

ومنهم: الشيخ الإمام الفقيه ، أبو الحسن ، علي بن أحمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل ، بن منصور ، المعروف بابن البخاري ، ولد سنة 595هـ/1198م ، وتوفي سنة 690هـ/1291م([5]).

---

[1]) للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، العبر ، جـ3 ، صـ317-318. العيني ، عقد ، جـ2 ، صـ66. ابن مفلح ، المقصد ، جـ1 ، صـ131. ابن طولون ، القلائد ، صـ388. ابن العماد ، شذرات ، جـ5 ، صـ467.

[2]) للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ17 ، صـ302. ابن كثير ، البداية ، جـ13 ، صـ309. ابن العماد ، شذرات ، جـ6 ، صـ7.

[3]) للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ17 ، صـ245. ابن طولون ، القلائد ، صـ391-392. ابن العماد ، شذرات ، جـ6 ، صـ73.

[4]) للمزيد عن ترجمته ، انظر: ابن الجزري ، تاريخ ، جـ1 ، صـ16. الذهبي ، العبر ، جـ3 ، صـ368. ابن كثير ، جـ13 ، صـ355. ابن مفلح ، المقصد ، جـ1 ، صـ127-128. ابن العماد ، شذرات ، جـ6 ، صـ72. الحافظ ، المدرسة ، صـ242-243.

[5]) للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ17 ، صـ249-250. المقريزي ، السلوك ، جـ2 ، صـ232. ابن العماد ، شذرات ، جـ6 ، صـ79-81.

ومنهم: الإمام ، أبو الحسن ، علي بن عبد الرحمن بن أبي عمر المقدسي ، درس بحلقة الحنابلة بجامع دمشق وبمدرسة جده الشيخ أبي عمر ، وأم بالجامع المظفري ، توفي سنة 699هـ/1299م([1]).

ولم تقتصر النهضة الفكرية ، والحياة العلمية التي ازدهرت في دمشق والصالحية ، على علماء آل قدامه وغيرهم من العلماء ، بل كان للمرأة الفلسطينية أيضاً نشاط متميز ، ودور بارز في علوم الحديث ، فمن نساء آل قدامه اللواتي اشتهرن في هذا المجال:

المحدثة العالمة ، رابعة بنت أحمد بن محمد بن قدامه ، ولدت سنة 544هـ/1149م وهي عالمة من عالمات دمشق ، قرأ عليها وحدث عنها الإمام علي بن أحمد بن عبد الواحد المقدسي ، توفيت سنة 620هـ/1223م ، ودفنت بسفح قاسيون بدمشق([2]).

والمحدثة ، رقية بنت أحمد بن محمد بن قدامه ، ولدت سنة 536هـ/1141م ، وحدث عنها علي بن أحمد بن عبد الواحد المقدسي وتوفيت بدمشق سنة 621هـ/1224م([3]).

والمحدثة ، آمنة بنت محمد بن قدامه ، ولدت بجبل قاسيون بدمشق سنة 555هـ/1160م ، وتوفيت سنة 631هـ/1233م([4]).

ومنهن: الشيخة المحدثة الصالحة أم أحمد مريم بنت خلف بن راجح المقدسي ، كانت عابدة كثيرة الصلاة ، توفيت سنة 633هـ/1235م([5]).

---

[1]) للمزيد عن ترجمته ، انظر: ابن مفلح ، المقصد ، جـ2 ، صـ234. النعيمي ، الدارس ، جـ2 ، صـ83. الحافظ ، المدرسة ، صـ179.

[2]) الحمصي ، العظماء ، صـ327. مصطفى ، آل قدامه ، صـ60. دعبول ، تراجم أعلام النساء ، صـ129-130.

[3]) للمزيد عن ترجمتها ، انظر: كحالة ، أعلام ، جـ1 ، صـ453. مصطفى ، آل قدامه ، صـ60. دعبول ، تراجم ، صـ138.

[4]) للمزيد عن ترجمتها ، انظر: كحالة ، أعلام ، جـ1 ، صـ16. دعبول ، تراجم ، صـ12.
كانت الشيخة آمنة قد حفظت القرآن الكريم ، وكانت تلقن النساء والجواري. انظر: عبد المهدي ، المرأة ، صـ59.

[5]) المنذري ، التكملة ، جـ3 ، صـ405.

وآسية بنت عبد الواحد ، محدثة عابدة ، دائمة الصيام أخت الضياء المقدسي الذي قال عنها: "ما في زمانها مثلها ، ، لا تكاد تدع قيام الليل" ، توفيت سنة 640هـ/1242م([1]).

والشيخة سعيده بنت عبد الملك بن يوسف بن محمد بن قدامه ، كانت محدثة عابدة ، توفيت سنة 640هـ/1242م([2]).

ومنهن: أم محمد ، خديجة بنت أحمد بن عبد الدائم بن نعمة بن أحمد ، دينة ، صالحة ، ولدت سنة 598هـ/1202م ، وتوفيت سنة 685هـ/1286م([3]).

ومنهن: المحدثة ، فاطمة بنت عبد الرحمن بن أبي عمر المقدسي ، دينة ، عابدة ، صالحة ، روت عن أبيها ، وعن جعفر بن علي الهمداني([4]) ، توفيت سنة 685هـ/1286م([5]).

ومن المحدثات الشهيرات ، الشيخة الصالحة المعمرة ، أم أحمد ، عائشة بنت المحدث المجد عيسى بن الإمام موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامه ، الصالحية الحنبلية ، روت عن جدها موفق الدين ، وروى عنها عدد من كبار المحدثين ، توفيت سنة 697هـ/1297م([6]).

هكذا كان لأبناء فلسطين من آل قدامه وغيرهم من العلماء من أقاربهم وأنسبائهم ، الدور الكبير والتأثير البارز في دعم وتنشيط الحياة العلمية في بلاد الشام ، وخاصة علوم الفقه والحديث ، فأسسوا المدارس التي لعبت دوراً مهماً في نشر العلم ، كمدرسة أبي عمر المسماة بالمدرسة العمرية ، ومدرسة الضياء المسماة بالضيائية ، والمدرستان كانتا من أهم مراكز العلم

---

[1]) للمزيد عن ترجمتها ، انظر: الذهبي ، العبر ، جـ3 ، صـ237. ابن العماد ، شذرات ، جـ5 ، صـ325. كحالة ، أعلام ، جـ1 ، صـ6. دعبول ، تراجم ، صـ6.

[2]) للمزيد عن ترجمتها ، انظر: الذهبي ، العبر ، جـ3 ، صـ238. ابن العماد ، شذرات ، جـ5 ، صـ326.

[3]) للمزيد عن ترجمتها ، انظر: الذهبي ، معجم ، جـ1 ، صـ225. دعبول ، تراجم ، صـ108.

[4]) الهمداني: الشيخ الإمام ، الفقيه المحدث ، أبو الفضل ، ولد سنة 546هـ/1151م. وتوفي سنة 636هـ/1238م. للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ16 ، صـ340-341. ابن كثير ، البداية ، جـ13 ، صـ175.

[5]) للمزيد عن ترجمتها ، انظر: الذهبي ، تاريخ ، وفيات 681هـ-690هـ ، صـ230. الحافظ ، المدرسة ، صـ178-179.

[6]) للمزيد عن ترجمتها ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ17 ، صـ196-197. اليافعي ، مرأة ، جـ4 ، صـ229. ابن العماد ، شذرات ، جـ6 ، صـ109. كحالة ، أعلام ، جـ3 ، صـ184.

في الصالحية ، حيث تخرج منهما أعداداً كثيرة من الطلبة الذين أصبحوا فيما بعد كوكبة صـــالحة من العلماء ، وساهموا في نشر العلم والمعرفة ، كما تولى العديد من علماء بني قدامه الوظـــائف العليا فكان منهم قضاة القضاة ، وشيوخ الإسلام.

ومهما يكن من أمر ، فقد تحلى آل قدامه بمكانة علمية عالية ومنزلة رفيعة مـــن خـــلال نبوغهم وإبداعاتهم في تأليف كثير من التصانيف في الحديث والفقه ، وخاصة الفقـــه الحنبلـــي ، مما أدى إلى نشر وازدهار المذهب الحنبلي بدمشق وغيرها من المدن الأخـــرى ، وعلـــى أيـــة حال ، فإن ما لقيه بنو قدامه من اهتمام وتقدير من غيرهم ، نظراً لإبداعهم ونبـــوغهم وحـــسن سيرتهم ، شجعتهم على المضي قدماً في تعزيز مسيرتهم العلمية ، كما شجع الكثيـــر مـــن أبنـــاء عمومتهم على القدوم إلى دمشق.

ويبدو أن الإنجازات والنشاطات العلمية والعمرانية الكبيرة التي قـــام بهـــا آل قدامـــه ، وحرصهم على التمسك بتعاليم الإسلام ، وعلاقتهم الطيبة مـــع الآخـــرين هـــي التـــي أكـــسبتهم الشخصية المميزة ، والشهرة الواسعة ، والسيرة الحسنة ، التي امتدت لعدة قـــرون ، ولا تكـــاد توجد في تاريخ الشام هجرة قروية صغيرة استطاعت أن تترك أثراً كذلك الأثـــر الـــذي تركتـــه هجرة آل قدامه إلى دمشق من حيث السعة والزمن والنوع.

هكذا كان للفلسطينيين الذين هاجروا من فلسطين ، وانتقلوا إلى مصر وبلاد الشام خلال القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي ، أثر كبير وواضح في ازدهار الحيـــاة العلميـــة ، فكان منهم ، الوزراء ، والفقهاء والشعراء والمحدثين والقضاة ، وغير ذلك.

الفصل الثاني

مظاهر الحياة العلمية في فلسطين

في ظل السيطرة الصليبية

صورة الحياة العلمية في ظل الاحتلال

تعرضت الحياة العلمية والحركة الفكرية في فلسطين في ظل العدوان الصليبي عليها لضربة قاسية ، وأصيبت بانتكاسة خطيرة ، أدت إلى ضعفها وتراجعها واضمحلالها ، وذلك بسبب الجرائم والمجازر الوحشية ، وأساليب الاضطهاد القمعية التي ارتكبها ومارسها الصليبيون ضد المسلمين وأدت إلى مقتل عدد كبير من العلماء والفقهاء وخاصة ببيت المقدس عند سقوطها كما أسلفنا سابقاً([1]).

ومنذ اللحظة الأولى التي احتل فيها الصليبيون فلسطين ، شرعوا في تغيير معظم معالمها الحضارية وطابعها الإسلامي ، فأقدموا على تفريغها من سكانها واحلال المستوطنين الصليبيين مكانهم([2]) ، وقاموا بتحويل المساجد إلى كنائس (وقد تقدم ذكر ذلك) ، كما قاموا ببناء عدد من الكنائس الجديدة والأديرة لتلبي حاجات السكان الجدد ، ومن هذه الكنائس: كنيسة يعقوب ، وهي إلى الشرق من قبة الصخرة ، وكنيسة الألمان ، إلى اليسار من الحرم القدسي([3]).

كما قام الصليبيون ببناء كنيسة كبيرة في يافا تدعى "كنيسة جورج"([4]) ، وأخرى في مدينة طبرية تدعى كنيسة "القديس بطرس"([5]).

وفي ظل تطبيق سياسة الاضطهاد الثقافي والحضاري ضد الإسلام والمسلمين ، قام الصليبيون بتغيير أسماء أبواب بيت المقدس وشوارعها وبعض الأماكن فيها ، وأطلق عليها أسماء صليبية جديدة([6]).

كما أقام الصليبيون في مملكة بيت المقدس أنظمة سياسية وقانونية وإدارية جديدة([7]) ،

---

[1]) وانظر: ابن الأثير ، جـ8 ، صـ405. نعيرات ، إقطاعية بيسان ، صـ214-215. الدويكات ، إقطاعية طبرية ، صـ295-296. البيشاوي ، نابلس ، صـ204. العسلي ، الفكر ، صـ460.

[2]) كاهن ، الشرق ، صـ215.

[3]) الفيتري ، تاريخ ، صـ63. النقر ، التغيرات الإدارية ، صـ13. الرقب ، صور ، صـ338. الحياري ، القدس ، صـ48.

[4]) دانيال ، وصف ، صـ47.

[5]) المصدر نفسه ، صـ96.

[6]) الحياري ، القدس ، صـ48.

[7]) للاطلاع على دستور مملكة بيت المقدس وقوانينها والنظام الإداري فيها ، انظر: رنسيمان ، تاريخ ، جـ2 ، ق2 ، صـ479-488. باركر ، الحروب ، صـ58-67. البيشاوي ، الممتلكات ، صـ99-103.

هدفت إلى إلغاء القوانين والأنظمة الإسلامية التي كانت سائدة في فلسطين قبيل العدوان الصليبي عليها، كما هدفت هذه الأنظمة أيضاً إلى خلق نظام صـليبي جديـد يحقـق المـصلحة العليـا للصليبيين، وفي نفس الوقت، ليقضي على كل معالم ومظاهر الحضارة الإسلامية في فلـسطين ، وليس أدل على ذلك، من قيام الصليبيين بإصدار قرار مملكة بيت المقدس القاضي بتحريم دخول المسلمين مدينة القدس أو الإقامة فيها لكونهم غير جديرين بالاحترام([1]) ، على حد زعمهم.

وهكذا ، وأمام هذا الواقع الذي فرضه الصليبيون في فلسطين ، فإنه لم يكن متوقعـاً أن يبقى هناك أي نوع من أنواع النشاط العلمي في المدن الفلسطينية في ظـل ظـروف العـدوان الصليبي ، وعلى سبيل المثال ، لا الحصر ، فإن الـصليبيين ، ومنـذ اليـوم الأول لاحـتلالهم الخليل ، وضعوا أيديهم على الحرم الإبراهيمي وأسسوا فيه كنيسة لهم عرفـت باسـم "سـانت أبراهام" ، كما أقاموا في الساحة الأمامية من الحرم ديراً([2]).

وبسبب استمرار الاضطهاد الصليبي ضد المسلمين في الخليل ، فقد آثر بعـض رجـال الخليل من المسلمين ، الرحيل عنها إلى بلاد إسلامية أخرى ، ومن هناك انطلقوا للجهـاد ضـد الصليبيين ، ولعل أشهر من ذكرته المصادر من هؤلاء المجاهدين ، الشيخ الزاهد عبد الـرحمن الحلحولي. الذي ينسب إلى بلده حلحول([3]) ، ونزح منها إلى دمشق ، وظل الحلحولي يشارك في أعمال الجهاد ضد الصليبيين إلى أن استشهد دفاعاً عن دمشق أثناء تعرضـها لهجـوم جيـوش الحملة الصليبية الثانية 543هـ/1148م([4]).

ومهما يكن من أمر ، فإن الصليبيين كانوا يعيشون في أوروبا في ظلام دامس ، وكـان مستواهم الحضاري هابط جداً ، وقد اتصفوا بالتخلف والجهل وسوء الخلق([5]) ، وقد قدموا إلـى الشرق غازين ، ولم يأتوا في سبيل طلب العلم ، إنما كـانوا يبحثـون عـن الأمـوال وإقامـة المستعمرات والمراكز التابعة لهم في قلب المشرق العربي بهدف استغلال موارده ، والحـصول على أكثر قدر ممكن من ثرواته([6]).

---

[1]) الصوري ، تاريخ ، جـ1 ، صـ560.

[2]) السيد ، الخليل ، صـ329.

[3]) حلحول: قرية بين بيت المقدس وقبر إبراهيم الخليل ، انظر: الحموي ، معجم البلدان ، جـ2 ، صـ290.

[4]) أبو شامة ، الروضتين ، جـ1 ، صـ52.

[5]) رنسيمان ، تاريخ ، جـ2 ، ق2 ، صـ520-521. باركر ، الحروب ، صـ68-69. البيشاوي ، الممتلكات ، صـ374.

[6]) وبست ، تاريخ ، صـ177-178. المعاضيدي ، تاريخ ، صـ23.

لقد كان العلماء والمتعلمون قلة بين الصليبيين ، كما يذكر "أنتـــوني وبـــست" ، وكانـــت الحروب الصليبية تمثل هجوم جماعات جاهلة على عالم متحضر متمدن([1]) ، ولذلك لـــم يـــسعَ الصليبيون أثناء وجودهم في الشرق ، إلى تقليل الفارق الكبير في المستوى العلمي بيـــنهم وبـــين المسلمين ، ولم يهتموا بإنشاء المدارس ولا بتشجيع الحياة العلمية ، بل إنهم قاموا بتعطيـــل مـــا تبقى من مظاهر الحركة الفكرية في المدن الفلسطينية كافة ، التـــي ســـيطروا عليهـــا ، فخنقـــت الحريات الدينية للمسلمين ، وعطلت شعائرهم الدينية([2]) ، وقد أشار ابن منقـــذ إلـــى المـــستوى العلمي المتدني الذي كان يعاني منه الصليبيون ، وتحدث عن نماذج من عجيب طـــبهم ، حيـــث كانوا يلجئون إلى قتل المريض لتخليصه من الألم([3]) ، كما أشار أيضاً إلى انحطـــاط أخلاقهـــم ، ووصفهم بأنهم قوم "ليس عندهم شيء من النخوة والغيرة ، يكون الرجل منهم يمشي هو وامرأته يلقاه رجل آخر يأخذ المرأة ويعتزل بها ويتحدث معها ، والزوج واقف ناحية ينتظر فراغها مـــن الحديث ، فإذا طولت عليه خلاها مع المتحدث ومضى"([4]).

وقد أورد ابن منقذ في كتابه "الاعتبار" عدة حوادث تدل على انعدام النخوة والغيرة لـــدى الصليبيين ، وقد علق عليها مستهجناً: "فانظروا إلى هذا الاختلاف العظيم مـــا فـــيهم غيـــرة ولا نخوة"([5]).

وهكذا ، يتضح مما سبق أن الصليبيين بعيد احتلالهم لفلسطين ، كانوا بعيدين كل البعـــد عن الجوانب والمظاهر الأخلاقية والحضارية ، ولم يرغبوا في الانـــدماج فـــي الحيـــاة العامـــة للمسلمين أو الإفادة من حضارتهم وعلومهم وثقافتهم ، وظلوا حوالي قرنين من الزمـــان ، وهـــم في معركة تنازع كبرى مع المسلمين ، ولهذا كانت الدولة الصليبية في حقيقتها ، دولة عـــسكرية دينية ليس لها رغبة مباشرة في التزود بالقيم العربية الإسلامية([6]).

---

[1]) وبست ، تاريخ ، صـــ177-178.

[2]) عبد المهدي ، الحركة ، صـــ36. كاهن ، الشرق ، صـــ215.

[3]) ابن منقذ ، الاعتبار ، صـــ152.

[4]) المصدر نفسه ، صـــ154.

[5]) المصدر نفسه ، صـــ153-155.

[6]) يوسف ، علاقات ، صـــ268.

الرحالة الأوربيون:

كان من أهم مظاهر الحياة العلمية في فلسطين في عصر الحروب الصليبية ، قدوم عدد كبير من الرحالة والحجاج الأوربيين إليها ، وقد تعددت الدوافع التي دفعت بالأوروبيين إلى القدوم لفلسطين ، إلا أنه كان من أبرزها ، الرغبة في الحج والكتابة عن اقتصاد الأراضي المقدسة ، وحياة سكانها السياسية والاجتماعية ، ووصف المدن والقرى ، وجعلوا جل اهتمامهم على زيارة الأماكن الدينية المسيحية التي ارتبطت بسيرة السيد المسيح عليه السلام ووصفها كما شاهدوها([1]).

ومهما يكن من أمر ، فقد كان من أوائل الرحالين الذين قدموا إلى فلسطين:

1- سايولف Saewulf:

قام الرحالة سايولف برحلته إلى فلسطين ما بين 496-497هـ/1102-1103م ، وتحتل رحلة سايولف مكانة خاصة بين الرحلات الأوروبية إلى الأراضي المقدسة ، لعدة اعتبارات أهمها ، كون زيارة سايولف لفلسطين جاءت في بداية الاستقرار الفرنجي في الأراضي المقدسة والاستيلاء على بيت المقدس ، وهي تعطي لنا صورة هامة عن الصراع الإسلامي الصليبي خلال ذلك العهد المبكر ، كما أنها تلقي الضوء على الصعاب التي واجهت بعض الحجاج من أجل الوصول إلى الأماكن المقدسة لدى جموع المسيحيين ، وفضلاً عن ذلك ، احتوت الرحلة على تناول هام لمظاهر التدمير والتخريب اللذين حلا بالعديد من المدن الفلسطينية([2]).

ومن المعلومات المهمة التي تحويها رحلة سايولف ، ما ذكره بشأن المقاومة الإسلامية ضد الحجاج القادمين من أوروبا ، إذ كان المسلمون يقومون بإعداد كمائن على طول الطريق الممتدة من يافا حتى بيت المقدس ، وقد أشار سايولف إلى جثث القتلى الملقاه هنا وهناك على طول الطريق دون أن يجرؤ أحد من الصليبيين على دفنها بسبب الخوف الذي كان يسيطر عليهم ، لأنهم كانوا يخشون من التعرض لنفس المصير([3]).

---

[1]) بورشارد ، وصف ، مقدمة الكتاب ، صـ5. عوض ، الرحالة ، صـ16.

[2]) سايولف ، وصف ، مقدمة المترجم ، صـ5. عوض ، الرحالة ، صـ42.

[3]) سايولف ، وصف ، صـ23. عوض ، الرحالة ، صـ43-44.

ومن الواضح أن حركة المقاومة الإسلامية ضد الصليبيين القادمين من الغرب الأوروبي ، كانت منظمة ، وتعتمد على عنصر المفاجأة وأسلوب الكر والفر ، لتحقيق أكبر قدر ممكن من الخسائر في صفوف الصليبيين.

ومن الجوانب المهمة في رحلة سايولف ، إشاراته إلى مستشفى القديس يوحنا المعمدان John the paptist ، وهذه الإشارة تعد الأولى من نوعها في مؤلفات الرحالة الأوروبيين الذين زاروا فلسطين وهي تحت حكم الصليبيين في خلال تلك المرحلة المبكرة للمستشفى التي أسسها الأمالفيون ، أهل مدينة أمالفي الإيطالية والتي كانت نواة هيئة الإسبتارية([1]) في مملكة بيت المقدس([2]).

كذلك أمدنا سايولف بمعلومات حول الصراع البحري بين الجيش الفاطمي من ناحية والصليبيين من ناحية أخرى ، وذلك من خلال محاولات الفاطميين دعم دفاعات المدن الساحلية في بلاد الشام التي كانت تابعة لهم ، والتي لم تكن قد سقطت بعد في قبضة أعدائهم الصليبيين([3]) ، وفي هذا المجال ، يعد سايولف شاهد عيان معاصر لمناوشات حربية وقعت بين الطرفين ، إذ أنه يذكر ، بينما كانت السفينة التي تقله تمر فيما بين حيفا وعكا ، ظهرت ست وعشرون سفينة من سفن المسلمين ، وكانت تابعة لقائد صور وصيدا ، من أجل شن الحرب ضد ملك بيت المقدس ، وقد كادت تجري معركة بين السفينة التي تقل سايولف والسفن الفاطمية ، وأشار سايولف إلى أن سفينته احتوت على رجال مسلحين من أجل الدفاع عنها من هجمات الأعداء ، وأنهم كانوا على أهبة الاستعداد للموت من أجل عقيدتهم ، وذكر أن عددهم بلغ المائتين ، وذكر سايولف أيضاً ، أن قائد أسطول المسلمين طلب من أحد أتباعه أن يقوم

---

[1]) هيئة الإسبتارية: هذه هي التسمية العربية لطائفة الفرسان الهسبتاليين ، وهي تحريف ظاهر للفظ الإنجليزي Hospitallers ، وقد أسس هذه الطائفة ، جيرارد Gerard ، في سنة 492هـ/1099م ، بعد استيلاء الصليبيين على بيت المقدس ، ثم تطورت إلى منظمة دينية دولية ضخمة ، وأصبح لها فروع في معظم أنحاء أوروبا ، وقد لعبت دوراً خطيراً في الحروب الصليبية ، وفي سنة 507هـ/1113م اعترف بابا روما بهيئة فرسان الإسبتارية ، وأثبت حقوقها الكاملة في بلاد الشام وأوروبا ، انظر: King, The Knights,p.19. البيشاوي ، الممتلكات ، صـ99 ، هامش (2).

[2]) سايولف ، وصف ، صـ29. عوض ، الرحالة ، صـ50.

[3]) عوض ، الرحالة ، صـ47.

بالصعود إلى سارية السفينة من أجل أن يتبين ما يفعله الصليبيون ، وعنـدما علـم بامكانـاتهم الحربية لاذ بالفرار([1]).

والجدير بالذكر أن سايولف ، بالرغم من روايته لأحداث رحلته ، وتناولـه لكثيـر مـن الجوانب الهامة على المستويات السياسية والاجتماعية والحربية والدينية في فلـسطين ، إلا أنـه تجاهل وأغفل بعض الحقائق التاريخية ، ومن أمثلتها ، ارتكاب الـصليبيين ومـسؤوليتهم عـن مذبحة المسجد الأقصى الوحشية ضد المـسلمين حـدثت صـباح يـوم الجمعـة ، 22 شـعبان 492هـ/15 يوليو 1099م ، واستمرت عدة أيام وراح ضحيتها (كما تذكر المصادر العربية) ما يزيد على سبعين ألفاً ، واعترفت بها المصادر التاريخية الصليبية ، بل أن المؤرخين الـصليبيين المتأخرين عنها ، مثل وليم الصوري لم يستطع إغفالها ، وذكرها في تاريخه (وقد سبق الإشارة إلى ذلك) ، ومع ذلك أغفل سايولف الإشارة إليها على الرغم أنه زار بيت المقدس بعـد عـامين فقط من أحداث المذبحة المروعة.

2- الحاج الروسي دانيال الراهب Daniel:

قـام الرحالـة "دانيـال" برحلتـه إلـى فلـسطين فـي الفتـرة الواقعـة مـا بـين 500-501هـ/1106-1107م([2]) ، وتعد رحلته من المصادر المهمة لدراسة أحوال تلك البلاد في بداية الاستيطان الصليبي ، فقد تعرض "دانيال" لمختلف جوانـب الحيـاة الـسياسية والاقتصادية والاجتماعية في فلسطين خلال بداية العدوان الصليبي عليها ، فقد أبرز بعـض الإشارات الاقتصادية المهمة وخاصة في مجالات الزراعة والصناعة والتجـارة ، ففـي مجال الزراعة ، زودنا بمعلومات قيمة عن أهم المزروعات التي كانت تشتهر بهـا فلـسطين ، خاصة زراعة الزيتون والكرمة والأشجار المثمرة ، والخضروات ، والحبوب([3]) ، وفي مجال الصناعة ، زودنا بمعلومات عن أهم الصناعات التي كانت سائدة في فلـسطين وقتـذاك ، خاصة صناعة استخراج زيت الزيتون ، وصناعة النبيذ ، كما أشار

---

[1]) سايولف ، وصف ، صـ48. عوض ، الرحالة ، صـ47. وقد أشار ابن القلانسي إلى المواجهات البحرية بين الفاطميين والصليبيين من خلال مهاجمة الأسطول الفاطمي المواقع الصليبية على الساحل الشامي ، انظر: ابن القلانسي ، تاريخ ، صـ222-223.

[2]) دانيال ، وصف ، صـ39.

[3]) المصدر نفسه ، صـ79 ، 92.

إلى العلاقات التجارية بين بيت المقدس ونابلس ، فقد ذكر أن بيت المقدس كانت تجلب كثيراً من احتياجاتها من نابلس وضواحيها([1]) ، وفضلاً عن ذلك ، فقد أشار "دانيال" إلى نشاط حركة التجارة والقوافل في فلسطين ، خاصة ما بين عكا وبيت المقدس ، وفي هذا المجال أشار إلى أنه التحق بقافلة تجارية كبيرة كانت متجهة من عكا إلى بيت المقدس([2]).

ومن أهم الإشارات التي أبرزها "دانيال" في رحلته ، إشارته إلى حركة المقاومة الإسلامية ضد الصليبيين ، حيث إنه وصف هذه الحركة بقوله: "كان المسلمون يقومون بذبح الحجاج على الطريق"([3]).

ويبدو أن دانيال ، بقوله هذا ، أراد أن يبرز المجاهدين المسلمين بأنهم قتله ، وتجاهل ونسي ذكر القتله الحقيقيين وهم الصليبيون الغزاة ، كما أنه تجاهل ذكر الأسباب الحقيقية التي جعلت المسلمين يقومون بأعمال المقاومة ضد الصليبيين.

وبالإضافة إلى ما ذكر ، فقد زودنا دانيال أيضاً بوصف لأهم المدن والقرى التي زارها مثل: بيت المقدس ، والناصرة ، وعكا ، وحيفا ، وقيسارية ، ونابلس ، وغيرها([4]).

ومهما يكن من أمر ، فإن رحلة دانيال احتوت على كثير من المعلومات التي أفادت في إلقاء الضوء على جوانب مختلفة ومهمة من مجمل الأوضاع في مملكة بيت المقدس الصليبية خلال تلك المرحلة المبكرة من تاريخها.

3- الرحالة الألماني الورزبرجي John of Wurzburg:

تعد رحلة الحاج الألماني "يوحنا الورزبرجي" إلى فلسطين من أهم الرحلات الأوروبية التي وصفت الأرضي المقدسة خلال فترة الحروب الصليبية ، وتكمن أهمية هذه الرحلة في أن صاحبها تناول مختلف جوانب أوضاع الصليبيين سواء الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية والكنسية ، كما أنه اهتم ببعض الجوانب الطبية ، وكان شاهد عيان عليها.

---

[1]) دانيال ، وصف ، صـ92.

[2]) المصدر نفسه ، صـ105. عوض ، الرحالة ، صـ82.

[3]) دانيال ، وصف ، صـ48. عوض ، الرحالة ، صـ78. سبق أن أشار الرحالة سايولف إلى خطورة هذه الطريق ، وهي الممتدة ما بين يافا وبيت المقدس.

[4]) دانيال ، وصف ، صـ104-106.

قام الورزبرجي برحلته بين عامي 1160-1170([1]) ، ولعل من أثـرى مـا احتوتـه رحلته ، ما ذكره عن الجانب الطبي والعلاجي في مملكة بيـت المقـدس الـصليبية حينـذاك ، خاصة من خلال تناوله لهيئة الإسبتارية ودورها العلاجي ، فقد ذكر أن مستشفى القديس يوحنـا المعمدان احتوت على حجرات عديدة ضمت عدداً كبيراً من المرضى سـواء مـن الرجـال أم النساء ، إذا بلغ عددهم ألفي شخص ومنهم من يحتضر ، وهؤلاء يبلغ عددهم أكثر من خمـسين شخصاً يومياً ، وإن هذا العدد من المرضى تم تسجيله ورصده فـي الوقـت الـذي كـان فيـه الورزبرجي متواجداً في المستشفى([2]).

ولعل ما ذكره الورزبرجي عن نسبة الوفيات التي بلغت أكثر من خمسين شخـصاً يوميـاً ، يؤكد على عدم قدرة وسائل المعالجة لدى الصليبيين وضعف مستواهم الطبي([3]).

4- الرحالة الألماني ثيودريش([4]) Theoderich:

كان ثيودريش متواجداً في فلسطين في شهر ذي القعدة 559هـ/سبتمبر 1164م ، وقـد صاغ ثيودريش أحداث رحلته على هيئة كتاب صنفه بعد عودته إلى ألمانيا بعد استعادة المسلمين بيت المقدس سنة 583هـ/1187م([5]).

تكمن أهمية رحلة الرحالة الألماني ثيودريش في احتوائها على العديـد مـن الجوانـب المتعلقة بمملكة بيت المقدس الصليبية ، فهي تقدم معلومات وتفاصيل قيمة عن الأماكن المـسيحية المقدسة في فلسطين ، مثل: كنسية القديسة حنه ، وكنيسة الضريح المقـدس ، كنيـسة القديـسة مريم ، وكنيسة القديسة هيلانه([6]) ، وتمتاز رحلة ثيودريش بالدقة والصدق ، فقد اهـتم كرحالـة ورجل دين بتدوين كل ما شاهده، وتسجيل كل أثر أو حادثة صغيرة أكانت أم كبيرة، أما الأماكن

---

[1]) عوض ، الرحالة ، صـ124.

[2]) John of Wurzburg, Description, p. 44.

[3]) ذكر ابن منقذ في كتابه "الاعتبار" أن الأطباء الصليبيين كانوا يقتلون مرضاهم لتخليصهم من الألم ، كما أشار إلى انحطاط المستوى الطبي لديهم ، انظر: ابن منقذ ، الاعتبار ، صـ152-153.

[4]) ثيودريش: لم يعرف عنه سوى اسمه الأول ، ولم تزودنا المصادر المعاصرة بأية معلومات عن نسبه ومكان مولده ونشأته أو عن الأعمال التي كان يمارسها ، انظر: ثيودريش ، وصف ، مقدمة المحقق ، صـ11.

[5]) ثيودريش ، وصف ، مقدمة المحقق ، صـ15 ، 19.

[6]) المصدر نفسه ، صـ61-70.

أو الأحداث التي لم يشاهدها بنفسه ، فقد اعتمد في روايتها إما على شهود عيان يثق بصدقهم أو على مصادر كتابية موثقة لديه ، وهذا ما أكده بقوله: "وقد جمعنا جزءاً ممـــا رأينـــاه بأنفـــسنا ، وجزءاً مما سمعناه من التقارير الصادقة"([1]).

ومن المعلومات المهمة التي ذكرها ثيودريش ، حديثه عن الإسبتارية ، فنجـده يـصف المستشفى التي تنسب إلى القديس يوحنا المعمدان ، ويرى ثيودريش أنه لا يوجد شخص بامكانـه أن يخبر الآخر كم هي جملية مبانيها ، وهي مزودة بالحجرات والأسرة والمستلزمات الأخـرى اللازمة لعلاج المرضى ، وفيها أسرة تقدر بأكثر من ألف سرير([2]). ومن الواضح هنا أن إشارة الرحال ثيودريش عن تلك المستشفى تعطي دليلاً واضحاً على أنه كان شـاهد عيـان ، إذ أنـه زارها بنفسه ، وكتب تلك الإشارات على هذا الأساس ، مما يعطي لروايته قيمة علميـة كبيـرة ويجعلها تتفق مع قيمة رواية يوحنا الورزبرجي ، الذي زار هو أيضاً المستشفى ، ومـع ذلـك تفوق الأحيز عليه من حيث إيراده الأرقام محددة عن عدد من تستوعبهم المستشفى ، وكذلك عدد الوفيات من المرضى ، كما تقدم ذكره.

ومن المعلومات التي أمدنا بها ثيودريش ، تلك التي أشارت إلـى القـلاع والحـصون الصليبية التي سيطر عليها فرسان المعبد وفرسان الإسبتارية ، إذ أنه ذكرهـا وحـدد مواقعهـا بدقة كبيرة ومنها على سبيل المثال ، لا الحصر ، قلعة "عكارون" الجديدة بجانب شاطئ البحـر مقابل عكا([3]).

وبالإضافة إلى ما سبق ، فقد احتوت تلك الرحلة على بعض الجوانب الاقتصادية ، فقـد أشار ثيودريش إلى أنه كان هناك عدد من المسلمين ، كانوا يعملون في الأراضي الزراعية التي امتلكها كبار القيادات السياسية الصليبية([4]) ، ويبدو أن الأوضاع العسكرية والأمنية للـصليبيين ، وانشغالهم بالحروب في تلك الفترة حرمتهم من العمل بالزراعة ، ولـذلك اسـتعان الـصليبيون بالمسلمين للعمل في هذا المجال ، وقد أشار ثيودريش إلى كثير مـن المزروعـات والأشـجار المثمرة التي اشتهرت بها فلسطين([5]).

---

[1]) ثيودريش ، وصف ، صـ53.
[2]) المصدر نفسه ، صـ78. عوض ، الرحالة ، صـ181-182.
[3]) ثيودريش ، وصف ، صـ105 ، 123.
[4]) المصدر نفسه ، صـ125.
[5]) المصدر نفسه ، صـ105 ، 109.

وعلى أية حال ، فإن رحلة الرحالة الألماني ثيودريش ، تبقى من المصادر المهمة التي احتوت على كثير من المعلومات المتعلقة بأوضاع ممكلة بيت المقدس ، ولاسيما الجوانب السياسية والاقتصادية والطبية وغيرها.

أثر الحروب الصليبية على الغرب الأوروبي من الناحية العلمية:

فوجئ الصليبيون – الذين كانوا غارقين في بحر من الجهالة والتخلف – بالمستوى الحضاري الرفيع الذي تمتع به العرب ، مما دفعهم إلى الاندماج في حياة الشرق ، والاقتباس من علوم العرب وفنونهم وصناعاتهم وعاداتهم وتقاليدهم وأنظمتهم ، وأن ينقلوها إلى لغاتهم ، وإلى عالمهم الأوروبي ، ومع أن الصليبيين جاءوا إلى الشرق بهدف سياسي لا ثقافي ، إلا أنهم وجدوا أنفسهم على اتصال بالثقافة العربية([1]).

وهكذا فتحت الحروب الصليبية عيون الغرب على الشرق ، وأنهت عزلة الأوروبيين عما في الشرق من حضارة ، وألقت ضوءاً على ما فيه من تقدم علمي وازدهار حضاري ، الأمر الذي أدى إلى حدوث يقظة أوروبية شاملة في شتى المجالات في المجتمع الأوروبي ، وليس من المصادفة أن تبدأ أوروبا نهضتها العلمية ويقظتها الفكرية من المناطق التي وصل إليها المسلمون ، وذلك لأنهم تركوا تراثاً حضارياً رائعاً([2]).

كانت أولى مظاهر الاندماج بين الصليبيين والمسلمين ، وتأثير الجانب الحضاري في فلسطين على الغرب الأوروبي متمثلة في رغبة الصليبيين في معرفة وتعلم اللغة العربية ، ورغم أن اللغة حالت دون التمازج والتفاعل الفكري والثقافي بين المسلمين والصليبيين ، إلا أن عدداً كبير من الصليبيين أُضطر إلى تعلم هذه اللغة ، حتى يسهل عليهم التعامل مع المسلمين والتفاهم معهم في أوقات السلم والحرب([3]).

---

[1]) العمري ، تاريخ العلم ، صـ256. فوزي ، الوسيط ، صـ176. النقاش ، العلاقات ، صـ135.

[2]) أبو خليل ، الحضارة العربية ، صـ589-590.

[3]) الحويري ، الأوضاع ، صـ220. عطية ، المسلمون ، صـ26.

وخير دليل على رغبة الصليبيين لتعلم اللغة العربية أن ابن جبير عندما زار عكا مع إحدى قوافل التجارة ، شاهد كُتاب الديوان – وهو "خان" معد لنزول القافلة – الصليبيين ، وهم يكتبون باللغة العربية ويتحدثون بها([1]).

ويأتي في مقدمة الذين اهتموا بمعرفة اللغة العربية وتذوق آدابها ، المؤرخ الصليبي "وليم الصوري" الذي أجاد القراءة والكتابة بها إجادته اللاتينية ، وألَّف - بناءً على رغبة صديقه وسيده عموري الأول ملك بيت المقدس - كتاباً عن تاريخ الشرق بوجه عام والغرب بوجه خاص ، منذ ظهور الإسلام إلى زمنه ، وتناول فيه الحديث عن محمد صلى الله عليه وسلم وأمراء الشرق أجمعين ، وأسمى كتابه هذا: تاريخ ، Une Historia Sara Cenorum ، وللأسف ضاع هذا المخطوط الكبير([2]).

ولم يحاول المسلمون معرفة لغة الصليبيين كما يصنع أغلب الذين يختلطون بهم من التجار ونحوهم ، وأسامة بن منقذ الذي خالط البعض منهم ، وصادقه لم يكن يحسن غير لغته العربية ، وهو يقول عن الفرنج: "إنهم لا يتكلمون إلا بالإفرنجي ، ما ندري ما يقولون" ، وفي مكان آخر يشير إلى إمرأة فرنجية "تبربر بلسانهم ، وما ندري ما تقول"([3]).

وكان لتأثير اللغة العربية واهتمام الصليبيين بها أن انسابت كثير من الكلمات والمصطلحات العربية في اللغات الأوروبية مثل: الكحول ، الجبر ، القلويات ، السكر ، الليمون ، كمون ، أمير البحار (الأميرال) ، دار السفن البحرية ، الفضة ، السوق ، دينار ، تعريفة ، أريكة([4]).

ولعبت الحروب الصليبية دوراً مهماً في إبراز عدد من المؤرخين الأوروبيين الذين اشتهروا بكتاباتهم التاريخية ومؤلفاتهم المهمة ، حيث تناولت هذه المؤلفات وصف الحملات الصليبية على الشرق ووصف المدن والمواقع ، وتسجيل وتوثيق الأحداث والمعارك ، وما شابه ذلك ، وكان "وليم الصوري" من أشهر مؤرخي الصليبيين إذ عُدَّ أب التاريخ في عصره ، سرد

---

[1]) ابن جبير ، رحلة ، صـ236.

[2]) النقاش ، العلاقات ، صـ200. الحويري ، الأوضاع ، صـ220.

[3]) ابن منقذ ، الإعتبار ، صـ153-154 ، 160.

[4]) عاشور ، أوروبا ، جـ2 ، صـ487. العمري ، تاريخ العلم ، صـ263. فوزي ، الوسيط ، صـ180. الحويري ، الأوضاع ، صـ228-229.

الحوادث التاريخية ، ووصفها ، ودققها ، وقد امتلك أعظم صفتين لكتابة التاريخ وهما: إيمانه بالحقيقة ، والمعرفة الشخصية بأصحاب الحوادث ، بحكم منصبه ، فقد كان رئيساً لديوان الإنشاء في مملكة بيت المقدس ، الأمر الذي مكنه من امتلاك ثروة عظيمة من المعلومات المتعلقة بشؤون الدولة وقضاياها المختلفة([1]).

وقد صنف وليم الصوري كتابه المشهور "تاريخ الحروب الصليبية" المسمى "الأعمال المنجزة فيما وراء البحار" ، تناول فيه الحوادث حتى سنة 579هـ/1183م([2]).

أما في الجانب الاقتصادي ، فقد أفاد الصليبيون من الخبرات الكبيرة للمسلمين سواء في القطاع الزراعي أم الصناعي ، ففي مجال الزراعة حاول الصليبيون الإفاده من تجارب وخبرات المسلمين في الحياة الزراعية ، ومعرفتهم الجيدة بأساليب وطرق الزراعة بمحاصيلها المتنوعة ، فقد ضرب المسلمون الذين عاشوا في الإمارات الصليبية بسهم وافر في ازدهار الزراعة في هذه الإمارات ، وعرف الصليبيون لأول مرة محاصيل جديدة غريبة عليهم ، ولم يكونوا يدركون طرق ولا مواسمَ زراعتِها أو ريها ، فكان لابد لهم – مع قلة مواردهم البشرية وقلة خبراتهم في مجال الزراعة – من الاعتماد على سكان البلاد الأصليين ، وكان غالبية هؤلاء من المسلمين([3]).

ومن أشجار الفاكهة والمزروعات المشهورة في فلسطين التي اهتم بها الصليبيون ، ونقلوها إلى أوروبا: قصب السكر والليمون والبطيخ والمشمش والخوخ والسمسم والأرز والذرة الشامية والثوم([4]).

واعتمد الصليبيون كذلك على المزارعين الفلسطينيين في زراعة المحاصيل التي كانت تحتاج إليها الأسواق الأوروبية مثل: القمح والشعير ، والأشجار المثمرة مثل: أشجار الكروم والزيتون والرمان وقصب السكر([5]).

---

[1]) Archer, The Crusades, pp. 440-441. Miller, The Latin, pp. 350-351.

[2]) الكتاب مطبوع ، نشرته دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، انظر: قائمة المصادر والمراجع.

[3]) عطية ، المسلمون ، صـ24. النقاش ، العلاقات ، صـ169 ، 173.

[4]) براور ، الاستيطان ، صـ342. النقاش ، العلاقات ، صـ177-178.

[5]) دانيال ، وصف ، صـ79. بورشارد ، وصف ، صـ167-168. عطية ، المسلمون ، صـ24.

أما في مجال الصناعة ، فقد أفاد الصليبيون من خبرة ومهارة الصناع المسلمين ، فقد ازدهرت الصناعات في الإمارات الصليبية بفضل هؤلاء الصناع ، خاصة إذا ما تطرق الأمر إلى صناعات لم يكن يعرفها الفرنج ، ونقلوها إلى أوروبا([1]) ، ونستعرض فيما يلي أهم هذه الصناعات:

1- صناعة السكر:

عرف الصليبيون زراعة قصب السكر في فلسطين ، كما تعلموا استخراج السكر منه ، فأقاموا لذلك مصانع في عكا وصور ، وفي منطقة الأغوار ، لوفرة زراعة القصب هناك ، لكن عكا برزت إلى حد كبير في هذه الصناعة ، حيث أنشأ الأمراء الصليبيون عدداً من المصانع لتكرير السكر بها([2]).

2- صناعة الصابون:

اشتهرت فلسطين بصناعة الصابون منذ القدم([3]) ، وفي عصر الحروب الصليبية ، انتشرت المصانع العديدة لصنعه في نابلس وعكا وحيفا ، وقد استخدم الصليبيون زيت الزيتون في صناعة الصابون([4]).

3- صناعة الزجاج:

كانت مدينتا عكا والخليل من أهم مراكز صناعة الزجاج في فلسطين ، وقد وصلت هذه الصناعة إلى درجة عالية من الاتقان ، حيث قام الصليبيون بتطويرها ونقلها إلى أوروبا([5]).

4- صناعة النحاس:

كان من أبرز المدن الفلسطينية التي اشتهرت بالصناعات النحاسية ، قيسارية ، وقد قام الصليبيون بصناعة الأواني النحاسية البديعة التي ازدانت بها قصور الملوك والأمراء ، إذ كان ينقش عليها مشاهد دينية ، ويحفر على جوانبها حكمٌ وأشعار بحروف ذهبية([6]).

---

[1]) عطية ، المسلمون ، صـ24. النقاش ، العلاقات ، صـ179.

[2]) بورشارد ، وصف ، صـ168. براور ، الاستيطان ، صـ434. كرد علي ، خطط ، جـ4 ، صـ157. سلامة ، عكا ، صـ137-138. عاشور ، الحركة ، جـ1 ، صـ391.

[3]) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، صـ154.

[4]) النقاش ، العلاقات ، صـ183. كرد علي ، خطط ، جـ4 ، صـ159. سلامة ، عكا ، صـ138.

[5]) ماير ، تاريخ ، صـ232. كرد علي ، خطط ، جـ4 ، صـ217. سلامة ، عكا ، صـ139.

[6]) Benvenisti, The Crusaders,p. 387.

النقاش ، العلاقات ، صـ183-184. سلامة ، عكا ، صـ139.

5- صناعة الذهب والفضة:

اهتم الصليبيون بصناعة الذهب والفضة في حياتهم ، فحرصوا علـــى ارتـــداء الحلـــي الثمينة ، وقلدوا المسلمين في صناعة الذهب والفضة ، وقد كان للحُلي سوق رائجـــة ، وخاصـــة في بيت المقدس ، كما اشتهرت هذه الصناعة في مدن الخليل ونابلس وعكا([1]).

6- صناعة المعدات الحربية:

اقتبس الصليبيون من المسلمين صناعة المعدات الحربيـــة ، مثـــل معـــدات الحـــصار ، كالمنجنيق ، والدبابة ، واستخدام النيران على هيئة قدائف ، وطريقة استخدام الأقـــواس الـــصلبة وارتداء الدروع الثقيلة التي يلبسها الفرسان ويلبسونها خيولهم([2]).

وأفاد الصليبيون كذلك ، من أساليب المهارة العربية في بناء وتشييد الحـــصون والقـــلاع والأبراج الحربية ، فقد استغل الصليبيون أسرى الحرب مـــن المـــسلمين مـــن ذوي المهـــارات الحرفية في عمليات تشييد وبناء القلاع والحصون ، سواء النجارون منهم أم البناءون ، وتمـــدنا المصادر الإسلامية برواية تدل على اهتمام الصليبيين بالمحافظة على حياة هـــؤلاء المـــسلمين ، فبالرغم من تهور "رتيشارد الأول" ملك إنجلترا ، الذي أمر بذبح سكان عكا المسلمين فـــي عـــام 587هـــ/1191م بعد أن تعثرت مفاوضاته مع الملك الناصر صلاح الدين آنـــذاك ، فقـــد أبقـــى الفرنج على حياة رجل واحد فقط من المسلمين كـــان "معروفـــاً مقـــدماً أو قويـــاً للعمـــل فـــي عمائرهم"([3]).

هكذا كانت الحروب الصليبية جسراً من عدة جسور التقى فيها الشرق المتحضر بالغرب المتأخر ، واستطاع الصليبيون من خلال اندماجهم بالمسلمين والتعرف إلى علومهم وحضارتهم وثقافتهم أن يفيدوا منها في مجالات كثيرة ، وكل ذلك ساهم في خلق نهضة فكرية واسعة في أرجاء أوروبا.

---

[1]) حتي ، تاريخ ، جـــ2 ، صـــ256. النقاش ، العلاقات ، صـــ184. أبو الكـــاس ، النـــشاط الاقتـــصادي ، صـــ92.

[2]) حتي ، تاريخ ، جـــ2 ، صـــ251. أبو الكاس ، النشاط الاقتصادي ، صـــ88. باركر ، الحروب ، صـــ146-147.

[3]) ابن شداد ، النوادر ، صـــ174. أبو شامة ، الروضتين ، جـــ2 ، صـــ189. ابن واصل ، مفرج ، جـــ2 ، صـــ364. النقاش ، العلاقات ، صـــ162.

العلماء الفلسطينيون في عصر الحروب الصليبية:

أخمدت الحركة الفكرية داخل فلسطين بسبب الغزو الصليبي ، وممارسات الصليبيين الوحشية ضد المسلمين (وقد تقدم ذكر ذلك) ، وفي ضوء ذلك ، لم يستطع العلماء الفلسطينيون ممارسة نشاطاتهم الفكرية داخل فلسطين ، لكنهم برزوا وأبدعوا وساهموا في الحياة العلمية والحركة الفكرية في خارجها ، ومنهم:

1- الإمام العالم المفتي الفقيه العَّلامة أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يحيى العثماني المقدسي الشافعي ، ولد سنة 462هـ/1069م ، وهو من أهل نابلس ، أقام ببيت المقدس مدة ، كتب الأحاديث بها وسمعها ، وتفقه بالشام على الفقيه أبي الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي ، وسمع منه الحديث ، ثم رحل إلى بغداد ، ودرس بها ، وعقد فيها مجالس التدريس والوعظ ، توفي سنة 527هـ/1132م([1]).

كما كان الإمام العالم محمد بن أحمد شاعراً ، ومن شعره:

دع دموعي يحقُ لي أن أنوحا   لم تدع لي الذنوبُ قلباً صحيحاً
أخلقت مهجتي أكف المعاصي   ونعاني المشيب نعياً فصيحاً
كما قلتُ قد برا جرح قلبي   عاد قلبي من الذنوب جريحاً
إنما الفوز والنعيم لعبد   جاء في الحشرِ أمناً مستريحاً([2])

2- عبد الرحمن بن المسجف بدر الدين بن القاسم الكناني العسقلاني ، كان من أهل العلم الذين نسبوا إلى عسقلان ، برع في الشعر والأدب ، ولد عام 535هـ/1140م ، وتوفي سنة 583هـ/1187م([3]).

3- العالم الفقيه أبو علي ، الحسين بن مفرج بن حاتم المقدسي ، أحد فقهاء الشافعية ، حدث وأفتى ، وكانت له مجالس وعظ ، توفي سنة 535هـ/1140م([4]).

---

[1]) السمعاني ، الأنساب ، جـ2 ، صـ523. ابن الأثير ، الكامل ، جـ8 ، صـ699. الذهبي ، سير ، جـ14 ، صـ528. ابن كثير ، طبقات ، جـ2 ، صـ577. ابراهيم ، فضائل ، صـ404-405.

[2]) ابن كثير ، البداية ، جـ12 ، صـ222.

[3]) الدباغ ، بلادنا ، جـ8 ، صـ177. لم أعثر على ترجمته في حدود المصادر التي رجعت إليها ، وقد أورده الدباغ دون الإشارة إلى أية مصادر.

[4]) ابن الصلاح ، طبقات ، جـ2 ، صـ746. ابن كثير ، طبقات ، جـ2 ، صـ596.

4- الإمام العالم الفقيه ، أبو محمد عبد الله بن علي بن سعيد القصري([1]) ، كان فقيهاً فاضـــلاً ، تفقه في العراق علي يد أبي بكر الشاشي ، بالمدرسة النظامية التي أقامها الوزير نظام الملــك ، ثم ارتحل إلى دمشق حيث عمل بالتدريس ، وعقد فيها حلقات الوعظ والمناظرة ، ثم انتقل إلـــى حلب فسكنها ، وكان يدرس بها إلى أن توفي سنة 542هـــ/1147م([2]).

5- العالم أبو المثنى عبد الحميد بن عبد الله بن الحسن العسقلاني الشافعي ، كان من أبرز علماء عسقلان ، ولد سنة 471هـــ/1078م ، كان يعرف بالقاضي ، أخذ العربية علـــى ابـــن بلبـــل([3]) النحوي العسقلاني ، وله أشعار ونظم ، هاجر إلى الإسكندرية ، وعمره ، 85 سنة ، بعد ســقوط عسقلان بيد الصليبيين([4]).

6- العالم الفقيه ، أبو الحسن علي بن عساكر بن سرور ، الشيخ الأمين ، المعمر ، ولــد ســنة 458هـــ/1065م ، سمع من الفقيه نصر بن إبراهيم المقدسي في سنة 470هـــ/1077م ، ســكن دمشق بعد استيلاء الفرنج على بيت المقدس ، حدَّث عنه الحافظ ابن عــساكر وابنـــه القاســم ، وجماعة ، توفي بدمشق سنة 553هـــ/1158م([5]).

7- الإمام العالم الفقيه الشافعي ، أبو المعالي مجلي بن جُميع بـــن نجـــا الأرســـوفي الأصـــل ، المصري الدار والوفاة ، تفقه على الفقيه سلطان بن إبراهيم المقدسي ، برع واجتهد حتى أصـــبح من كبار الأئمة والفقهاء في عصره ، تولى أبو المعالي القضاء بمصر من سنة 547هـــ/1152م وحتى سنة 549هـــ/1154م ، ومن تصانيفه في الفقه كتاب "الذخائر في فـــروع الـــشافعية"([6]) ، وله أيضاً كتاب أدب القضاء سماه "العمدة" ، توفي أبو المعالي سنة 550هـــ/1155م([7]).

---

[1]) القصري: نسبة إلى قصر حيفا ، وهي موضع بين حيفا وقيسارية ، انظر: الحموي ، معجم البلدان ، جـــ4 ، صـــ357.

[2]) السبكي ، طبقات ، جـــ4 ، صـــ80. الأسنوي ، طبقات ، جـــ2 ، صـــ161-162. ابن كثير ، طبقـــات ، جـــ2 ، صـــ628. الدباغ ، بلادنا ، جـــ11 ، صـــ487.

[3]) ابن بلبل: أبو الحسن علي بن الحسين ، للمزيد عن ترجمته ، انظر: القفطي ، انباه ، جـــ2 ، صـــ254.

[4]) السلفي ، معجم السفر ، صـــ206.

[5]) الذهبي ، سير ، جـــ15 ، صـــ129. الأسنوي ، طبقات ، جـــ2 ، صـــ235. ابن العماد ، شذرات ، جـــ4 ، صـــ342.

[6]) حاجي خليفة ، كشف ، جـــ1 ، صـــ620.

[7]) ابن خلكان ، وفيات ، جـــ4 ، صـــ154. الذهبي ، سير ، جـــ15 ، صـــ110. اليافعي ، مرآة ، جـــــ3 ، صـــ297. ابن قاضي شهبة ، طبقات ، جـــ1 ، صـــ321-322. السيوطي ، حُسن ، جـــ1 ، صـــ189.

8- العالم المحدث أبو زُرعة ، طاهر بن الحافظ محمد بن طـاهر المقدسـي الأصـل ، ولـد بالري([1]) سنة 481هـ/1088م ، سمع الكثير من العلماء ، ومما كان يرويه ، مسند الـشافعي ، توفي أبو زرعة سنة 566هـ/1170م([2]).

9- العالم الفقيه أبو الحسن ، علي بن الحسين بن علي الرملي ، كان فاضلاً في الفقه ، وعالمـاً من علماء النحو واللغة ، تفقه في دمشق ، وعمل بالتدريس في المدرسة النظامية ببغداد ، تـوفي سنة 569هـ/1173م([3]).

10-العالم أبو محمد ، عبد الله بن أبي الوحش بري بن عبد الجبار المقدسي الأصل ، ولد بمصر سنة 499هـ/1105م ، كان أحد أئمة اللغة والنحو في زمانه ، شاع ذكره بمـصر ، واشـتهر ، ولم يكن في الديار المصرية مثله ، قصده الطلبة من كل مكان ، وكان يتـصدر بجـامع مـصر لإقراء العربية ، من مصنفاته: "غلط الضعفاء من الفقهاء" ، و"شرح شواهد الإيضاح" ، و"جواب المسائل العشر" ، توفي عبد الله بن بري سنة 582هـ/1186م([4]).

11- القاضي الفاضل البيساني: أصيبت الحياة العلمية والفكرية في بيسان فـي ظـل الاحـتلال الصليبي بانتكاسة خطيرة ، وتراجعت تراجعاً كبيراً ، وذلك من جراء السياسة الـصليبية التـي أقدمت على قتل عدد كبير من العلماء والفقهاء في بيت المقدس بعد سقوطها ، وما ارتكبوه مـن مجازر في المدن التي احتلوها (وقد تقدم ذكر ذلك) ، ولذلك لم يكن متوقعاً أن يبقـى هنـاك أي نوع من أنواع النشاط العلمي في ظل هذه الظروف التي ألمت بالمدينة([5]) ، وعليه أجبرت الأسر الفلسطينية في بيسان وغيرها من المدن ، على الهجرة ، وكان من هذه الأسر: أسـرة البيـساني فقد تركت هـذه الأسرة مواطنها الأصلية في بيسان سنة 492هـ/1098م ، واتجهت إلى مدينة

---

[1]) الري: مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن ، وهي قصبة بلاد الجبال ، انظر: الحمـوي ، معجـم البلدان ، جـ3 ، صـ116.

[2]) الذهبي ، سير ، جـ3 ، صـ47. ابن كثير ، البداية ، جـ12 ، صـ284. ابن العماد ، شذرات ، جـ4 ، صـ398.

[3]) الأسنوي ، طبقات ، جـ1 ، صـ290.

[4]) ابن الصلاح ، طبقات ، جـ1 ، صـ505. الذهبي ، جـ3 ، صـ94. اليافعي ، مرآة ، جـ3 ، صـ424. السبكي ، طبقات ، جـ4 ، صـ77-78. ابن كثير ، البداية ، جـ12 ، صـ342. السيوطي ، بغية ، جـ2 ، صـ34. ابن قاضي شهبة ، طبقات ، جـ2 ، صـ27. ابن العماد ، شذرات ، جـ4 ، صـ460. الـدباغ ، بلادنا ، جـ3 ، صـ236.

[5]) نعيرات ، إقطاعية ، صـ214-215.

عسقلان التي كانت خاضعة للنفوذ الفاطمي آن ذاك([1]). وفي عسقلان سنة 529هـ/1134م ، ولد القاضي الفاضل ، أبو علي ، عبد الرحيم بن القاضي الأشرف أبي الحسن علي البيساني الأصل ، المصري الدار ، أشهر من نبغ من أهل عسقلان([2]).

عاش القاضي الفاضل نحو سبعة عشر عاماً من حياته في عسقلان في كنف والديه ، فدرس القرآن والحديث وديوان "الحماسة"([3]) وغيرها من العلوم ، في جوامع المدينة ، وسمع الحديث من الحافظ أبي القاسم بن عساكر([4]) ، وطاهر السلفي ، وأبي الطاهر بن عوف([5]) ، وغيرهم([6]).

ونظراً للأوضاع الصعبة والحياة العسيرة التي شهدتها فلسطين في ظل العدوان الصليبي عليها ، فقد أوصى علي بن محمد ، ولده القاضي الفاضل أن يمضي إلى مصر ليكمل دراسته ،ويختط بها طريقه في الحياة ، وقد عبر القاضي الفاضل عن ذلك بقوله "أرسلني والدي ، وكان إذ ذاك قاضياً بثغر عسقلان ، إلى الديار المصرية في أيام الحافظ([7]) ، وهو أحد خلفائها ،

---

[1]) ابن شداد ، الأعلاق ، جـ2 ، ق2 ، صـ136. نعيرات ، إقطاعية ، صـ108 ، 215. شكيل ، القاضي الفاضل ، صـ11 ، 37.

[2]) ابن خلكان ، وفيات ، جـ3 ، صـ161. الذهبي ، سير ، جـ15 ، صـ469. اليافعي ، مرأة ، جـ3 ، صـ485-486. الأسنوي ، طبقات ، جـ2 ، صـ137. المقريزي ، المواعظ ، جـ2 ، صـ366. ابن قاضي شهبة ، طبقات ، جـ2 ، صـ30-31. السيوطي ، حُسن ، جـ1 ، صـ270.

[3]) الحماسة: ديوان آلفه الشاعر أبو تمام ، حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس الطائي ، المتوفى سنة 228هـ/842م ، للمزيد عن ترجمته ، انظر: ابن خلكان ، وفيات ، جـ2 ، صـ11-26. الذهبي ، سير ، جـ9 ، صـ354-357.

[4]) ابن عساكر: الإمام العلامة ، محدث الشام ، ولد سنة 499هـ/1105م ، وتوفي سنة 571هـ/1175م. للمزيد عن ترجمته ، انظر: ابن خلكان ، وفيات ، جـ3 ، صـ309-311. الذهبي ، سير ، جـ15 ، صـ254-262.

[5]) ابن عوف: الشيخ الإمام ، إسماعيل بن مكي بن إسماعيل بن عوف ، ولد سنة 485هـ/1092م ، وتوفي سنة 581هـ/1185م. للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ15، صـ344. ابن العماد ، شذرات ، جـ4 ، صـ455.

[6]) الذهبي ، سير ، جـ15 ، صـ469. شكيل ، القاضي الفاضل ، صـ40. شعث ، القاضي الفاضل ، صـ76.

[7]) الحافظ: الظافر بالله ، صاحب مصر ، أبو منصور ابن الحافظ لدين الله عبد المجيد بن محمد ، ولد سنة 527هـ/1132م ، وتوفي سنة 549هـ/1154م. للمزيد عن ترجمته ، انظر: ابن خلكان ، وفيات ، جـ1 ، صـ237-238. الذهبي ، سير ، جـ11 ، صـ605-606.

وأمرني بالمسير إلى ديوان المكاتبات ، وكان الذي يرأس به في تلك الأيام رجلاً يقال لــه ابــن الخلال([1]) ، فلما حضرت الديوان ومثلت بين يديه وعرفته مَنْ أنا ومــا طلبــي ، رحــب بــي وسهل ، ثم قال: ما الذي أعددت لفن الكتابة من الآلات؟ فقلت: ليس عندي شيء سوى أني أحفظ القرآن الكريم وكتاب "الحماسة" ، فقال: وفي هذا بلاغ ، ثم أمرني بملازمته ، فتــرددت عليــه ، وتدربت بين يديه([2])".

كما اتصل القاضي الفاضل بابن قادوس([3]) ، كاتب الإنشاء بالديار المصرية ، وتعلم منه أساليب الكتابة والإنشاء ، وكان القاضي الفاضل يعظمه ويقدره([4]).

ولم تطل إقامة القاضي الفاضل بالقاهرة ، فتركها ومضى إلى الإسكندرية وأقــام فيهــا زهاء ثماني سنوات يعمل في ديوان الإنشاء ، حتى تولى الوزارة في القــاهرة ، العــادل ابــن الصالح بن رزيك([5]) ، حيث خرج أمره إلى والي الإسكندرية بتسييره إلى الباب ، فلمــا حــضر استخدمه بحضرته وبين يديه في ديوان الجيش([6]).

---

[1]) ابن الخلال: الأديب ، البليغ ، موفق الدين ، أبو الحجاج ، يوسف بن محمد ، المعــروف بــابن الخــلال ، المتوفى سنة 566هــ/1170م ، للمزيد عن ترجمته ، انظر: الأصفهاني ، خريدة ، جــ1 ، صــ235. ابن خلكان ، وفيات ، جــ7 ، صــ219-225. الذهبي ، سير ، جــ15 ، صــ225. وفي المواعظ: ابن الجلال. انظر: المقريزي ، المواعظ ، جــ2 ، صــ366. والأرجح أنه "ابن الخلال" حــسب معظــم المــصادر العربية.

[2]) أبو شامة ، الروضتين ، جــ1 ، صــ192. ابن خلكان ، وفيات ، جــ7 ، صــــ219-220. الأســنوي ، طبقات ، جــ2 ، صــ137.

[3]) ابن قادوس: شيخ القاضي الفاضل ، أبو الفتح ، محمود بن إسماعيل بن قادوس الكاتب الشاعر ، توفي سنة 551هــ/1156م. للمزيد عن ترجمته ، انظر: الأصفهاني ، خريدة ، جــ1 ، صــــ226-234. الــسيوطي ، حُسن ، جــ1 ، صــ269.

[4]) ابن كثير ، البداية ، جــ13 ، صــ31. بدوي ، الحياة الأدبية ، صــ356.

[5]) ابن الصالــح بــن رزيك: للمزيــد عـــن ترجمتـــه ، انظـــر: ابــن خلكــان ، وفيــات ، جــــ2 ، صــ526-530.

[6]) ابن خلكان ، جــ3 ، صــ162. الأسنوي ، طبقات ، جــ2 ، صــ138. المقريزي ، المواعظ ، جــــ2 ، صــ366. النعيمي ، الدارس ، جــ1 ، صــ68. بدوي ، الحياة الأدبية ، صــ357.

فلما قدم أسد الــدين شــيركوه([1]) إلــى الــديار المــصرية ، وتــولى الــوزارة ســنة 564هــ/1168م ، احتاج إلى كاتب ، فأحضر إليه القاضي الفاضل ، وأعجبه إتقانــه ، وجعلــه صاحب الديوان([2]).

وعندما آلت الوزارة إلى صلاح الدين الأيوبي([3]) سنة 564هــ/1168م ، وولــي أمــر مصر ، استخلصه لنفسه ، وحسن اعتقاده فيه ، فاستعان به علــى مــا أراد من إزالــة الدولــة الفاطمية ، حتى تم مراده ، فجعله كاتبه ووزيره ومشيره بحيث كان لا يصدر أمــراً إلا عــن مشورته ، ولا ينفذ شيئاً إلا عن رأيه ، ولا يحكم في قضية إلا بتدبيره([4]).

وهكذا برز دور القاضي الفاضل ، فكان الساعد الأيمن للملك الناصر صــلاح الــدين ، يعتمد عليه في إدارة كل ما يتعلق بشؤون دولته ، وصار لسانه إلى الخلفاء والملوك والأمــراء ، وأصبح أعز عليه من أهله وأولاده ، حتى أن الملك الناصر كان يكلفه أحياناً بتصريف شــؤون دولته أثناء غيابه ، وتناول القاضي الفاضل برسائله جميع ما تتطلبه الدولة من شــؤون داخليــة وخارجية ، يسجل أحداث المملكة ، ويذيع المنشورات ، ويصور حوادث الحروب مع الفــرنج ، ويكتب رسائل الفتوح والاستنفار ، ويصف الحصون والمعارك ، ولهــذا كــان لرســائله قيمــة تاريخية كبرى إلى جانب قيمتها الأدبية التي أظهرت القاضي بأنه صاحب العبــارة والفــصاحة والبلاغة والبراعة([5]).

---

[1]) أسد الدين شيركوه: عم السلطان صلاح الدين الأيوبي ، توفي سنة 564هــ/1168م ، للمزيد عن ترجمته ، انظر: ابن الأثير ، الكامل ، جــ9 ، صـــ221-222. ابن شداد ، النوادر ، صـــ40. ابن واصل ، مفــرج ، جــ1 ، صـــ163-168.

[2]) أبو شامة ، الروضتين ، جــ1 ، صـــ159. ابن خلكان ، وفيات ، جــ3 ، صـــ162. ابن واصل ، مفرج ، جــ1 ، صـــ161. الذهبي ، سير ، جــ15 ، صـــ471. الأسنوي ، طبقات ، جــ2 ، صـــ138. المقريزي ، المواعظ ، جــ2 ، صـــ366.

[3]) صلاح الدين الأيوبي: يوسف بن أيوب بن شاذي ، الملقب الملك الناصر صلاح الــدين ، صــاحب الــديار المصرية والبلاد الشامية ، ولد سنة 532هــ/1137م ، وتوفي بقلعة دمشق سنة 589هــ/1193م. للمزيد عن ترجمته ، انظر: ابن شداد ، النوادر ، صـــ7-34. أبو شامة ، الروضتين ، جــ1 ، صـــــ173-174. ابــن خلكان ، وفيات ، جــ7 ، صـــ139-203. ابن واصل ، مفرج ، جــ1 ، صـــ168-171. الذهبي ، ســير ، جــ15 ، صـــ434-442.

[4]) ابن كثير ، البداية ، جــ13 ، صـــ31. المقريزي ، المواعظ ، جــ2 ، صـــ366.

[5]) ابن كثير ، البداية ، جــ13 ، صـــ31. النعيمي ، الدارس ، جــ1 ، صـــ67. بــدوي ، الحيــاة الأدبيــة ، صـــ359. شعث ، القاضي الفاضل ، صـــ77.

ومما يُشير إلى منزلة القاضي الفاضل الرفيعة لدى الملك الناصر صلاح الدين ، ما قاله مخاطباً أمراء الجند بقوله : "لا تظنوا أني فتحت البلاد بسيوفكم ، إنما فتحتها بقلم القاضي الفاضل([1]).

ومما لاشك فيه ، أن في قول الملك الناصر ، تأكيد واضح على الأهمية الكبرى لشخصية القاضي الفاضل ، والدور الفعَّال لكتاباته وخطبه وأسلوبه وعباراته التي كانت تؤثر في نفوس المسلمين من قادة وجند ، تحثهم وتشجعهم على الصبر والصمود والثبات والجهاد.

واهتم القاضي الفاضل بالحياة العلمية ، فقد بنى بالقاهرة سنة 580هـ/1184م ، المدرسة الفاضلية بجوار داره ، وهي من أعظم مدارس مصر ، وقفها على الشافعية والمالكية ، وجعل شرط مدرسها أن يكون عالماً بالمذهبين ، وألحق بها مكتبة ، بلغت كتبها مائة ألف كتاب ، كما بنى بجانب المدرسة كتاباً للأيتام([2]).

وقد أثنى عليه العماد الكاتب الأصفهاني ، ثناءً عظيماً ووصفه بالصفات الحميدة والخصال الرفيعة ، وقد عبَّر الأصفهاني عن ذلك بقوله : "القاضي الأجل ذو الجلالة والفضل ، والنباهة والنبل ، والسلطان بنجح سعيه متبرك ، وبنصح رأيه متمسك ، وبطوله عالم ، وبقوله عامل ، وبعبارته قائل ، ولإشارته قابل ، ويستنير بنوره ، ويستشيره في أموره ، ويفاوضه في تفويضاته ، ويتبرك بميامنه ، ويتيمن ببركاته ، واجتنى جني الإرادة من صنائعه ، وافتتح الأقاليم بمفاتيح أقلامه ، وأحكم المملكة بثبوت أحكامه ، وجاءه بالوجاهة في دينه ودنياه لإسعافه وإسعاده([3])".

---

[1]) ابن العماد ، شذرات ، جـ5 ، صـ38. الأصفهاني ، الفتح ، مقدمة المحقق ، صـ27. شكيل ، القاضي الفاضل ، صـ288. شعث ، القاضي الفاضل ، صـ77 ، 81.

[2]) ابن خلكان ، وفيات ، جـ3 ، صـ162. الذهبي ، سير ، جـ15 ، صـ469. الأسنوي ، طبقات ، جـ2 ، صـ137. ابن كثير ، البداية ، جـ13 ، صـ31. النعيمي ، الدارس ، جـ1 ، صـ69. أحمد ، الحياة ، صـ12.

[3]) الأصفهاني ، الفتح ، صـ217. كان الأصفهاني كاتب الإنشاء في الدولتين النورية والصلاحية ، وكان مبرزاً في النظم والنثر ، ولد سنة 519هـ/1125م ، وتوفي سنة 597هـ/1200م. للمزيد عن ترجمته ، انظر: الحموي ، معجم الأدباء ، جـ7 ، صـ10-22. ابن الأثير ، الكامل ، جـ9 ، صـ534. أبو شامة ، الروضتين ، جـ1 ، صـ144-145. ابن خلكان ، وفيات ، جـ5 ، صـ147-152.

وإلى جانب الكتابة وصناعة الإنشاء ، كان القاضي الفاضل شـاعراً ، ولكنـه أشـتهر بالكتابة أكثر من اشتهاره بالشعر ، يقول ابن كثير: "والعجب أن الفاضل مع براعته ، لـيس لـه قصيدة طويلة ، وإنما له ما بين البيت والبيتين في أثناء رسائله وغيرها"([1]).

ومن شعره ، ما أنشده عند وصوله إلى الفرات في خدمة صلاح الدين ، متشوقاً إلـى نيل مصر:

بالله قل للنيل عني إنني	لم أشف من ماء الفرات غليلا
وسل الفؤاد فإنه لي	إن كان جفني بالدموع بخيلاً
يا قلبُ خلَّفتَ ثم بُثينةً	وأعيذ صبرك أن يكون جميلا([2])

ومن شعره أيضاً:

بتنا على حالٍ يسرُ الهوى	وربما لا يمكن الشرحُ
بوابنا الليلُ وقلنا لهُ	إن غبت عنا دخل الصبح([3])

وبعد وفاة الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي سنة 589هـ/1193م ، استمر القاضـي الفاضل على ما كان عليه عند ولده العزيز عثمان([4]) في المكانة والرفعة ، وظل مخلـصاً وفيـاً معطاءً لوطنه ودينه حتى توفي بمدرسته بالقاهرة سنة 596هـ/1199م([5]).

---

[1]) ابن كثير ، البداية ، جـ13 ، صـ32. وابن كثير: هو الفقيه الشافعي ، عماد الدين ، إسماعيل بن عمر بن كثير ولد سنة 700هـ/1300م ، وتوفي سنة 774هـ/1372م. للمزيد عن ترجمته ، انظـر: ابـن العمـاد ، شذرات ، جـ6 ، صـ432-433.

[2]) ابن خلكان ، وفيات ، جـ3 ، صـ160. حسن ، تاريخ ، جـ4 ، صـ509.

[3]) ابن خلكان ، وفيات ، جـ3 ، صـ160. ابن كثير ، البداية ، جـ13 ، صـ33.

[4]) الملك العزيز عثمان: أبو الفتح ، عماد الدين ، عثمان ابن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بـن أيـوب ، صاحب مصر ، ولد سنة 567هـ/1171م ، وتوفي سنة 595هـ/1198م. للمزيد عن ترجمته ، انظر: ابـن خلكان ، وفيات ، جـ3 ، صـ251-253. ابن واصل ، مفرج ، جـ3 ، صـ82-83. الـذهبي ، سـير ، جـ15 ، صـ442-444.

[5]) الحموي ، معجم البلدان ، جـ1 ، صـ527. ابن الأثير ، الكامل ، جـ9 ، صـ522. أبـو شـامة ، الروضتين ، جـ2 ، صـ239. ابن خلكان ، وفيات ، جـ3 ، صـ162. أبو الفداء ، المختـصر ، جـ2 ، صـ187. الذهبي ، الإعلام ، صـ245. ابن كثير ، البداية ، جـ13 ، صـ31. المقريزي ، المواعظ ، جـ2 ، صـ366.

12- ابن القيسراني: ومن العائلات الفلسطينية التي أُجبرت على الرحيل من بلدتها نتيجة العدوان الصليبي على فلسطين ، أسرة القيسراني ، فقد اضطرت هذه الأسرة ، مثل غيرها من الأسر ، لترك بلدتها عكا عند استيلاء الفرنج عليها سنة 494هـ/1101م ، واتجهت إلى قيسارية ، ولم يطل بقاؤها فيها فهاجرت إلى مدينة حلب([1]) بعد استيلاء الفرنج على قيسارية سنة 494هـ/1101م([2]).

نبغ من هذه الأسرة ، الأديب ، سيد الشعراء ، أبو عبد الله ، محمد بن نصر بن صغير بن داغر ، المعروف بابن القيسراني ، ولد بعكا سنة 478هـ/1085م ، ونشأ بقيسارية ، ثم هاجر مع أسرته إلى حلب([3]).

سمع بحلب ، وقرأ الأدب على أبي عبد الله ابن الخياط الشاعر([4]) ، وأصبح حامل لواء الشعر في زمانه ، وأتقن الهندسة والحساب والنجوم([5]).

سمع منه الحافظ أبو القاسم ابن عساكر ، وأبو المعالي الحظيري([6]) ، وغيرهما.

---

[1]) حلب: مدينة عظيمة واسعة كثيرة الخيرات ، وهي قصبة جند قنسرين ، سميت حلب لأن إبراهيم عليه السلام كان يحلب فيها غنمه ، انظر: الحموي ، معجم البلدان ، جـ2 ، صـ282. ابن العديم ، زبدة ، صـ7.

[2]) ابن القلانسي ، تاريخ ، صـ224-225. ابن شداد ، الأعلاق ، جـ2 ، ق2 ، صـ251. ابن كثير ، جـ12 ، صـ172. باشا ، الأدب ، صـ175. الدباغ ، الموجز ، صـ111. الدباغ ، القبائل ، صـ234.

[3]) السمعاني ، الأنساب ، جـ4 ، صـ575. الحموي ، معجم الأدباء ، جـ7 ، صـ50. الذهبي ، سير ، جـ15 ، صـ44. النعيمي ، الدارس ، جـ2 ، صـ298. ابن العماد ، شذرات ، جـ4 ، صـ321. باشا ، الأدب ، صـ174.

[4]) ابن الخياط الشاعر: أبو عبد الله ، أحمد بن محمد بن علي بن يحيى بن صدقة المعروف بابن الخياط ، الشاعر الدمشقي، ولد سنة 450هـ/1058م ، وتوفي سنة 517هـ/1123م. للمزيد عن ترجمته ، انظر: ابن خلكان ، وفيات ، جـ1 ، صـ145-147.

[5]) ابن خلكان ، وفيات ، جـ4 ، صـ458. الذهبي ، سير ، جـ15 ، صـ44. النعيمي ، الدارس ، جـ2 ، صـ298. ابن العماد ، شذرات ، جـ4 ، صـ320.

[6])الحظيري: نسبة إلى الحظيرة ، وهي قرية كبيرة ، من أعمال بغداد ، انظر: الحموي ، معجم البلدان ، جـ2 ، صـ274. وهو: أبو المعالي ، سعد بن علي بن قاسم ، توفي سنة 568هـ/1172م. للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ15 ، صـ267-268.

برع ابن القيسراني في الشعر ، فقد كان وابن منير([1]) ، شاعري الشام في عهد الملك العادل نور الدين بن زنكي ، ولهما القصائد الطنانة في مدحه([2]).

ومما أنشده ابن القيسراني ، في قصيدة للملك العادل نور الدين ، يهنئه بها باستيلائه على سنجار([3]) ، قوله:

في عسكر يُخفي كواكب لَيله ... نقْعٌ فيُطلِعُها القنا الخطَّارُ
جرار أذيال العَجاجِ وراءَهُ ... وأمَامَهُ بلْ جَحفلٌ جَرَّارُ
تُدنِي لكَ الغاياتُ هِمتُكَ التي ... كَبُرتْ كذا هِممُ الملُوكِ كِبارُ
وملكتُ سِنجاراً وما من بلدةٍ ... إلا تَمنتْ أنهَّا سِنجارُ
وبَسطتَ بالأموالِ كَفاً طالما ... طالتْ به الآمالُ وهي قِصارُ
وَثَنى الفراتُ إلى يدَيْكَ عِنَانهُ ... والبحرُ ما اتصلتْ به الأنهارُ([4])

وله في الغزل:

بالسفحِ مِنْ لُبنانَ لي ... قَمرُ مَنازِلُهُ القلــوبُ
حَملَــتْ تَحيتَهُ الشَّما ... لُ فَردَهَا عَني الجُنــوبُ
فَرْدُ الصفاتِ غَريبُها ... والحُسْنُ في الدُنيا غَريبُ
لم أنسَ ليلةً قالَ لي ... لَماَ رَأى جَســدي يَذوبُ
بالله قُــلْ يَا فَتــَى ... مَا تَشتْكي؟ قُلتُ الطَّبيبُ([5])

---

[1]) ابن منير: أحمد بن منير بن مفلح الطرابلسي ، ولد سنة 473هـ/1080م ، وتوفي سنة 548هـ/1153م. للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ15 ، صـ44. ابن خلكان ، وفيات، جـ1، صـ156-160.

[2]) الحموي ، معجم الأدباء ، جـ7 ، صـ49. ابن خلكان ، وفيات ، جـ4 ، صـ458.

[3]) سنجار: مدينة مشهورة بأرض الجزيرة بقرب الموصل ، انظر: الحموي ، معجم البلدان ، جـ3 ، صـ262. القزويني، آثار ، صـ393.

[4]) الحموي ، معجم الأدباء ، جـ7 ، صـ58-59. ولابن القيسراني ديوان شعر كبير اطلع عليه كل من: أبو شامة ، وابن خلكان ، انظر: أبو شامة ، الروضتين ، جـ1 ، صـ18. ابن خلكان ، وفيات ، جـ4 ، صـ459.

[5]) الحموي ، معجم الأدباء ، جـ7 ، صـ57. ابن خلكان ، وفيات ، جـ4 ، صـ459.

ومما لاشك فيه أن ابن القيسراني ، وهو سيد الشعراء ، وشاعر الشام ، كان قد ساهم بفنه وشعره في حث الهمم ، وإثارة الحماس في النفوس ، فقد اتخذ من أشكال شعره مجالاً لابراز كفاح المسلمين ، فتحدث عن بطولات الملك العادل نور الدين ، وأشاد بما له من صفات الإقدام والشجاعة ، كما سجل ابن القيسراني بشعره أحداث عصره وصور أحوال مجتمعه ، فكان شاعراً كبيراً ، وعالماً بارزاً من أعلام الشعراء.

13- خالد بن محمد بن نصر القيسراني: وممن برز من عائلة القيسراني ، موفق الدين ، أبو البقاء ، خالد بن محمد بن نصر القيسراني ، ولد بحلب بعد انتقال عائلته إليها ، سمع من أبي طاهر السلفي ، وابن عساكر ، وبمصر من عبد الله بن رفاعة([1]) ، وحدَّث بحلب([2]).

وبفضل علمه وبراعته في كتابة الإنشاء ، عينه الملك العادل نور الدين محمود ، وزيراً له ، وعندما وجد نور الدين أن خطباء المساجد يبالغون في الدعاء له بعبارات رنانة ، تعودوا أن يتقربوا بها إلى قلبه ، طلب نور الدين من وزيره خالد أن يوقف ذلك ، وأن يكتب له صيغة دعاء بسيطة ليس فيها إلا ما يطابق الواقع ، فكتب له صيغة هي "اللهم أصلح عبدك الفقير إلى رحمتك ، الخاضع لهيبتك ، المعتصم بقوتك ، المجاهد في سبيلك ، المرابط لأعداء دينك ، فأقرها نور الدين([3])".

توفي موفق الدين ، خالد بن محمد ، سنة 588هـ/1192م([4]).

14- تاج العُلي ، الأشرف بن الأعز بن هاشم العلوي الرملي الحلبي ، الشيخ العلامة ، الحافظ ، النسابة ، الواعظ ، الشاعر ، ولد بالرملة سنة 482هـ/1089م ، سمع في سنة

---

[1]) عبد الله بن رفاعة: الشيخ الفقيه ، العالم الإمام ، أبو محمد ، ولد سنة 467هـ/1074م ، وتوفي سنة 561هـ/1165م، للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ15 ، صـ179-181. ابن العماد ، شذرات ، جـ4 ، صـ377.

[2]) الذهبي ، العبر ، جـ3 ، صـ97. المقريزي ، المقفى ، جـ3 ، صـ743. ابن العماد ، شذرات ، جـ4 ، صـ483.

[3]) ابن العديم ، زبدة ، صـ354. الذهبي ، العبر ، جـ3 ، صـ97. المقريزي ، المقفى ، جـ3 ، صـ740. ابن قاضي شهبة ، الكواكب الدرية ، صـ69. الدباغ ، بلادنا ، جـ11 ، صـ631.

[4]) المقريزي ، المقفى ، جـ3 ، صـ743. ابن العماد ، شذرات ، جـ4 ، صـ483.

547هـ/1152م من الكروخي([1]) ، كتاب أبي عيسى الترمذي ، وتنقل بين بلدان كثيرة منها: عسقلان ، صور ، الإسكندرية ، البصرة ، المغرب ، دمشق ، الجزيرة ، وأخيراً استقر في حلب سنة 606هـ/1209م ، وتوفي فيها سنة 610هـ/1213 ، ومن مصنفاته: "نكت الأنباء" في مجلدين ، وكتاب "جَنة الناظر وجُنة المناظر" في خمس مجلدات ، في تفسير مائة آية ومائة حديث ، وكتاب في "تحقيق غيبة المنتظر" وما جاء فيها عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وعن الأئمة([2]).

15- الحافظ المقدسي ، الفقيه أبو الحسن علي بن الأنجب أبي المكارم المفضل بن أبي الحسن علي بن أبي الغيث مفرج بن حاتم بن الحسن المقدسي الأصل ، الإسكندراني المولد ، ولد سنة 544هـ/1149م ، وتفقه بالإسكندرية على مذهب الإمام مالك ، رضي الله عنه ، على كثير من الأئمة ، منهم: الحافظ السلفي ، وعبد الله بن بري النحوي ، وروى عنه المنذري والبرزالي وغيرهما ، درس وأفتى ، وانتفع به الناس ، وكان ذا ورع ودين ، حسن الأخلاق ، جامعاً لفنون من العلم ، وله تصانيف كثيرة منها كتاب في الصيام ، توفي أبو الحسن سنة 611هـ/1214م([3]).

16- ابن القطان ، محمد بن الحسن بن محمد بن عبيد الله بن نصر الله المالكي المقدسي الأصل ، المصري المولد ، ولد سنة 537هـ/1142م ، سمع الكثير ، وحدث ، وقرأ الأدب على الإمام العالم عبد الله بن بري ، كان له بمصر شأن كبير ، إذ كان من رؤساء المصريين وأعيانهم ، وكان كاتب يد القاضي الفاضل وصاحبه ، وربي معه ، وكان لا يفارقه سفراً ولا حضراً في صدر دولته ، ويطلعه على أسراره ، توفي بمصر سنة 613هـ/1216م([4]).

---

[1]) الكروخي: الشيخ الإمام أبو الفتح عبد الملك بن أبي القاسم عبد الله بن أبي سهل بن القاسم بن أبي منصور ، ولد بهراة سنة 462هـ/1069م ، وتوفي سنة 548هـ/1153م ، للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ15 ، صـ77-78.

[2]) أبو شامة ، تراجم ، صـ86. الذهبي ، تاريخ ، وفيات سنة 601-610هـ ، صـ363-364. ابن حجر العسقلاني ، لسان الميزان ، جـ1 ، صـ449. كحالة ، معجم المؤلفين ، جـ2 ، صـ301-302. وقد ورد في "لسان الميزان" ، جـ1 ، صـ449 ، وفي معجم المؤلفين ، جـ2 ، صـ301: "الأغر" بالغين المعجمة والراء المهملة. كما ورد في "تراجم رجال القرنين السادس والسابع الهجريين" المعروف بـ"الذيل على الروضتين" ، صـ86: تاج العلاء.

[3]) المنذري ، التكملة ، جـ2 ، صـ306-307. ابن خلكان ، وفيات ، جـ3 ، صـ291-292. الذهبي ، تذكرة ، جـ4 ، صـ123-124. ابن الفرات ، تاريخ ، جـ5 ، صـ165.

[4]) المنذري ، التكملة ، جـ2 ، صـ372-373. المقريزي ، المقفى ، جـ5 ، صـ564.

العلماء الذين قدموا إلى فلسطين المحتلة:

بالرغم من السيطرة الصليبية على فلسطين ، فقد قدم إليها بعض الأعلام والعلمــاء مــن المسلمين ومنهم:

الأمير الفارس الشاعر أبو المظفر ، أسامة بن مرشد بن علي بن منقذ ، الذي يعــد مــن أبــرز العلماء المسلمين الذين قاموا بزيارة فلسطين وهي تحت السيطرة الصليبية كونــه أحــد التجــار المشهورين الذين كانت لهم علاقات صداقة جيدة مع الصليبيين([1]) ، ويحدثنا ابن منقذ عن ذلــك بقوله: "إذا زرت البيت المقدس ، دخلت إلى المسجد الأقصى وفي جانبه مسجد صغير قد جعلــه الفرنج كنيسة ، فكنت إذا دخلت المسجد الأقصى وفيه الداوية وهم أصدقائي يخلــون لــي ذلــك المسجد الصغير أصلي فيه"([2]).

وعلى الرغم من هذه العلاقة الحميمة لابن منقذ مع الصليبيين في أوقات السلم ، إلا أنــه شارك في قتالهم([3]) ، وعلى سبيل المثال ، لا الحصر ، أنه عندما قدم من دمشق إلــى عــسقلان سنة 545هـ/1150م ، ومعه أخوه عز الدولة أبو الحسن علي([4]) ، فإنهما قاما بالمشاركة فــي قتال الصليبيين ، فاستشهد عز الدولة ، على مشارف غــزة سنة 545هـ/1150م([5]) ، ويحدثنا ابن منقذ عن مشاركته في قتال الصليبيين بقوله: "أقمت بعسقلان لمحاربة الفرنج أربعة أشــهر ، هجمنا فيها مدينة يبنى([6]) ، فقتلنا فيها نحو مائة نفس وأخذنا منها أساري"([7]).

---

[1]) ابن منقذ ، الاعتبار ، صـــ103 ، 154 ، 160.

[2]) المصدر نفسه ، صـــ154.

[3]) المصدر نفسه ، صـــ82 ، 113 ، 124.

[4]) أبو الحسن علي: كان من علماء المسلمين وفرسانهم وعبادهم ، فاضلاً أديباً شاعراً ، انظر: ابــن منقــذ ، الاعتبار ، صـــ41. ابن تغري بردي ، النجوم ، جـــ5 ، صـــ289.

[5]) ابن منقذ ، الاعتبار ، صـــ39 ، هامش (45).

[6]) يبنى: بليد قرب الرملة ، انظر: الحموي ، معجم البلدان ، جـــ5 ، صـــ428.

[7]) ابن منقذ ، الاعتبار ، صـــ40.

ومن الواضح تماماً أن العلاَّمة ابن منقذ استطاع بحكمته وحنكته أن يجمع بين العلم والعمل وأعمال المقاومة ، فكان بمثابة العين الساهرة ، ومثال الجندي المجهول ، والفارس الشجاع من علماء المسلمين الذين كانوا يحرصون على مقاومة الصليبيين وإيقاع أكبر عدد ممكن من الخسائر في صفوفهم ، وهكذا ما أكده ابن منقذ بقوله: "فخرجنا يوماً من عسقلان ، نريد الغارة على بيت جبريل([1]) ، فوصلناهم وقاتلناهم"([2]).

ومهما يكن من أمر ، فقد جمع ابن منقذ ، من خلال تنقلاته بين المدن المختلفة وعلاقاته مع الصليبيين ، ثروة عظيمة من المعلومات والمشاهدات والتجارب الشخصية التي أوردها في كتابه "الاعتبار" ، الذي كتبه في دمشق سنة 578هـ/1182م([3]) ، وكان الملك الناصر صلاح الدين قد استدعاه إلى دمشق سنة 570هـ/1174م ، وقربه إليه لخبرته وتجاربه مع الصليبيين ، فكان يستشيره ، ويستأنس برأيه ، وقد أعطاه داراً بدمشق([4]).

ومن شعره الذي أنشده عند لقائه الملك الناصر صلاح الدين ، قوله:

حمدتُ على طول عمري المشيبا وإن كنت أكثرت فيه الذنوبا
لأني حييتُ إلى أن لقيتُ بعد العدو صديقاً حبيباً([5])

ولابن منقذ ديوان شعر في جزأين ، ومما جاء فيه قوله:

مع الثمانين عاث الضعفُ في جسدي وساءتي ضعف رجلي واضطراب يدي
إذا كتبت فخطي مُضطرب كخط مرتعش الكفين مرتعدِ
فأعجبُ لضعفِ يدي عن حملها قلماً من بعدِ حطم القنا في لبةِ الأسدِ
فقل لمن يتمنى طول مـُدته هذي عواقبُ العمر والمددِ([6])

---

[1]) بيت جبريل أو جبرين: بليد بين بيت المقدس وغزة ، انظر: الحموي ، معجم البلدان ، جـ1 ، صـ519.
[2]) ابن منقذ ، الاعتبار ، صـ40.
[3]) المصدر نفسه ، مقدمة الكتاب ، صـ19.
[4]) ابن خلكان ، وفيات ، جـ1 ، صـ196. ابن منقذ ، الاعتبار ، مقدمة الكتاب ، صـ19-20.
[5]) ابن كثير ، البداية ، جـ12 ، صـ254.
[6]) ابن خلكان ، وفيات ، جـ1 ، صـ196. الذهبي ، سير ، جـ15 ، صـ369-370.

ومِمن قدم إلى فلسطين أيضاً في عصر الحروب الصليبية الإمام العالم الفقيه الشافعي تاج الإسلام ، محدث خراسان ، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن العلامة مفتي خراسان أبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني ، ولد بمرو سنة 506هـ/1112م ، سمع ببلاد كثيرة لقي العلماء أخذ عنهم جالسهم روى عنهم اقتدى بأفعالهم ، وكان واسع الرحلة ، جميل السيرة ، درس وأفتى ووعظ ، وله تصانيف كثيرة منها: "تاريخ مرو" ، و"ذيل تاريخ بغداد" و"التذكرة والتبصرة" ، و"فضائل الشام" ، وتوفي أبو سعد سنة 562هـ/1166م([1]).

وقد أكد السمعاني على زيارته إلى بيت المقدس وهي تحت السيطرة الصليبية بقوله: "دخلتها زائراً وأقمت بها يوم وليلة"([2]) ، ويشير العليمي إلى أن أبا بكر الجرجاني محمد بن أحمد بن أبي بكر من أهل جرجان ، المتوفي سنة 543هـ/1148م ، كان قد قصد هو وأبو سعد السمعاني زيارة بيت المقدس فذهبا ولم يفترقا حتى رجعا إلى العراق([3]).

ومنهم أيضاً: ابن جبير ، محمد بن أحمد الأندلسي (ت 614هـ/1217م) ، ولد ابن جبير في مدينة بلنسية([4]) سنة 540هـ/1145م ، كان أحد علماء الأندلس في الفقه والحديث ، بيد أن شهرته التي ملأت الآفاق قامت على كتابه الموسوم بـ"رحلة ابن جبير"([5]).

قام ابن جبير بثلاث رحلات إلى المشرق الإسلامي ، الأولى سنة 578هـ/1182م ، وانتهى منها بعودته إلى نابلس سنة 581هـ/1185م ، والثانية في سنة 585هـ/1181م ، أي بعد أن استرد الملك الناصر صلاح الدين بيت المقدس ، أما الثالثة فكانت سنة 614هـ/1217م، ولكن لم يطل به العمر حيث توفي في الإسكندرية في العام نفسه([6]).

---

[1]) ابن خلكان ، وفيات ، جـ3 ، صـ209-210. الذهبي ، تذكرة ، جـ4 ، صـ75-76. الذهبي ، سير ، جـ15 ، صـ193. السبكي ، طبقات ، جـ4 ، صـ117-118.

[2]) السمعاني ، الأنساب ، جـ5 ، صـ363.

[3]) العليمي ، الأنس ، جـ1 ، صـ440.

[4]) بلنسية ، مدينة مشهورة بالأندلس شرقي قرطبة ، انظر: الحموي ، معجم البلدان ، جـ1 ، صـ490.

[5]) ابن جبير ، رحلة ، صـ5. الذهبي ، سير ، جـ16 ، صـ86-87.

[6]) سالم ، التاريخ ، صـ220-221. عوض ، الجغرافيون ، صـ283-284.

ومن أشهر المدن التي زارها ابن جبير في فلسطين ، مدينة عكا ، التي وصفها بقولـــه: "هي قاعدة مدن الفرنج بالشام ، مرفأ كل سفينة ، وملتقى تجار المسلمين والنصارى من جميـــع الآفاق"([1]).

وقد سجل ابن جبير في كتابه المذكور كل مشاهداته في بلاد الشام وفلسطين أثناء زيارته لتلك البلاد ، وعلى سبيل المثال ، لا الحصر ، فقد أشار إلى بعض عادات الـــصليبيين وحيـــاتهم الاجتماعية ، وقوافل التجارة وحركتها التجارية([2]).

---

[1]) ابن جبير ، رحلة ، صـــ236-237.

[2]) المصدر نفسه ، صـــ238-239.

الفصل الثالث

جهود السلاطين الأيوبيين والمماليك في دعم الحياة العلمية في فلسطين (583هـ - 690هـ/1187م - 1291م)

- **مساهمات علماء فلسطين في الحياة العلمية:**

كانت معركة حطين([1]) الخالدة بمثابة "مفتاح الفتوح الإسلامية" في فلسطين([2]) ، إذ استطاع الملك الناصر صلاح الدين أن يوقع بالصليبيين هزيمة قاضية أدت إلى تساقط مدنهم وحصونهم ، بعد أن أخلتها حامياتها في طول البلاد وعرضها ، في أيدي المسلمين خلال فترة قصيرة من الزمن([3]) ، حيث تم فتح بيت المقدس في رجب 583هـ/أكتوبر 1187م([4]) ، واشتمل الفتح أيضاً ، في نفس السنة المذكورة ، على معظم المدن الفلسطينية وهي: طبرية ، عكا ، حيفا ، قيسارية ، أرسوف ، صفد ، بيسان ، الناصرة ، الرملة ، يافا ، نابلس ، عسقلان ، غزة ، الخليل ، وبيت لحم([5]).

وبعد الفتح الذي حققه الملك الناصر صلاح الدين وإجلاء الصليبيين ، أخذت الحياة العلمية في فلسطين في النهوض ، ونشطت الحركة الفكرية ، وعادت مظاهرها من جديد ، فقد قدم إلى بيت المقدس وغيرها من المدن الفلسطينية الأخرى عدد كبير من العلماء من مصر والشام الذين ساهموا في إحياء وبعث النشاط الفكري الذي كان سائداً في فلسطين قبيل العدوان الصليبي عليها([6]).

---

[1]) معركة حطين: وقعت هذه المعركة في ربيع الآخر 583هـ/يوليو 1187م. انظر عن معركة حطين في: الأصفهاني ، الفتح ، صـ79-80. ابن الأثير ، الكامل ، جـ9 ، صـ385-386. ابن شداد ، النوادر ، صـ75-77. ابن العديم ، زبدة ، صـ408-409. ابن كثير ، البداية ، جـ12 ، صـ342-343. الفيتري، تاريخ ، صـ151. وحطين: موضع بين طبرية وعكا. انظر: الحموي ، معجم البلدان ، جـ2 ، صـ274.

[2]) ابن واصل ، مفرج ، جـ2 ، صـ188.

[3]) ابن كثير ، البداية ، جـ12 ، صـ344. صالح ، الحرم الشريف ، صـ163.

[4]) انظر عن فتح بيت المقدس في: الأصفهاني ، الفتح ، صـ116-117. البنداري ، سنا البرق ، صـ309-311. ابن الأثير ، الكامل ، جـ9 ، صـ397. ابن شداد ، النوادر ، صـ81-82. ابن العديم ، زبدة ، صـ411-412. ابن واصل ، مفرج ، جـ2 ، صـ215. النويري ، نهاية ، جـ28 ، صـ404. القوصي ، صلاح الدين ، صـ41. أمين ، الحروب الصليبية ، صـ176.

[5]) الأصفهاني ، الفتح ، صـ199-200. ابن الأثير ، الكامل ، جـ9 ، صـ389-390 ، 394. ابن شداد ، النوادر ، صـ79-80 ، 95. ابن العديم ، زبدة ، صـ410-411. أبو شامة ، الروضتين ، جـ2 ، صـ88. ابن خلكان ، وفيات، جـ7 ، صـ177-178. ابن شداد ، الأعلاق ، جـ2 ، ق2 ، صـ137 ، 147. ابن واصل ، مفرج ، جـ2 ، صـ202 ، 209.

[6]) الأصفهاني ، الفتح ، صـ137-138. ابن شداد ، النوادر ، صـ82. أبو شامة ، الروضتين ، جـ2 ، صـ97. ابن خلكان ، وفيات ، جـ7 ، صـ179.

وقد عبر عن هذا النشاط العماد الكاتب الأصفهاني بقوله: "وجلس السلطان للهناء ، للقاء الأكابر والأمراء والمتصوفه والعلماء ، وهو جالس على هيئة التواضع وهيبة الوقار بين الفقهاء وأهل العلم جلسائه الأبرار"([1]).

ومما يدلل أيضاً على انتعاش الحياة العلمية بعد الفتح ما عبَّر عنه أبو شامة في وصفه للصخرة المشرفة ووجود العلماء بقوله: "ولقد غسلت من أدران الكفر وأدناسه وطهرت من أرجاس أنجاسه ، وأعيد إليها ذكر الله تعالى بعد طوال الغربة ، وسكن العلماء والفقهاء في مواطن البطرك وأبدل الكفر بالإيمان ، وخرج البطاركة والقسيسون من مساجد الأئمة ، وعادت الكنائس مدارس ، وجلس العلماء والفقهاء في مجالس الرهبان ، وفتحت بهذا الفتح أبواب الجنان"([2]).

ولا أدل على مكانة العلماء والفقهاء ، مما حدث في أول جمعة صليت ببيت المقدس بعد الفتح ، فقد تسابق إلى الخطابة يوم الجمعة كل واحد من العلماء الذين كانوا مع صلاح الدين ، وجهز كل واحد منهم خطبة بليغة طمعاً في أن يكون هو الذي يعين لذلك ، فلما حان وقت الخطبة أذن الملك الناصر صلاح الدين إلى القاضي ابن الزكي([3]) أن يخطب ، فكان ابن الزكي صاحب أول خطبة خطبت في بيت المقدس([4]) ، ولما قضيت الصلاة ، عقد الفقيه الواعظ

---

[1]) الأصفهاني ، الفتح ، صـ130. العليمي ، الأنس ، جـ1 ، صـ474.

[2]) أبو شامة ، الروضتين ، جـ2 ، صـ98-99.

[3]) ابن الزكي: قاضي قضاة دمشق الفقيه الشافعي أبي المعالي محمد بن زكي الدين علي بن محمد ، ولد بدمشق سنة 505هـ/1111م ، وتوفي سنة 598هـ/1201م. للمزيد عن ترجمته ، انظر: أبو شامة ، تراجم ، صـ31-32. ابن خلكان ، وفيات ، جـ4 ، صـ229-237. الذهبي ، سير ، جـ15 ، صـ479-480.

[4]) الأصفهاني ، الفتح ، صـ138-139. ابن الأثير ، الكامل ، جـ9 ، صـ399. أبو شامة ، تراجم ، صـ32. ابن خلكان ، وفيات ، جـ4 ، صـ230. ابن واصل ، مفرج ، جـ2 ، صـ218. ابن الفرات ، تاريخ ، مج4 ، جـ2 ، صـ243-244. السلامي ، مختصر ، ورقة 307. انظر نص خطبة ابن الزكي في: أبو شامة ، الروضتين ، جـ2 ، صـ110-112. ابن خلكان ، وفيات، جـ4 ، صـ230-236. ابن واصل ، مفرج ، جـ2 ، صـ219-227.

وقد خطب ابن الزكي ببيت المقدس بعد هذه الخطبة ثلاث خطب كلها من إنشائه. انظر: أبو شامة ، الروضتين ، جـ2 ، صـ110. ابن واصل ، مفرج ، جـ2 ، صـ228.

ابن نجا([1]) مجلساً للوعظ ، جلس فيه مع الملك الناصر صلاح الدين ومن حوله جمع غفير من الناس ، وكان مجلساً حافلاً حصل له الأنس والبهجة والخشوع([2]).

ولا أدل على مكانة العلماء ورجال الدين أيضاً في عصر صلاح الدين مما ذكره عبد اللطيف البغدادي([3]) أثناء زيارته إلى بيت المقدس سنة 588هـ/1192م بقوله: "توجهت إلى القدس فرأيت ملكاً عظيماً يملأ العين روعة ، والقلوب محبة ، وأصحابه يتشبهون به ، يتسابقون إلى المعروف ، وأول ليل حضرته ، وجدت مجلساً حافلاً بأهل العلم ، يتذاكرون في أصناف العلوم ، وهو يحسن الاستماع والمشاركة"([4]).

هكذا كان الملك الناصر صلاح الدين رجلاً عالماً مثقفاً ، نصيراً للفقهاء ، كريماً ، يحب العلم والعلماء ويشجعهم في طلب العلم([5]).

ولم تقتصر الحركة الفكرية وجهود العلماء والفقهاء على بيت المقدس ، بل شهدت معظم المدن الفلسطينية المحررة إحياءً ثقافياً ، اتجه نحو طريق النمو والازدهار في عهد الأيوبيين ، ومن بعدهم المماليك ، فقد دخل المسلمون عكا وأقاموا بها الجمعة ، وأعادوا الكنيسة العظمى مسجداً جامعاً ، وعاد نور الهدى لامعاً ، وعين صلاح الدين الفقيه جمال الدين عبد اللطيف([6])

---

[1]) ابن نجا: الشيخ الإمام الفقيه المفسر زين الدين أبي الحسن علي بن إبراهيم بن نجا الحنبلي الذي نشر مذهب الإمام أحمد ، رضي الله عنه ، ببيت المقدس وما حولها ، كان الملك الناصر صلاح الدين يسميه "عمرو بن العاص" ، ويعمل برأيه ، ويحضر مجلسه ، ولد بدمشق سنة 510هـ/1116م ، وتوفي سنة 599هـ/1202م. للمزيد عن ترجمته ، انظر: أبو شامة ، تراجم ، صـ34-35. العليمي ، الأنس ، جـ2 ، صـ378.

[2]) الأصفهاني ، الفتح ، صـ140. البنداري ، سنا البرق ، صـ315. أبو شامة ، الروضتين ، جـ2 ، صـ108-109. ابن كثير ، البداية ، جـ13 ، صـ44. المقريزي ، السلوك ، جـ1 ، صـ210-211. العليمي ، الأنس ، جـ2 ، صـ378.

[3]) عبد اللطيف البغدادي: الشيخ الإمام الفقيه النحوي موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي ، ولد ببغداد سنة 557هـ/1161م ، وتوفي فيها سنة 629هـ/1231م. للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ16 ، صـ264-266.

[4]) البغدادي ، الإفادة والاعتبار ، صـ10. ابن أبي أصيبعه ، عيون ، صـ639.

[5]) ابن شداد ، النوادر ، صـ7 ، 31 ، 34. ابن خلكان ، وفيات ، جـ7 ، صـ206-207. النويري ، نهاية ، جـ28 ، صـ437. الذهبي ، سير ، جـ15 ، صـ439-440.

[6]) جمال الدين عبد اللطيف: ولد ببغداد سنة 534هـ/1139م وتفقه على أبيه ، وتوفي بإربل سنة 610هـ/1213م. للمزيد عن ترجمته ، انظر: المنذري ، التكملة ، جـ2 ، صـ276-277. السبكي ، طبقات ، جـ4 ، صـ419-420.

ابن الشيخ أبي النجيب السهروردي قاضياً للمدينة ، وولاه أيضاً الخطابة والحسبة والوقف([1]).

ومن العلماء الذين شجعهم وقدرهم صلاح الدين ، الشيخ العالم غانم بن علي بن حسين المقدسي النابلسي([2]) حيث ولاه المشيخة بالخانقاة الصلاحية([3]) ببيت المقدس([4]).

ولا ننسى في هذا المقام دور الشعراء الذين ساهموا بقصائدهم في تفعيل الحياة الأدبية والنهضة العلمية في فلسطين ، وقد بشَّر العماد الكاتب الأصفهاني الملك الناصر صلاح الدين بالفتح ، في قصيدة ، قال فيها:

أبشر بفتح أمير المؤمنين أتى وصيتهُ في جميع الأرض جوابُ

ما كان يخطر في بال تصورُه واستصعب الفتح لما أُغلق البابُ

وخام عنه الملوك الأقدمون وقد مضت على الناس من بلواه أحقابُ([5]).

وقد حضر الفتح الرشيد أبو محمد عبد الرحمن بن بدر بن الحسن بن مفرج النابلسي([6]) ، الشاعر المشهور ، فأنشد الملك الناصر صلاح الدين قصيدته التي أولها:

هذا الذي كانت الآمال تنتظر فليوف لله أقوام بما نذروا

بمثل ذا الفتح لا والله ما حكيت في سالف الدهر أخبار ولا سير([7]).

---

[1]) الأصفهاني ، الفتح ، صـ90. البنداري ، سنا البرق ، صـ200. ابن المستوفي ، تاريخ ، صـ171-172. أبو شامة ، الروضتين ، جـ2 ، صـ120. السبكي ، طبقات ، جـ4 ، صـ419-420.

[2]) غانم بن علي بن حسين: ولد بقرية بورين من أعمال نابلس سنة 562هـ/1166م ، وتوفي سنة 632هـ/1234م. للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، العبر ، جـ3 ، صـ213. ابن العماد ، شذرات ، جـ5 ، صـ262.

[3]) الخانقاه الصلاحية: وقف الملك الناصر صلاح الدين على الصوفية ، سيأتي ذكرها والحديث عنها.

[4]) اليونيني ، ذيل ، جـ3، صـ59-60. الذهبي ، العبر ، جـ3، صـ213. العليمي ، الأنس ، جـ2، صـ240-241.

[5]) البنداري ، سنا البرق الشامي ، صـ174. أبو شامة ، الروضتين ، جـ2 ، صـ102.

[6]) النابلسي: توفي سنة 619هـ/1222م. للمزيد عن ترجمته ، انظر: الكتبي ، فوات ، جـ2 ، صـ275-277.

[7]) ابن خلكان ، وفيات ، جـ7 ، صـ187. عبد المهدي ، بيت المقدس في أدب الحروب الصليبية ، صـ75.

ومن قوله أيضاً:

الآن قرت جنوبٌ في مضاجعها ونام من لم يزل حلفاً له السهرُ
الآن طاب إلى البيت المقدس كالبيت المحرم إحرام ومعتمر
يا بهجة القدس إذ أضحى به علمُ الإيمان من بعد طي وهو منتشر
يا نور مسجده الأقصى وقد رفعت بعد الصليب به الآيات والسورُ
الله أكبر صوت تقشعر لهُ شم الذرى وتكاد الأرض تنفطرُ
هذا الذي سلب الإفرنج دولتهم وملكهم يا ملوك الأرض فاعتبروا([1]).

وقد حضر فتح بيت المقدس مع الملك الناصر صلاح الدين الشيخ العالم الفقيه ابن الحنبلي([2]) ، وكان قد اجتمع مع صلاح الدين ببيت المقدس بعد الفتح بسنتين([3]).

ومهما يكن من أمر فقد برز في فلسطين وخارجها العديد من العلماء الفلسطينيين ، خلال فترة الحكم الأيوبي (583هـ/1187م - 648هـ/1250م)([4]) ، وما بعدها كما قدم إليها بعض العلماء الغرباء ، وجميعهم اهتموا بدراسة العلوم الدينية واللغة العربية وغيرها من العلوم الأخرى ، فظهر من بينهم الفقهاء والخطباء والقضاة والشعراء والأدباء والأطباء والمؤرخون وغيرهم ، وكان لهم تأثير كبير في دفع الحياة العلمية إلى الأمام لترتقي وتزدهر ، كما تولى بعضهم المناصب العالية في الدولة ، وفيما يلي أسماء بعض هؤلاء العلماء وإنجازاتهم وأثارهم العلمية:

---

[1]) ابن خلكان ، الروضتين ، جـ2 ، صـ118. عبد المهدي ، بيت المقدس ، صـ89-90.

[2]) ابن الحنبلي: أبو الفرج عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب الشيرازي الأصل الدمشقي ، ولد بدمشق سنة 554هـ/1159م، وتوفي سنة 634هـ/1236م. للمزيد عن ترجمته ، انظر: الدهبي ، سير ، جـ16، صـ319-320. ابن العماد ، شذرات ، جـ5 ، صـ274-276.

[3]) ابن العماد ، شذرات ، جـ5 ، صـ274.

[4]) العيني ، عقد الجمان ، جـ1 ، صـ53.

فمن بين العلماء الذين خدموا صلاح الدين ، وحضر معه معظم غزواته وفتح القدس ، القاضـــي الفقيه ضياء الدين عيسى الهكاري([1]) ، كان من أعيان عساكـــره ، جندياً فقيهاً شجـــاعاً مشهوراً بالاجتهاد في قضـــاء حوائج المسلمين ، لا يمل ولا يضجر من كثرتها ، أسره الفرنج في موقعة الرملة سنة 573هـ/1177م([2]) ، وقد تم إطلاق سراحه بعد هزيمة الفرنج فـــي موقعـــة مـــرج عيون في سنة 574هـ/1178م([3]) حيث افتداه صلاح الدين بستين ألف دينار([4]) ، وبعـــد فـــتح عكا سنة 583هـ/1187م منح صلاح الدين الفقيه عيسى الهكاري إقطاعاً ، ضم منازل وضياع ومواضع تشجيعاً ، ومكافأة له على ما كان منه من جهاد ومقاومة([5]).

ومن علماء فلسطين الذين برزوا في عهد الدولة الأيوبية العالم الفقيه المحدث تقي الـــدين أبو عبد الله يوسف بن عبد المنعم بن نعمة بن سلطان بن سرور المقدسي النابلسي ، ولـــد ســـنة 586هـ/1190م ببيت المقدس ، وسمع بدمشق من ابن طبرزد وغيره ، وولي الإمامة بالجـــامع الغربي بنابلس ، وتوفي فيها سنة 638هـ/1240م([6]).

ومنهم الشيخ الإمام الفقيه الخطيب أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن أحمد بن أبي الفـــتح المقدسي النابلسي الحنبلي خطيب مردا من أعمال نابلس ، ولد بقريته مردا سنة 566هـ/1170م ، وتفقه بدمشق ، وحدث بمدينة القاهرة ، ثم رجع إلى قريته وحدث بها أيـــضاً ، تـــوفي ســـنة 656هـ/1258م([7]).

---

[1]) عيسى الهكاري: أبو محمد عيسى بن محمد بن عيسى بن محمد بن أحمد ، اعتمد عليه صلاح الدين ، ولـــم يكن يخرج عن رأيه ، حدث بقيسارية ، توفي سنة 585هـ/1189م. للمزيد عن ترجمته ، انظر: المنـــذري ، التكملة ، جـ1 ، صـ123. ابن خلكان ، وفيات ، جـ3 ، صـ497-498.

[2]) ابن الأثير ، الكامل ، جـ9 ، صـ308-309.

[3]) أبو شامة ، الروضتين ، جـ2 ، صـ8-9.

[4]) الأصفهاني ، الفتح ، صـ355. ابن الأثير ، الكامل ، جـ9 ، صـ437. ابن شداد ، النوادر ، صـ116. المنذري ، التكملة ، جـ1 ، صـ123.

[5]) البنداري ، سنا البرق ، صـ300. الغساني ، العسجد المسبوك ، جـ1 ، صـ208. المقريزي ، السلوك ، جـ1 ، صـ209. العليمي ، الأنس ، جـ1 ، صـ467.

[6]) المنذري ، التكملة ، جـ3 ، صـ564. ابن مفلح ، المقصد ، جـ2 ، صـ137. العليمي ، الأنس ، جـ2 ، صـ378-379. ابن العماد ، شذرات ، جـ5 ، صـ319.

[7]) الذهبي ، سير ، جـ16 ، صـ530-531. ابن العماد ، شذرات ، جـ5 ، صـ417. البيشاوي ، نابلس ، صـ208.

ومنهم أيضاً العالم الفقيه المحدث جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن عبد المنعم بـــن نعمة بن سلطان بن سرور المقدسي النابلسي ، ولد سنة 594هــ/1197م ، حدث بمدينة نابلس ، وتوفي فيها سنة 656هــ/1258م([1]).

ومن علماء نابلس الذين اشتهروا بالإمامة والخطابة ولعبوا دوراً مهمـــاً فـــي محاربـــة التتار ، الإمام شمس الدين محمد بن عبد الهادي بن يوسف بن محمـــد بـــن قدامـــه الجمـــاعيلي الحنبلي ، كان شيخاً عابداً ديناً خيراً كثير التلاوة ، أستشهد في قرية الساوية من أعمال نـــابلس ، على يد التتار ، سنة 658هــ/1259م([2]).

ومن علماء نابلس أيضاً الذين ساهموا في الحياة العلمية الإمام الـــشيخ العـــالم المحـــدث اللغوي أبو البقاء زين الدين خالد بن يوسف بن سعد النابلسي الدمشقي ، مولـــده بنـــابلس ســـنة 585هــ/1189م ، نشأ بدمشق وبرع في الفقه ، وعلم الحديث ، وكان دينـــاً فاضـــلاً ، تـــولى مشيخة دار الحديث النورية([3]) بدمشق ودرس ، وأفتى ، توفي سنة 663هــ/1264م([4]).

وعرفت فلسطين الإمام الزاهد العابد ، خطيب المسجد الأقصى الشيخ كمال الدين أحمـــد بن نعمة بن أحمد بن جعفر النابلسي المقدسي مولده بنابلس سنة 577هــ/1181م ، ســـمع مـــن كثيرين ، وحدث بمصر ، وروى عنه أولاده الأئمة شمس الدين ، وشرف ، ومحيي الدين ، كما

---

[1]) الصفدي ، الوافي ، جــ18 ، صـــ105. ابن مفلح ، المقصد ، جــ2 ، صـــ104. ابن العماد ، شـــذرات ، جــ5 ، صـــ411.

[2]) اليونيني ، ذيل ، جــ2 ، صـــ73. الذهبي ، سير ، جــ16 ، صـــ542. ابن تغري بردي ، النجوم ، جــ7 ، صـــ84. ابن العماد ، شذرات ، جــ5 ، صـــ430.

[3]) دار الحديث النورية: أنشأها الملك العادل صاحب الشام نور الدين محمود زنكي ، وهو أول من بنـــى داراً للحديث ، انظر: الذهبي ، سير ، جــ15 ، صـــ241. النعيمي ، الدارس ، جــ1 ، صـــ74.

[4]) اليونيني ، ذيل ، جــ2 ، صـــ326. الذهبي ، سير ، جــ17 ، صـــ66. الكتبي ، فوات ، جــ1 ، صـــ403. ابن كثير ، البداية ، جــ13 ، صـــ275.

روى عنه أيضاً الدمياطي ، وعلم الدين الدواداري([1]) ، توفي بدمشق سنة 665هـ/1266م([2]).

ومن علماء نابلس أيضاً العالم نجم الدين محمد بن سالم النابلسي ، قاضي نابلس ، ولد سنة 590هـ/1193م ، كان كريم الأخلاق ، سمع الحديث وأسمعه ، وكانت له مكانة عند نجم الدين أيوب([3])، روى عن والده القاضي الجليل عماد الدين أبو عبد الله ، توفي محمد بن سالم سنة 679هـ/1280م([4]).

ومن علماء نابلس أيضاً الشيخ الإمام الخطيب أبو الذكاء عبد المنعم بن يحيى بن إبراهيم النابلسي ، ولد بنابلس سنة 603هـ/1206م ، برع في الفقه وتفسير القرآن ، اشتغل إماماً ومفتياً وخطيباً للمسجد الأقصى أكثر من أربعين سنة ، توفي سنة 687هـ/1288م([5]).

وفي خارج فلسطين ، برز عدد كبير من العلماء الفلسطينيين الذين شاركوا في إدارة الدولة وساهموا في نشر العلم والمعرفة في بلدان العالم الإسلامي فكان منهم العالم الأديب المحدث إسماعيل بن القاضي الأجل أبي محمد عبد الجبار بن القاضي الأجل أبي الحجاج يوسف بن عبد الجبار المقدسي الأصل المصري المولد والدار الحلبي الوفاة ، يكُنى أبا الطاهر ، ويلقب علم الدين ولد سنة 549هـ/1154م، سمع الحديث بالإسكندرية من السلفي ، وحدث بدمشق ، وقرأ الأدب على ابن بري ، وتولى ديوان الجيوش للملك الناصر صلاح الدين ولولده الملك

---

[1]) علم الدين الدواداري: من أعلام المحدثين ، أبو موسى ، سنجر التركي الصالحي ، المتوفى سنة 699هـ/1299م. للمزيد عن ترجمته انظر: الذهبي ، سير ، جـ17 ، صـ146.

[2]) الذهبي ، سير ، جـ17 ، صـ90. العليمي ، الأنس ، جـ2 ، صـ225-226. ابن العماد ، شذرات ، جـ5 ، صـ457.

[3]) نجم الدين أيوب: الملك الصالح نجم الدين ابن السلطان الملك الكامل محمد بن العادل ، ولد سنة 603هـ/1206م ، وتوفي سنة 646هـ/1248م. للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ16 ، صـ439-443.

[4]) اليونيني ، ذيل ، جـ4 ، صـ60. الذهبي ، سير ، جـ17 ، صـ76. ابن الفرات ، تاريخ ، جـ7 ، صـ203.

[5]) ابن كثير ، البداية ، جـ13 ، صـ348. ابن الفرات ، تاريخ ، جـ8 ، صـ74-75. العليمي ، الأنس ، جـ2 ، صـ226-227. ابن العماد ، شذرات ، جـ6 ، صـ64.

العزيز عثمان وللملك الأفضل علي([1]) وللملك العادل بن أيوب([2]) ، تـوفي علـم الـدين سـنة 610هـ/1213م([3]) ، ومنهم أيضاً: الشيخ الأجل العالم المحدث أبو عبد الله محمد بن عمر بـن أبي بكر بن عبد الله بن سعيد المقدسي الأصل الدمشقي المولد ، رحل في طلـب الحديث إلـى العراق ، وسمع في بغداد من أبي الفتح عبيد الله بن عبد الله بن شاتيل([4]) ، كما سمع باصـبهان وإربل([5]) ، وتولى مشيخة دار الحديث بالموصل ، قدم مصر ، وحدث بها عن أبي الحرم رجب بن مذكور([6]) ، توفي سنة 616هـ/1219م([7]).

ومنهم الإمام العالم القاضي أبو القاسم عبد الكريم بن علي بن الحسن البيساني المـصري الفقيه الشافعي ، حدث عن السلفي وغيره ، وعنـه روى المنـذري وآخـرون ، تـوفي سـنة 621هـ/1224م([8]).

ومن الفقهاء الفلسطينيين الذين برزوا خارج فلسطين ، الفقيه سـليمان بـن أحمـد بـن إسماعيل بن أبي عطاف المقدسي ، نزيل حران ، تفقه بها وحدث عن الشيخ الضياء ، كان مـن أعيـان الحنابلـة وعلمـائهم ، ولـد سـنة 552هـ/1157م ، وتـوفي فـي حـران سـنة 627هـ/1229م([9]).

---

[1]) الملك الأفضل علي: أبو الحسن علي الملقب الملك الأفضل نور الدين ابن الملك الناصر صلاح الدين ، ولد سنة 565هـ/1169م، وتوفي سنة 622هـ/1225م. للمزيد عن ترجمته، انظر: ابن خلكان، وفيات، جـ3، صـ419-421.

[2]) الملك العادل بن أيوب: سيف الدين أبو بكر محمد بن أيوب ، أخ الملك الناصر صلاح الدين ، ولـد سـنة 540هـ/1145م، وتوفي سنة 615هـ/1218م ، للمزيد عن ترجمته ، انظر: ابن خلكان ، وفيات ، جـ5، صـ74-78.

[3]) ابن الفرات ، تاريخ ، جـ5 ، صـ142-143.

[4]) ابن شاتيل: الشيخ الجليل المعمر ، ولد سنة 491هـ/1097م ، وتوفي سنة 581هـ/1185م ، للمزيد حول ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ15 ، صـ340-341.

[5]) إربل: مدينة كبيرة من أعمال الموصل. انظر: الحموي ، معجم البلدان ، جـ1 ، صـ138.

[6]) ابن مذكور: من علماء الحديث ، روى عنه كثيرون ، توفي سنة 589هـ/1193م. للمزيد عـن ترجمتـه ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ15 ، صـ404-405.

[7]) المنذري ، التكملة ، جـ2 ، 466. المقريزي ، المقفى ، جـ6 ، صـ409.

[8]) الغساني ، العسجد ، جـ2 ، صـ401.

[9]) الذهبي ، تاريخ ، وفيات سنة 621-630هـ ، صـ284. ابن العماد ، شذرات ، جـ5 ، صـ225. الدباغ ، بلادنا ، جـ3 ، صـ244.

ومنهم أيضاً: العالم الفقيه المالكي أبو طاهر محمد بن علي بن المفضل بن علي بن مفرج المقدسي الإسكندراني ، ولد سنة 565هـ/1169م ، تفقه على أبيه ، درَّس وحدَّث ، توفي بالإسكندرية سنة 631هـ/1233م([1]).

ومنهم الشيخ الفقيه المحدث أبو محمد عبد العزيز بن عبد الملك بن عثمان المقدسي ، المنعوت "بالعز" ، تفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه سمع من ابن طبرزد ، ودرس بمدرسة الشيخ أبي عمر محمد بن أحمد بن قدامه ، وتوفي سنة 634هـ/1236م([2]).

ومن بين العلماء البارزين أيضاً الذين اشتهروا بعلمهم وعطائهم ومصنفاتهم ، في عصر صلاح الدين ، خارج فلسطين ، الشيخ الإمام العلامة البارع الحافظ نجم الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن خلف بن راجح بن بلال المقدسي الصالحي الحنبلي ، ولد سنة 578هـ/1182م ، اشتغل على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه ، برع في الفقه والحديث ، وكان فاضلاً ديناً متواضعاً حسن الأخلاق ، قد طاف البلدان يطلب العلم ، ثم استقر بدمشق ، ودرس في بعض مدارسها وهي: الصارمية ، الشامية البرانية ، والعذراوية ، ومن مصنفاته: "الفصول والفروق" ، و"الدلائل" ، توفي سنة 638هـ/1240م([3]).

ومنهم أيضاً العالم القاضي الأشرف ابن القاضي الفاضل: أحمد بن عبد الرحيم بن علي بن الحسن البيساني ، ولد سنة 573هـ/1177م ، تفقه على أبيه القاضي الفاضل ، وبرع في الفقه وغيره من العلوم ، وقال الشعر ، ودرس في مدرسة أبيه بالقاهرة ، توفي سنة 643هـ/1245م([4]).

ومنهم الإمام العالم المفتي كمال الدين إسحاق بن أحمد بن عثمان المقدسي ، أحد مشايخ الشافعية وأعيانهم ومن الفقهاء الكبار المشهورين بالعلم والعمل ، كان إماماً عالماً فاضلاً زاهداً

---

[1]) المنذري ، التكملة ، جـ3 ، صـ368. المقريزي ، المقفى ، جـ6 ، صـ361.

[2]) المنذري ، التكملة ، جـ3 ، صـ460. ابن مفلح ، المقصد ، جـ2 ، صـ160-161. ابن العماد ، شذرات ، جـ5 ، صـ277.

[3]) أبو شامة ، تراجم ، صـ171. الذهبي ، سير ، جـ16، صـ364-365. الأسنوي، طبقات، جـ1، صـ214-215. ابن كثير ، البداية ، جـ13 ، صـ214-215. ابن قاضي شهبة ، طبقات ، جـ2 ، صـ71. النعيمي ، الدارس ، جـ1، صـ240-241.

[4]) الذهبي ، سير ، جـ16 ، صـ454. المقريزي ، المقفى ، جـ1 ، صـ496.

عابداً كبير القدر في الخير والصلاح ، أقام بالمدرسة الرواحية([1]) بدمشق وأعاد بها عند ابن الصلاح([2]) عشرين سنة وأفاد الطلبة ، وتوفي فيها سنة 650هـ/1252م([3]).

وبرع من العلماء الفلسطينيين في الخارج ، في عصر صلاح الدين ، العالم الأديب البليغ المحدث الفقيه الإمام شمس الدين محمد بن سعد بن عبد الله بن سعد بن مفلح المقدسي الأصل الصالحي الحنبلي ، ولد سنة 571هـ/1175م ، سمع من يحيى الثقفي وعبد الرحمن الخرقي وغيرهما ، حدَّث بدمشق وحلب ، وروى عنه ابنه يحيى([4]) والحافظ الضياء والدمياطي وغيرهم ، كان من المشهورين بالأدب والكتابة والدين والصلاح وحسن الخط ولطف المقال ، وكتب الإنشاء للصالح عماد الدين إسماعيل([5]) ، توفي بدمشق سنة 650هـ/1252م([6]).

وتولى العلماء الفلسطينيون خارج فلسطين المناصب الدينية العليا ومنهم: الإمام العالم الزاهد العابد الفقيه شمس الدين عبد الرحمن بن نوح بن محمد المقدسي ، مُفتي دمشق ، ولد سنة 584هـ/1188م ، تفقه على ابن الصلاح ، وولي تدريس الرواحية بدمشق ، وكان أحد الفقهاء المشهورين فيها ، توفي سنة 654هـ/1256م([7]).

---

[1]) المدرسة الرواحية: تقع بالقرب من الجامع الأموي بدمشق ، بانيها زكي الدين أبو القاسم التاجر المعروف بابن واحة المتوفى سنة 622هـ/1225م ، انظر: النعيمي ، الدارس ، جـ1 ، صـ199.

[2]) ابن الصلاح: الإمام الحافظ العلامة شيخ الإسلام عثمان بن صلاح الدين عبد الرحمن بن عثمان الشهرزوري الموصلي الشافعي ، ولد سنة 577هـ/1181م ، توفي سنة 643هـ/1245م ، للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ16، صـ407-410.

[3]) ابن الصلاح ، طبقات ، جـ2 ، صـ724. أبو شامة ، تراجم ، صـ187. الذهبي ، سير ، جـ16 ، صـ478. السبكي ، طبقات ، جـ4 ، صـ308. الأسنوي ، طبقات ، جـ1 ، صـ74-75. النعيمي ، الدارس ، جـ1 ، صـ206-207.

[4]) يحيى: الشيخ العالم الصالح الخيِّر ، ولد سنة 631هـ/1233م وتوفي سنة 721هـ/1321م. للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ17 ، صـ447-448.

[5]) عماد الدين إسماعيل: الملك الصالح عماد الدين إسماعيل ابن الملك العادل محمد بن أيوب المتوفى سنة 648هـ/1250م ، للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ16 ، صـ143-145. ابن كثير ، البداية ، جـ13 ، صـ204.

[6]) الذهبي ، سير ، جـ16 ، صـ478-479. ابن كثير ، البداية ، جـ13 ، صـ207. الغساني ، العسجد ، جـ2 ، صـ592. العيني ، عقد ، جـ1 ، صـ74. ابن العماد ، شذرات ، جـ5 ، صـ379.

[7]) اليونيني ، ذيل ، جـ1 ، صـ19. السبكي ، طبقات ، جـ4 ، صـ342. ابن قاضي شهبة ، طبقات ، جـ2 ، صـ108-109. النعيمي ، الدارس ، جـ1 ، صـ99-100.

ومنهم أيضاً: الإمام العالم الخطيب البليغ الفقيه الشافعي أبو المعالي داود بن عمر بن يوسف بن يحيى المقدسي الأصل الدمشقي الدار والوفاة ، خطيب بيت الآبار([1]) وابن خطيبها ، ولد بدمشق سنة 586هـ/1190م ، سمع الخشوعي وابن طبرزد وغيرهما ، وحدَّث عنه الدمياطي وآخرون ، كان فاضلاً ديناً فصيحاً خطيباً بليغاً ، لا يكاد أن يسمع موعظته أحد إلا يبكي ، ولي خطابة دمشق وتدريس الغزالية ، واستمر في عطائه حتى توفي سنة 656هـ/1258م([2]).

وممن شارك أيضاً في الحياة العلمية خارج فلسطين الشيخ العالم المقرئ الفقيه المحدث عماد الدين بن عبد الحميد بن عبد الهادي بن يوسف المقدسي الجماعيلي الدمشقي الصالحي الحنبلي ، ولد بقرية جماعيل سنة 573هـ/1177م ، سمع من عبد الرحمن بن الخرقي والخشوعي وغيرهما ، وروى عن الشيخ موفق الدين وابن الزبيدي ، وحدَّث عنه أولاده العز أحمد ومحمد وعبد الهادي ، وابن الخباز والبرزالي ، توفي سنة 658هـ/1259م([3]).

ومنهم الإمام العالم شيخ المحدثين أبو الحسين رشيد الدين يحيى بن علي بن عبد الله بن علي بن مفرج النابلسي ثم المصري المالكي ، ولد سنة 584هـ/1188م ، سمع أباه وأبا القاسم البوصيري ، وابن نجا الواعظ وغيرهم ، روى عنه الدمياطي وابن الظاهري([4]) وغيرهما ، وإليه انتهت رئاسة الحديث بالديار المصرية ، وولي مشيخة الكاملية فيها سنة 660هـ/1261م ، توفي سنة 662هـ/1263م([5]).

---

[1]) بيت الآبار: قرية من قرى دمشق ، انظر ، الحموي ، معجم البلدان ، جـ1 ، صـ519.

[2]) الذهبي ، سير ، جـ16 ، صـ514-515. الأسنوي ، طبقات ، جـ1 ، صـ75. ابن كثير ، طبقات ، جـ2 ، صـ869. ابن كثر ، البداية ، جـ13 ، صـ241. ابن قاضي شهبة ، طبقات ، جـ2 ، صـ105. ابن العماد ، شذرات ، جـ5 ، صـ407.

[3]) الذهبي ، سير ، جـ16 ، صـ540. الذهبي ، الإعلام ، صـ275. الصفدي ، الوافي ، جـ18 ، صـ50. ابن العماد ، شذرات ، جـ5 ، صـ428.

[4]) ابن الظاهري: الشيخ الإمام الزاهد المحدث جمال الدين أبو العباس أحمد بن بن عبد الله ، ولد سنة 626هـ/1228م ، وتوفي سنة 696هـ/1296م. للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ17 ، صـ193-194.

[5]) اليونيني ، ذيل ، جـ2، صـ314-315. الذهبي، سير ، جـ17، صـ41. الذهبي ، تذكرة ، جـ4، صـ156-157. ابن العماد ، شذرات ، جـ5 ، صـ450.

ومن العلماء المحدثين الفلسطينيين الذين ساهموا في الحياة العلمية خارج فلسطين الإمـــام العالم المحدَّث نجيب الدين أبو العشائر فراس بن علي بن زيد العسقلاني الدمشقي ، ولـــد ســـنة 583هـ/1187م ، روى عن الخشوعي وآخرين ، وحدَّث بمصر ، روى عنه الدمياطي وابـــن الخباز وابن الزراد([1]) ، توفي سنة 663هـ/1264م([2]).

وكان من بين العلماء الفلسطينيين البارزين المشهورين ممن برعوا في الفقـــه والحـــديث وعلوم اللغة العربية والتاريخ ، الإمام العلامة المحدث المقرئ الفقيه الشافعي المؤرخ ، شـــهاب الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقـــي ، ولـــد بدمشق سنـــة 599هـ/1202م ، وسمي بأبي شامة لشامة كبيرة كانت فوق حاجبه الأيسر ، ختم القرآن ولـــه دون عشر سنين ، وأتقن فـــن القراءة على السخاوي([3]) وله ست عشرة سنة ، تفقه على الفخـــر بن عساكر([4]) وابن عبد السلام([5]) والشيخ موفق الدين بن قدامه وابن الصلاح ، وولي مـــشيخة دار الحديث الأشرفية([6]) بدمشق ، ومن مصنفاته: "شـــرح الـــشاطبية([7])" ، و"مختـــصر تـــاريخ

---

[1]) ابن الزراد:الشيخ الفاضل شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي الهيجاء ، ولد سنة 646هـ/1248م ، وتوفي سنة 726هـ/1325م. للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير جـ17 ، صـ497.

[2]) الذهبي ، سير ، جـ17 ، صـ62. الذهبي ، الإعلام ، صـ277.

[3]) السخاوي: الإمام العالم شيخ القراء والأدباء علم الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد ، ولد ســـنة 558هـ/1162م ، وتوفي سنة 643هـ/1245م. للمزيد عن ترجمته ، انظر: الـــذهبي ، ســـير ، جـــ16، صـ395-396.

[4]) الفخر ابن عساكر: الشيخ الإمام العالم ، شيخ الشافعية فخر الدين عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الدمشقي الشافعي ، ولد سنة 550هـ/1155م ، وتوفي سنة 620هـ/1223م. للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ16 ، صـ177-179.

[5]) ابن عبد السلام: الشيخ الجليل المعمر أبو الفرج الفتح بن عبد الله بن محمد بن علي بن هبة الله البغدادي ولد سنة 537هـ/1142م ، وتوفي سنة 624هـ/1226م. للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سر ، جـــ16 ، صـ233-234.

[6]) دار الحديث الأشرفية: تنسب إلى الملك الأشرف موسى بن السلطان الملك العادل أبي بكر بن موســـى بـــن أيوب المتوفى سنة 635هـ/1237م ، انظر: النعيمي ، الدارس ، جـ1 ، صـ19.

[7]) الشاطبية: القصيدة المشهورة للشيخ أبي محمد القاسم بن فيرة الشاطبي الضرير المتـــوفى بالقـــاهرة ســـنة 590هـ/1193م واسمها "حرز الأمالي" ، انظر: حاجي خليفة ، كشف ، جـ1 ، صـ502.

دمشق" ، وله كتاب "الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية" ، وكتاب "الذيل" عليهما ، توفي أبو شامة سنة 665هـ/1266م([1]).

ومن الفقهاء والخطباء الفلسطينيين المشهورين الشيخ الإمام المفتي العابد خطيب الصالحية بدمشق ، عز الدين أبو إسحاق إبراهيم بن الإمام العالم أبي محمد عبد الله بن شيخ الإسلام أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامه المقدسي الجماعيلي الدمشقي الحنبلي ، ولد سنة 606هـ/1209م ، سمع من الشيخ موفق الدين وآخرين ، وحدَّث عنه الدمياطي وابن الخباز وابن الزراد ، كان أمَّاراً بالمعروف ، نهاءً عن المنكر ، جواداً سخياً كثير الصدقات ، مجتهداً في طلب العلم ، توفي سنة 666هـ/1267م([2]).

ومنهم أيضاً: خطيب بيت الآبار وابن خطيبها ، الشيخ العالم أبو عبد الله موفق الدين محمد بن عمر بن يوسف بن يحيى المقدسي الدمشقي الشافعي ، ولد سنة 595هـ/1198م ، سمع من ابن طبرزد وآخرين ، روى عنه الدمياطي وابن الخباز وآخرون ، توفي سنة 671هـ/1272م ببيت الآبار ، ودفن بها([3]).

ومن العلماء المحدثين الفلسطينيين الذين برزوا بدمشق الإمام المحدث الأديب مفيد الطلبة شرف الدين أبو المظفر يوسف بن الحسن بن بدر بن الحسن بن مفرج النابلسي الدمشقي الشافعي ، ولد سنة 603هـ/1206م ، سمع بحلب ومصر ، وروى الكثير ، حدَّث عنه الدمياطي وابن الخباز وغيرهما ، كان مشهوراً بالصلاح والإفادة ، وتولى مشيخة دار الحديث النورية بدمشق إلى أن توفي فيها سنة 671هـ/1272م([4]).

ومن العلماء الفلسطينيين الذين برعوا في الوعظ والنظم والنثر ، الواعظ الكبير والشاعر الفصيح عز الدين عبد السلام بن أحمد بن الشيخ غانم بن علي المقدسي النابلسي ، وعظ

---

[1]) الذهبي ، سير ، جـ17 ، صـ76-77. ابن كثير ، طبقات ، جـ2 ، صـ889-890. العيني ، عقد ، جـ2 ، صـ13-14. ابن العماد ، شذرات ، جـ5 ، صـ458.

[2]) الذهبي ، سير ، جـ17 ، صـ86. الذهبي ، العبر ، جـ3 ، صـ315. ابن العماد ، شذرات ، جـ5 ، صـ462.

[3]) الذهبي ، سير ، جـ17 ، صـ286. العيني ، عقد ، جـ2 ، صـ109.

[4]) الذهبي ، سير ، جـ17 ، صـ115. الذهبي ، تذكرة ، جـ4 ، صـ169. اليافعي ، مرآة ، جـ4 ، صـ172. ابن تغري بردي ، النجوم ، جـ7 ، صـ208. النعيمي ، الدارس ، جـ1 ، صـ81.

بدمشق ، وله العديد من المصنفات منها: "حل الرموز ومفاتيح الكنوز"([1]) ، و"كشف الأسرار عن حكم الطيور والأزهار"([2]) ، توفي بالقاهرة سنة 678هـ/1279م([3]).

ومن العلماء من أبناء فلسطين الذين ساهموا في ازدهار الحياة العلمية خارج فلسطين ، الشيخ الإمام العالم أبو محمد مجد الدين عبد العزيز بن الحسين بن الحسن الخليلي ثم المصري ، ولد سنة 599هـ/1202م ، وارتحل فسمع من الفتح بن عبد السلام وآخرين ، روى عنه المزي والبرزالي وآخرون ، كان ديناً متعبداً ، حدث بدمشق ومصر ، أنشأ في القاهرة المدرسة المجدية الخليلية سنة 663هـ/1264م ، وعين فيها مدرساً للشافعية ومعيدين وعدد من الموظفين لخدمتها ، ووقف عليها أوقافاً عدة ، توفي الشيخ مجد الدين بدمشق سنة 680هـ/1281م([4]).

ومنهم الإمام العالم القاضي أبو حفص نجم الدين عمر بن نصر بن منصور البيساني الشافعي ، كان من كبار الأئمة ولد سنة 600هـ/1203م ، وقد لازم جامع الموصل أكثر من أربعين سنة ، كما كان قاضياً مشهوراً في حلب ، توفي بدمشق سنة 680هـ/1281م([5]).

ومن العلماء الفقهاء الفلسطينيين ممن برعوا في العلم والعمل العالم الفقيه المفتي أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن نعمة بن أحمد المقدسي الدمشقي ، ولد ببيت المقدس سنة 627هـ/1229م ، قدم إلى القاهرة وحدث بها عن السخاوي ، روى عنه البرزالي وآخرون ، ودرس في الشافعية البرانية([6]) بدمشق ، توفي سنة 682هـ/1283م([7]).

---

[1]) حاجي خليفة ، كشف ، جـ1 ، صـ528.

[2]) المصدر نفسه ، جـ2 ، صـ412.

[3]) الذهبي ، سير ، جـ17، صـ314. اليافعي ، مرآة ، جـ4، صـ190. ابن كثير ، البداية ، جـ13، صـ323-324. ابن العماد ، شذرات ، جـ6 ، صـ17. الدباغ ، بلادنا ، جـ3 ، صـ251.

[4]) الذهبي ، سير ، جـ17 ، صـ280. الذهبي ، العبر ، جـ3 ، صـ344. المقريزي ، المواعظ ، جـ2 ، صـ400. ابن العماد ، شذرات ، جـ6 ، صـ23. الدباغ ، بلادنا ، جـ9 ، صـ74.

[5]) الذهبي ، سير ، جـ17 ، صـ343. الدباغ ، بلادنا ، جـ10 ، صـ473.

[6]) الشامية البرانية: وهي المدرسة التي أنشأتها ست الشام الخاتون أُخت الملك الناصر صلاح الدين المتوفية سنة 616هـ/1219م ، انظر: النعيمي ، الدارس ، جـ1 ، صـ208. ابن العماد ، شذرات ، جـ5 ، صـ153.

[7]) الذهبي ، سير ، جـ17 ، صـ177. الذهبي ، الإعلام ، صـ284. ابن الفرات ، تاريخ ، جـ7 ، صـ285. المقريزي ، المقفى ، جـ5 ، صـ286-287. ابن العماد ، شذرات ، جـ6 ، صـ38.

وممن برع في الحديث الشيخ العالم المحدث الرحال علاء الدين أبو القاسم علي بن بلبان المقدسي ، ولد سنة 612هـ/1215 ، سمع ببغداد ودمشق ومصر ، كان صدوقاً خيّراً متواضعاً ، ولي إمامة مسجد الماشكي([1]) ، توفي سنة 684هـ/1285م([2]).

وبرز من علماء الحديث المشهورين أيضاً ابن الكمال ، الشيخ الإمام العالم المحدث شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الشيخ الكمال عبد الرحيم بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي الصالحي الحنبلي ، ولد سنة 607هـ/1210م ، سمع من الشيخ موفق الدين وآخرين ، كان إماماً فقيهاً محدثاً زاهداً عابداً ، حدَّث نحو أربعين سنة ، وولي مشيخة دار الحديث الأشرفية وتدريس الضيائية([3]) ، حدَّث عنه البرزالي والمزي وابن الخباز وآخرون ، توفي سنة 688هـ/1289م([4]).

ومنهم الشيخ الإمام العالم الفقيه الرحال شمس الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الملك بن عثمان المقدسي الحنبلي ، ولد سنة 606هـ/1209م ، سمع الكثير ، وحدَّث عن ابن الخباز ، وابن العطار والبرزالي ، كان من أعلام الشيوخ ، صالحاً صادقاً عابداً ، وانتفع منه الطلبة ، توفي سنة 689هـ/1290م([5]).

هكذا برز من الفلسطينيين ، في عصر الأيوبيين ومن بعدهم المماليك ، عدد كبير من العلماء والفقهاء وأهل العلم الذين ساهموا في تفعيل حركة النشاط العلمي في فلسطين ، وفي مختلف مدن العالم الإسلامي ، وخاصة في دمشق وبغداد والقاهرة ، ويمكن القول: إن هذا النشاط العلمي الكبير يعود إلى أسباب عدة أهمها:

أولاً: تشجيع واهتمام رجال الحكم والسلطة ، ومن اتصل بهم بالحياة العلمية بكل جوانبها ومظاهرها الثقافية المختلفة.

ثانياً: إنشاء عدد كبير من المدارس ، وبعض المؤسسات العلمية الأخرى مثل: دور الحديث والقرآن والزوايا الدينية وغيرها ، وتخصيص الأوقاف الغنية للإنفاق عليها.

---

[1]) مسجد الماشكي: من مساجد دمشق عند قناة ابن الماشكي وهو من المساجد الكبيرة. انظر: النعيمي ، الدارس ، جـ2 ، صـ250.

[2]) الذهبي ، سير ، جـ17 ، صـ341-342. الذهبي ، الإعلام ، صـ285. ابن العماد ، شذرات ، جـ6 ، صـ48.

[3]) الضيائية: تقع في جبل قاسيون وهي مدرسة ضياء الدين محاسن كان رجلاً صالحاً ، بنى هذه المدرسة ، وجعلها موقوفة على من يكون أمير الحنابلة يذكر فيها الدرس. انظر: النعيمي ، الدارس ، جـ1 ، صـ38 ، جـ2 ، صـ77.

[4]) الذهبي ، سير ، جـ17 ، صـ235-236. ابن مفلح ، المقصد ، جـ2 ، صـ455-456. ابن العماد ، شذرات ، جـ6 ، صـ69-70.

[5]) ابن الجزري ، تاريخ ، جـ1 ، صـ33. الذهبي ، سير ، جـ17، صـ245. ابن العماد، شذرات، جـ6، صـ73.

ثالثاً: اتساع ميدان المعرفة ، وازدياد حركة الإحياء العلمي ، من خلال إقبال طبقة العلماء على التأليف والتصنيف ، وحثهم ، وتشجيعهم على ذلك من قبل الهيئة الحاكمة.

رابعاً: استقرار الأوضاع والظروف السياسية والاجتماعية في المدن المحررة ، وتوافر المناخ العلمي المناسب أمام العلماء والطلبة.

خامساً: ظهور النشاط العلمي للمرأة ، ومساهمتها في الحركة الفكرية ، وقد برز في هذا المجال عدد من النساء اللواتي كن عالمات محدثات ، وسيأتي ذكرهن.

ولم يكن العلماء الفلسطينيون وحدهم الذين ساهموا في إحياء وبعث الحياة العلمية داخل فلسطين وخارجها ، بل قدم إليها عدد كبير من العلماء المسلمين الذين شاركوا في الحياة الثقافية والحركة الفكرية ، ومن هؤلاء العلماء:

الإمام العالم أبو علي الحسن بن الخطير بن أبي الحسين النعماني ، نسبة إلى النعمانية ، قرية ببغداد ، المعروف بالظهير ، برع في الفقه والتفسير والحساب والطب واللغة والنحو والتاريخ ، ولد سنة 547هـ/1152م ، درس في الصخرة الشريفة ، ثم انتقل منها إلى القاهرة وأجرى له في كل شهر ستون ديناراً ، ومائة رطل خبز ، وخروف ، وشمعة كل يوم ، توفي بالقاهرة سنة 598هـ/1201م([1]).

ومنهم الشيخ العالم الفقيه المحدث أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن حميد بن سعد الدين الذي عمل خطيباً للمسجد الأقصى بعد فتحه ، وقد توفي سنة 605هـ/1208م([2]).

ومنهم أيضاً: الشيخ الإمام العالم أبو محمد موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي بن أبي سعد البغدادي ، ويعرف بابن اللباد ، موصلي الأصل ، ولد ببغداد سنة 557هـ/1161م ، كان عالماً بأصول الدين والنحو واللغة والطب والتاريخ ، حدَّث ببغداد ودمشق وحلب وبيت المقدس ، حيث كان يتردد إلى المسجد الأقصى ، ويشتغل الناس عليه بكثير من العلوم ، وصنف هناك كتباً كثيرة ، منها: "الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر" ، وقد فرغ من تأليفه سنة 603هـ/1206م ، ومن المرجح أن يكون عبد اللطيف البغدادي درس هذا الكتاب ببيت المقدس لأهمية موضوعه ، ومن المرجح

---

[1]) الحموي ، معجم الأدباء، جـ3، صـ213-214 ، 216. السيوطي، بغية الوعاة، جـ1، صـ502-503.

[2]) الذهبي ، العبر ، جـ3 ، صـ139. العليمي ، الأنس ، جـ2 ، صـ225. ابن العماد ، شذرات ، جـ5 ، صـ86.

أيضاً أن يكون أهل بيت المقدس قد أفادوا من معلوماته الجغرافية ، روى عنه البرزالي وابن النجار وآخرون ، توفي سنة 629هـ/1231م([1]).

ومن العلماء الوافدين إلى بيت المقدس الشيخ الإمام العالم الفقيه المفتي القاضي شمس الدين أبو نصر محمد بن هبة الله الشيرازي الدمشقي الشافعي ، ولد سنة 549هـ/1154م ، درس وأفتى وصار من كبار أهل دمشق في العلم والرواية ، كان يصرف أكثر أوقاته في نشر العلم ، ولي قضاء بيت المقدس ، ثم قضاء الشام سنة 631هـ/1233م ، توفي سنة 635هـ/1237([2]).

وقدم إلى طبرية في العصر الأيوبي العالم المقرئ أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أبي مروان بن عبد الملك القيجاطي الأندلسي ، من أهل قيجاطه من أعمال جيان([3]) ، حيث التقى أبا الحسن علي بن محمد التجيبي([4]) بطبرية ، وتلا عليه القراءات السبع ، وقد عرف القيجاطي بابن القرشية ، حدَّث ، وأقرأ في مُرسية([5]) ، إلى أن توفي سنة 643هـ/1245م([6]).

ومن العلماء المقرئين أيضاً الذين قدموا إلى فلسطين في عصر الأيوبيين ، وساهموا في انتعاش الحياة العلمية الإمام العالم المقرئ النحوي اللغوي أبو المجد تقي الدين خزعل بن

---

[1]) المنذري ، التكملة ، جـ3، صـ298. ابن أبي أُصيبعة ، عيون ، صـ640، 646. الذهبي ، تاريخ ، وفيات 621-630هـ ، صـ353-354. اليافعي ، مرآة ، جـ4 ، صـ68. السبكي ، طبقات ، جـ4 ، صـ420. للمزيد عن ترجمته ، انظر: ابن أبي أصيبعة ، "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" ، صـ634-648.

[2]) المنذري ، التكملة ، جـ3 ، صـ480. الذهبي ، سير ، جـ16 ، صـ336-337. السبكي ، طبقات ، جـ4 ، صـ298. ابن قاضي شهبة ، طبقات ، جـ2 ، صـ89-90. ابن العماد ، شذرات ، جـ5 ، صـ285-286.

[3]) جيان: مدينة لها كورة واسعة بالأندلس ، وتضم قرى كثيرة وينسب إليها جماعة من العلماء. انظر: الحموي ، معجم البلدان ، جـ2 ، صـ195.

[4]) التجيبي: كان مقيماً في طبرية ، لم نعثر له على ترجمة.

[5]) مُرسية: مدينة بالأندلس. انظر: الحموي ، معجم البلدان ، جـ5 ، صـ107.

[6]) المقريزي ، المقفى ، جـ5 ، صـ103 ، 107. الدويكات ، إقطاعية ، صـ297.

ولم يشر المقريزي إلى المدة التي قضاها القيجاطي في طبرية ، ولعل وجود هذا العالم في مدينة طبرية واجتماعه مع العالم التجيبي يدلل على انتعاش الحياة العلمية والفكرية لهذه المدينة في العصر الأيوبي ، وما تلاه من عصر المماليك.

عسكر بن خليل الشنائي([1]) الشافعي ، أقام في بيت المقدس مدة ، وأقرأ القرآن فيها ، ثم قدم دمشق ، وسكنها إلى أن توفي سنة 623هـ/1226م([2]).

وممن قدم إلى فلسطين في عصر الأيوبيين ، الإمام العالم القاضي بدر الدين أبو الفتح عبد الله بن إدريس بن محمد الحمولي الشافعي المصري ، كان فاضلاً مباركاً ، ولي قضاء القدس مدة ، ثم عاد إلى مصر ، وتوفي بها سنة 645هـ/1247م([3]).

ومن العلماء الوافدين إلى فلسطين العالم الفقيه الأديب المؤرخ القاضي الأكرم جمال الدين علي بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الواحد القفطي ، ولد سنة 568هـ/1172م بمدينة قفط([4]) ، تلقى علومه العربية والإسلامية بالقاهرة على أيدي كبار العلماء ، وُلي والده القاضي الأشرف النظر ببيت المقدس من قبل الملك العزيز عثمان وصحبه القاضي الأكرم وذلك في سنة 591هـ/1194م ، وأقام بها مع والده وأتم دراسته فيها حتى أصبح عارفاً باللغة والنحو والفقه والحديث والتاريخ والحكمة والنجوم والهندسة ، وجمع من الكتب ما لم يجمعه أحد ، له تصانيف كثيرة منها: "أخبار المصنفين وما صنفوه" ، و"أخبار النحويين" ، و"أخبار العلماء بأخبار الحكماء" ، و"تاريخ مصر" ، توفي سنة 646هـ/1248م([5]).

ومن العلماء البارزين الوافدين إلى بيت المقدس أيضاً ، الإمام العالم الفقيه المفسر النحوي جمال الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن سحمان الأندلسي

---

[1]) الشنائي: نسبة إلى شنوءة ، وهي موقع وأرض باليمن. انظر: الحموي ، معجم البلدان ، جـ3 ، صـ368-369.

[2]) الذهبي ، سير ، جـ16 ، صـ173. المقريزي ، المقفى ، جـ3 ، صـ786. ولم تحدد المصادر التي رجع إليها الباحث المدة التي قضاها الشنائي في بيت المقدس أو التاريخ الذي قدم فيه ، إلا أنه يمكن القول بأن هذا العالم المتمكن في علوم اللغة والنحو والقراءات قد قام بتعليم الناس وإعطاء الدروس في المسجد الأقصى كونه محط الأنظار وملتقى العلماء والفقهاء والقراء.

[3]) المقريزي ، المقفى ، جـ4 ، صـ576.

ولم يشر المقريزي إلى المدة التي قضاها القاضي الحمولي في بيت المقدس أو تاريخ قدومه إليها ، إلا أنه يمكن القول بأن توليه منصب القضاء جعله من بين العلماء البارزين الذين ساهموا في تفعيل الحياة العلمية فيها.

[4]) قفط: إحدى مدن صعيد مصر ، انظر: الحموي ، معجم البلدان ، جـ4 ، صـ383.

[5]) الحموي ، معجم البلدان ، جـ5 ، صـ459-460. ابن العماد ، شذرات ، جـ5 ، صـ361. زيدان ، تاريخ ، جـ3، صـ74. العبادي ، العلم والعلماء ، صـ117. الغامدي ، بلاد الشام ، صـ400-401.

الشريشي ، ولد بشريش([1]) سنة 601هـ/1204م ، أقام ببيت المقدس وكان شيخ الحرم فيها ، ثم انتقل إلى دمشق ودرس في مدارسها حتى وفاته سنة 685هـ/1286م([2]).

وممن وفد إلى فلسطين أيضاً الإمام العالم الفقيه القاضي أبو محمد جلال الدين عبد المنعم بن أبي بكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمود المصري الشامي الشافعي ، ولد بالقاهرة سنة 619هـ ، قدم إلى فلسطين وولي خطابة صفد ، ثم ولي قضاء بيت المقدس ، كان شيخاً وقوراً مهيباً فاضلاً حسن الديانة ، محمودة السيرة ، ظل في بيت المقدس إلى أن توفي فيها سنة 695هـ/1295م([3]).

وهكذا أصبحت فلسطين وخاصة بيت المقدس والمسجد الأقصى ، في عصر الأيوبيين ومن بعدهم المماليك ، محط أنظار العلماء والفقهاء وطلبة العلم الأمر الذي يدلل على قيام مؤسسات علمية ودينية وظهور نهضة فكرية واسعة أدت إلى ازدهار الحياة العلمية([4]).

- **اهتمام السلاطين بالعلم:**

اهتم ملوك وأمراء بني أيوب ومن بعدهم المماليك بتشجيع ودعم العلماء وطلبة العلم ، وكان لهم دور بارز في ازدهار الجانب الحضاري ولاسيما الحياة العلمية والحركة الفكرية في مختلف بلدان العالم الإسلامي ، وكان من ملوك بني أيوب العلماء والفقهاء والشعراء الذين أسهموا في حركة الإحياء العلمي ، فأنشأوا المدارس ودور العلم وزودوها بالمكتبات وأجروا على ذلك الجرايات والأوقاف ، ومما يدلل على ذلك مجلس الملك الناصر صلاح الدين الذي كان حافلاً بأهل العلم ، يتذاكرون في أصناف العلوم ، وهو يحسن السماع والمشاركة حتى صار

---

[1]) شريش: مدينة كبيرة من كورة شذونة ، انظر: الحموي ، معجم البلدان ، جـ3 ، صـ340.

[2]) الذهبي ، سير ، جـ17 ، صـ257-258. ابن كثير ، البداية ، جـ13 ، صـ343. خليل ، مدينة القدس ، صـ116.

[3]) الذهبي ، تاريخ ، وفيات 691-700هـ ، صـ264-265. السبكي ، طبقات ، جـ4 ، صـ421. ابن العماد ، شذرات ، جـ6 ، صـ101. كحالة ، معجم المؤلفين ، جـ6 ، صـ193. الدباغ ، بلادنا ، جـ3 ، صـ252.

[4])أشارت المصادر العربية المختلفة إلى ظهور العديد من المدارس والمؤسسات الدينية التي كان لها أثر كبير في إحياء وبعث الحياة العلمية والاهتمام بتدريس علوم القرآن والسنة والفقه وعلوم اللغة العربية والرياضيات وعلم الطب وغيرها من العلوم ، وسيتم توضيح ذلك في الصفحات المقبلة لهذه الدراسة.

لكثرة مخالطته العلماء وأخذه عنهم ، كأنه من كبار الفقهاء يضرب في كل علم من علـوم الـدين بالسهم الصائب([1]).

كما كان الملك الناصر صلاح الدين يتلقى دروس الحديث من القاضي بهاء الـدين بـن شداد([2]) حتى وهو في ميدان القتال ، كما اعتاد وهو في الإسكندرية ، أن يحضر دروس الإمـام العالم الحافظ السلفي مع من يصحبه من أولاده ورجال دولته([3]).

ومهما يكن من أمر ، فإن اهتمام الملك الناصر صلاح الدين بالعلماء ، وموقفه الإيجـابي منهم ينبع من إدراكه بدورهم الاجتماعي كونهم الصفوة الاجتماعية التي تمتلك القدرات الفكريـة والعلمية في توجيه المجتمع للوقوف بوجه العدوان الصليبي لبلاد الشام ، وهكـذا سـار معظـم الملوك الأيوبيون على هذا النهج([4]).

وبعد صلاح الدين ولي العرش ابنه الملك العزيز عثمان ، كان محباً للعلـم والعلمـاء ، سمع الحديث بالإسكندرية من الحافظ السلفي ، والفقيه أبي الطاهر ابـن عـوف الزهـري([5]) ، وسمع بمصر من العلامة أبي محمد بن بري النحوي وغيرهم. ومما يدلل على اهتمامـه بـالعلم والعلماء ، أنه رحب بمقدم العالم عبد اللطيف البغدادي إلى مصر ، وأجرى عليه من بيت المـال ما يزيد على كفايته ، كما استقدم الإمام العالم الحسن بن الخطير من بيت المقدس ، وأغدق عليـه حتى أغناه.

وهكذا حظيت النخبة الفكرية من العلماء والأدباء باهتمام الملك العزيز ، إذ كان يستقبلهم بحفاوة بالغة ، ويحضر مجالسهم بغية إظهار مكانتهم العلمية والاجتماعية ، وتشجيعهم ، وحـثهم على مواصلة نشاطاتهم الفكرية.

---

[1]) السبكي ، طبقات ، جـ4 ، صـ222. بدوي ، الحياة العقلية ، صـ5-6. زعرور ، الحياة الاجتماعية ، صـ14.

[2]) بهاء الدين بن شداد: القاضي أبو المحاسن يوسف بن رافع بن شداد ولد في الموصل سنة 539هـ/1144م ، توفي سنة 632هـ/1234م ، ستأتي ترجمته.

[3]) الذهبي ، سير ، جـ15 ، صـ285. أحمد ، الحياة العلمية ، صـ14.

[4]) إبراهيم ، الحياة الاجتماعية في بلاد الشام ، صـ34.

[5]) ابن عوف الزهري: الشيخ الإمام ، شيخ المالكية إسماعيل بن بكر بن إسماعيل بـن عيسى بـن عـوف الإسكندراني ، ولد سنة 485هـ/1092م ، وتوفي سنة 581هـ/1185م. للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ15 ، صـ344.

وبرز من ملوك بني أيوب في ميدان الحياة العلمية والحركة الفكرية ، الملك المعظم عيسى بن الملك العادل ، ولد بالقاهرة سنة 576هـ/1180م ، وكان قد تلقى علومه منذ الصغر بمصر والشام على أيدي كبار العلماء والفقهاء حتى أصبح عالماً ضليعاً في عدة علوم يأتي في مقدمتها الفقه ، فقد تفقه على مذهب الإمام أبي حنيفة على العالم الإمام الحصيري([1]) ، فكان حنفياً متعصباً ، كما وصفه بعض المؤرخين([2]).

وقد التزم المعظم عيسى بالمذهب الحنفي في الوقت الذي كان فيه ملوك بني أيوب على المذهب الشافعي ، حتى أن والده الملك العادل سأله ذات مرة قائلاً: "كيف اخترت مذهب أبي حنيفة وأهلك شافعية؟" فأجابه على سبيل المداعبة: "أما ترضون أن يكون فيكم رجل واحد مسلم"، ومن شدة اهتمامه بمذهبه ، أمر الفقهاء أن يجردوا له مذهب الإمام أبي حنيفة في كتاب واحد ، فجردوه له في عشرة مجلدات فسماه "التذكرة"([3]) وصار لا يفارقه وأخذ في مطالعته ودراسته حتى استوعبه وكتب على ظهر كل مجلد "أنهاه حفظاً عيسى بن أبي بكر بن أيوب"([4]).

ولما وقف الملك المعظم على "تاريخ بغداد" ، الذي صنفه الشيخ الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي ، المعروف بالخطيب المتوفى سنة 463هـ/1070م ، وفيه مطاعن علي الإمام أبي حنيفة رواها الخطيب البغدادي عن جماعة من المحدثين ، رد عليه المعظم عيسى ، وقام بتحقيق تلك المطاعن ، وبين بطلانها ، وذلك من خلال كتاب صنفه ، وسماه

([1]) الإمام الحصيري: الشيخ الإمام الفقيه العلامة شيخ الحنفية محمود بن أحمد بن عبد السيد البخاري الحصيري الحنفي ، ولد سنة 546هـ/1151م ، وتوفي سنة 636هـ/1141م ، للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ16 ، صـ351-352.

([2]) ابن الأثير ، الكامل ، جـ9 ، صـ772. سبط بن الجوزي ، مرآة الزمان ، جـ8 ، صـ649. النويري ، نهاية ، جـ29 ، صـ143. ابن كثير ، البداية ، جـ13 ، صـ141. الغساني ، العسجد ، جـ2 ، صـ427-428.

([3]) حاجي خليفة ، كشف ، جـ1 ، صـ331.

([4]) ابن الأثير ، الكامل ، جـ9 ، صـ772. ابن واصل ، مفرج ، جـ4 ، صـ211. النويري ، نهاية ، جـ29 ، صـ146. النعيمي ، الدارس ، جـ1 ، صـ448. الغامدي ، ، بلاد الشام ، صـ390. أحمد ، الحياة العلمية ، صـ14.

"السهم المصيب في الرد على الخطيب"([1]) ، وأجاب المعظم في كتابه هذا عن كل مطعن ذكره بأحسن جواب ، كما ضمن كتابه مباحث قيمة في الفقه والنحو([2]).

ولم يقتصر تفوق الملك المعظم على الفقه فحسب ، بل برز أيضاً في علوم النحو والأدب واللغة وكان أستاذه فيها الشيخ العالم تاج الدين أبو اليمن بن الحسن الكندي([3]) ، وقد قرأ المعظم على يديه كتاب "سيبويه"([4]) ، وكتب عليه خطه في عدة مواضع ، يقول في بعضها: "أتممت هذا الكتاب مطالعة ومراجعة، وأنا بمدينة أرسوف ، " ويقول في موضع آخر: "أتممته مطالعة ومراجعة ، وأنا بمدينة نابلس"([5]).

ومن الواضح أن هذا يدلل على اهتمام المعظم الفائق بطلب العلم حتى أثناء تنقله بين بلدان مملكته وجهاده للصليبيين.

ومن مظاهر اهتمام الملك المعظم بالعلم ، أنه قرأ "الإيضاح"([6]) حفظاً ، وسمع مسند الإمام أحمد بن حنبل بدمشق على ابن طبرزد ، وسمع السيرة لابن هشام([7]) ، كما اهتم بالأدب والعروض وكان له ديوان شعر([8]).

---

[1]) حاجي خليفة ، كشف ، جـ2 ، صـ50.

[2]) ابن واصل ، مفرج ، جـ4 ، صـ212. المقريزي ، السلوك ، جـ1 ، صـ346. الغامدي ، بلاد الشام ، صـ391.

[3]) الشيخ الإمام العلامة المفتي شيخ الحنفية وشيخ القراءات تاج الدين أبو اليمن زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن الكندي البغدادي النحوي اللغوي ، ولد سنة 520هـ/1126م ، وتوفي سنة 613هـ/1216م. للمزيد عن ترجمته انظر: الذهبي ، سير ، جـ16 ، صـ79.

[4]) سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر إمام النحاة وأول من بسط علم النحو ، ولد في البيضاء قرب شيراز ، توفي سنة 180هـ/796م. للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ7 ، صـ583. السيوطي، بغية الوعاه ، جـ2 ، صـ229-230. وكتاب "سيبويه" أقدم مصنف جمع مسائل النحو العربي كافة ، ولم يعمل كتاب في علم من العلوم مثل كتاب "سيبويه"، انظر: حاجي خليفة، كشف ، جـ2، صـ367. بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي، جـ2، صـ134-135. وانظر كذلك: أبو خليل ، الحضارة ، صـ463-464.

[5]) ابن واصل، مفرج، جـ4، صـ210-211. الذهبي، سير، جـ16، صـ134. ابن سباط ، تاريخ، جـ1، صـ291.

[6]) الإيضاح: هو كتاب "الإيضاح في النحو" لأبي علي حسن بن أحمد الفارسي المتوفى سنة 377هـ/987م ، انظر: حاجي خليفة ، كشف ، جـ1 ، صـ214.

[7]) ابن هشام: العلامة النحوي الإخباري أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب ، هذب السيرة النبوية ، توفي سنة 218هـ/833م ، للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ9 ، صـ144-145.

[8]) النويري ، نهاية ، جـ29 ، صـ144. الذهبي ، سير ، جـ16 ، صـ134.

وكان الملك المعظم يحث طلاب العلم على الاشتغال بجد ونشاط فخصص لهم المكافآت ، وأعلن أن من يحفظ "الجامع الكبير"([1]) في الفقه الحنفي لأبي الحسن عبيد الله الكرخي([2]) فله مائة دينار ، ومن حفظ "الإيضاح في النحو" فله جائزة أخرى قدرها مائتا دينار ، وقد حفظ الكتابين جماعة من طلبة العلم ، فأعطاهم المكافآت التي وعدهم بها([3]).

واهتم الملك المعظم عيسى بالحركة الأدبية ، وقد عاش في بلاطه طائفة كبيرة من العلماء والأدباء والشعراء وكانوا لا يفارقونه حتى في أسفاره ومنهم - على سبيل المثال - شرف الدين بن عنين([4]) الشاعر المشهور ، وجمال الدين بن شيث([5]) ، كاتب الإنشاء ، وكان أديباً بليغاً بارعاً ، وله معرفة قوية بعلم الكيمياء([6]).

ولم يكن اهتمام الملك المعظم عيسى بالعلوم الفقهية فقط ، بل برع أيضاً في الشعر ، ومن شعره الذي يخاطب فيه أباه الملك العادل قوله:

أرْوِى رِماَحَكَ من دماءِ عِدَاكا	وانهبْ بخيلك مَنْ أطاع سِوَاكا
واركبْ خيولاً كالسعّالىَ شُزَّباً	واضربْ بسيفك من يشقّ عَصَاكا
واجلبْ من الأبطال كلَّ سَمَيْدَعٍ	يَفْرى بعزمك كلَّ من يَشْنَاكا
وسِرِ الغداةَ إلى العُدَاة مبادراً	بالضرب في هام العدوّ دِرَاكا
وانكحْ رماحك للثغور فإنّها	مشتاقةٌ أن تُبْتَىَ بعُلاَكا
فالعزُّ في نصْبِ الخيامِ على العدا	تُرْدِى الطغاةَ وتدْفعُ المُلاّكا

---

[1]) حاجي خليفة ، كشف ، جـ1 ، صـ450.

[2]) الكرخي: الشيخ الإمام الزاهد مفتي العراق شيخ الحنفية ، عاش ثمانين سنة ، توفي سنة 340هـ/951م ، للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ12 ، صـ88.

[3]) سبط بن الجوزي ، مرآة ، جـ8 ، صـ647. الحنبلي ، شفاء القلوب ، صـ276-277.

[4]) ابن عنين: الأديب الشاعر شرف الدين محمد بن نصر الله بن مكارم بن عنين الدمشقي ، توفي سنة 630هـ/1232م. للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ16 ، صـ292.

[5]) ابن شيث: العلامة البليغ عبد الرحيم بن علي بن حسين بن شيث ، ولد سنة 557هـ/1161م ، وتوفي سنة 625هـ/1227م. للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ16 ، صـ252.

[6]) ابن واصل ، مفرج ، جـ4 ، صـ214-215. الغامدي ، بلاد الشام ، صـ392.

والنصر مقرونٌ بهمتك التي قد أصبحتْ فوق السمّاكِ سماَكا
فإذا عزمتَ وجدتَ من هو طائعٌ وإذا نهضت وجدتَ من يخشاكا
والنصرُ في الأعداء يوم كريهة أحلى من الكأس الذي روَّاكا([1])

ومن مظاهر اهتمام الملك المعظم عيسى بالحياة العلمية أنه أسهم في إنشاء المدارس ، ومنها: المدرسة المعظمية بدمشق ، والتي أنشأها سنة 621هـ/1224م ، حيث تولى التدريس بها عدد من العلماء المشهورين ، كما بنى ببيت المقدس مدرسة الحنفية([2]) عند باب المسجد الأقصى ، وبنى بالقرب منها أيضاً مدرسة أخرى ، عرفت باسم المدرسة النحوية (المعظمية)([3]) وخصصهما لتدريس علوم اللغة العربية ، وأوقف عليها الأوقاف الحسنة([4]).

وكان لهذه المدارس أثر كبير في نشر المعرفة والثقافة في مختلف أرجاء الدولة الأيوبية ، كما كان لها الفضل الكبير في فتح الأبواب أمام الثقافات الإسلامية المتعددة ليتدفق الطلبة على دمشق وبيت المقدس من مختلف أرجاء العالم الإسلامي.

ومن مظاهر اهتمام الملك المعظم عيسى أيضاً بالحياة العلمية أنه اهتم بإعادة تنشيط الحياة الفكرية للمسجد الأقصى ، فرتب الخطباء والمدرسين والأئمة ، ووقف على ذلك الوقوف الكثيرة ، وقد أعطى (العماد الأصفهاني) وصفاً للحركة العلمية ، وتنوعها في حلقات المسجد الأقصى في أواخر القرن السادس الهجري وبعد تحريرها من الصليبيين حيث قال: "فما ترى إلا قارئاً باللسان الفصيح ، وراوياً للكتاب الصحيح ، ومتكلماً في مسألة ، ومتفحصاً عن مشكلة ، ومورداً لحديث نبوي ، وذاكراً لحكم مذهبي ، وسائلاً عن لفظ لغوي ، ومعنى نحوي ، أو مُقرضاً بقريض ، أو معرضاً بتصريح ، أو مصرحاً بتعريض ، أو جالباً لمدحه ، أو طالباً لمنحه ، أو ناشداً بنشيد ، أو مسمعاً بتغريب وتغريد"([5]).

---

[1]) الأزدي ، بدائع البدائة ، صـ321. رشيد ، "الأدب عند بني أيوب" ، صـ37.
[2]) مدرسة الحنفية: هي المدرسة المعظمية ، تنسب إلى واقفها الملك المعظم عيسى ، وقد أمر بإنشائها في سنة 614هـ/1217م. انظر: صـ178.
[3]) المدرسة النحوية المعظمية: أنشأها الملك المعظم سنة 604هـ/1207م. انظر: صـ179.
[4]) العليمي ، الأنس ، جـ2 ، صـ76. النعيمي ، الدارس ، جـ1 ، صـ445. عبد المهدي ، المدارس ، جـ1 ، صـ351.
[5]) الأصفهاني ، الفتح ، صـ151.

ومما لاشك فيه ، أن هذا القول يشير بوضوح إلى النـــشاط الفكـــري داخـــل المـــسجد الأقصى ، ويشير أيضاً إلى العلوم والمعارف التي كانت تزخر بهـــا حلقـــات العلـــم فـــي بيـــت المقدس ، من قراءة القرآن ، والقراءات ، والحديث ، والتفسير ، واللغـــة ، والنحـــو ، والفقـــه ، والشعر ، وغير ذلك([1]).

وكان الملك المعظم يعقد المجالس العلمية والأدبية في داخل المسجد الأقصى ، ومن ذلك ما ذكره ابن واصل([2]) متحدثاً عن المعظم ، عندما قدم إلى بيت المقدس سنة 623هـــــ/1226م حيث يقول: "جلس- المعظم – خارج الصخرة الشريفة ، واستدعى جماعة من الفقهاء ، وبـــاحثهم في مسائل لغوية وفقهية"([3]).

وفي هذا دليل واضح على مدى اهتمام الملك المعظم بالحياة العلمية ، وهذا أيضاً يـــدلل على أن المعظم عيسى لم يكن يعقد المجالس العلمية داخل المسجد الأقصى فحسب ، بـــل كـــان يشارك فيها مشاركة فعَّالة ، ومن الواضح أيضاً أن في هذا المجلس الذي عقده الملـــك المعظـــم بالمسجد الأقصى دار حول مسائل في اللغة والتاريخ والفقه بحضور عدد من العلمـــاء والفقهاء والأدباء الذين كانوا لا يفارقونه أمثال: شرف الدين بـــن عنـــين وجمـــال الـــدين بـــن شـــيث وغيرهما([4]).

حقاً ، لقد كان الملك المعظم عيسى "رجل بني أيوب وعالمهم بـــلا مدافعـــة"([5]) ، وقـــد وصفه أحمد بدوي بأنه كان مأمون بني أيوب([6]).

---

[1]) شاهين ، الملك المعظم عيسى ، صـــ231.

[2]) ابن واصل: الإمام العالم جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سالم بن نصر الله بن واصل الحموي الشافعي ، ولد سنة 604هــ/1207م ، وتوفي سنة 697هــ/1297م. للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جـــ17 ، صـــ190. ابن العماد ، شذرات ، جـــ6 ، صـــ110.

[3]) ابن واصل ، مفرج ، جـــ4 ، صـــ213.

[4]) المصدر نفسه ، صـــ214. شاهين ، الملك المعظم عيسى ، صـــ233.

[5]) ابن تغري بردي ، النجوم ، جـــ6 ، صـــ238.

[6]) بدوي ، الحياة العلمية ، صـــ7. وانظر أيضاً: سلام ، الأدب في العصر الأيوبي ، صـــ80.

هكذا كان الملك المعظم عيسى عالماً فقيهاً نحْوِيّاً فاضلاً حليماً متواضعاً شجاعاً مقداماً ، قصده العلماء من الآفاق ، فأحبهم ، وأكرمهم ، وأجرى عليهم الجرايات الوافرة وقربهم ، وكان يجالسهم ، ويباحثهم ، ويفيد منهم ، ويُفيدهم ، وظل خيراً مجتهداً معطاءً ، حتى توفي سنة 624هـ/1226م بدمشق، وكانت مدة ملكه تسع سنين وستة أشهر([1]).

ومن ملوك بني أيوب الذين اهتموا بالعلم والعلماء ، الملك الكامل ناصر الدين أبو المعالي ، وأبو المظفر محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، ولد بمصر سنة 576هـ/1180م ، كان فقيهاً فاضلاً ، يحب أهل العلم ، ويؤثر مجالستهم ، ويناظرهم ، ويمتحنهم بمسائل غريبة ، من فقه ونحو ، فمن أجاب عنها حظي عنده ، كما اعتاد الملك الكامل أن يعقد ندوة علمية دورية مساء كل خميس ، يتناظر فيها العلماء ، ويتجادلون ، ويشاركون الكامل في جدلهم ومناظراتهم([2]).

ومن الواضح مدى اهتمام الملك الكامل بالحياة العلمية ، فلم يكن يعقد مثل هذه الندوات العلمية بتوجيه منه ، بل كان يقوم بنفسه بالمشاركة الفاعلة فيها مثل أخيه الملك المعظم عيسى ، الذي كان يشارك في المجالس العلمية داخل المسجد الأقصى ، الأمر الذي يعني ازدهار النشاط العلمي والحركة الفكرية في أرجاء الدولة الأيوبية.

وكان الملك الكامل مغرماً بسماع الأحاديث النبوية ، شديد العناية بحملة الحديث النبوي ، وممن وفد إليه من علماء المحدثين الإمام مجد الدين بن دحية([3]) ، فأكرمه ، ولازمه ،

---

[1]) ابن الأثير ، الكامل ، جـ9 ، صـ772. ابن خلكان ، وفيات ، جـ3 ، صـ495. ابن واصل ، مفرج ، جـ4 ، صـ141 ، 208 ، 210. ابن كثير ، البداية ، جـ13 ، صـ141. الغساني ، العسجد ، جـ2 ، صـ427-428. ابن الفوطي ، الحوادث ، صـ95.

[2]) ابن خلكان ، وفيات ، جـ5 ، صـ83. ابن واصل ، مفرج ، جـ5 ، صـ158. ابن الفوطي ، الحوادث ، صـ95. الذهبي ، تاريخ ، وفيات 631-640هـ ، صـ255-256. ابن كثير ، البداية ، جـ13 ، صـ171. الغساني ، العسجد، جـ2 ، صـ482-483. المقريزي ، السلوك، جـ1، صـ380-381. ابن تغري بردي ، النجوم ، جـ6 ، صـ204. أحمد ، الحياة العلمية ، صـ14. البيطار ، التعليم في الشام ، صـ57-58.

[3]) مجد الدين بن دحية: الإمام العالم الحافظ أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي الأندلسي ، كان متقناً لعلم الحديث النبوي ، عارفاً بالنحو واللغة ، انتقل من بلاد الأندلس إلى مصر والشام في طلب الحديث والإفادة منه ، توفي بالقاهرة سنة 633هـ/1235م. للمزيد عن ترجمته، انظر: أبو شامة ، تراجم، صـ163. ابن خلكان، وفيات، جـ3، صـ448-450.

وبنى له دار الحديث الكاملية بالقاهرة سنة 621هـ/1224م ، وجعله شيخها ، ووقف عليها وقفاً جليلاً([1]).

هكذا كان الملك الكامل محباً ومشجعاً للعلم والعلماء ، وكان ذكياً مهيبـاً فاضـلاً عـادلاً شجاعاً ، تملك الديار المصرية أربعين سنة ، توفي بدمشق سنة 635هـ/1237م([2]).

ومن سلاطين المماليك الذين اهتموا وشجعوا العلم الملك الظاهر ركن الدين أبـو الفـتح بيبرس البندقداري ، ولد سنة 625هـ/1227م ، تولى السلطنة ، وملك الديار المصرية والشامية سنة 658هـ/1259م ، واستمر ملكه نحو سبع عشرة سنة([3]).

ومن شدة اهتمامه بالعلم أنه كان يقرب إليه النابغين في كل علم وفن ، وكان يميل إلـى التاريخ وأهله ميلاً شديداً ويقول: "سماع التاريخ أعظم من التجارب([4]) وكان يحـب العلمـاء ، ويقدرهم ، ويشجعهم، ويقوم بزيارتهم ، وخير دليل على ذلك زيارته للإمام العالم ابـن حياة([5]) في بيته بحمص([6]) ، وكان ابن حياة قد تولى القضاء ببيت المقدس([7]). وكـان الملـك الظـاهر شهماً شجاعاً مقداماً صبوراً، له فتوحات كثيرة منهـا: قيـسارية ويافـا وطبريـة وأرسـوف

---

[1]) سبط ابن الجوزي ، مرآة ، جـ8 ، صـ623. ابن خلكان ، وفيات ، جـ5 ، صـ81. ابن واصل ، مفرج ، جـ5 ، صـ162-163. الذهبي ، سير ، جـ16 ، صـ139. ابن كثير ، طبقات ، جـ2 ، صـ838. المقريزي ، السلوك ، جـ1 ، صـ380.

[2]) ابن خلكان ، وفيات ، جـ5 ، صـ83. الذهبي ، سير ، جـ16 ، صـ141. ابن كثير ، البداية ، جـ13 ، صـ171. ابن سباط ، تاريخ ، جـ1 ، صـ313-314.

[3]) أبو شامة ، تراجم ، صـ210. النويري ، نهاية ، جـ30 ، صـ13. الكتبي ، فوات ، جـ1 ، صـ237. ابن كثير ، البداية ، جـ13 ، صـ251. ابن تغري بردي ، النجوم ، جـ7 ، صـ86. للمزيد عن ترجمة الملك الظاهر ، انظر: ابن تغري بردي ، النجوم ، جـ7 ، صـ86-222. ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر فـي سيرة الملك الظاهر.

[4]) ابن تغري بردي ، النجوم ، جـ7 ، صـ162. طقوش ، تاريخ المماليك ، صـ158.

[5]) ابن حياة: الإمام العالم الفقيه القاضي تقي الدين محمد بن حياة بن يحيى الرقي الشافعي ولاه الملك الظـاهر قضاء حمص ، توفي سنة 676هـ/1277م. للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ17 ، صـ313.

[6]) حمص: مدينة مشهورة بالشام ، وهي بين دمشق وحلب ، فيها كثير من المزارات والمشاهد ، وينسب إليهـا جماعة من العلماء. انظر: الحموي ، معجم البلدان ، جـ2 ، صـ302-303.

[7]) الذهبي ، سير ، جـ17 ، صـ313. ابن الفرات ، تاريخ ، جـ7 ، صـ112-113.

وصفد([1]) ، وعندما سار إلى بيت المقدس سنة 661هـ/1262م ، لتفقد أحواله خصص في كل سنة خمس آلاف درهم للمسجد الأقصى للعمل على تسيير أموره العمرانية والفكرية ، كما نظر في الأوقاف وكتب بحمايتها([2]). ومن الطبعيّ أن يكون قرار الملك الظاهر بتوفير هذا الدعم المالي للمسجد الأقصى إشارة واضحة لاهتمامه بتحسين وتفعيل النشاط العلمي والحركة الفكرية ببيت المقدس وغيرها من المدن الأخرى. وظل الملك الظاهر مجاهداً معطاءً حتى وفاته بدمشق سنة 676هـ/1277م([3]).

ومن مظاهر اهتمام الملوك والسلاطين بالحياة العلمية في فلسطين ، إنشاء المؤسسات التعليمية ، وتطويرها والاهتمام بنظام التعليم على النحو التالي:

---

[1]) ابن عبد الظاهر ، الروض ، صـ280-281. ابن كثير ، البداية ، جـ13 ، صـ306. ابن تغري بردي ، النجوم ، جـ7 ، صـ167. ابن سباط ، تاريخ ، جـ1 ، صـ448. عن فتوحات الملك الظاهر ، انظر: القلقشندي ، صبح ، جـ3 ، صـ430-431.

[2]) ابن شداد ، الأعلاق ، جـ2 ، ق2 ، صـ237. المقريزي ، السلوك ، جـ1 ، صـ556. عبد المهدي ، الحركة الفكرية ، صـ71.

[3]) ابن شداد ، الأعلاق ، جـ2 ، ق2 ، صـ137. أبو الفداء ، المختصر ، جـ2 ، صـ342. الذهبي ، العبر ، جـ3 ، صـ331. ابن كثير ، البداية ، جـ13 ، صـ305. ابن العماد ، شذرات ، جـ6 ، صـ3.
بنى الملك الظاهر جوامع كثيرة ومساجد عديدة ، وجدد ببيت المقدس قبة السلسلة ، ورمم سقف الصخرة ، وبنى بالقدس خاناً هائلاً ونقل إليه باب قصر الخلفاء الفاطميين من مصر ، وعمل فيه طاحوناً وفرناً وبستاناً ، وجعل للواردين إليه أشياء تصرف لهم لنفقه وإصلاح أمتعتهم ، وجدد جامع الرملة وغيرها في كثير من البلاد التي كانت الفرنج قد أخذتها ، وخربت جوامعها ومساجدها ، وبنى بحلب داراً هائلة وبدمشق والقاهرة المدرسة الظاهرية ، وجدد قبر الخليل عليه السلام ، وأصلح أبوابه ، وبنى على قبر موسى عليه السلام قبة ومسجداً قبلي أريحا ، ووقف عليه وقفاً. انظر: ابن كثير ، البداية ، جـ13 ، صـ307. القلقشندي ، صبح ، جـ3 ، صـ431. المقريزي ، المواعظ ، جـ2 ، صـ378. ابن تغري بردي ، النجوم ، جـ7 ، صـ109. ابن سباط ، تاريخ ، جـ1 ، صـ451. النعيمي ، الدارس ، جـ1 ، صـ264.

أولاً: انتشار المؤسسات التعليمية:

1- الكتاتيب:

انتشرت الكتاتيب في معظم مدن فلسطين في عهد الدولة الأيوبية ومن بعدهم المماليك ، وقد اشترط في معلم الكتاب أن يكون عاقلاً تقياً صحيح العقيدة ، كان هدف هذه الكتاتيب ينحصر في المقام الأول في تربية الأطفال على الفضائل والمحامد ، وتعليمهم قراءة القرآن وحفظه إضافة إلى مبادئ القراءة والكتابة والخط والإملاء وبعض الشعر وأصول الحساب ، وكانت الكتاتيب تؤهل الأطفال لدخولهم المدارس([1]).

وكان من أشهر الكتاتيب في فلسطين في عهد الدولة الأيوبية كتاب الملك الناصر صلاح الدين ببيت المقدس ، وقد ورد ذكره في نقش سجله فان برشم (Van Berchem) ، ويستفاد منه أن الملك الناصر بنى هذا الكتاب وجعله وقفاً على أولاد المسلمين عامة لتعليم القرآن ، ووقف على ذلك داراً كانت تعرف بدار أبي نعامة ، مقابل باب المسجد الأقصى ، على أن تصرف أجرة الدار المذكورة إلى المعلم ، وإشعال القنديل ، والماء للصبيان لغسل الألواح والشرب ، بشرط أن يكون المعلم من أهل الدين والصلاح ، والنقش مؤرخ في سنة 595هـ/1198م([2]).

2- المساجد:

كانت المساجد أول الأبنية التي أُقيمت في الإسلام ، تقام فيها الصلوات الخمس ، وتتم فيها بيعة الخلفاء ، ويدعى فيها القوم إلى الجهاد ، ويتم فيها الفصل بين الناس ، وبالإضافة إلى المهمة الدينية التي بُنيت من أجلها ، كانت المساجد من أقدم المراكز التعليمية في الإسلام ، وأكثرها انتشاراً ، فقد عقدت فيها مجالس العلم ، حيث كان العلماء والفقهاء والأدباء يجلسون ، وحولهم تلاميذهم ، وسُميت مثل هذه المجالس بالحلقات التعليمية ، أو حلقات العلم ، ولذلك كانت المساجد بمثابة مراكز ومعاهد للعلم والثقافة ، والوعظ ودراسة القرآن ، والحديث والفقه واللغة ، وغيرها من العلوم([3]).

---

[1]) السبكي ، معيد النعم ، صـ130. ابن بسام المحتسب ، نهاية ، صـ161. الخطيب ، دور التعليم ، صـ107. أحمد ، الحياة العلمية ، صـ7.

[2]) Berchem, Materiaux Pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum, Le Caire. 1922. No 39.

[3]) ابن خلدون ، مقدمة ، صـ219-220 ، صـ349-350. حسن ، تاريخ الإسلام ، جـ4 ، صـ421-422. العمري، تاريخ العلم ، صـ19-20.

وكانت فلسطين ، وما زالت مشهورة بمساجدها وفي مقدمتها المسجد الأقصى([1]) الذي وصفه ابن حوقل بقوله: "وببيت المقدس مسجد ليس في الإسلام مسجد أكبر منه"([2]) ، والمسجد الأقصى أحد المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال إلا إليها لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ورد في الصحيح: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى".

وقد اهتم ملوك وسلاطين الأيوبيين والمماليك بالمسجد الأقصى ، وتنافسوا في إعماره ، والإنفاق عليه وإحياء الحياة العلمية والحركة الفكرية فيه ، فقد عنى الملك الناصر صلاح الدين بالمسجد الأقصى بعد تحريره ، ورتب له خطيباً ، استمرت خطبته ، واستقرت نصبته([3]) ، كما عين في قبة الصخرة "إماماً من أحسن القُراء تلاوة ، وأزينهم طلاوة ، وأنداهم صوتاً ، وأسماهم في الديانة صيتاً ، وأعرفهم بالقراءات السبع ، وأطيبهم في العرف والنشر.. وحمل إليها وإلى محراب المسجد الأقصى مصاحف وختمات ، وربعات معظمات ، لا تزال بين أيدي الزائرين على كراسيها مرفوعة ، وعلى أسرتها موضوعة"([4]).

ورتب الملك الناصر صلاح الدين للقبة خاصة وللبيت المقدس عامة قومة يقومون بأمرها ، ويسيرون مصالحها ، وكانوا من الرجال العارفين العاكفين القائمين بالعبادة([5]).

وعاد المسجد الأقصى والصخرة المشرفة مركزي علم وعبادة ، وتدفق عليهما العلماء والأتقياء وانشغلوا بقراءة القرآن ورواية الحديث وذكر الدروس([6]).

هكذا برز المسجد الأقصى ، وعاد ليكون عماد الحياة العلمية والحركة الفكرية ، قبلة العلماء والفقهاء والمحدثين وطلبة العلم ، منارة العلم والإيمان ، ليس في فلسطين فحسب ، بل لكل أهل العلم من مختلف أرجاء العالم الإسلامي ، وقد أوضحنا فيما تقدم المكانة الرفيعة العالية للمسجد الأقصى ، وأهميته وفضله ، ومظاهر النشاط العلمي فيه.

---

[1]) المسجد الأقصى: سمي الأقصى لأنه أبعد المساجد التي تزار ، انظر: النويري ، نهاية ، جـ1 ، صـ326.

[2]) ابن حوقل ، صورة الأرض ، صـ171.

[3]) الأصفهاني ، الفتح ، صـ140.

[4]) المصدر نفسه ، صـ141-142. ابن واصل ، مفرج ، جـ2 ، صـ230.

[5]) الأصفهاني ، الفتح ، صـ142.

[6]) المصدر نفسه ، صـ198.

ومما لاشك فيه ، أن مساجد فلسطين كانت قد ساهمت فـي المحافظـة علـى التـراث الإسلامي والثقافة الدينية وشاركت في إحياء الحركة الفكرية من خلال مواعظ ودروس العلمـاء والفقهاء ، وإقامة حلقات العلم ، سواء ما قبل العدوان الصليبي على فلسطين أو بعد التحريـر ، ومن هذه المساجد:

مسجد الرملة: وصفه المقدسي بقوله: "ليس في الإسلام أبهى من جامعها ، أبهى وأرشـق مـن جامع دمشق، يسمى المسجد الأبيض ، ليس في الإسلام أكبر من محرابه ، ولا بعد منبر المقدس أحسن من منبره ، وله منارة بهية"([1]) ، وقد جدد الملك الناصر صلاح الدين هذا المسجد بإعطاء أمره إلى أمهر مهندسيه ، وهو الياس بن عبد الله وذلك سنة 586هـ/1190م([2]).

وعندما فتح الملك الظاهر بيبرس يافا سنة 666هـ/1267م ، قام بتجديد مسجد الرملة ، فعمر قبته التي على المحراب والباب المقابل له ، كما عمر منارته القديمـة([3]). وفـي الرملـة جوامع أخرى ، لكن أهمها هذا المسجد.

ومهما يكن من أمر فإن هذا الاهتمام بالمسجد الأبيض من قبل الملك الناصـر صـلاح الدين والملك الظاهر بيبرس يدلل على مدى اهتمامهما بالتراث الإسلامي وحرصها على تأكيـد دور المساجد في تحقيق أهدافها الدينية والعلمية بوصفها أماكن للعبادة والعلم.

ومن مساجد فلسطين أيضاً **مسجد الجمعة** في وسط مدينة طبرية فـي الـسوق ، وهـو مسجد كبير حسن ، يقال أن الذي بناه هو سليمان بن داود عليه السلام ، وعند بابه عين مـاء ، وفي الجانب الغربي من مدينة طبرية مسجد يدعى **مسجد الياسمين** وهو مـسجد جميـل ، فـي وسطه ساحة كبيرة ، وحولها الياسمين الذي سمي به المسجد ، وتحت هذه الساحة ، قبور سبعين نبياً([4]).

---

[1]) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، صـ142-143. انظر كذلك: جودة ، مدينة الرملة ، صـ206-207.

[2]) البلوي ، تاج المفرق ، جـ2 ، صـ16. العليمي ، الأنس ، جـ2 ، صـ128-129.

[3]) الكتبي ، فوات ، جـ1 ، صـ244. العليمي ، الأنس ، جـ2 ، صـ129. جودة ، مدينة الرملة ، صـ208.

يذكر الدكتور صادق أحمد جودة في كتابة "مدينة الرملة" صفحة 210 أنه عندما قدم نابليون من مصر إلى بلاد الشام غازياً لها إبان غزوه للمشرق الإسلامي سنة 1213هـ/1798م ، نزل الرملة وأقام مقر قيادته العسكرية في برج المسجد الأبيض.

[4]) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، صـ141. خسرو ، سفر نامة ، صـ63-64. الدويكات ، إقطاعية ، صـ312-313.

وعرف عن طبرية أنها كانت تتمتع بمركز علمي رفيع المستوى ، فقد انتسب إليها ، وخرج منها جماعة من العلماء([1]) ، وبالرغم من المكانة العلمية التي احتلتها طبرية ، وكثرة ما أنجبت من علماء ، إلا أن الباحث لم يجد في المصادر العربية التي اطلع عليها ما يفيد بوجود مدارس فيها منذ أوائل العهد السلجوقي ، وحتى أواخر العصر المملوكي. وربما يعود السبب في ذلك إلى أن علماءَها كانوا مهتمين بالعلوم الإسلامية ، من فقه ، وحديث ، وقراءات ، الأمر الذي يرجح أن هؤلاء العلماء استخدموا المساجد بديلاً عن تلك المدارس ، خاصة وأن تدريس مثل هذه العلوم كانت تتم في المساجد ، وخير دليل على ذلك ما أشار إليه المقريزي عند حديثه عن أحد العلماء ، وهو أبو عبد الله القيجاطي ، الذين قدموا إلى طبرية ، حيث ذكر بأن هذا العالم حينما قدم إلى طبرية أخذ يدرس طلبته في مساجدها([2]).

وعليه يمكن القول: بأن المساجد كان لها دور فاعل في نشر العلم والمعرفة ، وتعليم الناس.

ولم يختلف الحال في نابلس كثيراً عن طبرية ، من حيث اهتمام أهلها بالعلم ، وكثرة العلماء التي أنجبتهم المدينة([3]) ، ومع ذلك ، لم يعثر الباحث - في حدود المصادر التي اطلع عليها - ما يفيد بوجود مدارس فيها منذ فترة حكم الفاطميين وعهد السلاجقة ، واستمر الحال على ذلك زمن الصليبيين والأيوبيين ، ولم تظهر المدارس بنابلس إلا في العهد المملوكي ، وعليه ، كان التدريس يتم في مساجد([4]) المدينة ، حيث كانت تدرس العلوم الدينية ، وكان القرآن أول ما يدرس ويحفظ للطلاب ، إضافة إلى علم الحديث وروايته والفقه والتفسير ، وإلى جانب العلوم الدينية كانت المساجد تدرس اللغة بمختلف فروعها([5]).

---

[1]) السمعاني ، الأنساب ، جـ4 ، صـ42-43. الحموي ، معجم البلدان ، جـ4 ، صـ18-19.

[2]) المقريزي ، المقفى ، جـ5 ، صـ107. وانظر كذلك: الدويكات ، إقطاعية ، صـ294.

[3]) العليمي ، الأنس ، جـ2 ، صـ137.

[4]) المقصود: مساجد نابلس ، انظر: المقدسي ، أحسن التقاسيم ، صـ149. الدباغ ، بلادنا ، جـ6 ، صـ106.

[5]) النقاش ، العلاقات ، صـ93. كرد علي ، خطط ، جـ6 ، صـ66. البيشاوي ، نابلس ، صـ203-204.

ومن مساجد نابلس المشهورة ، **المسجد الكبير** ، كان هذا المسجد كنيسة كبيرة ، حولها الملك الناصر صلاح الدين إلى جامع ، وكان يسمى في أثناء الفترة الفرنجية باسم كنيسة القيامة([1]).

ومنها أيضاً: **المسجد الغربي** ، وكان يسمى أيضاً مسجد الحنابلة منذ القرن التاسع للهجرة ، نسبة إلى العلماء الحنابلة الذين تولوا الإمامة فيه ، ومنهم الإمام العالم البهاء عبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد بن عبد الرحمن بن منصور المقدسي الفقيه الحنبلي المتوفى سنة 624هـ/1226م([2]).

ومن مساجد نابلس القديمة أيضاً **مسجد الشيخ بدران** ، نسبة إلى واقفه العماد عبد الحافظ بن الشيخ بدر الدين بدران المتوفى سنة 698هـ/1298م ، وكان المسجد مجاوراً للمدرسة العمادية ، وتنسب إليه أيضاً([3]).

ومن الطبيعيّ أن يكون لباقي المساجد المنتشرة في فلسطين نفس الأهداف التي من أجلها قامت هذه المساجد ، والمتمثلة في العبادة ونشر العلم ، والمحافظة على تراث الإسلام ، ومن هذه المساجد: مسجد قيسارية([4]) ، ومسجد عكا([5]) ، ومسجد عسقلان([6]) ومساجد أُخرى كثيرة.

---

[1]) Enlart, C., Vol.2., P. 285.

كان هذا المسجد في الأصل مسجداً قبل أن يحول إلى كنيسة على يد الصليبيين في أثناء سيطرتهم على نابلس ، وبعد التحرير تم تحويل الكنيسة إلى مسجد كما كان في الأصل ، لأن الملك الناصر صلاح الدين كان حريصاً في تعامله مع أهل الذمة على الوفاء لهم ومعاملتهم وفق أحكام الشريعة الإسلامية ، فما كان ليقوم بتحويل كنائسهم إلى مساجد إلا وفق الأحكام الشرعية ، انظر: العزة ، نابلس ، صـ148.

[2]) ابن العماد ، شذرات ، جـ5 ، صـ210. الدباغ ، بلادنا ، جـ6 ، صـ226. العزة ، نابلس ، صـ149.

[3]) الذهبي ، العبر ، جـ3 ، صـ392. ابن العماد ، شذرات ، جـ6 ، صـ114.

[4]) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، صـ129. خسرو ، سفر نامة ، صـ65.

[5]) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، صـ142. خسرو ، سفر نامة ، صـ61.

[6]) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، صـ148.

3- المدارس:

كان من عوامل ازدهار الحياة العلمية والحركة الفكرية في فلسطين إبان العهدين الأيوبي والمملوكي ، إنشاء المدارس ، ويعد الملك الناصر صلاح الدين أول من أنشأ المدارس في مصر وفلسطين ، وقد تنافس رجال الحكم والسلطة في الدولة الأيوبية ومن اتصل بهم في إنشاء هذه المدارس واختيار أفضل المدرسين وأتقاهم للعمل فيها([1]).

ولم تقتصر موارد هذه المدارس على الأوقاف الكثيرة التي كانت تخصص لها ، بل كان للعلماء إقطاعات خاصة ، يمنحها لهم الملوك والأمراء ، ومرتبات تصرف لهم من خزانة الدولة ، ويقول القاضي الفاضل في إحدى رسائله للملك الناصر صلاح الدين: "إن أرزاق أرباب العمائم في دولته ، إقطاعاً وراتباً يتجاوز مائتى ألف دينار"([2]).

وقد بلغ عدد ما أنشئ من المدارس في فلسطين في عصر الأيوبيين تسع مدارس ، جميعها موقوفة ، وتقدم التعليم بالمجان من ريع أوقافها ، وكانت تقدم مرتبات للطلبة ، ومخصصات مالية لهم ولجميع العاملين فيها([3]).

ورغم اهتمام الملك الناصر صلاح الدين ومن جاء من بعده بإنشاء المدارس بهدف نشر العلم والمعرفة ، إلا أنه كان هناك أسباب واضحة لإنشائها ومن أهمها([4]):

أولاً: نشر المذهب السُني ، وخاصة المذهب الشافعي ، وهو مذهب الملك الناصر صلاح الدين ، بعد نجاح صلاح الدين في القضاء على الفاطميين ، والتخلص منهم ، والسعي للقضاء على مذهبهم الشيعي.

ثانياً: أقام الملوك والأمراء الأيوبيون هذه المدارس لرغبتهم القوية في التقرب إلى الله ، وكسب الثواب ، فقد رأوا فيها وسيلة لتعليم القرآن ، وتعاليم الدين الإسلامي ، والتمسك بالدين والعقيدة.

ثالثاً: رغبة العلماء في مواصلة الإحياء العلمي ، ونمو النشاط الفكري ، وخاصة في ظل تشجيع الملوك والسلاطين لهم ، ودعمهم مادياً ومعنوياً.

---

[1]) أبو الفداء ، المختصر ، جـ2 ، صـ157. أحمد ، الحياة العلمية ، صـ12.

[2]) أبو شامة ، "عيون الروضتين" ، جـ2 ، صـ321.

[3]) العسلي ، مؤسسة الأوقاف ، صـ95.

[4]) غوانمة ، تاريخ ، صـ144 ، 151. البيطار ، التعليم في دمشق ، صـ42. البيطار ، التعليم في دمشق ، صـ58.

رابعاً: دعم السلطة الحاكمة ، وتثبيت دعائمها وأركانها من خلال العلماء بوصفهم القوة المؤثرة في الحياة الاجتماعية ، ولديهم المقدرة الفاعلة في التأثير على الناس والمجتمع.
خامساً: الوقوف في وجه العدوان الصليبي ، ومقاومته ، خاصة وأن الصليبيين كانوا يهدفون إلى طمس معالم ومظاهر الحضارة الإسلامية ، ولذلك نهض أبناء الأُمة وزعماؤهم يتحدون هذا العدوان ، كي يحافظوا على شخصيتهم الحضارية ودينهم ، وذلك ببناء المدارس.
سادساً: تخريج نخبة قوية متمكنة من العلماء والفقهاء والموظفين كي يتولوا الوظائف الحكومية ويساهموا في إدارة وتسيير أعمال الدولة وشؤونها وتحقيق أهدافها.

ومن أبرز المدارس التي أنشأها الملك الناصر صلاح الدين ولعبت دوراً مهماً في تخريج العلماء والفقهاء ، المدرسة الصلاحية ، حيث كانت أهم مؤسسة تعليمية في بيت المقدس ، وبلغت شأناً كبيراً في عهد صلاح الدين ، والعهود التي تلته ، وكانت من المدارس التي يشار إليها بالبنان ، فبعد الفتح الإسلامي لبيت المقدس سنة 583هـ/1187م ، جلس الملك الناصر صلاح الدين "وفاوض جلساءَه من العلماء والأكابر والأمراء والأتقياء الأخيار في أن يبني مدرسة للفقهاء الشافعية ورباطاً للصلحاء الصوفية ، فعين للمدرسة الكنيسة المعروفة بصند حنة([1]) عند باب أسباط ، وعين دار البطرك ، وهو بقرب كنيسة قمامة ، للرباط ووقف عليهما أوقافاً حسنة"([2]).

وهذه المدرسة ، كانت قبل الإسلام تعرف بصند حنة ، ثم صارت في الإسلام دار علم قبل أن يملك الفرنج القدس، وكان يدرس بها العلم الفقيه نصر بن إبراهيم المقدسي قبيل أخذ الفرنج للقدس ، ثم لما ملك الفرنج القدس سنة 492هـ/1099م ، أعادوها كنيسة كما كانت قبل الإسلام ، فلما فتح الملك الناصر صلاح الدين القدس أعادها مدرسة ووقف عليها وقوفاً جليلة([3]).

---

[1]) صند حنة: القديسة حنة والدة القديسة مريم عليها السلام ، حيث كانت هذه الأُم تعيش مع زوجها ، وأنجبت ابنتها مريم العذراء عليها السلام ، انظر: ثيودريش ، وصف ، صـ101. دانيال الراهب ، وصف ، صـ55.
[2]) الأصفهاني ، الفتح ، صـ145. أبو شامة ، الروضتين ، جـ2 ، صـ114. العليمي ، الأنس ، جـ2 ، صـ88. النعيمي ، الدارس ، جـ1 ، صـ485. كرد علي ، خطط ، جـ6 ، صـ121.
[3]) ابن واصل ، مفرج ، جـ2 ، صـ407. أبو الفداء ، المختصر ، جـ2 ، صـ169-170. ابن الفرات ، تاريخ ، مج4 ، ق2 ، صـ88. العسلي ، معاهد ، صـ55-56. العارف ، المفصل ، صـ180.

ورغم أن قرار الملك الناصر بإنشاء المدرسة الصلاحية كان سنة 583هـ/1187م ، إلا أن المدرسة لم يتم إنشاؤها فعلاً إلا في سنة 588هـ/1192م ، وقد افتتحت ، وبدأ التدريس فيها في تلك السنة([1]) ، وبعد بدء الدارسة في المدرسة الصلاحية بشهرين عاد الملك الناصر إلى بيت المقدس وزاد في أوقاف المدرسة ، وأنفق عليها بسخاء ، وفي هذا يقول أبو الفداء في استعراضه لأحداث سنة 588هـ/1192م: "رحل السلطان إلى القدس في الرابع عشر من رمضان ، وتفقد أحواله ، وزاد في وقف المدرسة التي عملها بالقدس"([2]).

لقد أراد الملك الناصر صلاح الدين لمدرسته أن تكون مؤسسة كبرى لنشر العلوم الدينية على أساس الفقه الشافعي ، ولذلك وفر لها دخلاً كبيراً من الأوقاف السخية الموقوفة عليها ، وقد شرط في وقفيته([3]) أن تكون أوقاف المدرسة على الفقهاء المشتغلين بالفقه على مذهب الإمام الشافعي ، ومن جملة الأوقاف التي أوقفها على مدرسته سوق العطارين بالقدس ، وقرية سلوان([4]) ، ووادي سلوان الكائن جنوب شرقي القدس ، وهو واد عميق يزرع ، وهناك أوقاف شاسعة واسعة ، من دور ومباني وأراضي في أنحاء القدس موقوفة على المدرسة الصلاحية([5]).

وتنوعت الموضوعات العلمية التي كان العلماء يدرسونها بالمدرسة الصلاحية ، فقد تباينت تلك الموضوعات ، بين العلوم الشرعية عامة ، والفقه خاصة ، وعلوم اللغة العربية ، والعلوم الرياضية ، والتاريخ ، والمنطق ، وعلم الكلام([6]).

---

[1]) العليمي ، الأنس ، جـ2 ، صـ88 ، 178. العسلي ، معاهد ، صـ63. كرد علي ، خطط ، جـ6 ، صـ121.

[2]) أبو الفداء ، المختصر ، جـ2 ، صـ169.

[3]) يقول نص هذه الوقفية ، والذي كتب على حجر كبير وضع على باب المدرسة: "بسم الله الرحمن الرحيم وما بكم من نعمة فمن الله. هذه المدرسة المباركة وقفها مولانا الملك الناصر صلاح الدنيا والدين سلطان الإسلام والمسلمين أبو المظفر يوسف بن أيوب بن شاذي محيي دولة أمير المؤمنين ، أعز الله أنصاره وجمع له بين خير الدنيا والآخرة ، على الفقهاء من أصحاب الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه ، سنة ثمان وثمانين وخمس مئة" ، انظر: العارف ، المفصل ، صـ180 ، 236.

[4]) سلوان: محلة في ربض بيت المقدس ، انظر: الحموي ، معجم البلدان ، جـ3 ، صـ241.

[5]) العليمي ، الأنس ، جـ2 ، صـ103. العسلي ، معاهد ، صـ64. العسلي ، مؤسسة الأوقاف ، صـ97.

[6]) العليمي ، الأنس ، جـ2 ، صـ179 ، 183. العسلي ، معاهد ، صـ70. عبد المهدي ، المدارس ، جـ1 ، صـ199. طوقان ، العلم ، صـ18.

وكانت مشيخة المدرسة الصلاحية من الوظائف السُنية بمملكة الإسلام([1]) ، وكان شيخ الصلاحية أحد ثلاثة يتولون السلطة الفعلية في بيت المقدس ، ويصرفون الشؤون العامة فيها ، أما الشخصان الآخران فهما: نائب السلطان ، وناظر الحرمين الشريفين ، وكثيراً ما كان شيخ الصلاحية يجمع بين وظائف القضاء وتدريس الصلاحية وخطابة المسجد الأقصى ، وكان نظام التدريس يسمح للمدرس بأن يدرس في أكثر من مكان واحد ، كما كان النظام يسمح له بأن يُنيب شخصاً آخر للتدريس مكانه، وكان يعمل تحت إمرة شيخ الصلاحية أربعة قضاة: واحد للشافعية ، وثانٍ للحنفية ، وثالث للمالكية ، ورابع للحنابلة([2]).

ومن الواضح أن شيخ الصلاحية ، كان له دور فاعل في المشاركة في إدارة وتسيير الشؤون الدينية والعامة في بيت المقدس ، إذ كان يحظى بمكانة عالية مرموقة ، سواء على الصعيد العلمي ، أو الاجتماعي ، أو السياسي.

كان أول من ولي مشيخة المدرسة الصلاحية بأمر من الملك الناصر صلاح الدين ، قاضي القضاة شيخ الإسلام الإمام العلامة الفقيه بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم الموصلي الحلبي الشافعي ، المعروف بابن شداد ، ولد بالموصل سنة 539هـ/1144م ، كان إماماً فاضلاً ، ديناً محسناً للفقهاء وأهل العلم ، اتصل بخدمة صلاح الدين سنة 584هـ/1188م ، وحضر عنده وولاه قضاء العسكر وبيت المقدس ، والنظر على أوقافه ، كما فوض إليه تدريس المدرسة الصلاحية ، وجعل النظر فيها وفي أوقافها إليه([3]).

وبعد وفاة الملك الناصر صلاح الدين سنة 589هـ/1193م ، رحل ابن شداد من القدس ، وأقام بحلب حتى وفاته سنة 632هـ/1234م([4]).

---

[1]) العليمي ، الأنس ، جـ2 ، صـ88. كرد علي ، خطط ، جـ6 ، صـ121. العارف ، المفصل ، صـ179 ، 237.

[2]) العليمي ، الأنس ، جـ2 ، صـ180. ابن العماد ، شذرات ، جـ5 ، صـ184. العسلي ، معاهد ، صـ66-67. عبد المهدي ، المدارس ، جـ1 ، صـ197.

[3]) ابن واصل ، مفرج ، جـ2 ، صـ407. أبو الفداء ، المختصر ، جـ2 ، صـ257. الذهبي ، سير ، جـ16 ، صـ307-308. ابن الفرات ، تاريخ ، مج4 ، ق2 ، صـ89. العليمي ، الأنس ، جـ2 ، صـ177-178. ابن العماد ، شذرات ، جـ5 ، صـ266.

[4]) ابن واصل ، مفرج ، جـ5 ، صـ89. الذهبي ، سير ، جـ16 ، صـ309. العليمي ، الأنس ، جـ2 ، صـ179. شاهين ، النوادر ، صـ400-401.

صنف ابن شداد مصنفات عدة من أهمها: "سيرة صلاح الدين" أسماه "النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية" ، "دلائل الأحكام"([1]) ، "الموجز الباهر في الفقه"([2]) ، "ملجأ الحكام"([3]).

ومن مدرسي المدرسة الصلاحية الإمام العالم الفقيه شيخ الإسلام مجد الدين طاهر بن نصر الله بن جهبل ، ولد بحلب سنة 532هـ/1137م ، كان عالماً إماماً في الفقه والحساب والفرائض ، صنف للسلطان نور الدين كتاباً في فضل الجهاد ، توفي ببيت المقدس سنة 596هـ/1199م([4]).

ومنهم أيضاً: الشيخ الإمام العالم ، شيخ الإسلام ، المفتي الفقيه ، شيخ الشافعية بالشام ، فخر الدين أبو منصور عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن عساكر الدمشقي الشافعي ، ولد سنة 550هـ/1155م ، كان زاهداً عابداً ، حسن الأخلاق ، وممن تخرج عل يديه العالم الإمام أبو شامة المقدسي ، درس بالمدرسة الجاروخية([5]) بدمشق ، إلى جانب تدريسه بالمدرسة الصلاحية ، فكان يقيم بدمشق أشهراً وبالقدس أشهراً ، لتدريس الطلبة بالمدرستين ، ويبدو أنه كان ينيب نائباً عنه ، حينما يغيب عن إحدى المدرستين ، واستمر يدرس بالصلاحية حتى عزله الملك المعظم عيسى ، عندما تولى الحكم سنة 615هـ/1218م ، توفي بدمشق سنة 620هـ/1223م([6]).

---

[1]) حاجي خليفة ، كشف ، جـ1 ، صـ579.

[2]) المصدر نفسه ، جـ2 ، صـ717.

[3]) الذهبي ، سير ، جـ16 ، صـ308. العليمي ، الأنس ، جـ2 ، صـ179. عن نشأة ابن شداد وشيوخه وتلاميذه ومكانته العلمية ، وتصانيفه ، انظر: شاهين ، النوادر ، صـ388-398.

[4]) أبو شامة ، تراجم ، صـ17. ابن خلكان ، وفيات ، جـ7 ، صـ343. الأسنوي ، طبقات ، جـ1 ، صـ181. ابن كثير ، طبقات ، جـ2 ، صـ745. العليمي ، الأنس ، جـ2 ، صـ179. النعيمي ، الدارس ، جـ1 ، صـ173.

[5]) المدرسة الجاروخية: أسس المدرسة الجاروخية الأمير سيف الدين جاروخ التركماني داخل دمشق شمالي الجامع الأموي وتولى التدريس فيها عدد من العلماء ومن ضمنهم فخر الدين بن عساكر ، انظر: النعيمي ، الدارس ، جـ1 ، صـ169.

[6]) سبط ابن الجوزي ، مرآة ، جـ8 ، صـ630-631. أبو شامة ، تراجم ، صـ138-139. الذهبي ، سير ، جـ16 ، صـ177. الأسنوي ، طبقات ، جـ2 ، صـ97. العليمي ، الأنس ، جـ2 ، صـ180-181.

وعرفت المدرسة الصلاحية الإمام العالم ، جمال الدين محمد بن سالم بن واصل([1]) ، فقد فوض الملك المعظم عيسى إلى والده تدريس الصلاحية ، فمضى ابن واصل مع والده إلى بيت المقدس سنة 622هـ/1225م ، وأقاما فيها([2]) ، وفي أواخر سنة 624هـ/1226م ، أقام ابن واصل بالمدرسة الصلاحية نيابة عن والده الذي ذهب لتأدية فريضة الحج ، وحج الوالد ثانية في السنة التالية ، وأقام ابنه مكانه بالصلاحية حتى سنة 625هـ/1227م([3]).

وذكر الصفدي أن ابن واصل درس العلوم الشرعية والعقلية والمنطق والرياضيات والفلك([4]). وعندما قام الملك الكامل ، المتوفى سنة 635هـ/1237 ، بتسليم بيت المقدس للفرنج سنة 626هـ/1228م ، قرر ابن واصل الخروج من بيت المقدس ، فاشتغل بدمشق وحماة والقاهرة ، حتى توفي بحلب سنة 697هـ/1297م([5]).

ومن مدرسي المدرسة الصلاحية أيضاً الإمام الحافظ العلامة ، شيخ الإسلام ، تقي الدين أبو عمرو عثمان ابن صلاح الدين عبد الرحمن بن عثمان الشهرزوري الأصل الموصلي المربي الدمشقي الدار والوفاة المشهور بابن الصلاح ، ولد سنة 577هـ/1181م ، كان أحد فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقه ، له العديد من المصنفات ومنها: "فوائد الرحلة"([6]) ، "طبقات الفقهاء الشافعية"([7]) ، "أدب المفتي والمستفتي"([8]) ، توفي سنة 643هـ/1245م([9]).

---

[1]) ابن واصل: صنف ودرس وأفتى وأفاد ، من أهم مصنفاته ، كتاب: "مفرج الكروب في أخبار بني أيوب" نشرته مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، 1392هـ/1972م ، ولد سنة 604هـ/1207م ، وتوفي سنة 697هـ/1297م. للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ17 ، صـ190. ابن العماد ، شذرات ، جـ6 ، صـ110.

[2]) ابن واصل ، مفرج ، جـ4 ، صـ141-142.

[3]) المصدر نفسه ، صـ208.

[4]) الصفدي ، الوافي ، جـ3 ، صـ71 .

[5]) ابن واصل ، مفرج ، جـ4 ، صـ241 ، 243. الذهبي ، العبر ، جـ3 ، صـ390.

[6]) حاجي خلفية ، كشف ، جـ2 ، صـ270.

[7]) الكتاب متوفر وهو جزءان ، نشرته دار البشائر الإسلامية ، تحقيق محيي الدين علي نجيب ، بيروت ، 1413هـ/1992م.

[8]) حاجي خليفة ، كشف ، جـ1 ، صـ101.

[9]) أبو شامة ، تراجم ، صـ175-176. الذهبي ، سير ، جـ16 ، صـ407 ، 409. الأسنوي ، طبقات ، جـ2 ، صـ41. ابن قاضي شهبة ، طبقات ، جـ2 ، صـ113-114. العليمي ، الأنس ، جـ2 ، صـ181-182.

ومنهم الإمام العالم القاضي محيي الدين قاضي غزة ، أبو حفص عمـــر بـــن القاضـــي السعيد عز الدين موسى بن عمر الشافعي ، ولـــد ســـنة 608هـــــ/1211م ، تـــولى التـــدريس بالصلاحية سنة 657هـــ/1258م ، وكان وافر الديانة كثير الكرم ، لا يكاد يمر بغزة أحد يعرفه إلا ويكرمه ، ويضيفه ، وهو مشهور بالشجاعة والإقدام وقوة النفس ، وله حرمة وافـــرة فـــي الدولة وكلمة مسموعة ، كان نزيهاً عفيفاً حسن الـــسيرة ، كـــان متوليـــاً قـــضاء غـــزة ســـنة 677هـــ/1278م ، وكان قضاء القدس من مضافاته ، توفي بغزة سنة 679هـــ/1280م([1]).

وبعد وفاة محيي الدين قاضي غزة أبو حفص ، ولي قضاء غزة وتـــدريس الـــصلاحية الإمام العالم المفتي الفقيه شيخ الإسلام جمال الدين أبو محمد عبد الرحيم بن عمـــر بـــن عثمـــان الباجريقي ، ولاه القاضي شمس الدين ابن خلكان قاضي الممالك الـــشافعية ، الحكـــم بغـــزة ، وتدريس الصلاحية بالقدس ، كان شيخاً فقيهاً ، محققاً مهيباً ، كثير الصلاة ، حافظاً للسانه ، وله نظم ونثر وسجع ووعظ ، توفي سنة 699هـــ/1299م([2]).

المدرسة الختنية:

مدرسة وزاوية ، كانت تقع خارج السور الجنوبي للمـــسجد الأقـــصى ، وقفهـــا الملـــك الناصر صلاح الدين على رجل من أهل الصلاح ، هو الشيخ العابد المجاهد جلال الدين محمـــد بن أحمد بن محمد الشاشي ، وسنة وقفها 587هـــ/1191م ، كان لها دور فاعـــل فـــي مجـــال التدريس([3]).

---

[1]) أبو شامة ، تراجم ، صـــ202. اليونيني ، ذيل ، جـــ4 ، صـــ57. العليمي ، الأنس ، جـــ2 ، صـــ182.

[2]) الذهبي ، العبر ، جـــ3 ، صـــ400. العليمي ، الأنس ، جـــ2 ، صـــ182-183. ابن العماد ، شـــذرات ، جـــ6 ، صـــ123.

[3]) العليمي ، الأنس ، جـــ2 ، صـــ77. العسلي ، معاهد ، صـــ100-101.

سماها العليمي الخنثية ، وكذلك سماها عارف العارف في "المفصل في تاريخ القدس" ، صفحة 36 ، غير أن الاسم الصحيح هو الختنية ، انظر: العسلي ، معاهد ، صـــ101. الدباغ ، بلادنا ، جـــ3 ، صـــ207. ويؤكـــد هذه التسمية "الختنية" سجلات المحكمة الشرعية بالقدس ، انظر: السجل رقـــم 207 ، صـــــ247 ، وســـجل رقم63 ، صـــ92.

وذكر ابن فضل الله العمري في "مسالك الأبصار" أنه زارها ، وأنه كان فيها شيخ يعـــرف بـــالختني ، انظـــر: مسالك الأبصار ، جـــ1 ، صـــ167. ولم يجد الباحث في المصادر التي اطلع عليها أية معلومات عن ترجمة الشيخ الشاشي سوى أنه كان أول من تولى مشيخة المدرسة الختنية من قبل الملك الناصر صلاح الدين.

المدرسة الميمونية:

كانت تقع قرب باب الساهرة ببيت المقدس ، تنسب إلى الأمير فارس الدين أبي سعيد ميمون بن عبد الله القصري ، وقفها سنة 593هـ/1196م ، كان خازندار الملك الناصر صلاح الدين ، ومن كبار أمرائه ، ومستشاريه المقربين ، توفي بحلب سنة 610هـ/1213م. وابتدأت هذه المدرسة زاوية ، ثم أصبحت مدرسة للشافعية ، واستمرت تؤدي مهمتها في الحركة الفكرية حتى القرن التاسع الهجري([1]).

المدرسة البدرية:

كانت تقع في حي الواد ببيت المقدس ، تنسب إلى واقفها بدر الدين محمد بن أبي القاسم الهكاري([2]) ، وهو أحد فرسان المسلمين ، ومن كبار المجاهدين في الحروب الصليبية ، له مواقف مشهورة في قتال الفرنج ، وكان من أمراء الملك المعظم عيسى ، يثق به لصلاحه ودينه ، بنى المدرسة البدرية ووقفها على فقهاء الشافعية سنة 610هـ/1213م ، استشهد في الطور قرب نابلس سنة 614هـ/1217م فنقل إلى بيت المقدس ودفن فيها([3]).

المدرسة الأفضلية:

كانت تقع في حي المغاربة بجوار الحرم المقدسي من جهة الغرب ، وتنسب إلى مؤسسها الملك الأفضل نور الدين أبي الحسن علي بن الملك الناصر صلاح الدين المتوفى سنة 622هـ/1225م ، الذي كان قد تلقى العلم على كثير من العلماء بالإسكندرية وبلاد الشام ، مما جعله يحب العلماء ، ويقربهم له ، وكان الملك الأفضل قد أنشأ هذه المدرسة ووقفها سنة 589هـ/1193م على فقهاء المالكية ، الذين قدموا إلى بيت المقدس ، وأقاموا فيها ، وكان أكثرهم من أهل المغرب ، وقد اهتم العلماء في هذه المدرسة بتدريس المذهب المالكي ، وظلت

---

[1]) الأصفهاني ، الفتح ، صـ586. أبو الفداء ، المختصر ، جـ2 ، صـ208. الذهبي ، تاريخ ، وفيات 601-610هـ ، صـ391. العليمي ، الأنس ، جـ2 ، صـ100. الدباغ ، المفصل ، صـ239. عبد المهدي ، المدارس ، جـ1 ، صـ340.

[2]) الهكاري: نسبة إلى الهكارية ، وهي بلدة وناحية وقرى فوق الموصل في بلد جزيرة ابن عمر يسكنها أكراد يقال لهم الهكارية ، انظر: الحموي ، معجم البلدان ، جـ5 ، صـ408.

[3]) سبط ابن الجوزي ، مرآة ، جـ8 ، صـ592. أبو شامة ، تراجم ، صـ108. الذهبي ، تاريخ ، وفيات 611-620هـ ، صـ220. ابن كثير ، طبقات ، جـ2 ، صـ801-802. المقريزي ، السلوك ، جـ1 ، صـ308. ابن تغري بردي ، النجوم ، جـ6 ، صـ195. العليمي ، الأنس ، جـ2 ، صـ98. عبد المهدي ، الحركة ، صـ58.

قائمة طوال العصرين الأيوبي والمملوكي([1]). ومن الواضح ، كما ذكرنا سابقاً ، أن بيت المقدس شهدت نشاطاً علمياً كبيراً بعد تحريرها. الأمر الذي أدى إلى قدوم أعداد كبيرة إليها من العلماء وطلبة العلم ، ومنهم المغاربة ، وكان طبعياً أن يقوم فقهاء المالكية في هذه المدرسة بتدريس كتب الفقه المالكي ، ومن المرجح أنهم قاموا بتدريس "المدونة في فروع المالكية"([2]) لأبي عبد الله عبد الرحمن بن القاسم المالكي المتوفى سنة 191هـ/806م ، وهي من أجل الكتب في مذهب الإمام مالك، وكتاب "الرسالة"([3]) في الفقه المالكي للشيخ الإمام أبي محمد عبد الله بن أبي زيد المالكي القيرواني.

المدرسة المعظمية:

كانت تقع قرب المسجد الأقصى ، وتنسب إلى واقفها الملك المعظم عيسى ، وقد أمر ببنائها سنة 614هـ/1217م ، ووقفها على الفقهاء الحنفية ، ولهذا كانت تسمى أيضاً بالمدرسة الحنفية([4]) ، ومن العلماء الذين تولوا هذه المدرسة ابن الملك المعظم عيسى ، الملك القاهر بهاء الدين عبد الملك([5]) ، فقد عينه والده ناظراً للمدرسة ، ويدل ذلك ما وجد مكتوباً على بلاطة من الرخام في الوجه القبلي من حائط المنارة التي بناها الملك القاهر بالمدرسة ، وكان نص هذه الكتابة: "أمر بعمارة هذه المئذنة المباركة الملك القاهر ، الناظر بهذه المدرسة ، غفر الله له ، وتغمد برحمته والده الواقف السلطان الملك المعظم شرف الدين عيسى قدَّس الله روحه ، في شهور سنة 673هـ/1274م"([6]) اهتمت المدرسة الحنفية بتدريس العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية وغيرها ، وقد ركز العلماء فيها على تدريس كتب الفقه الحنفي إلى جانب الحديث والتفسير والقراءات والنحو ، ومن الكتب التي درست في هذه المدرسة في المذهب الحنفي كتاب "الجامع الكبير في الفروع" ، وكتاب "مختصر القدوري" في فروع الحنفية ، وكتاب "كنز الدقائق"

---

[1]) أبو شامة ، تراجم ، صـ145. ابن خلكان ، وفيات ، جـ3 ، صـ420-421. الذهبي ، العبر ، جـ3 ، صـ188. ابن العماد ، شذرات ، جـ5 ، صـ195. العليمي ، الأنس ، جـ2 ، صـ97. العارف ، المفصل ، صـ238. عبد المهدي ، الحركة ، صـ336.

[2]) حاجي خليفة ، كشف ، جـ2 ، صـ531.

[3]) حاجي خليفة ، كشف ، جـ1 ، صـ659.

[4]) العليمي ، الأنس ، جـ1 ، صـ551.

[5]) الملك القاهر بهاء الدين عبد الملك: توفي سنة 676هـ/1277م. للمزيد عن ترجمته ، انظر: ابن واصل ، مفرج ، جـ4 ، صـ219. أبو الفداء ، المختصر ، جـ2 ، صـ342.

[6]) العليمي ، الأنس ، جـ2 ، صـ89. عبد المهدي ، المدارس ، جـ1 ، صـ362. العارف ، المفصل ، صـ241.

في الفروع الحنفية للإمام النسفي([1]) ، وغيرها([2]). ومما لاشك فيه أن اهتمـــام الملـــك المعظـــم عيسى بهذه المدرسة ، وتوفر الكتب العديدة المتخصصة في الفقه وغيرها من الكتـــب الأخـــرى جعلها من المعاهد العلمية الكبيرة ، التي كان لها دور كبير في ازدهار الحياة العلميـــة ، وإحيـــاء الحركة الفكرية في فلسطين ، وخاصة ببيت المقدس في عهد الملك المعظم عيسى ، وفي عهـــود من جاءوا بعده.

ومن المدارس التي أسسها الملك المعظم عيسى في الحرم الـــشريف ببيـــت المقـــدس ، المدرسة النحوية ، وتدعى أيضاً القبة النحوية([3]) ، أسسها سنة 604هـــ/1207م ، ووقف عليهـــا أوقافاً عديدة ، وقد خصصها لتدريس علوم اللغة العربية من أدب ونحو ، ومـــن الكتـــب التـــي درست فيها كتاب "سيبويه" وكتاب "الإيضاح" ، وكتاب "إصلاح المنطق"([4]) لابـــن الـــسكيت([5]) ، وغيرها من الكتب الأخرى([6]).

وقد أشار ابن واصل إلى أن الملك المعظم عيسى وقف على القبة النحوية وقفـــاً جلـــيلاً على أن يشتغل في تلك القبة بالقراءات السبع ، وشرط أن لا يصرف مـــن وقفهـــا إلا للحنفيـــة فقط([7]).

كما أشار ابن فضل الله العمري إلى أن الملك المعظم عيسى "رتب لهـــا إمامـــاً مفـــرداً" يصلي الصلوات الخمس ، ورتب بها خمسة وعشرين نفراً من الطلبة ، وشيخاً لهم ، وشـــرط أن يكونوا حنفية([8]).

---

[1]) الإمام النسفي: الإمام العالم أبو البركات عبد الله بن أحمد المعروف بحافظ الدين النـــسفي المتـــوفى ســـنة 710هـــ/1310م، للمزيد عن ترجمته ، انظر: حاجي خليفة ، كشف ، جـــ2 ، صــــ434.

[2]) كرد علي ، خطط ، جـــ6 ، صــــ121. العسلي ، معاهد ، صــــ278.

[3]) العليمي ، الأنس ، جـــ1 ، صــــ551.

[4]) حاجي خليفة ، كشف ، جـــ1 ، صــــ142.

[5]) ابن السكيت: الشيخ الأديب يعقوب بن إسحاق الشهير بابن السكيت اللغوي ، توفي سنة 244هـــ/858م وكان عمره ثمان وخمسين سنة ، للمزيد عن ترجمته ، انظر: أبو الفداء ، المختصر ، جـــ1 ، صــــ355.

[6]) ابن واصل ، مفرج ، جـــ4 ، صــــ211. العليمي ، الأنس ، جـــ1 ، صــــ551. عبد المهدي ، المـــدارس ، جـــ1 ، صــــ351.

[7]) ابن واصل ، مفرج ، جـــ4 ، صــــ211. العسلي ، معاهد ، صــــ105.

[8]) العمري ، مسالك ، جـــ1 ، صــــ145-146.

ومن الواضح مدى الاهتمام الكبير للملك المعظم عيسى بالحيـــاة العلميـــة ، وتـــشجيعه ، ودعمه للعلماء والطلبة ، وعليه يمكن القول: إن المدرسة النحوية كانت مـــن المراكـــز العلميـــة المهمة التي لعبت دوراً بارزاً في إحياء النشاط العلمي ، وازدهار الحركة الفكرية في فلـــسطين ، وخاصة ببيت المقدس.

ومن المؤسسات العلمية التي أنشأها الملـــك المعظـــم عيـــسى مـــن جديـــد ، المدرســـة الناصرية ، وتسمى أيضاً النصرية نسبة إلى الشيخ نصر المقدسي ، جعلها الملك المعظم عيـــسى مدرسة وزاوية لقراءة القرآن والاشتغال في النحو ، ووقف عليها كتباً كثيـــرة ، ليرجـــع إليهـــا الطلبة وقت الحاجة([1]).

ومن علماء فلسطين الذين اهتموا ونشطوا في الحياة العلمية الإمام المقرئ الفقيه ، شـــيخ نابلس ، عماد الدين عبد الحافظ بن بدران بن شبل النابلسي ، المقدسي الحنبلي ، أول من أنـــشأ مدرسة في نابلس في العصر المملوكي ، ولد سنة 610هـ/1213م ، سمع العديد من العلمـــاء ، ومنهم الشيخ موفق الدين ، وابـــن راجح ، وابن الزبيدي وغيرهم ، وسمع منـــه ابـــن العطـــار والبرزالي ، وغيرهما ، توفي سنة 698هـ/1298م([2]).

استمرت المدرسة العمادية تؤدي دورها طيلة العهد المملوكي ، وقد تخرج منها علمـــاء أجلاء كان لهم دور كبير ومتميز في الحياة العلمية والفكرية للدولة المملوكية ، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر ، شيخ المحدثين ، أبو الحسين رشيد الدين يحيى بن علي بن عبد الله بن علـــي بن مفرج النابلسي المتوفى سنة 662هـ/1263م ، والذي انتهت إليه رئاســـة الحـــديث بالـــديار المصرية([3]).

---

[1]) العليمي ، الأنس ، جـ2 ، صـ76. العسلي ، معاهد ، صـ105.

[2]) الذهبي ، سير ، جـ17 ، صـ198-199. ابن تغري بردي ، النجوم ، جـ6 ، صـ114. ابـــن مفلـــح ، المقصد ، جـ2 ، صـ125. ابن العماد ، شذرات ، جـ6 ، صـ114.

[3]) الذهبي ، سير ، جـ17 ، صـ41-42. كلبونة ، تاريخ ، صـ68. سجلات محكمة نابلس الشرعية ، سجل رقم (1) ، صـ2 ، 1066هـ/1655م.

4 - الربط:

جمع رباط ، وهو شبيه بالخانقاه ، وكانت الربط مأوى ، يلجأ إليه العلماء ، والرحالون ، وطلاب العلم ، الذين ينتقلون في أرجاء العالم الإسلامي ، ويتلقون تعليمهم على أيدي بعض المشايخ والعلماء([1]).

وكان العلماء يتخذون من الرباطات أماكن للمطالعة من ناحية ، والكتابة من ناحية أخرى ، وهم يشتغلون فيها بالعلم ، ويؤلفون الكتب ، وبخاصة في مجال التصوف([2]).

عرفت فلسطين عدداً من الربط في العصرين الأيوبي والمملوكي وهي:

رباط علاء الدين البصير:

وهو أقدم ربط ببيت المقدس ، كان يقع بباب الناظر شمال الطريق المؤدية إلى الحرم القدسي ، أنشأه سنة 666هـ/1267م الأمير علاء الدين بن عبد الله الصالحي([3]) ، في عهد الملك الظاهر بيبرس ، وقفه على الفقراء القادمين إلى بيت المقدس للزيارة ، وقد سمي الرباط بهذا الاسم نسبة إلى واقفه ، وكان أعمى فسموه بصيرا([4]).

الرباط المنصوري:

كان يقع قرب باب الناظر قبلي الطريق الموصلة إلى الحرم القدسي ، أنشأه الملك المنصور قلاوون في سنة 681هـ/ 1282م ، ووقفه على الفقراء القادمين إلى بيت المقدس([5]).

وأشار العليمي إلى أنه كان بالخليل عدد من الربط وهي: الرباط المنصوري ، الذي عمره الملك المنصور قلاوون سنة 686هـ/1287م([6]) ، ورباط الطواشي ، ورباط مكي([7]) ، ولم تشر المصادر التي رجع إليها الباحث إلى أية معلومات عن هذه الربط.

---

[1]) المقريزي ، الخطط ، جـ2 ، صـ427. عبد الدائم ، التربية ، صـ161.

[2]) عبد المهدي ، الحركة ، صـ75.

[3]) علاء الدين بن عبد الله الصالحي: من أكابر الأمراء ، كان ناظر الحرمين من أيام الملك الظاهر إلى أيام الملك المنصور قلاوون ، توفي سنة 693هـ/1293م ، ودفن برباطه بباب الناظر ببيت المقدس. للمزيد عن ترجمته ، انظر: العليمي ، الأنس ، جـ2 ، صـ394.

[4]) العليمي ، الأنس ، جـ2 ، صـ91. العسلي ، معاهد ، صـ315. كرد علي ، خطط ، جـ6 ، صـ149.

[5]) العليمي ، الأنس ، جـ2 ، صـ91 ، 157. العسلي ، معاهد ، صـ317-318. الخالدي ، المعاهد ، صـ8.

[6]) العليمي ، الأنس ، جـ2 ، صـ157.

[7]) المصدر نفسه ، صـ142.

5- الخانقاه:

ويقال لها "الخانكاه" أيضاً ، وتجمع على خوانق وخوانك ، وهي كلمة فارسية الأصل معناها: البيت ، وقيل أصلها خونقاه ، أي الموقع الذي يأكل فيه الملك([1]).

احتوت الخوانق على غرف عديدة لمبيت الفقراء والصوفية ، كانت تؤدى فيها الصلوات ، وتقام فيها الأوراد والأذكار ، وكان يعقد فيها دروساً في الفقه والدين والعربية والتصوف والحديث ، وكانت تشتمل على خزائن للكتب والمصاحف القرآنية ، وبعض الخوانق كانت توفر حاجات الطلاب: من المأكل والمشرب ، والأدوية ، والاحتياجات الأخرى([2]) ، ومن الواضح من ذلك أن مثل هذه الخوانق كانت بمثابة مراكز علم وعبادة ، وكان لها دور ديني واجتماعي كغيرها من المؤسسات الدينية.

الخانقاه الصلاحية:

أنشأ الملك الناصر صلاح الدين بعد تحرير بيت المقدس سنة 583هـ/1187م ، مدرسة للفقهاء الشافعية ورباطاً للصلحاء الصوفية ، وعين للرباط ، الذي هو "الخانقاه" ، دار البطرك القريبة من كنيسة القيامة ، ووقف عليهما أوقافاً حسنة([3]) ، والخانقاه الصلاحية هي أقدم خوانق القدس ، كانت تقع غربي الحرم القدسي([4]).

كانت مشيخة "الخانقاه" الصلاحية من الوظائف السنية المهمة ، إذ كان شيخها من أرباب الوظائف الدينية ، وكان يُعين بمرسوم من السلطان([5]).

---

[1]) المقريزي ، المواعظ ، جـ2 ، صـ414. عبد الدائم ، التربية ، صـ160.

[2]) عبد الدائم ، التربية ، صـ160. إبراهيم ، الحياة الاجتماعية ، صـ74. عبد المهدي ، الحركة ، صـ78.

[3]) الأصفهاني ، الفتح ، صـ145. أبو شامة ، الروضتين ، جـ2 ، صـ114. ابن واصل ، مفرج ، جـ2 ، صـ408. العليمي ، الأنس ، جـ2 ، صـ99. العارف ، المفصل ، صـ179.
انظر نص وقفية الملك الناصر صلاح الدين للخانقاه الصلاحية في: العسلي، معاهد العلم في بيت المقدس، صـ331-332.

[4]) العسلي ، معاهد ، صـ330. غوانمة ، تاريخ ، صـ177.

[5]) القلقشندي ، صبح ، جـ12 ، صـ105-106. العسلي ، معاهد ، صـ335.

تولى مشيخة "الخانقاه" الصلاحية عدد من العلماء المتصوفه في بيت المقدس ، وكان منهم الشيخ غانم بن علي بن حسين الأنصاري المقدسي ، مولده بقرية بورين([1]) سنة 562هـ/1166م ، وله فيها زاوية معمورة أقام بها عشرين سنة ، ولما فتح الملك الناصر صلاح الدين بيت المقدس سنة 583هـ/1187م ، اتجه الشيخ غانم إليها ، وأقام فيها ، حيث ولاه الملك الناصر صلاح الدين مشيخة "الخانقاه" الصلاحية ، وهو أول من وُليها ، توفي في دمشق سنة 632هـ/1234م([2]).

6- الزوايا:

جمع زاوية ، وهي شبيهة أيضاً بالرباط و"الخانقاه" ، إلا أنها أصغر ، وهي أبنية صغيرة منفصلة في جهات مختلفة من المدينة ، في شكل دور ، أو مساجد صغيرة ، يقيم فيها المسلمون الصلوات الخمس ، ويتعبدون فيها ويعقدون بها حلقات دراسية في علوم الدين ، كما يعقد فيها مشايخ الطرق الصوفية حلقات الذكر ، وقد تكون الزاوية في ناحية من نواحي المساجد الكبرى([3]).

ولذلك يمكن القول بأن هذه الزوايا كانت مراكز للتعبد من ناحية ، ومراكز للتعليم من ناحية أخرى.

وقد عرفت فلسطين ، وخاصة بيت المقدس ، في العصرين الأيوبي والمملوكي العديد من الزوايا، كان من أشهرها:

---

[1]) بورين: قرية فلسطينية تقع جنوب نابلس على بعد عشرة كيلو مترات ، انظر: العليمي ، الأنس ، جـ2 ، صـ241. الدباغ ، بلادنا ، جـ6 ، صـ345.

[2]) اليونيني ، ذيل ، جـ3 ، صـ59-60. اليافعي ، مرآة ، جـ4 ، صـ82. العليمي ، الأنس ، جـ2، صـ240-241. النعيمي ، الدارس ، جـ2 ، صـ153.

كان معظم شيوخ "الخانقاه" الصلاحية من بني غانم ، وهي عائلة عربية من الأنصار ، استقرت في بيت المقدس بعد الفتح الصلاحي ، وسكنت بجوار الحرم القدسي عند باب الغوانمة ، وإليهم نسب هذا الباب ، وكان أفراد هذه العائلة يتوارثون مشيخة الخانقاه ، انظر: غوانمة ، تاريخ ، صـ178. العسلي ، معاهد ، صـ335.

[3]) حسن ، تاريخ ، جـ4 ، صـ423. عبد الدائم ، التربية ، صـ161.

الزاوية الجراحية:

كانت تقع في حي الشيخ جراح بظاهر بيت المقدس من جهة الشمال ، سميت بالجراحية نسبة لواقفها الأمير حسام الدين الحسين بن شرف الدين عيسى الجراحي ، أحد أمراء الملك الناصر صلاح الدين ، وقد توفي في سنة 598هـ/1201م ، ودفن في زاويته المذكورة([1]).

وقد أشار العارف إلى الأمير حسام الدين الجراحي بقوله: "إنه من رجال صلاح الدين ، وقيل: إنه كان طبيبه الخاص ، وقد أبلى في معركة القدس بلاءً حسنا"([2]).

زاوية الشيخ بدر الدين:

أنشأها السيد بدر الدين بن محمد بن يوسف بن بدران ، توفي سنة 650هـ/1252م ، ودفن بزاويته في ظاهر بيت المقدس من جهة الغرب ، وفي هذه الزاوية أضرحة آل بيته ، ومنهم ، ابنه محمد المتوفى سنة 663هـ/1264م([3]).

زاوية الهنود:

كانت تقع قرب باب الأسباط ، وهي من الزوايا القديمة ، نزل بها طائفة من الهنود ، فعرفت بهم([4]).

زاوية الدركاه:

كانت تقع بجوار البيمارستان الصلاحي في الجهة الغربية من المدينة ، وكانت في زمن الفرنج دار "الإسبتار"([5]) ، أوقفها الملك شهاب الدين غازي بن السلطان العادل([6]) ، الذي دفن بها سنة 613هـ/1216م([7]).

---

[1]) العليمي ، الأنس ، جـ2 ، صـ100-101. العسلي ، معاهد ، صـ343.

[2]) العارف ، المفصل ، صـ239.

[3]) العليمي ، الأنس ، جـ2 ، صـ241-242. العسلي ، معاهد ، صـ344.

[4]) العليمي ، الأنس ، جـ2 ، صـ100. كرد علي ، خطط ، جـ6 ، صـ150. ولم يشر العليمي إلى سنة تأسيس هذه الزاوية أو اسم واقفها.

[5]) Shaefer, p. 216.

[6]) الملك شهاب الدين غازي بن الملك العادل: توفي سنة 645هـ/1247م. للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ16 ، صـ143.

[7]) العليمي ، الأنس ، جـ2 ، صـ98-99. كرد علي ، خطط ، جـ6 ، صـ150. خليل ، مدينة القدس ، صـ112.

زاوية الشيخ عبد الله بن غانم بن علي بنابلس:

كان من أعيان المشايخ ، مشهوراً بالخير والعبادة ومكارم الأخلاق ، له أشعار وكلام قوي في علم التصوف ، توفي بنابلس سنة 672هـ/1273م([1]). وبعد وفاة الشيخ عبد الله بن غانم ، تولى زاويته ابنه الشيخ العالم أبو عبد الله محمد ، كان صالحاً ناسكاً ، كثير الذكر والتلاوة ، وكانت زاويته مأوى لكل من قدم إلى نابلس ، توفي سنة 693هـ/1293م ، ودفن عند والده([2]).

زاوية الشيخ علي البكا:

كانت تقع في الجهة الشمالية من مدينة الخليل ، كان صاحبها الشيخ علي البكا مشهوراً بالصلاح والعبادة ، وإطعام من يجتاز به من المارة والزوار ، وكان الملك المنصور قلاوون يثني عليه ، توفي سنة 670هـ/1271م([3]).

7- دور الحديث:

لعبت دور الحديث دوراً مهماً في الحياة العلمية والحركة الفكرية ، خاصة وأنها اهتمت بالعلوم الإسلامية بشكل عام ، وبعلوم الحديث بشكل خاص ، وكانت منها ببيت المقدس ، دار الحديث التي أنشأها الأمير شرف الدين أبو محمد عيسى بن بدر الدين بن أبي القاسم الهكاري ، وقفها سنة 666هـ/1267م ، وكان مولده بالقدس سنة 593هـ/1196م ، وتوفي بدمشق سنة 669هـ/1270م([4]).

8- البيمارستانات:

اهتم الأيوبيون والمماليك بإنشاء "البيمارستانات" في فلسطين ، فبعد الفتح الصلاحي لبيت المقدس سنة 583هـ/1187م ، قرر الملك الناصر صلاح الدين أن يجعل الكنيسة المجاورة لدار "الإسبتار" ، والواقعة جنوب كنيسة القيامة ، "بيمارستاناً" للمرضى ، وسماه "البيمارستان" الصلاحي ، وهيأ فيه العقاقير والأدوية ، ووقف عليه الأوقاف العديدة ، وكان ممن عمل فيه من

---

[1]) اليونيني ، ذيل ، جـ3 ، صـ51. ابن كثير ، البداية ، جـ13 ، صـ297. العيني ، عقد ، جـ2 ، صـ122.

[2]) الصفدي ، الوافي ، جـ3 ، صـ292. ابن الجزري ، طبقات ، جـ2 ، صـ227.

[3]) ابن كثير ، البداية ، جـ13، صـ293. العليمي ، الأنس ، جـ2، صـ245. الدباغ ، بلادنا ، جـ9 ، صـ68-69. للاطلاع على المزيد من زوايا الخليل ، انظر: العليمي ، الأنس ، جـ2 ، صـ142-143.

[4]) العليمي ، الأنس ، جـ2 ، صـ94. العسلي ، معاهد ، صـ149-150. العارف ، المفصل ، صـ241.

الأطباء ، يعقوب بن صقلاب([1]) النصراني المقدسي ، ورشيد الدين الصوري([2]) ، وبقي هذا "البيمارستان" يؤدي دوره في العصرين الأيوبي والمملوكي([3]).

بيمارستان عكا:

عندما فتح الملك الناصر صلاح الدين عكا سنة 583هـ/1187م([4]) ، جعل دار الأسقف "بيمارستاناً" ، لعلاج سكان المدينة من المسلمين والمسيحيين ومداواتهم ، ووقف عليه أوقافاً عديدة ، وولى نظر ذلك لقاضيها جمال الدين عبد اللطيف بن الشيخ أبي النجيب السهروردي([5]).

البيمارستان المنصوري:

أنشأه في مدينة الخليل ، الملك المنصور قلاوون سنة 680هـ/1281م ، ووقف عليه الأوقاف العديدة([6]).

ومن الطبعيّ أن يكون لهذه البيمارستانات وغيرها من المؤسسات العلمية والدينية دور بارز في إظهار الجوانب الحضارية في فلسطين ، وأن وجود مثل هذه "البيمارستانات" في فلسطين ، والتي تضم أطباء ، وممرضين ، وموظفين ، وأقساماً طبية متنوعة ، إنما يدل على وجود ازدهار ثقافي ونهضة فكرية في المجال الطبي.

---

[1]) يعقوب بن صقلاب ، انظر: صـ222-223.

[2]) رشيد الدين الصوري ، انظر: صـ223.

[3]) الأصفهاني ، الفتح ، صـ612. ابن خلكان ، وفيات ، جـ7 ، صـ200. ابن واصل ، مفرج ، جـ2 ، صـ408. بك ، البيمارستانات ، صـ231-232.

ذكر الرحالة الألماني يوحنا ألورز برجي John of Wurzburg الذي قام بزيارة إلى بيت المقدس سنة 555هـ/1160م، أن المستشفى التي تنسب إلى القديس يوحنا st. John (وهو البيمارستان) كانت تقع في الجهة الجنوبية المقابلة لكنيسة القيامة ، وأنها كانت تقوم بعلاج ألفي شخص ولها رؤساء يشرفون عليها ، وقد تمكنت هذه المستشفى من إستقبال 750 جريحاً بعد معركة تل الصافية التي دارت بين الصليبيين وصلاح الدين سنة 573هـ/1177م ، انظر:.Hume, Medical, p. 8. & pp. 13-14. وانظر أيضاً: المقريزي ، السلوك ، جـ1 ، صـ175. أما الرحالة الألماني ثيودريش الذي زار بيت المقدس سنة 559هـ/1164م ، فقد أشار إلى سيطرة الإسبتارية Hospitallers على مستشفى القديس يوحنا وذكر أن عدد أسرة هذه المستشفى قد فاق الألف سرير ، انظر: ثيودريش ، وصف ، صـ15 ، 78.

[4]) الأصفهاني ، الفتح ، صـ199. ابن ا لأثير ، الكامل ، جـ9 ، صـ388.

[5]) الأصفهاني ، الفتح ، صـ182. أبو شامة ، الروضتين ، جـ2 ، صـ120. ابن واصل ، مفرج ، جـ2 ، صـ247.

[6]) العليمي ، الأنس ، جـ2 ، صـ142. غوانمة ، تاريخ ، صـ136.

ثانياً: الاهتمام بالنظام التعليمي:

1- مميزات وصفات المعلمين

كان يقوم بتدريس الطلبة في المدارس المختلفة عدد من المدرسين الأكْفَـاء ، وقـد بـينَّ القلقشندي أن المدرس هو من كان يتصدى لتدريس العلوم الشرعية من التفسير والحديث والفقـه والنحو وغير ذلك([1]) ، ولا يسمح للمدرس ممارسة مهامه التدريسية إلا بعد تأهيلـه وحـصوله على الإجازة بالتدريس([2]).

وعلى المدرس أن يتصف بخصائص وصفات تجعله قادراً على القيام بمهمة التـدريس ، ومنها: أن يكون ذا رياسة وفضل وديانة وعقل ومهابة وجلالة وعدالة ، وأن يتصف بسعة العلـم والتضلع في الفنون ، والأخذ من كل منها بحظ وافر ، وطول الباع فـي البحـث والمنـاظرة ، وعدم الجدال في الباطل ، وتربية الطلبة ، وتأديبهم والتقريب على من عَسُر على فهمه شيء من المسائل([3]).

وعلى المدرس أيضاً أن يؤدي واجبة على أكمل وجه ، يحسن إلقاء الـدرس ، وتفهيمـه للطلبة في مجال تخصصه ، فالمدرس في مدرسة الفقه عليـه أن يلقـي دروسـاً فـي الفقـه ، والمدرس في مدرسة التفسير عليه أن يلقي دروسه في التفسير ، وهكذا ، فـإذا درس المـدرس تفسيراً أو حديثاً في مدرسة الفقه ، أو ما شابه ذلك ، فلا خير في ذلك([4]).

وكان ممن يساعد المدرس في تعليم الطلبة ، المعيد ، وكثيراً ما كـان المعيـد يحـضر الدروس إلى جانب المدرس والطلبة ، وكان المعيد يساعد الطلبـة فـي إعـادة مـا حفظـوه ، ويراجعهم في المذكرات ، ويناقشهم ، ويختبر مقدار فهمهم ، وكان يوصي كل واحد منهم بقراءة الكتب التي تلائم مستواه الفكري ومقدار علمه([5]).

---

[1]) القلقشندي ، صُبح ، جـ5 ، صـ464.

[2]) المصدر نفسه ، جـ14 ، صـ322.

[3]) ابن جماعة ، تذكرة السامع ، صـ264 ، 266-267. القلقشندي ، صُبح ، جـ11 ، صـ90. عبد الدائم ، التربية ، صـ177.

[4]) السبكي ، معيد النعم ، صـ107. عبد المهدي ، المدارس ، جـ1 ، صـ117.

[5]) ابن جماعة ، تذكرة ، صـ270. السبكي ، معيد النعم ، صـ108. القلقشندي ، صبح ، جـ5 ، صـ464. الخطيب ، دور التعليم ، صـ135.

وكان يشترط في المعيد أن يكون من صلحاء الفضلاء صبوراً علـــى أخـــلاق الطلبـــة ، حريصاً على فائدتهم ، وانتفاعهم به قائماً على وظيفة إشغالهم([1])

وعلى المعيد أن يحب لطالبه ما يحب لنفسه ، وينبغي أن يعتنـــي بمـــصالح الطالـــب ، ويعامله بما يعامل به أعز أولاده من الحنو والرأفه به ، والإحـــسان إليـــه ، وتحـــسين خلقـــه ، وإصلاح شأنه([2]).

- مؤهلاتهم العلمية:

امتاز المعلمون في العصرين الأيوبي والمملوكي بسعة ثقافتهم ، وكثرة علـــومهم ، وقـــد كان منهم عدد كبير أئمة في علوم كثيرة ، فعلى سبيل المثال لا الحصر ، كان ابن جهبـــل الـــذي درس بالمدرسة الصلاحية ببيت المقدس إماماً عالماً في عدة علـــوم ، منهـــا: الفقـــه والحـــساب والفرائض ، وكان فخر الدين بن عساكر الذي درس بالمدرسة الصلاحية أيضاً إماماً في الفقـــه والحديث والفتوى ، ومن تلاميذه: أبو شامة ، وضياء الدين المقدسي ، وغيرهما([3])، وكان ابـــن واصل عالماً وإماماً في الحديث، والفقه، وعلوم اللغة العربية، والتاريخ، والمنطق، وغيرها مـــن العلوم ، وكان جمال الدين عبد الرحيم بن عمر الباجريقي إماماً في الفقه والحديث والأدب.

وهكذا يمكن القول: إن المدرسين الذين كانوا يقومون بمهمة التدريس في المدارس كانوا علماء أجلاء ، لديهم مؤهلات علمية عالية ، جعلتهم يحتلون مكانة مرموقة رفيعة فـــي مجـــالي العلم والتدريس.

- رواتب المعلمين:

اهتم ملوك وسلاطين الأيوبيين ، ومن بعدهم المماليك بالعلماء وأهـــل العلـــم ، فأغـــدقوا عليهم الأعطيات والجرايات والهبات ، لذا تمتعت فئة العلماء ، ومنهم المدرسون بوضع معيـــشي جيد يليق بمكانتهم الاجتماعية ، كما صرف لهؤلاء المدرسين رواتب شهرية من ريـــع الأوقـــاف التي كانت تابعة وموقوفة على المدارس ، وكانت هذه الرواتب تدفع لشيوخ المدارس ، ومختلف فئات العاملين فيها ، وكانت تختلف حسب مكانة المدرسة والمدرس ، وحسب إمكانيات المدرسة

---

[1]) ابن جماعة ، تذكرة ، صـــ267.

[2]) المصدر نفسه ، صـــ88-89.

[3]) أبو شامة ، تراجم ، صـــ137. ابن العماد ، شذرات ، جـــ5 ، صـــ184. عبد المهدي ، المدارس ، جـــ1 ، صـــ207.

المالية ، والأوقاف الموقوفة عليها([1]) ، وهكذا كانت الأوقاف هي المورد الرئيسي الذي كان ينفق منه على المدارس والعاملين فيها ، إضافة إلى ما كان يغدق على هؤلاء المعلمين (العلماء) من أعطيات ، من قبل الملوك الذين كانوا يتطلعون من وراء ذلك إلى استقطاب هذه الفئة الاجتماعية المهمة ، فقد ذكر العماد الكاتب الأصفهاني عن الملك الناصر صلاح الدين أنه لم يترك "قارئاً إلا قراه ، ولا راوياً إلا أشبعه وأرواه ، ولا حافظ حديث إلا حفظه من الحدثان ، ولا محسن صنعة إلا اصطنعه بالإحسان"([2]).

ويؤيد قول الأصفهاني هذا ما ذكره بهاء الدين بن شداد عن الملك الناصر صلاح الدين ، إذ يقول: "أقام – رحمه الله – يجمع الأموال ، ويفرقها على الأمراء والعلماء... وقد أنفق في ذلك مائتين وعشرين ألف دينار"([3]).

ومهما يكن من أمر ، فإنه يمكن القول: إن رواتب المعلمين في العصر الأيوبي والمملوكي كانت تلبي احتياجاتهم ، وتوفر لهم أجواء الرضا والاستقرار ، الأمر الذي شجعهم على تأدية واجباتهم وأعمالهم على أكمل وجه.

- دورهم في الحياة السياسية والحياة العامة:

تميز المدرسون الذين كانوا من فئة العلماء والفقهاء ، في العصرين الأيوبي والمملوكي بخصائص وصفات وفضائل كثيرة ، فقد اتصفوا بالهيبة والوقار والعفة والنزاهة والديانة والتواضع وحسن الأخلاق وسعة العلم ، لذا كان ينظر إليهم نظرة إجلال وتقدير واحترام ، ليس من قبل الملوك والسلاطين فحسب ، بل من قبل عامة الناس أيضًا ، وليس أدل من ذلك من أن الملك الناصر صلاح الدين جلس في مجلس الوعظ الذي عقده الواعظ ابن نجا بعد انقضاء صلاة الجمعة في المسجد الأقصى ، وهي أول جمعة صليت بعد الفتح([4]).

لقد كان للمدرسين والعلماء والوعاظ والفقهاء دور بارز في المشاركة في الحياة السياسية ، فقد حرص الملك الناصر صلاح الدين على استشارة بعضهم في كثير من شؤون الحكم ، وقد أشار أبو شامة إلى أن الملك الناصر كان كثير الاستشارة للفقيه ابن نجا ، ويتضح ذلك من قوله: "كان السلطان يستشيره ويروقه تدبيره ويميل إليه لقديم معرفته وكريم سجيته"([5]).

---

[1]) العسلي ، مؤسسة الأوقاف ، صـ94 ، 96 ، 104.

[2]) الأصفهاني ، الفتح ، صـ182. المصري ، التعليم في بلاد الشام ، صـ154.

[3]) ابن شداد ، النوادر ، صـ82.

[4]) الأصفهاني ، الفتح ، صـ140. البنداري ، سنا البرق ، صـ315.

[5]) أبو شامة ، الروضتين ، جـ2 ، صـ58.

ومما يدلل أيضاً على مشاركة العلماء والفقهاء في الحياة السياسية أن الملك الناصر صلاح الدين استقدم العالم الفقيه ابن شداد وجعله مستشاره وولاه قضاء العسكر وبيت المقدس ، والنظر على أوقافها ، كما فوض إليه تدريس المدرسة الصلاحية ، وجعله رسوله إلى الأمراء ، وخطيب المجالس التي يعقدها للتشاور في أمور الجهاد([1]).

وقد شارك العديد من العلماء والفقهاء في النشاطات السياسية التي تنتقد السلطة الحاكمة ، فعندما قام الملك الكامل بتسليم بيت المقدس إلى الفرنج سنة 626هـ/1228م ، شارك ابن واصل في حملة الاستنكار الشديدة على الملك الكامل ، وحضر مجلساً عقد في دمشق ، وتحدث فيه العالم الواعظ شمس الدين سبط بن الجوزي([2]) عما فعله الملك الكامل وشنع عليه ، وعلا يومئذ ضجيج الناس وبكاؤهم وعويلهم([3]).

وذكر المؤرخ ابن واصل أنه ذهب في سفارة إلى صقلية([4]) من قبل الملك الظاهر بيبرس لمقابلة الملك مانفريد([5]) (Manfred) سنة 659هـ/1260م ، وأنه اجتمع به مراراً ، فوجده متميزاً ، ومحباً للعلوم العقلية ، وأشار ابن واصل أنه كان ينزل في مدينة تسمى "لوجاره" بجنوب إيطاليا ، أهلها كلهم مسلمون من أهل جزيرة صقلية تقام فيها الجمعة ، وأن أكثر أصحاب الملك الذين يتولون أموره الخاصة به مسلمون([6]).

---

[1]) ابن واصل ، مفرج ، جـ2 ، صـ407. الذهبي ، سير ، جـ16 ، صـ308. بدوي ، الحياة العقلية ، صـ161.

[2]) شمس الدين سبط بن الجوزي: الإمام العالم محيي الدين يوسف بن الشيخ جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي ، ولد سنة 580هـ/1184م ، توفي سنة 654هـ/1258م ، للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ16 ، صـ562.

[3]) ابن واصل ، مفرج ، جـ4 ، صـ245-246.

[4]) صقلية: جزيرة خصيبة كثيرة البلدان والقرى من جزائر بحر المغرب (ويعرف اليوم بالبحر الأبيض المتوسط) ، فتحها المسلمون على يد أسد بن الفرات المتوفى سنة 213هـ/828م ، انظر: الحموي ، معجم البلدان ، جـ3 ، صـ416-417. الذهبي ، سير ، جـ9 ، صـ14-15.

[5]) الملك مانفريد: ابن غير شرعي للإمبراطور فردريك الثاني ، حاز قدراً كبيراً من الشهرة ، ولقي من البابوات ما لقيه أبوه من الكراهية ، وأخذ البابوات يلتمسون أميراً يجعلونه مكانه على عرش صقلية التي خضعت عرفاً وتقليداً لسيادتهم ، انظر: رنسيمان ، تاريخ ، جـ3 ، ق2 ، صـ499-500.

[6]) ابن واصل ، مفرج ، جـ4 ، صـ248. الغامدي ، بلاد الشام ، صـ367.

ومن الواضح أن هذا النشاط السياسي الذي كان يقوم به بعض العلماء والفقهاء يبين أنهم كانوا يجمعون بين المقدرة العلمية والحنكة السياسية التي مكنتهم من المساهمة ، والمشاركة في الحياة السياسية ، سواء في عصر الأيوبيين ، أو عصر المماليك.

ولم يقتصر نشاط هؤلاء العلماء على النشاط الفكري والسياسي ، بل كان لهم دور بارز أيضاً في الحياة الاجتماعية والحياة العامة إذ أنهم تمتعوا بمكانه اجتماعية رفيعة إلى جانب مكانتهم العلمية المرموقة ، لذا فقد اعتمد الملوك والسلاطين الأيوبيون والمماليك على هذه الفئة من العلماء ، نظراً لامتلاكهم القدرات الفكرية ، والقوة المؤثرة في توجيه المجتمع ، ومن هنا ، حرص الملوك والسلاطين على دعم وتشجيع مثل هؤلاء العلماء ، كي يكونوا سنداً لهم في بسط وتقوية نفوذهم ، وتثبيت سلطتهم وحكمهم.

برز دور العلماء في العديد من مجالات الحياة العامة ، ففي الجانب الديني برعوا في القضاء والإفتاء والوعظ فكان الإمام العالم ابن شداد إماماً فاضلاً ديناً محسناً للفقهاء وأهل العلم ، جمع بين القضاء والإفتاء والتدريس([1]) ، وكان الإمام العالم فخر الدين بن عساكر إماماً فقيهاً زاهداً عابداً ، عرض عليه الملك العادل منصب القضاء فرفض ، وفضل اشتغاله بالفقه والإفتاء والتدريس([2]) ، وذكر أبو شامة عن فخر الدين بن عساكر أنه كان يرعى طلبة العلم رعاية كبيرة ، فقد كان "إذا قدم له غذاؤه ، استدعى من أهل مدرسته ممن حضر مَنْ يأكل معه"([3]).

ونشط العلماء والفقهاء في مجال الخطابة ، ولا أدل على ذلك ، كما أشرنا سابقاً ، من خطبة الجمعة للإمام العالم ابن الزكي الذي كان صاحب أول خطبة خطبت في بيت المقدس بعد الفتح ، لما عرف عنه من البلاغة والفصاحة والنظم والخطب والرسائل([4]) ، كما اشتهر بالخطابة الشيخ الإمام أبو الذكاء عبد المنعم بن أبي الفهم خطيب المسجد الأقصى لأكثر من أربعين سنة ، وجمع بين الفقه والخطابة والتدريس.

---

[1]) ابن واصل ، مفرج ، جـ2 ، صـ407. الذهبي ، سير ، جـ16 ، صـ307-308. المصري ، التعليم في بلاد الشام، صـ158.

[2]) أبو شامة ، تراجم ، صـ137. ابن كثير ، البداية ، جـ13 ، صـ118-119.

[3]) أبو شامة ، تراجم ، صـ138.

[4]) الأصفهاني ، الفتح ، صـ138-139. ابن الأثير ، الكامل ، جـ9 ، صـ399. أبو شامة ، تراجم ، صـ32.

وهكذا ، يتبين أن العلماء المشتغلين في التدريس وغيرهم من الفقهاء قد قاموا بدور فاعل في حياة المسلمين السياسية والاجتماعية ، فاهتموا بمصالح الأُمة الإسلامية ودافعوا عن حقوقها ، وعملوا على توجيه الناس وقادتهم إلى الطريق الصحيح.

2- الطلاب: نفقاتهم وأعمارهم

اهتم ملوك وسلاطين الأيوبيين والمماليك بتعليم الطلاب الملتحقين في دور الحديث والمدارس المختلفة ، وقد كان التعليم كما أشرنا سابقاً ليس مجاناً فقط ، بل كان الطلبة يتقاضون مخصصات مالية من الأوقاف ، تساعدهم في تلبية احتياجاتهم ومصاريفهم([1]) ، وهذا ما شجع كثيراً من الطلبة الذين ارتحلوا من بلادهم إلى بيت المقدس للإفادة من هذه الامتيازات ، ومما يدلل على ذلك أن الملك الناصر صلاح الدين وقف على المدرسة الصلاحية ببيت المقدس أوقافاً كثيرة ، أفاد منها شيوخ هذه المدرسة وطلابها([2]) ، كما وقف نصف دار الإسبتار بعكا مدرسة للمتفقهة وللطلبة([3]).

ونهج الملك الأفضل نهج والده ، فوقف حارة المغاربة([4]) على طائفة أهل المغرب ، فقهائهم وطلابهم الذين أخذوا يتوافدون على بيت المقدس من مختلف أقطار شمال أفريقيا([5]).

وهكذا توافرت الفرص أمام جميع الطلاب للالتحاق بالمدارس ، فاستطاع أبناء الفقراء أن يلتحقوا بهذه المدارس ، ليكملوا مسيرتهم التعليمية.

ولم تحدد المصادر العربية التي رجع إليها الباحث سناً محددة للالتحاق بالتعليم ، بل كان التلاميذ يلتحقون بالكتاتيب ، وهم في سن مبكرة ، ثم يلتحقون بالمدارس بعد إنهاء دراستهم في الكتاب ، إلا أن العسلي ذكر أن أعمار طلبة المدارس في مرحلتها الأولى كانت تتراوح بين الحادية عشرة والثانية عشرة([6]).

---

[1]) البيطار ، التعليم في الشام ، صـ64.

[2]) الأصفهاني ، الفتح ، صـ145.

[3]) المصدر نفسه ، صـ182.

[4]) حارة المغاربة: تقع بجوار سور المسجد الأقصى من جهة الغرب ، ونسبتها للمغاربة لكونها موقوفة عليهم وسكنهم بها ، انظر: العليمي ، الأنس ، جـ2 ، صـ105.

[5]) العليمي ، الأنس ، جـ2 ، صـ97. الخطيب ، دور التعليم ، صـ150.

[6]) العسلي ، معاهد ، صـ22. الخطيب ، دور التعليم ، صـ151.

3- مراحل التعليم:

عُدّت مرحلة تعليم الأطفال في الكتاتيب هي المرحلة الأولى من مراحل التعلـيم ، وقـد سبق الإشارة إليها ، أما المرحلة الثانية فهي المرحلة التي يتوسع فيها تعليم الطالب ، حيث يتلقى دروساً في تفسير القرآن وعلوم الحديث والفقه والقراءات والتاريخ والجغرافيا وأصـول اللغـة والشعر ، وغيرها ، وكان المدرس في هذه المرحلة يصدر لطلبته شهادة تدعى الإجازة ، يـشهد فيها بأن طالباً من طلابه درس عليه كتاباً معيناً أو أنه أصبح أهلاً لتدريسه ، وكانـت الـشهادة تكتب على الكتاب ، وهذه هي الإجازة الخاصة ، وهناك إجازة عامة يحق لحاملها تدريس جميع الكتب التي أملاها المدرس ، أما المرحلة الثالثة ، فهي المرحلة التي يبدأ فيها الطالب بالتخصص والتعمق في موضوعات معينة ، وهذا الأمر يستوجب منه الرحلة في طلب العلم بهـدف مقابلـة الشيوخ والعلماء الذين يرغب في الأخذ عنهم([1]).

4- أوقات الدراسة:

جرت العادة على أن تكون أوقات دراسة الطلبة سواء في الكتاتيب أو في المدارس ، في الفترة الصباحية وهي فترة نشاط وحيوية ، ورغم ذلك ، فلم تكن أيام وأوقات الدراسة واحدة في كافة ، المدارس خاصة وأن أمر المدرسة ونظامها وأساليب عملها كانت تخضع إلـى واقفهـا ، إضافة إلى ظروف المدرس وأوقاته ، وكانت المدارس تعطل في أيام الجمـع ، وأيـام الأعيـاد والمناسبات الدينية ، وأيام المطر الغزير والرياح والثلوج والبرد([2]). ولم يجـد الباحـث - فـي حدود المصادر التي رجع إليها - ما يشير إلى تحديد أوقات الدراسة في مدارس بيـت المقـدس خلال العصر الأيوبي وما بعده من عصر المماليك حتى سنة 690هـ/1291م.

5- أساليب وطرق التدريس:

استخدم المدرسون في تدريسهم أساليب وطرقاً عديدة بهدف تحقيـق الفائـدة المرجـوة لطلبتهم ، وقد أشار السبكي إلى المدرس بقوله: "وحق عليه أن يحسن إلقـاء الـدرس وتفهيمـه للحاضرين ، ثم إن كانوا مبتدئين فلا يلقي عليهم ما لا يناسبهم مـن المـشكلات ، بـل يـدربهم

---

[1]) رشيد ، التعليم ، صـ277-278. المصري ، التعليم في بلاد الشام ، صـ173. خليل ، مدينة القدس ، صـ105.

[2]) البيطار ، التعليم في دمشق ، صـ66. عبد المهدي ، المؤسسات التعليمية ، صـ571-572.

ويأخذهم بالأهون فالأهون إلى أن ينتهوا إلى درجة التحقيق ، وإن كانوا منتهين فلا يلقي عليهم الواضحات ، بل يدخل بهم في مشكلات الفقه ، ويخوض بهم عبابه الزاخر"([1]).

وقد تنوعت طرق التحصيل العلمي ووسائله في عصر الأيوبيين والمماليك بين التلقين والحفظ ، والسماع والإملاء ، والمناقشة والمناظرة وغيرها ، إلا أن طريقة التلقين والحفظ والرواية كانت أكثر شيوعاً من غيرها ، وخاصة في العلوم الشرعية ، وعلوم اللغة العربية ، وقد أثنى ابن خلدون على طريقة تلقين العلوم للمتعلمين ووصفها بالمفيدة([2]).

أما المناظرة فقد كانت من أرقى أدوات التعليم التي كان يمارسها كبار العلماء ، نظراً لأهميتها في شحذ الذهن وتقوية الحجه وانطلاق البيان ، لذلك وجب على المدرس أن يدرب الطلاب على آداب المناظرة والمناقشة ، وكانت تتم بين الطلاب أنفسهم أو بين المدرس والطالب ، وكان الطالب يخالف أستاذه في الرأي أحياناً بطريقة ملؤها الأدب والاحترام([3]).

وقد أشار الزرنوجي([4]) إلى ذلك بوضوح في قوله: "ولابد لطالب العلم من المذاكرة والمناظرة والمطارحة ، فينبغي أن يكون كل منهما بالإنصاف والتأني والتأمل ، ويتحرز عن الشغب ، فإن المناظرة والمذاكرة مشاورة ، والمشاورة إنما تكون لاستخراج الصواب"([5]).

6- الرحلة العلمية:

كان من أسباب إقبال طلبة العلم على الرحلة العلمية قول النبي صلى الله عليه وسلم: "من سافر في طلب العلم كان مجاهداً في سبيل الله" ، لذا حرص معظم طلاب المدارس على مواصلة تحصيلهم العلمي ، فكان لزاما عليهم السفر ، وتحمل المشقة لمقابلة كبار العلماء والفقهاء للإفادة منهم ، وكان الطالب لا يصل إلى مرحلة متقدمة في العلم إلا إذا أخذ عن

---

[1]) السبكي ، معيد ، صـ105-106.

[2]) ابن خلدون ، مقدمة ، صـ533. عبد الدائم ، التربية ، صـ185. المصري ، التعليم في بلاد الشام ، صـ184.

[3]) ابن خلدون ، مقدمة ، صـ457. المصري ، التعليم في بلاد الشام ، صـ184.

[4]) الزرنوجي: نسبة إلى زرنوج ، وهي بلد مشهور بما وراء النهر من أعمال تركستان ، انظر: الحموي ، معجم البلدان ، جـ3 ، صـ139.

[5]) الزرنوجي ، تعليم المتعلم ، صـ139.

مشاهير بلده ، ورحل بعدها في طلب العلم ، حيث إن شخصيته ومكانته العلمية في نظر النـــاس كانت تُقيَّم حسب ما قام به من رحلات لطلب العلم ، وحسب عدد المدرسين الذين تلقى عنهم([1]).

وقد اشتهر عدد كبير من العلماء الفلسطينيين الذين كان لهم إقبال كبيـــر علـــى الرحلـــة العلمية ، فاجتهدوا وأفادوا ، وأصبحوا من كبار العلماء والفقهاء ، فمنهم على ســـبيل المثـــال لا الحصر:

الإمام العالم أبو عبد الله محمد بن عمر بن أبي بكر بن عبد الله بن سعيد المقدسي ، المتوفى سنة 616هـــ/1219م ، والإمام العالم نجم الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن خلــف بـــن راجـــح المقدسي ، المتوفى سنة 638هـــ/1240م ، ومنهم أيضاً الإمام العالم أبو شامة ، المتـــوفى ســـنة 665هـــ/1266م ، والمحدث الرحال على بن بلبان المقدسي ، المتوفى سنة 684هـــ/1285م ، والذين سبق الحديث عنهم.

7- الإجازة العلمية:

حرص طلبة العلم على لقاء كبار العلماء والفقهاء في مختلف أرجاء العالم الإســـلامي ، للاستماع منهم والأخذ عنهم ولزومهم ، وذلك بهدف زيادة علومهم ومعرفتهم وحـــصولهم علـــى الإجازة العلمية ، وكان طالب العلم لا ينال هذه الإجازة من شيوخه إلا إذا أثبـــت لهـــم مقدرتـــه وكفاءته العلمية ، وبذلك كان الشيخ يمنح طالب العلم الإجازة بالتدريس أو الإجازة بالفتيا ، وكان الشيخ هو من يصدر هذه الإجازة باسمه ، حيث تنسب إليه ، ولا تنسب إلى المعهد العلمي الـــذي يدرس فيه([2]).

وذكر القلقشندي أن مثل هذه الإجازات تتنوع بين إجازات بالفتيا والتدريس ، وعراضات الكتب وأضاف قائلاً : "أما الإجازة بالفتيا ، فقد جرت العادة أنه إذا تأهل بعض أهل العلم للفتيـــا والتدريس ، أن يأذن له شيخه في أن يفتي ، ويدرس ، ويكتب له بذلك"([3]).

---

[1]) المصدر نفسه ، صـــ163. ابن خلدون ، مقدمة ، صـــ434. عبد الدائم ، التربية ، صـــ181. البيطـــار ، التعليم في الشام ، صـــ64.

[2]) الخطيب ، دور التعليم ، صـــ147. المصري ، التعليم في بلاد الشام ، صـــ178. البيطار، التعليم في الشام ، صـــ64.

[3]) القلقشندي ، صبح ، جـــ14 ، صـــ322.

أما الإجازة بعراضة الكتب ، فقد أشار القلقشندي أنه إذا حفظ طالب العلم كتاباً في الفقه أو النحو ، أو غير ذلك من الفنون يعرضه على شيخه ، فيمتحنه ثم يجيزه إذا نجح فيه([1]).

تنوعت الإجازات التي كانت تمنح للطلاب ، فبالإضافة إلى الإجازات بالفتيا والتدريس وعراضات الكتب ، كان هناك الإجازة في موضوع بغض النظر عن الكتب التي تعالج هذا الموضوع ، وعلى سبيل المثال لا الحصر ، فقد كثرت إجازات الطلاب بالحديث إذ حصل الشيخ عبد المنعم بن يحيى بن إبراهيم النابلسي ، خطيب المسجد الأقصى على العديد من الإجازات من شيوخ دمشق وحلب والموصل وبغداد وواسط وهمذان ، وحدَّث في سنة 654هـ/1256م ، وكتب عنه جماعة من الأئمة والفقهاء بالديار المصرية والبلاد الشامية.

ومن الجدير بالذكر أن هناك نوعاً من الإجازات كان يمنحها العلماء والشيوخ للملوك ، فقد عرف عن الملك الكامل شغفه بسماع الحديث النبوي ، حتى أنه حدَّث بالإجازة من ابن بري وأبي القاسم البوصيري ، ومن الواضح أن هذا النوع من الإجازات إنما يدل على مدى اعتزاز الملوك بالعلم وإجلالهم لأهله وسعيهم للاتصال بهم([2]).

---

[1]) المصدر نفسه ، صـ327.

[2]) المقريزي ، السلوك ، جـ1 ، صـ380. المصري ، التعليم في بلاد الشام ، صـ180.

الفصل الرابع

العلوم النقلية والعقلية في فلسطين

(491–690هـ/1098–1291م)

انتشرت العلوم النقلية والعقلية في فلسطين ، وكثرت المصنفات المختلفة التي اعتمدت في التدريس ، وكان من أبرز سمات الحركة الفكرية في العصرين الأيوبي والمملوكي ، الاهتمام الشديد بالعلوم الدينية فقد تبوأت مكان الصدارة بين العلوم التي كانت سائدة آن ذاك([1]) ، ونستعرض فيما يلي أهم العلوم النقلية والعقلية التي كانت سائدة في فلسطين في الفترة من 491-690هـ/1098-1291م:

أولاً: العلوم الدينية:

كانت العلوم الدينية من حديث وفقه وتفسير وقراءات ، من أبرز العلوم التي كانت سائدة في فلسطين في العصرين: الأيوبي والمملوكي ، فقد اهتم الأيوبيون ومن بعدهم المماليك ، اهتماماً شديداً بهذه العلوم ، وشجعوا العلماء والفقهاء على تدريسها في المدارس ومعاهد العلم الأخرى ، ولم يقتصر هذا الاهتمام على الملوك والسلاطين فقط ، بل كان طلبة العلم وعامة الناس أيضاً يهتمون بهذه العلوم ، وقد بينا سابقاً أسباب هذا الاهتمام بهذه العلوم في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي ، إلا أن هذا الاهتمام قد ازداد في العصرين: الأيوبي والمملوكي ، ويبدو أن هذا الاهتمام من قبل السلطة الحاكمة والناس يعود إلى أسباب عدة أهمها:

أولاً: إن هذه العلوم ، ذات الطابع الديني ، لها علاقة وطيدة ومباشرة بمظاهر حياة الناس الدينية والاجتماعية ، وما يتبعها من سلوكيات ومعاملات.

ثانياً: إن تشجيع هذه العلوم ونشرها وتدريسها والاقتداء بما فيها من قول وفعل يؤدي إلى التقرب إلى الله سبحانه وتعالى ، ومن ثَمَّ تعم مظاهر الخير والصلاح والتقوى.

ثالثاً: نشر الوعي الديني والفكر السني بين الناس ، لمقاومة الفكر الشيعي ، والتصدي للفرق الدينية المنحرفة.

رابعاً: إقامة العديد من المدارس والمراكز الدينية الموقوفة على الاشتغال بالعلوم الدينية ، وتوفير الدعم المالي لها ، الأمر الذي أدى إلى ازدياد عدد الطلاب فيها وكثرة المشتغلين بالعلوم الدينية.

وبرز من الفلسطينيين في العصرين الأيوبي والمملوكي ، عدد كبير من العلماء الذين برعوا في العلوم الدينية واشتغلوا بها ، وسبق أن تعرضنا لهم ، وكان من أشهرهم:
عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي ، محمد بن خلف بن راجح ، عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامه ، أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي النابلسي ، كما برز أيضاً في ميدان العلوم الدينية

---

[1]) عبد المهدي ، الحركة ، صـ116-117. المصري ، التعليم ، صـ186.

في فلسطين ، في العصرين الأيوبي والمملوكي ، عدد كبير من العلماء الوافدين إليهـا ، وكـان من أشهرهم:
فخر الدين بن عساكر الدمشقي الشافعي ، شـيخ الـشافعية بـبلاد الـشام ، وشـيخ المدرسـة الصلاحية ، تقي الدين بن الصلاح الذي كان أحد فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقـه ، وجمال الدين محمد بن سالم بن واصل ، وقد تقدم الحديث عنهم.

ومن الطبعي أن يكون لهؤلاء العلماء الكبار دورٌ بارزٌ في نشر هذه العلـوم وتدريـسها لطلبتهم في المدارس والمراكز العلمية المختلفة التي أقامها الأيوبيون والمماليك ، الأمـر الـذي أدى إلى إزدهار هذه العلوم وكثرة الإقبال عليها ، إضافة إلى كثرة التصانيف فيها.

ومن أهم العلوم الدينية:

1- الحديث:

اهتم المسلمون بعلم الحديث عناية فائقة ، كونه المصدر الثاني للتشريع الإسـلامي بعـد القرآن الكريم ، كما أن له أثراً كبيراً في تنظيم أحوال المسلمين ، وبيان مالهم من حقوق ، ومـا عليهم من واجبات([1]).

كان علم الحديث يدرس في مدارس فلسطين والمعاهـد الدينيـة ، وتـصدر لتدريـسه والإشتغال به عدد كبير من العلماء ، كان من أشهرهم:
عبد الغني بن عبد الواحد الذي كان أوحد زمانه في علم الحديث ، وتقدم ذكره، أبو الحسن علـي بن الأنجب أبي المكارم المفضل بن علي المقدسي، وكان من أكـابر الحفـاظ والمـشاهير فـي الحديث وعلومه ، وكان فقيهاً فاضلاً في مذهب الإمـام مالـك، درس الحـديث وعلومـه فـي الإسكندرية ثم في القاهرة حتى وفاته([2]) ، ومنهم: الشيخ العالم المحدث الرحال علاء الدين أبـو القاسم علي بن بلبان ، وقد تقدم ذكره ، ومحدث الإسلام علي بن أحمد بن عبد الواحد بن أحمـد بن عبد الرحمن المقدسي ، تفقه على الشيخ موفق الدين وقرأ عليه "المقنع" وأذن له في إقرائـه ، وصار محدث الإسلام وراويته ، روى الحديث أكثر من ستين سنة ، وسمع منه الأئمة والحفاظ،

---

[1]) عطية ، تاريخ التعليم ، صـ69.

[2]) أبو الحسن علي بن الأنجب: الإمام الحافظ المفتى ، شرف الدين الفقيه المالكي ، ولد سنة 544هـ/1149م ، توفي بالقاهرة سنة 611هـ/1214م ، للمزيد عن ترجمته ، انظر: ابن خلكان ، جـ3 ، صـ291-292. الذهبي ، سير ، جـ16 ، صـ99-100. السيوطي ، حسن المحاضرة ، جـ1 ، صـ165.

وتكاثرت عليه الطلبة([1]) ، ومنهم أيضاً: مسند الشام ، قاضي القضاة ، تقي الدين أبو الفضل سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر بن أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامه المقدسي الحنبلي ، كان إماماً محدثاً ، أفتى نيفاً وخمسين سنة([2]).

ولا أدل على الاهتمام بتدريس الحديث من تأسيس دار الحديث ببيت المقدس التي أنشأها الأمير شرف الدين أبو محمد عيسى بن بدر الدين بن أبي القاسم الهكاري ، فقد كان لهذه الدار ، كما أشرنا سابقاً ، دور بارز في إقبال طلبة العلم على دراسة الحديث والاشتغال به ، ولم يكن طلبة العلم هم وحدهم فقط الذين اهتموا واشتغلوا بالحديث ، بل اهتم به بعض النساء اللواتي أظهرن براعة فائقة في روايته ، وبرز منهن عالمات محدثات فاضلات كان منهن:

1- المحدثة زينب بنت عبد الله بن عبد الرحمن المقدسية ، المتوفاة سنة 643هـ/1245م([3]).
2- المحدثة خديجة بنت أحمد بن عبد الدائم بن نعمة ، ولدت سنة 598هـ/1201م ، أجاز لها العديد من العلماء ، كانت إمرأة صالحة متدينة ، توفيت سنة 685هـ/1286م([4]).
3- المحدثة هدية بنت عبد الحميد بن محمد المقدسية ، روت الصحيح عن ابن الزبيدي ، وتوفيت سنة 699هـ/1299م([5]).
4- المحدثة صفية بنت عبد الرحمن بن عمرو بن موسى المرداوية الصالحية ، ولدت سنة 612هـ/1215م ، حدثت عن الإمام موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامه المقدسي ، وحدث عنها محيي الدين البعلبكي الحنبلي ، توفيت سنة 699هـ/1299م ، ودفنت بسفح قاسيون بدمشق([6]).

---

[1]) علي بن أحمد بن عبد الواحد: ويعرف أيضاً بابن البخاري ، ولد سنة 595هـ/1198م ، توفي سنة 690هـ/1291م ، للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، العبر ، جـ3 ، صـ373. ابن كثير ، البداية ، جـ13 ، صـ360. ابن تغري بردي ، النجوم ، جـ8 ، صـ28. ابن العماد ، شذرات ، جـ6 ، صـ79-81.

[2]) سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر: كان من الأعلام المحدثين المتبحرين في الحديث وعلومه ، ولد سنة 628هـ/1230م ، وتوفي سنة 715هـ/1315م ، للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، العبر ، جـ4 ، صـ42. ابن حجر العسقلاني ، الدرر ، جـ2 ، صـ146-147. ابن مفلح ، المقصد ، جـ1 ، صـ413.

[3]) للمزيد حول ترجمتها ، انظر: كحالة ، أعلام ، جـ2 ، صـ75. الدباغ ، بلادنا ، جـ3 ، صـ256.

[4]) للمزيد حول ترجمتها ، انظر: الذهبي ، معجم ، جـ1 ، صـ225. دعبول ، تراجم ، صـ108.

[5]) للمزيد حول ترجمتها ، انظر: اليافعي ، مرآة ، جـ4 ، صـ232. ابن العماد ، شذرات ، جـ6 ، صـ129. دعبول ، تراجم ، صـ457.

[6]) للمزيد حول ترجمتها ، انظر: الذهبي ، معجم ، جـ1 ، صـ309. دعبول ، تراجم ، صـ251.

5- المحدثة خديجة بنت محمد بن سعد بن عبد الله بن سعد المقدسية ، توفيت سنة 701هـ/1301م([1]).

6- المحدثة خديجة بنت عبد الرحمن بن محمد المقدسية ، ولدت سنة 617هـ/1220م ، روت عن القزويني وجماعة ، كانت عابدة صالحة ، وتوفيت سنة 701هـ/1301م([2]).

7- المحدثة خديجة بنت عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الملك بن عثمان المقدسية ، توفيت سنة 707هـ/1307م([3]).

8- المحدثة سارة بنت عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الملك المقدسية ، أم محمد ، سمعت من إبراهيم بن خليل وأخذ عنها البرزالي وغيره ، توفيت سنة 716هـ/1316م([4]).

9- المحدثة فاطمة بنت عبد الرحمن بن عمرو بن موسى المرداوية ، ولدت سنة 626هـ/1228م ، سمعت من ابن الزبيدي ، كانت فقيرة قانعة ، توفيت سنة 717هـ/1317م([5]).

10- المحدثة زينب بنت أحمد بن عمر بن أبي بكر بن شكر المقدسية ، ولدت سنة 645هـ/1247م ، سمعت من جعفر الهمداني وجماعة ، حدثت بدمشق ومصر والمدينة وبيت المقدس ، ورحل إليها الطلبة ، كانت عابدة خيرة ، توفيت سنة 722هـ/1322م([6]).

11- المحدثة أسماء بنت محمد بن الكمال عبد الرحيم المقدسية ، سمعت من أحمد بن عبد الدائم ، توفيت سنة 723هـ/1323م([7]).

هكذا ، نالت المرآة قسطاً من العلم وشاركت في الحياة العلمية ، وساهمت بدور فاعل لا يقل أهمية عما قام به الكثير من العلماء والفقهاء في مجال علم الحديث.

---

[1]) للمزيد حول ترجمتها ، انظر: الذهبي ، معجم ، جـ1 ، صـ232.

[2]) للمزيد حول ترجمتها ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ17 ، صـ121-122. ابن العماد ، شذرات ، جـ6 ، صـ135.

[3]) للمزيد حول ترجمتها ، انظر: الذهبي ، معجم ، جـ1 ، صـ228.

[4]) للمزيد حول ترجمتها ، انظر: ابن حجر العسقلاني ، الدرر ، جـ2 ، صـ122-123. كحالة ، أعلام ، جـ2 ، صـ137. دعبول ، تراجم ، صـ185.

[5]) للمزيد حول ترجمتها ، انظر: الذهبي ، معجم ، جـ1 ، صـ108. دعبول ، تراجم ، صـ342.

[6]) للمزيد حول ترجمتها ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ17 ، صـ462. اليافعي ، مرآة ، جـ4 ، صـ269. ابن حجر العسقلاني ، الدرر ، جـ2 ، صـ118. ابن العماد ، شذرات ، جـ6 ، صـ210.

[7]) للمزيد حول ترجمتها ، انظر: ابن حجر العسقلاني ، الدرر ، جـ1 ، صـ361. كحالة ، أعلام ، جـ1 ، صـ64. دعبول ، تراجم ، صـ23.

ومن كتب الحديث المشهورة التي كثر تداولها في فلسطين وفي غيرها ، الكتب الستة ، وكتاب "المصباح الداعي إلى الفلاح" الذي ألفه الإمام العالم محدث بيت المقدس نصر بن إبراهيم المقدسي([1]) ، وكتاب "علوم الحديث" الذي صنفه الإمام العالم ابن الصلاح([2]) ، وغيرها من الكتب الأخرى.

2- الفقه:

اهتم الملوك والسلاطين الأيوبيون والمماليك بالفقه وشجعوا العلماء على تدريسه والاشتغال به ، كونه أحد فروع العلوم الدينية المهمة في حياة المسلمين ، فالفقه هو العلم بالدين لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا أراد الله لعبد خيراً فقهه في الدين"([3]).

وكان من شدة اهتمام الملك المعظم عيسى بالفقه ، إنشاؤه المدرسة المعظمية حيث وقفها على فقهاء الحنفية ، كما أنه أمر العلماء أن يجردوا له المذهب الحنفي ، فبذلوا جهوداً كبيرة في ذلك ، ووضعوا كتاب "التذكرة" في عشر مجلدات.

وقد أسهم العلماء الفلسطينييون بنصيب كبير في تأليف كتب الفقه على المذاهب الأربعة: الشافعي ، الحنفي ، الحنبلي ، والمالكي ، وبرز منهم فقهاء أجلاء ساهموا في ازدهار العلوم الدينية ، وانتشارها في فلسطين وخارجها ، وكان من أشهرهم في العصرين الأيوبي والمملوكي: الإمام العالم الفقيه شيخ الإسلام محمد بن أحمد بن قدامه ، والإمام العالم الفقيه عبد الغني بن عبد الواحد الجماعيلي ، والشيخ الإمام الفقيه إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي ، والشيخ الإمام العَّلامة الفقيه عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامه ، والإمام العالم الضياء المقدسي ، الذين سبق الحديث عنهم.

ومن العلماء من أبناء فلسطين الذين برزوا في الفقه ، الإمام العالم الفقيه ، خطيب الخطباء شرف الدين أبو العباس أحمد بن أحمد نعمة بن أحمد المقدسي الشافعي خطيب دمشق

---

[1]) عطية ، تاريخ التعليم ، صـ76.

[2]) ابن خلدون ، مقدمة ، صـ443. ابن العماد ، شذرات ، جـ5 ، صـ344. عطية ، تاريخ التعليم ، صـ77.

[3]) صحيح البخاري ، كتاب العلم ، رقم الحديث 69.

وفقيهها ، كان كّيساً متواضعاً ثاقب الذهن ، مفرط الذكاء ، برع في الفقه والعربية وألف كتاباً في أصول الفقه ، ولد سنة 622هـ/1225م ، وتوفي سنة 694هـ/1294م([1]).

ومنهم الإمام العالم شرف الدين الحسن بن عبد الله بن الشيخ أبي عمر بن قدامه ، برع في المذهب الحنبلي ، وولي القضاء بالشام والتدريس بدار الحديث الأشرفية([2]).

ومنهم الإمام العالم فخر الدين أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة بن سلطان بن سرور بن رافع المقدسي النابلسي الحنبلي ، أفتى بنابلس أربعين سنة([3]).

ومن كتب الفقه المشهورة التي كثر تداولها ، وكانت تدرس في فلسطين وخارجها ، كتب الفقه الخاصة بالمذهب الشافعي ومنها: كتاب "الأم" للإمام الشافعي([4]) ، و"مختصر المزني" للشيخ إسماعيل بن يحيى المزني الشافعي ، و"التنبيه في فروع الشافعية" للشيرازي ، و"الحاوي"([5]) ، و"الكافي" للشيخ نصر بن إبراهيم ، وكتابا "الوسيط" و"الوجيز" للإمام الغزالي ، وكتب الفقه الخاصة ، بالمذهب الحنفي ومنها: "مختصر القدوري" ، "كنز الدقائق" للإمام العالم النسفي ، "الجامع الكبير" للعالم الكرخي ، وكتب الفقه الخاصة بالمذهب المالكي ومنها: "المدونة في فروع المالكية" لابن القاسم المالكي ، "الرسالة" في الفقه المالكي لابن أبي زيد القيرواني وكتب الفقه الخاصة بالمذهب الحنبلي ومنها: "مختصر الخرقي" ، "التبصرة في أصول الفقه" ، للشيخ أبي الفرج الشيرازي. (وقد سبق الحديث عنها).

---

[1]) الذهبي ، سير ، جـ17 ، صـ176. اليافعي ، مرآة ، جـ4 ، صـ225. ابن كثير ، البداية ، جـ13 ، صـ380. ابن العماد ، شذرات ، جـ6 ، صـ93.

[2]) شرف الدين الحسن بن عبد الله: ولد سنة 638هـ/1240م ، وتوفي سنة 695هـ/1295م ، للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ17 ، صـ186. ابن العماد ، شذرات ، جـ6 ، صـ100.

[3]) علي بن عبد الرحمن بن عبد المنعم: ولد بنابلس سنة 630هـ/1232م ، وتوفي سنة 702هـ/1302م ، للمزيد عن ترجمته ، انظر: ابن حجر العسقلاني ، جـ3 ، صـ59. ابن العماد ، شذرات ، جـ6 ، صـ138.

[4]) أبو شامة ، تراجم ، صـ148. بدوي ، الحياة العقلية ، صـ151.

[5]) الحاوي: كتاب ألفه الإمام العالم شيخ الشافعية نجم الدين عبد الغفار بن عبد الكريم بن عبد الغفار القزويني الشافعي ، من كبار العلماء بقزوين ، توفي سنة 665هـ/1266م ، للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ17 ، صـ108.

3- التفسير:

اهتم علماء المسلمين بالتفسير إذ كان من الموضوعات المهمة التي كانت تدرس في معظم أمكنة التعليم في فلسطين وخارجها ، وكان من أشهر من عنى بالتفسير من علماء فلسطين الإمام العالم الحسن بن الخطير ، وشيخ قبة الصخرة الإمام العالم المفسر جمال الدين أبو بكر محمد الشريشي ، ومنهم الإمام العالم المفسر جمال الدين محمد بن سليمان الحنفي المقدسي المعروف بابن النقيب ، أحد الأئمة الكبار والمتبحرين في علم التفسير ، ولد سنة 611هـ/1214م ، وصنف كتاباً مطولاً في التفسير سماه "التحرير والتجبير لأقوال أئمة التفسير في معاني كلام السميع البصير"([1]) ، وهو تفسير كبير يقع في نيف وخمسين مجلداً ، وقد درسه ابن النقيب بالمسجد الأقصى ، توفي ابن النقيب سنة 698هـ/1298م([2]).

ومن كتب التفسير المشهورة التي ظهرت في فلسطين ، ولقيت عناية في تدريسها بالمسجد الأقصى ، كتاب "الكشاف عن حقائق التنزيل" للإمام العالم أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، وقد فرغ من تأليفه سنة 528هـ/1133م ، وقال فيه:

إن التفاسير في الدنيا بلا عدد وليس فيها لعمري مثل كشافي
إن كنت تبغي الهدى فالزم قراءته فالجهل كالداء والكشاف كالشافي([3])

توفي الزمخشري سنة 538هـ/1143م([4]).

ومن أُمهات كتب التفسير أيضاً التي كانت تدرس في فلسطين وخارجها ، كتاب "مفاتيح الغيب" وهو ثمانية مجلدات ، المعروف بالتفسير الكبير للإمام الفقيه الشافعي فخر الدين محمد بن عمر الرازي المتوفى سنة 606هـ/1209م([5]).

---

[1]) الذهبي ، سير ، جـ17 ، صـ199. الكتبي ، فوات ، جـ3 ، صـ382-383. ابن كثير ، البداية ، جـ14 ، صـ5. المقريزي، المقفى، جـ5، صـ689. العليمي ، الأنس ، جـ2، صـ330-331. الداوودي، طبقات ، صـ399-400. عبد المهدي ، الحركة ، صـ133. بدوي ، الحياة العقلية ، صـ121.

[2]) حاجي خليفة ، كشف ، جـ1 ، صـ308.

[3]) الزمخشري ، الكشاف ، جـ4 ، صـ211. حاجي خليفة ، كشف ، جـ2 ، صـ403-404.

[4]) ابن خلكان ، وفيات ، جـ5 ، صـ168. ابن خلدون ، المقدمة ، صـ440. زيدان ، تاريخ ، جـ3 ، صـ47. عبد المهدي ، المدارس ، جـ1 ، صـ47.

والزمخشري: نسبة إلى زمخشر، وهي قرية كبيرة من قرى خوارزم ، انظر: الحموي ، معجم البلدان ، جـ3 ، صـ147.

[5]) ابن خلكان ، وفيات ، جـ4 ، صـ248-249. حاجي خليفة ، كشف ، جـ1 ، صـ373. زيدان ، جـ3 ، صـ98.

ومنها أيضاً كتاب "تفسير الكواشي"([1]) ، وقد أرسلت نسخة منه إلى بيت المقدس.

وقدم إلى فلسطين عدد من كبار المفسرين الذين شاركوا في ازدهار الحياة العلمية والحركة الفكرية ، ومنهم: الإمام العالم قاضي القضاة بدر الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن علي الحموي ، ولد بحماة سنة 639هـ/1241م ، وتلقى علم التفسير والفقه والحديث في دمشق ، وفي عام 687هـ/1288م ، ولي الخطابة والإمامة في المسجد الأقصى والقضاء في بيت المقدس ، وأصبح عام 690هـ/1291م ، قاضي قضاة القاهرة ، كان وافر العقل ، متين الديانة ، وله مصنفات عديدة منها: "التبيان لمهمات القرآن"([2]) ، "الفوائد اللائحة من سورة الفاتحة" ، "تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام"([3]) ، توفي بالقاهرة سنة 733هـ/1332م ، ودفن قريباً من الإمام الشافعي رضي الله عنه([4]).

4- القراءات:

إزدهر تعليم القراءات في فلسطين وخارجها في العصرين: الأيوبي والمملوكي إلى جانب العلوم الإسلامية الأخرى ، حيث أقبل عليها طلبة العلم الذين أصبحوا فيما بعد من كبار القراء المشهورين ، فقد أولى الملك المعظم عيسى هذا العلم عناية خاصة ، فجعل له المدرسة النحوية داخل المسجد الأقصى ، وعهد بالتدريس فيها إلى الشيخ شمس الدين بن رزين البعلبكي ، وذكر ابن واصل أنه جوَّد القرآن العظيم على الشيخ البعلبكي في تلك المدرسة بالمسجد الأقصى سنة 624هـ/1226م([5]).

---

[1]) الكواشي: هو الإمام العالم المفسر موفق الدين أبو العباس أحمد بن يوسف بن حسن بن رافع الموصلي الكواشي ، شيخ الموصل ، ولد سنة 591هـ/1194م ، وتوفي سنة 680هـ/1281م ، للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ17 ، صـ352. الداوودي ، طبقات ، صـ72-73. ابن العماد ، شذرات ، جـ6 ، صـ22.

والكواشي: نسبة إلى كواشة ، وهي قلعة حصينة في الجبال التي في شرقي الموصل ، انظر: الحموي ، معجم البلدان ، جـ4 ، صـ486.

[2]) حاجي خليفة ، جـ1 ، صـ296.

[3]) المصدر نفسه ، صـ306.

[4]) الذهبي ، العبر ، جـ4 ، صـ96. اليافعي ، مرآة ، جـ4 ، صـ287. السبكي ، طبقات ، جـ5 ، صـ79. ابن كثير ، البداية ، جـ14 ، صـ178. ابن حجر العسقلاني ، جـ3 ، صـ281-282. العليمي ، الأنس ، جـ2 ، صـ228. الداوودي ، طبقات ، صـ336-337. ابن العماد ، شذرات ، جـ6 ، صـ273.

[5]) ابن واصل ، مفرج ، جـ4 ، صـ211-212.

برز من أبناء فلسطين عدد من القراء المشهورين ، كان منهم: الإمام العالم أبو الحسن علي بن عبد الله بن ياسين العسقلاني المعروف بابن البلان ، كان من القراء المشهورين ، ولد سنة بضع وخمسين وخمسمائة ، رحل إلى بغداد ودمشق ، كان صالحاً ديّناً خيراً ، توفي بدمشق سنة 636هـ/1238م([1]).

ومنهم الإمام العالم ناصر الدين عبد الولي بن عبد الرحمن بن محمد المقدسي ، أقرأ ببيت المقدس ودمشق وأخذ عنه الحفاظ ، ولد سنة 601هـ/1204م ، وتوفي بدمشق سنة 690هـ/1291م([2]).

ومنهم الإمام العالم شيخ القراء جمال الدين أبو إسحاق إبراهيم بن داود بن ظافر العسقلاني الدمشقي ، ولد سنة 622هـ/1225م ، سمع من كثيرين منهم ابن الزبيدي والبرزالي والسخاوي ولازمه مدة ، ولي مشيخة الإقراء بتربة أم الصالح بدمشق ، وقصده القراء وطلبة العلم حتى وفاته بدمشق سنة 692هـ/1292م([3]).

ومن أبناء فلسطين المشهورين بالقراءات أيضاً ، العالم الشيخ المقرئ عماد الدين عبد الحافظ بن بدران صاحب المدرسة بنابلس المتوفى سنة 698هـ/1298م. وقد تقدم ذكره.

ومنهم العالم شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الوالي بن جباره المقدسي الحنبلي ، ارتحل إلى أماكن متعددة ، منها: مصر ودمشق وحلب ، حيث أقرأ بهما القراءات ، ثم عاد إلى بيت المقدس وتصدر لإقراء القرآن والعربية ، ولد سنة 647هـ/1249م ، وتوفي ببيت المقدس سنة 728هـ/1327م([4]).

وكان لشهرة فلسطين بعلم القراءات أن جذبت إليها عدد من كبار القراء فكان منهم: الإمام العالم سيد القراء أبو محمد القاسم بن فيرة بن خلف بن أحمد الأندلسي الشاطبي ، ولد سنة

---

[1]) الذهبي ، تاريخ ، وفيات سنة 631-640هـ ، صـ298-299. ابن الجزري ، طبقات ، جـ1 ، صـ555. السيوطي ، حسن المحاضرة ، جـ1 ، صـ237.

[2]) ابن الجزري ، طبقات ، جـ1 ، صـ478. الدباغ ، بلادنا ، جـ3 ، صـ252.

[3]) الذهبي ، سير ، جـ17 ، صـ161-162. ابن الجزري ، طبقات ، جـ1 ، صـ14. العيني ، عقد ، جـ3 ، صـ195. النعيمي ، الدارس ، جـ1 ، صـ244. ابن العماد ، شذرات ، جـ6 ، صـ87-88.

[4]) ابن حجر العسقلاني ، الدرر ، جـ1 ، صـ259-260. الداوودي ، طبقات ، صـ60. ابن العماد ، شذرات ، جـ6 ، صـ248.

538هـ/1143م بشاطبة([1]) ، قرأ بها القراءات وأتقنها ثم صنف "الشاطبية"([2]) في القراءات السبع ، استوطن القاسم بن فيرة القاهرة ، فبرع وأبدع ، وكان له الباع الأطول في القراءات والنحو والفقه والحديث ، وتصدر الإقراء بمصر، فاشتهر إسمه ، وعظم شأنه ، وبعد صيته وانتهت إليه الرياسة في الإقراء ، قدم إلى بيت المقدس سنة 587هـ/1191م ، وجلس للإقراء بالمسجد الأقصى ، وظل مجتهداً في العلم والعمل حتى وفاته بمصر سنة 590هـ/1193م([3]).

كما قدم إلى فلسطين الإمام العلامة المقرئ النحوي الضرير أبو الحرم مكي بن ريان الماكسيني الموصلي الملقب صائن الدين ، ولد بماكسين([4]) ، وأضر وهو ابن ثمان سنين ، رحل في طلب العلم حتى برع في القراءات وجودها وأقرأ الناس دهراً ، وكان من أحفظ الناس للقرآن ، ولم يكن في زمانه مثله ، قدم إلى بيت المقدس ونزل عند الإمام العالم الفقيه بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع في مدرسته ، روى عنه ضياء الدين المقدسي وجماعة ، توفي بالموصل سنة 603هـ/1206م([5]).

ومن الطبيعيّ أن يكون اللقاء بين العالمين أبي الحرم وابن شداد في المدرسة الصلاحية ببيت المقدس بمثابة لقاء علمي مثمر ، تم فيه مناقشة أمور كثيرة منها: الحياة العلمية والحركة الفكرية ببيت المقدس ، ومن المرجح أن يكون أبو الحرم قد قام بالتدريس في المدرسة الصلاحية والمسجد الأقصى أثناء وجوده في بيت المقدس.

---

[1]) شاطبة: مدينة كبيرة في شرقي الأندلس ، انظر: الحموي ، معجم البلدان ، جـ3 ، صـ309.

[2]) الشاطبية: المسماه "حرز الأماني ووجه التهاني" والمشهورة بالشاطبية وهي منظومة تقع في ألف ومائة وثلاثة وسبعين بيتاً ، وتعد الشاطبية العمدة في علم القراءات ، انظر: أبو شامة ، تراجم ، صـ7. ابن خلكان ، وفيات ، جـ4 ، صـ71. ابن العماد ، شذرات ، جـ5 ، صـ9.

[3]) الحموي ، معجم الأدباء ، جـ6 ، صـ219-220. أبو شامة ، تراجم ، صـ7. الذهبي ، سير ، جـ15 ، صـ423-424. ابن كثير ، البداية ، جـ13 ، صـ13. الداوودي ، طبقات ، صـ330-331.

[4]) ماكسين: بلد بالخابور ، قريب من ديار ربيعة ، انظر: الحموي ، معجم البلدان ، جـ5 ، صـ43.

[5]) الحموي ، معجم الأدباء ، جـ7 ، صـ127-128. ابن الأثير ، الكامل ، جـ9 ، صـ602. ابن خلكان ، وفيات ، جـ5 ، صـ280. الذهبي ، سير ، جـ16 ، صـ8. السيوطي ، بغية ، جـ2 ، صـ299.

ومن القراء المشهورين الذين قدموا إلى فلسطين أيضاً ، الإمام العالم شيخ القــراء أبــو إسحاق إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن الإشبيلي([1]) ، ابن وثيق ، ولد سنة 567هـ/1171م ، ارتحل كثيراً ، وقدم إلى غزة سنة 595هـ/1198م ، وقــرأ القــراءات الــسبع بهــا ، تــوفي بالإسكندرية سنة 654هـ/1256م([2]).

ومما لاشك فيه أن قدوم هذا العالم المقرئ إلى غزة يعني أن هذه المدينة كانت من مــدن فلسطين المشهورة بالقراءات.

ومنهم أيضاً: الشيخ العَّلامة المقرئ برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل بن أبي العباس الجعبري ، شيخ بلد الخليل ، ولد بجعبر([3]) ســنة 640هـ/1242م ، سمع ببغداد ودمشق ، ثم قدم إلى الخليل وأقام بها مدة طويلة نحو أربعين عاماً ، يقرئ النــاس ، له تصانيف كثيرة في القراءات والحديث والعربية والتاريخ ، منها: "شرح الــشاطبية" ، "نزهــة الدرة في القراءات العشرة" ، "علوم الحديث" ، توفي الشيخ برهان الــدين فــي الخليــل ســنة 732هـ/1331م([4]).

5- التصوف:

اهتم علماء المسلمين بالتصوف حتى أصبح علماً من العلوم الشرعية وموضوعاً للدرس إلى جانب كونه سلوكاً([5]).

---

[1]) الإشبيلي: نسبة إلى إشبيلية وهي مدينة كبيرة عظيمة بالأندلس ، ينسب إليها خلق كثير من أهل العلم ، انظر: الحموي ، معجم البلدان ، جـ1 ، صـ195.

[2]) الذهبي ، سير ، جـ16 ، صـ516. ابن العماد ، شذرات ، جـ5 ، صـ395. عطية ، تــاريخ التعلــيم ، صـ68.

[3]) جعبر: قلعة حصينة واقعة على الفرات قرب صفين ، انظر: الحموي ، معجم البلدان ، جـ2 ، صـ142.
وصفين: موضع على شاطئ الفرات ، وينسب إليها وقعة صفين بين الإمام علي رضي الله عنه ، ومعاوية في سنة 37هـ/657م ، انظر: الحموي ، معجم البلدان ، جـ3 ، صـ414.

[4]) اليافعي ، مرآة ، جـ4 ، صـ285. السبكي ، طبقات ، جـ5 ، صـ219. ابن كثير ، البداية ، جـ14 ، صـ174-175. ابن حجر العسقلاني ، جـ1 ، صـ50-51. ابن قاضي شهبة ، طبقات ، جـ2 ، صـ243-244.

[5]) ابن خلدون ، المقدمة ، صـ467. عبد المهدي ، الحركة ، صـ204. عبد المهدي ، المدارس ، جـ1 ، صـ110.

وعرف عن المتصوفه المتعبدين أنهم يقضون معظم أوقاتهم في مجاهدة النفس ، وكبح جماحها ، والسمو بها عن عالم الشهوات المادية إلى عالم المعرفة والمثل العليا ، وفي ذلك يبين ابن خلدون أن التصوف هو العكوف على العبادة ، والإنقطاع إلى الله تعالى ، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها ، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه ، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة([1]).

وقد شاع التصوف في فلسطين وازدهر على يد حجة الإسلام الإمام الغزالي الذي فضل أن يقضي أُخريات حياته في المسجد الأقصى ، فاعتكف بالمدرسة النصرية التي أصبحت تعرف بالغزّالية لإقامته بها ، حيث شرع في تأليف كتب التصوف وأعمال العبادة([2]).

ومن العلماء الذين عاصروا الإمام الغزّالي في فلسطين وخارجها ، وساهموا معه في الاهتمام بعلم التصوف ، الإمام العالم أبو الفتح نصر بن إبراهيم الذي جمع بين التصوف والفقه ، والإمام العالم أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي ، والإمام العالم أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي المعروف بابن القيسراني الذي كان صوفياً ، وصنف في التصويف كتاب "صفوة التصوف"([3]) ، والإمام العالم أبو الفضل عطاء المقدسي شيخ الصوفية وشيخ الشافعية بالمسجد الأقصى ، والإمام العالم أبو بكر محمد الطرطوشي الذي صنف كتاباً في التصوف سماه "الزهد والتصوف" ، وقد سبق الحديث عن هؤلاء العلماء.

وفي ظل الاحتلال الصليبي لفلسطين ، واستشهاد عدد كبير من العلماء ، وهجرة عدد كبير آخر إلى مصر والشام ، كل ذلك ساهم في تراجع وركود الحياة الفكرية التي كانت تشيع في فلسطين وبخاصة في بيت المقدس قبيل الاحتلال([4]).

ولما استرد الملك الناصر صلاح الدين فلسطين ، وجه عنايته إلى التصوف ، فأنشأ في بيت المقدس وغيرها العديد من الخوانق والزوايا، ليقيم فيها الصوفية المتعبدون الذين يفدون إلى

---

[1]) ابن خلدون ، المقدمة ، صـ467. عطية ، تاريخ التعليم ، صـ123.
[2]) المرجع نفسه ، صـ125.
[3]) حاجي خليفة ، كشف ، جـ2 ، صـ102.
[4]) عبد المهدي ، الحركة ، صـ37.

فلسطين من أنحاء العالم الإسلامي ، وقد شجع الملوك والسلاطين حركة التصوف والمتصوفه ، للوقوف في وجه الفكر الشيعي والعمل على نشر الثقافة الإسلامية السنية([1]).

وقد برز من أبناء فلسطين وغيرهم عدد من علماء الصوفية في العصرين: الأيوبي والمملوكي ، كان منهم: الإمام العالم غانم بن علي بن حسين المقدسي شيخ الخانقاه الصلاحية ، والشيخ الزاهد العابد جلال الدين الشاشي شيخ الزاوية الختنية ، والإمام العالم الشيخ عبد الله بن غانم صاحب الزاوية بنابلس ، وقد سبق الحديث عنهم.

وانتشرت كتب الصوفية في فلسطين وخارجها في المراكز الصوفية ، وكانت متداولة بين المشتغلين والمهتمين بها وكان من أهمها: كتاب "منازل السائرين إلى الحق المبين"([2]) ، للشيخ عبد الله بن محمد بن إسماعيل الهروي([3]) ، وكتاب "أدب المريدين"([4]) ، للشيخ أبي النجيب عبد القاهر بن عبد الله السهروردي([5]) ، وكتاب "عوارف المعارف"([6]) ، للإمام العالم الشيخ عمر بن محمد بن عبد الله السهروردي([7]).

ثانياً: علوم اللغة العربية:

حظيت علوم اللغة العربية باهتمام وعناية الملوك والسلاطين والعلماء في العصرين الأيوبي والمملوكي ، حيث كانت تدرس في جميع أمكنة التعليم بفلسطين ، وقد ازداد هذا الاهتمام بسبب عدة عوامل أهمها:

---

[1]) الأصفهاني ، الفتح ، صـ145. العليمي ، الأنس ، جـ2 ، صـ77. عبد المهدي ، الحركة ، صـ203.

[2]) حاجي خليفة ، كشف ، جـ2 ، صـ665.

[3]) الهروي: شيخ الإسلام الإمام العالم الصوفي ، شيخ خراسان ، ولد سنة 396هـ/1005م ، وتوفي سنة 481هـ/1088م ، للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ14، صـ38-48. ابن العماد ، شذرات، جـ4 ، صـ66.

[4]) حاجي خليفة ، كشف ، جـ1 ، صـ97.

[5]) السهروردي: الإمام العالم الصوفي الواعظ الفقيه الشافعي ، ولد سنة 490هـ/1096م ، وتوفي سنة 563هـ/1167م، للمزيد عن ترجمته ، انظر: ابن الأثير ، الكامل ، جـ9 ، صـ214. الذهبي ، العبر ، جـ3 ، صـ40. ابن العماد ، شذرات ، جـ4 ، صـ388-389.

[6]) حاجي خليفة ، كشف ، جـ2 ، صـ178.

[7]) عمر بن محمد بن عبد الله السهروردي: الشيخ الصالح الورع ، كان شيخ الشيوخ ببغداد وكان له مجلس وعظ ، ولد سنة 539هـ/1144م ، وتوفي سنة 632هـ/1234م ، للمزيد عن ترجمته ، انظر: أبو شامة ، تراجم ، صـ163. ابن خلكان ، وفيات، جـ3 ، صـ496. ابن العماد ، شذرات ، جـ5 ، صـ260-261.

أولاً: الصلة القوية بين علوم العربية والعلوم الدينية ، فالنحو والصرف والبلاغة هي بمثابة أساس من أهم الأسس التي تقوم عليها العلوم الدينية ، فهي التي تساعد على فهم معاني ومقاصد القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ، ولذلك لا نجد خلال العصور الإسلامية عالماً بالشريعة إلا ويكون في الوقت نفسه متضلعاً في علوم العربية([1]).

ثانياً: اهتمام الملوك والسلاطين باللغة العربية كونها لغة القرآن والعلم ، وتشجيعهم لإقامة المدارس المتخصصة بعلوم اللغة العربية ودعمها ، وتشجيع العلماء للاشتغال بها ، ومنحهم العطايا والمكافآت والجوائز ، ودعوتهم إلى مجالسهم ، والتقرب إليهم وملازمتهم.

ثالثاً: تقدير الملوك والسلاطين للعلماء البارزين ممن برعوا في العلوم الدينية ومنحهم المناصب الرفيعة في الدولة ، ومن لم يكن متضلعاً في علوم العربية ، لا يمكن له أن يكون بارعاً في العلوم الدينية ، ومن هنا جاء اهتمام العلماء بعلوم اللغة العربية من أجل زيادة علومهم ، ونبوغهم في العلوم الدينية ، وتحقيق المكانه المرموقة لهم.

ومن أهم علوم اللغة العربية العلوم التالية:

1- النحو والصرف:

ظفر علم النحو باهتمام كبير في العصر الأيوبي ، وقد برز هذا الاهتمام من قبل الملك المعظم عيسى ، فقد أنشأ وجدد ببيت المقدس مدرستين متخصصتين بتدريس النحو هما: المدرسة النحوية والمدرسة الناصرية ، ووقف عليهما أوقافاً حسنة([2]). وقد كان الملك المعظم عيسى أديباً نحوياً ، يحب الأدب ، ويقدر النحو والنحاة ، ولعل نشأته بالشام وقراءته الأدب والنحو على تاج الدين الكندي كان لها أثر كبير في تكوين شخصيته النحوية الأدبية ، هذه الشخصية التي كانت ألمع شخصيات الدولة الأيوبية وبخاصة في الميدان العلمي([3]).

ويلحق بالنحو علم الصرف الذي يبحث في اختلاف معنى الكلمة باختلاف صيغتها ، وفي أوزان الكلمة ، وطريقة تحويلها من صيغة إلى أخرى ، وكان تطوره متمشياً مع تطور علم النحو حتى أن العلماء يعدونهما علماً واحداً([4]).

---

[1]) عبد المهدي ، الحركة ، صـــ143. الغامدي ، بلاد الشام ، صـــ419.

[2]) عبد الرحمن ، علم اللغة ، صـــ427.

[3]) ابن واصل ، مفرج ، جـــ4 ، صـــ210. مكرم ، المدرسة النحوية ، صـــ44.

[4]) عطية ، تاريخ التعليم ، صـــ152.

وقد برز من أبناء فلسطين عدد كبير من العلماء الذين برعوا في علوم اللغة العربيــة ، كان من أشهرهم:

الإمام العلامة أبو محمد عبد الله بن بري بن عبد الجبار بن بري المقدسي ، أحــد أئمــة اللغــة والنحو في زمانه ، ومنهم الإمام العالم القاضي الفاضل ، ومنهم أيضاً: الإمام العالم شمس الــدين محمد بن سعد بن عبد الله المقدسي ، والإمام العالم أبو شامة المقدسي ، والإمــام العــالم شــيخ الإسلام محمد بن أحمد بن محمد بن قدامه الذي قرأ النحو على شيخ الإسلام ابن بري بمــصر ، ومنهم أيضاً: الإمام العالم الفقيه إبراهيم بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدســي ، والإمــام العالم الفقيه شيخ الإسلام موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامه ، وقد تقدم الحديث عن هؤلاء العلماء ، ومنهم الإمام العالم خطيب الخطباء شرف الدين أحمد بن أحمد بن أحمد بن نعمة المقدسي ، كان إماماً في النحو واللغة ، أقضى القضاة ، خطيب الشام ، ولي دار الحديث النورية ثم ولي خطابة الجامع الأموي ، كان متواضعاً كّيساً حسن الأخلاق([1]).

ومنهم أيضاً: الإمام العالم قاضي القضاة ، شرف الدين حسن بن الشرف عبــد الله بــن الشيخ أبي عمر بن قدامه المقدسي تفقه وبرع في المذهب الحنبلــي ، عمــل قاضــياً بالــشام ، ومدرساً بدار الحديث الأشرافية بسفح قاسيون بدمشق([2]) ، ومنهم أيضاً: الإمام العــالم النحــوي شمس الدين محمد بن عبد القوي بن بدران بن سعد الله المقدسي المرداوي ، برع فــي العربيــة واللغة ، وله تصانيف ، منها في الفقه: "القصيدة الطويلة الدالية" ، وكتاب "الفروق"([3]).

وكان لازدهار علوم اللغة العربية في فلسطين أن وفد إليها عدد من كبار النحاة وعلمــاء اللغة الذين شاركوا في الحياة العلمية والحركة الفكرية فيها ، حيث قاموا بالتدريس في المسجــد

---

[1]) أحمد بن نعمة المقدسي: ولد سنة 622هــ/1225م ببيت المقدس ، وتوفي سنة 694هــ/1294م ، للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، العبر ، جــ3 ، صــ381. الكتبي ، فوات ، جــ1 ، صــ57. ابن كثير ، البداية ، جــ13 ، صــ380. العيني ، عقد ، جــ3 ، صــ285-286. ابن العماد ، شذرات ، جــ6 ، صــ93.

[2]) ابن قدامه المقدسي: ولد سنة 638هــ/1240م ، وتوفي سنة 695هــ/1295م ، للمزيد عن ترجمته ، انظر: ابن كثير ، البداية ، جــ13 ، صــ385. العيني ، عقد ، جــ3 ، صــ324. النعيمي ، الــدارس ، جــــ1 ، صــ39. ابن العماد ، شذرات ، جــ6 ، صــ100.

[3]) ابن عبد القوي المرداوي: ولد سنة 630هــ/1232م ، بمردا ، وتوفي سنة 699هــ/1299م ، للمزيد عــن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جــ17 ، صــ147. ابن العماد ، شذرات ، جــ6 ، صــ127-128. الخالدي ، أهل العلم ، صــ204-205.

الأقصى ، وفي أمكنة التعليم الأخرى ، وكان من أشهرهم: الإمام العالم الفقيه البارع أبو علـي الحسن بن الخطير ، والإمام العالم الشيخ تقي الدين خزعل بن عسكر بـن الـشنائي المـصري النحوي ، أقام ببيت المقدس زماناً يقرئ الناس به حتى كان يعرف بنحوي القدس([1]) ، والإمـام العالم جمال الدين القفطي الذي قدم إلى بيت المقدس سنة 591هـ/1194م ، ومكث بهـا سـبع عشرة سنة([2]).

ومنهم أيضاً: الإمام العالم جمال الدين أبو بكر محمد الشريشي ، وقد سبق الحديث عـن هؤلاء العلماء.

وقد اهتم النحاة وعلماء اللغة من أبناء فلسطين ، والوافدون إليها بكتب اللغة والنحو التي كانت سائدة في فلسطين وخارجها حيث تناولوها بالشرح والتعليق والدراسـة ، ولـم يقتـصر اهتمامهم على تلك الكتب فقط ، بل قام بعضهم بالتأليف في هذا المجال ، ومـنهم علـى سـبيل المثال ، لا الحصر ، الإمام العلامة النحوي عبد الله بن بري الذي صـنف مقدمـة فـي النحـو سماها: "اللباب" ، وله أيضاً: "جواب المسائل العشر" ، و"حواش على الصحاح"([3]).

وكان من أشهر كتب النحو التي كانت تدرس في فلسطين وخارجها: "الكتاب" لـسيبويه ، وكتاب "إصلاح المنطق" لابن السكيت ، وكتاب "الإيضاح في النحو" لإبـي علـي الفارسـي ، وكتاب "المفصل في النحو" للزمخشري ، وبلغ من تعظيم قدر هذه الكتب أن شرط الملك المعظـم عيسى لمن يحفظها جائزة كبرى مقدارها مئة دينار([4]).

ودرس كتاب "مُلحمة الإعراب" للحريري([5]) ، في المدرسة النحوية ببيت المقـدس([6]) ،

---

[1]) أبو شامة ، تراجم ، صـ149.

[2]) الحموي ، معجم الأدباء ، جـ5 ، صـ460.

[3]) الذهبي ، سير ، جـ15 ، صـ352. مكرم ، المدرسة النحوية ، صـ51.

[4]) سبط بن الجوزي ، مرآة ، جـ8 ، صـ647. زيدان ، تاريخ ، جـ3 ، صـ47. بدوي ، الحياة العقلية ، صـ198.

[5]) الحريري: أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان ، صاحب المقامات ، كان أحد أئمة عصره في علوم اللغة له العديد من التصانيف ومنها: مُلحة الإعراب وهي قصيدة في النحو ، أما مقاماته فكانت تشمل على كثير من كلام العرب ولغاتها وأمثالها ، ولد سنة 446هـ/1054م ، وتوفي بالبصرة سنة 516هـ/1122م ، للمزيد عن ترجمته ، انظر: الحموي ، معجم الأدباء ، جـ6 ، صـ195-219. الذهبي ، سير ، جـ14 ، صـ400-402.

[6]) عبد المهدي ، المؤسسات التعليمية ، صـ532. الخطيب ، دور التعليم ، صـ101 ، 163.

كما درس كتاب "الكافية" لابن الحاجب([1]) في المدرسة المعظمية([2]).

2 - الأدب:

عد الأدب العربي فرعاً من فروع علوم اللغة العربية ، إذ اشتمل على الشعر والنثر ، وقد عرفت فلسطين العديد من أبنائها الذين أبدعوا وبرعوا في الحركة الأدبية وقاموا بالتدريس والتأليف فكان منهم الشعراء والأدباء والكُتاب الذين شاركوا في ازدهار الحياة الأدبية في فلسطين وخارجها ، وذلك من خلال إنتاجاتهم الأدبية وأشعارهم وكتاباتهم ، وقد أشتهر منهم قبيل العدوان الصليبي على فلسطين ، الأديب المبدع ، الشاعر البارع أبو علي الحسن بن أبي الشخباء العسقلاني الذي توفي بالقاهرة سنة 482هـ/1089م ، وقد تقدم ذكره.

ومن أعلام الأدب والشعر أيضاً من أبناء فلسطين ، ممن أنجبتهم غزة ، الشاعر المبدع أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان بن محمد الغزي ، المتوفى سنة 524هـ/1129م ، ومنهم الفقيه الواعظ الشاعر أبو الطيب أحمد بن عبد العزيز بن محمد المقدسي ، المتوفى سنة 529هـ/1134م ، وقد سبق الإشارة إليها.

ولابد من الإشارة هنا ونحن نتحدث عن شعراء عاشوا في فترة الحروب الصليبية إلى أن هذه الحروب التي شنت على بلاد المشرق وخاصة فلسطين ، آثارت العواطف والمشاعر لدى الشعراء وجعلتهم يكثرون من قول الشعر وخاصة شعر الجهاد والحماس والإجادة فيه من أجل بعث الحمية والحث والتحريض لاسترداد الوطن المغتصب ، وتمجيد البطولات وتسجيل المعارك ، فقد أدرك الشعراء مسؤوليتهم في هذه المرحلة العصيبة ، فانطلقوا بشعرهم يحثون القادة والجنود على تخليص البلاد من خطر الصليبيين ، وعلى سبيل المثال لا الحصر ، فقد

---

[1]) ابن الحاجب: الشيخ الإمام العلامة الفقيه النحوي ، أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس المالكي ، ولد سنة 570هـ/1174م ، وتوفي سنة 646هـ/1248م ، للمزيد عن ترجمته ، انظر: ابن خلكان ، وفيات ، جـ3 ، صـ248-250. الذهبي ، سير ، جـ16 ، صـ489-490.

[2]) عبد المهدي ، المدارس ، جـ1 ، صـ77. و"الكافية" عبارة عن مقدمة في علم النحو.

دعا الشاعر ابن القيسراني إلى تحرير بيت المقدس في قصيدة قالها مهنئاً بفتح الرها([1]) كما يبدو في قوله:

هو السيفُ لا يغنيك إلا جلادُه   وهل طوَّق الأملاك إلا نجادهُ([2])

ويتوجه ابن القيسران في هذه القصيدة إلى تهديد الصليبيين ، ويطلب إليهم أن يسارعوا إلى الخروج من بلاد المسلمين ، ويتركوا ممالك أنشأوها ، وعلى رأسها مملكة بيت المقدس ، كما كانوا يسمونها ، ويؤكد الشاعر إرتباط المسلمين ببلادهم وحقهم فيها ، كما يبدو في قوله:

وقُل لملوكِ الكُفر تُسلمُ بعدها   ممالكها إنَّ البلادَ بلادهُ
كذا عن طريق الصبح فلينته الدُجى   فيا طالما غال الظلام امتدادَهُ
ومن كان أملاك السموات جنده   فأية أرض لم ترضها جياده([3])

ويعد ابن القيسران فتح الرها مقدمة لفتح بيت المقدس وما أجمل تصويره فتح الرها بالبحر ، والبحر لا ينفك عن ساحله ، وكذلك كان فتح الرها مرتبطاً بفتح بيت المقدس ، فهما مثل البحر وساحله ، ويرى الشاعر أن الخلاص من الصليبيين أمر آت لا محاله ، كما يبدو في قوله:

فإن يكُ فتحُ الرها لُجة   فساحلُها القدسُ والساحلُ
فهل علمت علم تلك الديا   ر أنَّ المقيمَ بها راحلُ
أرى القس يأمل فوت الرماح   ولابُدّ أن يُضرب السابِلُ([4])

ومن شعراء فلسطين أيضاً: الإمام العالم الفقيه محمد بن أحمد بن محمد بن قدامه ، وقد تقدم ذكر بعض أشعاره.

---

[1]) الرها: مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام ، انظر: الحموي ، معجم البلدان ، جـ3 ، صـ106. فتح المسلمون الرها بقيادة عماد الدين زنكي وحرروها من الصليبيين سنة 539هـ/1144م ، انظر: ابن الأثير ، الكامل ، جـ9 ، صـ21. أبو شامة ، الروضتين ، جـ1 ، صـ36.

[2]) أبو شامة ، الروضتين ، جـ1 ، صـ37.

[3]) المصدر السابق ، جـ1 ، صـ38. عبد المهدي ، بيت المقدس ، صـ30.

[4]) أبو شامة ، الروضتين ، جـ1 ، صـ49. عبد المهدي ، بيت المقدس ، صـ30-31.

وفي العصر الأيوبي ازدهرت الحركة الشعرية ، وخاصة بعد الفتح ، واسترداد الملك الناصر صلاح الدين بيت المقدس ، فقد كثرت قصائد المدح والثناء في الملك الناصر ، والإشادة بالمجاهدين ، ومواقفهم الشجاعة ، وتضحياتهم الباسلة ، وكان من أبرز الشعراء الفلسطينيين الذين تغنوا بانتصارات وفتوحات صلاح الدين ومدحوه ، الشاعر الرشيد النابلسي الذي قارن بين فتوحات صلاح الدين وفتوحات الإسكندر ، إذ أنه يشيد بفتوحه ، ويقلل من شأن فتوحات الإسكندر في هذا المجال كما يبدو في قوله:

ألمم بدار الناصر الملك الذي   في كفه للجود سبعةُ أبحر
فإذا مررتَ بملكهِ وفتوحهِ   فاسخْر بما يُروى عن الإسكندر
وإذا بصرت بجاشه وبجيشه   فاحث التراب على ذؤابة سنجر([1])

ولم تكن فتوحات صلاح الدين وانتصاراته سهلة المنال ، فقد بذل الكثير في سبيل تحقيقها ، وقاد المسلمين إلى ثغور الصليبيين التي كانوا قد احتلوها ، فحررها وقضى على أركان دولتهم ، ويبدو ذلك جلياً في قصيدة للشاعر الرشيد النابلسي ، قالها في فتح بيت المقدس ، ومنها قوله:

لقد فتحت عصياً من ثغورهم   لولاك ما هُد من أركانها حجرُ
تركت أرضهم من طول ما عمرت   منهم بلاقع لا أنثى ولا ذكرُ([2])

وكان للعماد الكاتب الأصفهاني نصيب كبير في قول الشعر ، فمن شعره الذي هنأ به الملك الناصر صلاح الدين بفتح القدس قوله:

جنودك أملاكُ السماء وظنهم   عِداتُك جن الأرض في الفتك لا الإنسا
فلا يستحق القدس غيرك في الورى   فأنت الذي من دونهم فتح القدسا
ومن قبل فتح القدس كن مقدسا   فلا عدمت أخلاقك الطهر والقدسا
نزعت لباس الكفر عن قدس أرضها   وألبستها الدين الذي كشف اللبسا([3])

إلى أن يقول في القصيدة نفسها:

---

[1]) أبو شامة ، الروضتين ، جـ2 ، صـ118.

[2]) الحنبلي ، شفاء القلوب ، صـ. عبد المهدي ، بيت المقدس ، صـ110.

[3]) الحموي ، معجم الأدباء ، جـ7 ، صـ21. أبو شامة ، الروضتين ، جـ2 ، صـ101-102. عبد المهدي ، بيت المقدس ، صـ115.

أقامت بغاب الساحلين جنودكم وقد طردت عنه ذئابهم الطلسا

ومن العلماء الفلسطينيين الذين برعوا في الشعر ، الشاعر الفصيح عز الدين عبد السلام بن أحمد بن الشيخ غانم المقدسي ، وقد تقدم ذكره.

ومن كبار الأدباء الذين قدموا إلى فلسطين في العصر الأيوبي وبرعوا في الشعر ، العالم الفقيه القاضي الأكرم جمال الدين علي بن القفطي([1]).

ولم يقتصر قول الشعر وحبه والاهتمام به على الشعراء والأدباء فقط ، بل برع فيه ، وأحبه ، وشجعه بعض الملوك والسلاطين الأيوبيين ، ومنهم: الملك المنصور محمد صاحب حماة ، المتوفى سنة 617هـ/1220م([2]) ، فقد ذكر ابن واصل أنه كان "يحب العلماء والفضلاء وأهل الأدب والشعر ، ويحب سماع المديح ، ويجيز عليه الجائزة الكثيرة"([3]).

ومن شدة شغفه بالأدب والشعر ، أنه صنف كتاباً سماه "طبقات الشعراء"([4]) وهو في عشر مجلدات. ومنهم أيضاً: الملك الأفضل علي بن الملك الناصر صلاح الدين ، كان شاعراً فاضلاً([5]) ، ومنهم: الملك المعظم عيسى ، وابنه الملك الناصر داود ، المتوفى سنة 656هـ/1258م ، كان أديباً شاعراً ، وله ديوان شعر([6]).

---

[1]) للإطلاع على نماذج من شعر ابن القفطي ، انظر: الحموي ، معجم الأدباء ، جـ5 ، صـ453-454 ، 457-459. ولابن القفطي بعض المصنفات الأدبية منها: كتاب "أخبار المحمدين من الشعراء وأشعارهم" ، انظر: زيدان ، تاريخ ، جـ3 ، صـ74. الغامدي ، بلاد الشام ، صـ401-402.

[2]) ابن واصل ، مفرج ، جـ4 ، صـ77.

[3]) المصدر نفسه ، صـ77-78.

[4]) المصدر نفسه ، صـ78. حاجي خليفة ، كشف ، جـ2 ، صـ120. رشيد ، الأدب ، صـ27.

[5]) للإطلاع على نماذج من شعر الملك الأفضل ، انظر: ابن واصل ، مفرج ، جـ4 ، صـ157. المقريزي ، السلوك ، جـ1 ، صـ340.

[6]) للمزيد عن ترجمته والاطلاع على بعض النماذج من شعره ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ16 ، صـ564-567. الكتبي ، فوات ، جـ1 ، صـ419-422. ابن العماد ، شذرات ، جـ5 ، صـ408.

ومهما يكن من أمر ، فإن هذا الاهتمام الكبير بالأدب والشعر من قبل الملوك والسلاطين الأيوبيين ، جعل الشعراء وغيرهم من مختلف طبقات المجمتع يكثـــرون مـــن إنتـــاجهم الأدبـــي والشعري ، وخاصة شعر الكفاح والجهاد والحماس والمدح والثناء ، ومن هنا ازدهرت الحيـــاة الأدبية في معظم أنحاء الدولة الأيوبية ومنها فلسطين ، حيث كان الـــشعر مـــادة أساســـية بـــين الدروس التي كانت تدرس في أماكن التعليم المنتشرة في فلسطين وخاصة في بيت المقدس.

وكان من أهم كتب الشعر التي درست في فلسطين ، دواوين الحماسة([1]) وأهمها ديـــوان الحماسة لأبي تمام ، ومما يذكر عن هذا الديوان أن الملك الناصر صـــلاح الـــدين أقـــدم علـــى حفظه([2]) ، كما ذكر أن الملك المعظم عيسى قرأه على الشيخ تاج الدين الكندي([3]).

وكان ديوان الحماسة يدرس في عسقلان قبيل العدوان الصليبي عليهـــا ، فقـــد ذكـــر أن القاضي الفاضل كان قد درسه وحفظه ، ويتضح ذلك عندما قدم القاضي الفاضـــل إلـــى مـــصر طالباً العلم ، فسأله موفق الدين بن الخلال عما يحفظه ، فأجابه القاضي الفاضـــل بأنـــه يحفـــظ القرآن والحماسة([4]).

ثالثاً: التاريخ والجغرافيا:

كانت دروس التاريخ قبيل العدوان الصليبي على فلسطين تدرس في الكتاتيب والمـــساجد وبعض مراكز العلم ، كونها أهم المراكز التعليمية التي كانت سائدة في فلسطين ، وكانـــت هـــذه الدروس ضمن موضوعات دراسية تناولت القصص وأيام العرب والـــسيرة النبويـــة ، وســـيرة الصحابة والتابعين وغيرهم من رجال الإسلام.

---

[1]) حاجي خليفة ، كشف ، جـ1 ، صـ531-532. عبد المهدي ، الحركة ، صـ159. عبد المهدي ، المدارس ، جـ1 ، صـ87.

[2]) أبو شامة ، الروضتين ، جـ2 ، صـ18. الذهبي ، سير ، جـ15 ، صـ436. المصري ، التعليم في بلاد الشام ، صـ200.

[3]) أبو شامة ، تراجم ، صـ97-98. الذهبي ، سير ، جـ16 ، صـ134.

[4]) أبو شامة ، الروضتين ، جـ1 ، صـ192. ابن خلكان ، وفيات ، جـ7 ، صـ220.

وظلت دروس التاريخ محصورة في هذا النطاق إلى أن برز عدد من المؤرخين الذين برعوا في الكتابة التاريخية ، وتناولوا علم التاريخ بصور مختلفة ، فصنفوا كتباً تحدثت عن الأحداث التاريخية المهمة في حياة المسلمين ، وفضائل البلدان ، والتراجم والطبقات ومناقب الرجال ، والحروب ، وغيرها من الموضوعات التاريخية ، وفي كثير من الأحيان كان المؤرخون أنفسهم يقومون بتدريس مصنفاتهم التاريخية ، حيث أقبل الطلاب على سماعها منهم ، وروايتها عنهم([1]).

وكان من أشهر المؤرخين الفلسطينيين الذين برزوا قبيل العدوان الصليبي على فلسطين العالم المؤرخ المشرف بن المرجا بن إبراهيم المقدسي ، صنف كتاب "فضائل القدس والشام" ، وتصدر لتدريسه في بيت المقدس ، وممن رواه عنه بأسانيده تلميذه مكي بن عبد السلام([2]).

وكان المؤرخ مكي بن عبد السلام قد شرع في تأليف كتاب "تاريخ بيت المقدس" ، لكنه لم يتممه لأن الصليبيين قتلوه عند دخولهم بيت المقدس.

وبرز من المؤرخين الفلسطينيين أيضاً العالم أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي ، فقد صنف كتاب "تاريخ أهل الشام ومعرفة الأئمة منهم والأعلام"([3]).

وفي العصر الأيوبي ، شهدت فلسطين اهتماماً كبيراً بالتاريخ وبرز فيها عدد من المؤرخين الذين شاركوا في الحركة الفكرية ، وأصبحت كتب التاريخ تدرس في مدارسها وخاصة في المدرسة الصلاحية([4]).

وكان من أبرز المؤرخين الوافدين إلى بيت المقدس في العصر الأيوبي العالم المؤرخ العماد الكاتب الأصفهاني الذي ألف في تاريخ بيت المقدس كتاب "الفتح القسى في الفتح القدسي" ، ومنهم الإمام العالم بهاء الدين أبو محمد القاسم ابن الحافظ الكبير أبي القاسم علي بن

---

[1]) عبد المهدي ، الحركة ، صـ170. عطية ، تاريخ التعليم ، صـ221.
[2]) عبد المهدي ، الحركة ، صـ170-171. عطية ، تاريخ التعليم ، صـ222.
[3]) المقريزي ، المقفى ، جـ5 ، صـ735-736.
[4]) العسلي ، معاهد ، صـ70.

الحسن بن هبة الله الدمشقي الشافعي المعروف بان عساكر ، ولد سنة 527هـ/1132م ، وقدم إلى بيت المقدس سنة 596هـ/1199م ، صنف كتاب "الجامع المستقصي في فضائل المسجد الأقصى"([1]) ودرسه بنفسه في بيت المقدس ، وتوفي ابن عساكر سنة 600هـ/1203م([2]).

ومنهم العالم المؤرخ موفق الدين عبد اللطيف البغدادي ، الذي ألف في تاريخ البلدان ، والمؤرخ بهاء الدين بن شداد ، والمؤرخ القاضي الأكرم جمال الدين القفطي ، وفي العصرين الأيوبي والمملوكي برز عدد من المؤرخين ، منهم المؤرخ فخر الدين علي بن أحمد المقدسي ، المتوفى سنة 690هـ/1291م ، صنف كتاب "اسنى المقاصد وأعذب الموارد"([3]) جمع فيه شيوخه من الرجال والنساء وكن خمساً وعشرين ، كما برز المؤرخ ابن واصل الحموي ، وقد تقدم الحديث عنهم.

الجغرافيا:

لم تحظ الجغرافيا باهتمام العلماء الفلسطينيين ولم يكن لها نصيب في مواد التدريس التي كانت تدرس في فلسطين سواء في الفترة التي سبقت العدوان الصليبي عليها ، أو في زمن الصليبيين ، وكذلك في العصر الأيوبي([4]). وقد يكون السبب في ذلك ، هو التركيز على العلوم الدينية وعلوم اللغة العربية ، وانشغال العلماء والطلبة بهذه العلوم ، وبالرغم من ذلك فقد وفد على فلسطين عدد من الجغرافيين والرحالة في العصرين الصليبي والأيوبي ، كان من أشهرهم:
أبو الحسين محمد بن أحمد المشهور بابن جبير([5]) ، وهو من أبرز الرحالة الذين قدموا إلى فلسطين وهي تحت السيطرة الصليبية ، وزار عكا ، قبل معركة حطين بسنوات عديدة ، ووصفها بقوله: "هي قاعدة الإفرنج بالشام ، ومحط الجواري المنشآت في البحر كالأعلام([6]) ،

---

[1]) حاجي خليفة ، كشف ، جـ1 ، صـ453.

[2]) الذهبي ، سير ، جـ15 ، صـ506. الذهبي ، تذكرة ، جـ4 ، صـ108-109. عطية ، تاريخ التعليم ، صـ224.

[3]) حاجي خليفة ، كشف ، جـ1 ، صـ129.

[4]) العسلي ، معاهد ، جـ70.

[5]) ابن جبير: كان أحد علماء الأندلس في الفقه والحديث ، ولد سنة 540هـ/1145م ، وتوفي سنة 614هـ/1217م ، للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ16 ، صـ86-87.

[6]) انظر سورة الرحمن ، الآية 24.

مرفأ كل سفينة ، مجتمع السفن وملتقى تجار المسلمين والنصارى من جميع الآفاق... انتزعها الإفرنج من أيدي المسلمين في العشر الأول من المئة السادسة ، فبكى لها الإسلام ملء جفونه ، وكانت أحد شجونه ، فعادت مساجدها كنائس"([1]).

وقد برز من الرحالين الفلسطينيين ، الرحال محمد بن طاهر المقدسي ، سبق ذكره ، حيث مارس الرحلة إلى بلاد كثيرة ، وكان سريع المشي ، قوي السير في السفر ، حتى أصبح حسن المعرفة بالرجال ، كثير التصانيف ، كتب عن عامة المشايخ والعلماء الذين قابلهم ، وروى عنهم ، وكان ثقة صدوقاً حافظاً ومن مصنفاته "معجم البلاد" وهو في جزءين([2]).

ومن الواضح أن هذا الرحال الفلسطيني كان قد تمكن من جمع ثروة عظيمة من المعلومات عن المدن والقرى التي زارها ، وعن شيوخها وعلمائها ، مما مكنه ، ودفعه إلى تصنيف مصنفات عديدة ، ومنها كتابه "معجم البلاد" المشار إليه ، وكتاب "تاريخ أهل الشام ، ومعرفة الأئمة منهم والأعلام" ، وهو في جزءين.

رابعاً: الطب:

كان الطب من العلوم السائدة في فلسطين حتى قبيل العدوان الصليبي عليها ، فقد برز فيها العديد من الأطباء الفلسطينيين ومن الأطباء الوافدين الذين شاركوا في الحياة العلمية ، وقدموا خدماتهم في المجال الطبي للملوك والسلاطين والكثير من المرضى ، ولذلك كان الطب واحداً من العلوم التي نبغ فيها المسلمين في عصر الحروب الصليبية ، في الوقت الذي انعدم فيه الطب عند الصليبيين ولم يهتموا به ، حيث كانت معرفتهم بالطب ضئيلة ومحدودة ، وكان الفرق واضحاً في التفاوت الكبير في مستوى الأطباء الصليبيين والمسلمين([3]) ، وقد عبر عن ذلك ابن

ومحط الجواري المنشآت في البحر كالأعلام: أي السفن الجارية في البحار ، والمنشأة: أي مرفوعة الشراع ، انظر: مخلوف ، صفوة البيان ، صـ689.

[1]) ابن جبير ، رحلة ، صـ236-237.

[2]) الذهبي ، سير ، جـ14 ، صـ346. المقريزي ، المقفى ، جـ5 ، صـ735.

للاطلاع على المزيد من مصنفاته ، انظر: المقريزي ، المقفى ، جـ5 ، صـ735-736.

[3]) العسلي ، مقدمة ، صـ76. رنسيمان ، تاريخ ، جـ2 ، ق2 ، صـ520. هونكه ، شمس ، صـ222-223.

منقذ بإشارته إلى عجيب طبهم وقد رأى الحماقة مجسمة في أعمـــالهم الطبيـــة ، ولـــذلك فـــإن الصليبيين أنفسهم كانوا يقرون للطبيب المسلم بأفضليته وتفوقه وعلمه([1]).

ومن الواضح أن معظم أطباء الصليبيين لم يكونوا أهلاً للثقة ، ولـــذلك نجـــد أن ملـــوك الصليبيين كثيراً ما استخدموا أطباء مسلمين ونصارى أخرين من أجـــل معـــالجتهم ، ومعالجـــة أبنائهم ، والعناية بهم([2]).

كان من أشهر الأطباء من أهل بيت المقدس في عهد الصليبيين ، الطبيب النصراني أبـــو سليمان داود بن أبي المنى بن أبي فانه ، فقد عاش ردحاً من الزمن مقرباً من ملوك الـــصليبيين ببيت المقدس ، ثم انتقل إلى مصر ، وفي مصر ، في ثغر دمياط تعرف عليه ملك مملكـــة بيـــت المقدس عموري الأول (557-570هـ/1162-1174م) ، وقد أعجب عمـــوري بطـــب أبـــي سليمان فطلبه من الخليفة الفاطمي ، ونقله هو وأولاده الخمسة إلى بيت المقدس([3]).

ولقد اهتم الأيوبيون بالطب وعلومه ، وخاصة في بيت المقدس بعد تحريره ، حيث أنشأ الملك الناصر صلاح الدين البيمارستان الصلاحي سنة 588هـــــ/1192م ، إلا أن كثيـــراً مـــن المراجع ذكرت أن الملك الناصر صلاح الدين أمر بإنشاء البيمارستان الصلاحي ببيت المقـــدس سنة 583هـ/1187م ، وقد يكون الملك الناصر قد فكر في إنشاء هذا البيمارستان في تلك السنة ، ولكن الإنشاء الفعلي له تم في سنة 588هـ/1192م ، وذلك حسب العديد من المصادر التـــي أكدت على ذلك([4]). وكان هذا المستشفى يقوم بالأعمال التي تقوم بها المستـــشفيات عـــادة مـــن مداواة المرضى وتقديم الأدوية ، وكان يمارس فيه أيضاً تدريب الأطباء وتعليمهم ، شـــأنه فـــي ذلك شأن "البيمارستانات" الكبرى في الإسلام التي كانت مركزاً لتعليم الطب([5]).

---

[1]) ابن منقذ ، الاعتبار ، صـــ152-153 ، 156-157. العسلي ، مقدمة ، صـــ77. مصطفى ، فلسطين ما بين العهدين، جـــ3 ، ق2 ، صـــ502.

[2]) حمارنة ، الطب العربي في فلسطين ، صـــ9. مصطفى ، فلسطين مـــا بـــين العهـــدين ، جـــــ3 ، ق2 ، صـــ502. رنسيمان ، تاريخ ، جـــ2 ، ق2 ، صـــ511 ، 645. وانظر أيضاً: جـــ3 ، ق2 ، صـــ818.

[3]) العسلي ، مقدمة ، صـــ115. حمارنة ، الطب ، صـــ9. مصطفى ، فلسطين ما بين العهدين ، جـــ3 ، ق2 ، صـــ503. أشتهرت أسرة ابن أبي فانه النصرانية المقدسية بالطب ، وقد برز منها في العصر الأيوبي العديد من الأطباء ، وسيأتي ذكرهم في سياق البحث.

[4]) الأصفهاني ، الفتح ، صـــ612. ابن الأثير ، الكامل ، جـــ9 ، صـــ469. ابن شداد ، النوادر ، صـــ239. العليمي ، الأنس ، جـــ1 ، صـــ537.

[5]) العسلي ، معاهد ، صـــ294. السعيد ، المستشفيات ، صـــ250 ، 253.

عمل في "البيمارستان" الصلاحي عدد من الأطباء كان من أشهرهم:

يعقوب بن صقلاب المقدسي ، الذي ولد ببيت المقدس ونشأ فيها ، ودرس الطب على الفيلسوف الأنطاكي تاذورسي (تيادورس)([1]) ، نزيل هذه المدينة ، حيث جعل داره على شكل كنيسة ، ودرس بها حتى سنة 580هـ/1184م ، وبعد أن أتقن الحكيم يعقوب المقدسي صناعة الطب ، باشر المعالجة في البيمارستان الصلاحي لعدة سنين ، وكان من أعلم أهل زمانه بكتب جالينوس([2]) ومعرفتها والتحقيق لمعانيها والدراية بها ، واستمر ابن صقلاب يشرف على "البيمارستان" الصلاحي ، حتى سنة 615هـ/1218م ، عندما نقله الملك المعظم عيسى إلى دمشق واختص به ، ولم يزل في خدمته إلى أن توفي المعظم وملك بعده ابنه الملك الناصر داود فاستمر ابن صقلاب في خدمته ، فأحسن إليه إحساناً كثيراً ، وأطلق له مالاً وكسوة ، وأمر بأن جميع ما قد كان له مقرراً من الملك المعظم يستمر حتى وفاته سنة 625هـ/1227م([3]).

أما الطبيب الثاني الذي عمل في "البيمارستان" الصلاحي فهو: رشيد الدين أبو منصور بن أبي الفضل بن علي الصوري ، ولد في مدينة صور سنة 573هـ/1177م ، ونشأ بها ، ثم غادرها ليدرس الطب على شيوخه في البلاد الشامية ، وقدم إلى بيت المقدس ، ومكث بها سنتين حيث كان من أبرز أطباء البيمارستان الصلاحي ، وكان ابن الصوري قد خدم بصناعة الطب الملك العادل أبا بكر بن أيوب سنة 612هـ/1215م ، ولما كان العادل متوجهاً إلى الديار المصرية استصحبه معه من بيت المقدس ، وبقي في خدمة العادل حتى وفاة الأخير ، ثم خدم بعده لولده الملك المعظم عيسى ، ولم يزل في خدمته إلى أن توفي الملك المعظم ، فبقي في

---

[1]) تاذورسي: راهب نصراني ، كان خبيراً بصناعة الطب ، متقناً للهندسة وعلم الحساب والتنجيم ، وله من الكتب كناش ، انظر: ابن أبي أُصيبعة ، عيون ، صـ378. حمارنة ، الطب ، صـ12.

[2]) جالينوس: عملاق الطب والصيدلة ، الحكيم الفيلسوف اليوناني إمام الأطباء في عصره ، ومؤلف الكتب الجليلة في الطب إذ بلغت مؤلفاته أكثر من أربعمائة مؤلف ، أهمها: "منهج الطب" ، و"الشفاء" ، ولد سنة 130م، وتوفي في صقلية سنة 200م ، للمزيد عن ترجمته ، انظر: ألفا ، موسوعة أعلام الفلسفة ، جـ1 ، صـ371-372. الدفاع ، إسهام ، صـ115-119.

[3]) ابن أبي أصيبعة ، عيون ، صـ651. بك ، تاريخ البيمارستانات ، صـ232. السعيد ، المستشفيات ، صـ252. حمارنة ، الطب ، صـ12.

الخدمة مع الملك الناصر داود بن الملك المعظم الذي فوض إليه رياسة الطب ، حتى وفاته سنة 639هـ/1241([1]).

وعرفت القدس في العصر الأيوبي جملة من الأطباء الذين علت مكانتهم ، وعمت شهرتهم ، وكان في مقدمة هؤلاء الأطباء تسعة أطباء ينتسبون لعائلة واحدة ، كانت وثيقة الصلة بملوك وسلاطين بني أيوب، ألا وهي عائلة ابن أبي فانه ، النصرانية المقدسية ، وقد حدثنا ابن أبو أصيبعة حديثاً مفصلاً عن كل واحد منهم ، وهم:
الطبيب مهذب الدين أبو سعيد بن أبي سليمان ، كان مثل أبيه متميزاً في صناعة الطب ، خدم الملك الناصر صلاح الدين وأخاه الملك العادل بالطب ، ثم جعله الملك العادل في خدمة ولده الملك الكامل ، وانتقل إلى الديار المصرية وأقام بها إلى حين وفاته سنة 613هـ/1216م([2]).

ومنهم الطبيب موفق الدين أبو شاكر ابن أبي سليمان ، قرأ صناعة الطب على أخية أبي سعيد ، وقد جعله الملك العادل في خدمة ولده الكامل ، فبقى في خدمته وحظي عنده الحظوة العظيمة ، وكانت له منه إقطاعات ضياع ، وكان الملك العادل أيضاً يعتمد عليه في المداواة ويصفه بحسن العلاج ، توفي أبو شاكر بالقاهرة في السنة نفسها التي توفي فيها أخوه أبو سعيد ، سنة 613هـ/1216م([3]).

ومنهم أيضاً: الطبيب أبو نصر بن أبي سليمان ، كان طبيباً عارفاً بصناعة الطب ، حسن المعالجة ، توفي بالكرك([4]).

ومنهم أيضاً: الطبيب أبوالفضل بن أبي سليمان وكان أصغر إخوته ، ولد سنة 560هـ/1164م ، كان طبيباً للمك المعظم ، أقام بالكرك ثم انتقل إلى خدمة الملك الكامل بمصر ، وتوفي بها سنة 644هـ/1246م([1]).

---

[1]) ابن أبي أصيبعة ، عيون ، صـ651-652. العسلي ، مقدمة ، صـ112. السعيد ، المستشفيات ، صـ253. بك ، تاريخ البيمارستانات ، صـ232-233.

[2]) ابن أبي أصيبعة ، صـ544. حمارنة ، الطب ، صـ10.

[3]) ابن أبي أصيبعة ، عيون ، صـ544. العسلي ، مقدمة ، صـ116.

[4]) ابن أبي أصيبعة ، عيون ، صـ544. والكرك: اسم لقلعة حصينة في طرف الشام ، انظر: الحموي ، معجم البلدان ، جـ4 ، صـ453.

وكان من أبناء أبي سليمان: أبي الخير ، لم يكن طبيباً ، بل كان جنـدياً فارسـاً ، لكنـه خلَّف أبناً وثلاثة أحفاد ، كانوا كلهم من جلة الأطباء ، أما الابن فهو: رشيد الدين أبي الوحش بن الفارس أبي الخير بن أبي سليمان داود بن أبي المنى بن أبي فانه ، ويعرف "بأبي حليقة" ، كـان أوحد زمانه في صناعة الطب ، متقنناً في العلوم والآداب ، حسن المعالجة ، لطيف المـداواة ، ولد بقلعة جعبر سنة 591هـ/1194م ، واشتغل بصناعة الطب على عمه مهذب الدين أبو سعيد بدمشق ، وفي سنة 609هـ/1212م ، وصل إلى القاهرة وخدم بصناعة الطب الملك الكامـل ، ونال منه الإحسان الوفير ، وخدم بعد الملك الكامل ابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب ، ثم ابن الملك الصالح الملك المعظم "تورانشاه" ، وفي عهد المماليك دخل الطبيب رشيد الدين أبو حليقـه في خدمة الملك الظاهر بيبرس([2]) ، وللطبيب المقدسي رشيد الدين أبي حليقه ، العديد من الكتـب الطبية منها: مقالة في حفظ الصحة ، كتاب في الأدوية المفرده سماه "المختار في الألف عقـار" ، وكتاب في الأمراض وأسبابها وعلاماتها ، ومداواتها بالأدوية المفرده والمركبة([3]).

خلف رشيد الدين أبو حليقه ثلاثة أبناء من أهل الطب هم:
مهذب الدين أبو سعيد ، كان أوحد العلماء ، ولد بالقـاهرة سـنة 620هـ/1223م ، وسـمي محمداً ، ولما أسلم في أيام الملك الظاهر بيبرس ، ألف كتاباً في الطب ، وخدم الملـك الظـاهر بيبرس ، ونال منه الاحترام والأنعام والعطايا الجزيلة([4]).

أما الابن الثاني فهو: موفق الدين أبو الخير ، كان طبيباً للعيون ، كحَّالاً ، فائق القدرة ، وكان قد صنف للملك الصالح نجم الدين كتاباً في الكحل قبل أن يبلغ العشرين من عمره ، والابن الثالث هو: علم الدين أبو نصر ، كان متميزاً في صناعة الطب([5]).

هكذا ، نبغت أسرة ابن أبي فانه ، النصرانية المقدسية في علوم الطب ، وكان لها فـضل كبير في ازدهار الحياة العلمية في فلسطين وخارجها. ومـن الواضـح أن ملـوك وسـلاطين

---

[1]) ابن أبي أصيبعة ، عيون ، صـ545. العسلي ، مقدمة ، صـ116.
[2]) ابن أبي أصيبعة ، عيون ، صـ545-546. العسلي ، مقدمة ، صـ116-117.
[3]) ابن أبي أصيبعة ، عيون ، صـ552. بدوي ، الحياة العقلية ، صـ315.
[4]) ابن أبي أصيبعة ، عيون ، صـ553-554. العسلي ، مقدمة ، صـ117.
[5]) ابن أبي أصيبعة ، عيون ، صـ554. العسلي ، مقدمة ، صـ117.

الأيوبيين والمماليك كانوا قد أعجبو بعلماء هذه الأسرة وعلمهم وثقافتهم فاستعانوا بهم ، وقربوهم إليهم ، وجعلوهم من أطبائهم ، وأغدقوا عليهم الأموال والأعطيات.

ومن الأطباء المشهورين الذين وفدوا على فلسطين الطبيب موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي الطبيب العالم الأديب ، أشتهر كطبيب في فلسطين والقاهرة ودمشق وحلب وغيرها ، صنف عشرات الكتب الطبية ومنها: اختصار وشرح "جالينوس" لكتب الأمراض الحادة "لابقراط" ، وكتاب كبير في الأدوية المفرده ، اختصار لكتاب منافع الأعضاء لجالينوس وغيرها من الكتب الأخرى([1]).

وفي العصر الأيوبي أيضاً ظهر خارج فلسطين عدد من الأطباء الفلسطينيين الذين شاركوا في الحياة العلمية ، وقدموا خدمات كبيرة في المجال الطبي ، كان من أشهرهم:
الإمام فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن عبد الرحمن الأنصاري الطبيب المشهور ، أصله من بيت المقدس ، كان أوحد زمانه وعلامة وقته في العلوم الطبية ، ولد في ماردين([2]) ، وأجداده من بيت المقدس ، أقام في مدينة حيني([3]) سنين كثيرة ، وفي سنة 587هـ/1191م ، زار دمشق وأقرأ بها صناعة الطب ، وأقام بها نحو سنتين ، وكان له فيها مجلس عام للتدريس ، ثم قصد العودة إلى بلده ماراً بحلب ، ولكن الملك الظاهر غازي([4]) استبقاه عنده ، فبقى في خدمته سنتين ، ثم سافر إلى "ماردين" ، وتوفي "بأمد"([5]) سنة 594هـ/1197م ، وله من العمر اثنتان وثمانون سنة([6]).

---

[1]) ابن أبي أصيبعة ، عيون ، صـ645.
للاطلاع على المزيد من سيرة الطبيب البغدادي ومصنفاته الطبية ، انظر: ابن أبي أصيبعة ، عيون ، صـ634-647.

[2]) ماردين: قلعة مشهورة من نواحي الجزيرة مشرفة على بلدة دنيسر ونصيبين ، انظر: الحموي ، معجم البلدان ، جـ2 ، صـ478 ، جـ5 ، صـ39.

[3]) حيني: بلد في ديار بكر ، انظر: الحموي ، معجم البلدان ، جـ2 ، صـ332-333.

[4]) الملك الظاهر غازي: أبو منصور ، ابن الملك الناصر صلاح الدين ، ولد سنة 568هـ/1172م ، تملك حلب ثلاثين سنة ، توفي سنة 613هـ/1216م ، للمزيد عن ترجمته ، انظر: الذهبي ، سير ، جـ15 ، صـ445-447.

[5]) أمد: مدينة مشهورة من بلاد الجزيرة وهي قصبة ديار بكر ، انظر: المقدسي ، أحسن التقاسيم ، صـ122. القزويني ، آثار ، صـ491.

[6]) ابن أبي أصيبعة ، عيون ، صـ368-369. العسلي ، مقدمة ، صـ119-120. الدباغ ، بلادنا ، جـ3 ، صـ238.

ومنهم الطبيب أبو العباس فتح الدين أحمد بن عثمان بن هبة الله المقدسي ، ولد وترعرع ببيت المقدس ، ثم عاش مع أبيه في دمشق ، ومن دمشق ذهب بصحبة أبيه إلى القاهرة ، وأصبح رئيساً لأطباء مصر ، وله كتاب في أمراض العين سماه "نتيجة الفكر في علاج أمراض البصر"([1]) ، وتوفي الطبيب أبو العباس سنة 657هـ/1258م([2]).

ومن الواضح مما تقدم مدى ازدهار العلوم الطبية في فلسطين وخارجها في العصر الأيوبي ، الأمر الذي يعني توفر الكثير من الكتب الطبية التي كانت تدرس في "البيمارستانات" والمراكز الطبية الأخرى. وكان الأطباء يرجعون إليها ، ومن الطبيعيّ أن تكون أشهر هذه الكتب متوفرة ومتداولة في فلسطين ، ونرجح أن تكون بعض هذه الكتب قد درست في "البيمارستان" الصلاحي ومنها: كتاب "الحاوي" للرازي([3]) ، وهو أجل كتبه وأعظمها ، وكتاب "القانون" لابن سينا([4]) ، وهو من أشهر كتبه المتعلقة بالحامل والوليد ، وكتب جالينوس وأهمها: "منهج الطب"، و"الشفاء" وغيرها من الكتب الأخرى.

وهكذا برع الأطباء الفلسطينيون وبرز منهم الكثيرين الذين أبدعوا في المجال الطبي وقدموا خدمات كثيرة حيث اختصوا بمعالجة الملوك والسلاطين الأيوبيين الذين أحسنوا إليهم ، واحترموهم وأغدقوا عليهم الأموال والعطايا ، فعاشوا في سخاء وخير.

خامساً: الرياضيات:

المقصود بعلوم الرياضيات ، الحساب والجبر والهندسة ، وقد ارتبط بها علم الفلك ، فلم يظهر عالم رياضي إلا وقد عرف الفلك واشتغل به([5]).

---

[1]) حاجي خليفة ، كشف ، جـ2 ، صـ738.

[2]) العسلي ، مقدمة ، صـ119. حمارنة ، الطب ، صـ16.

[3]) الرازي: أبو بكر محمد بن زكريا ، من كبار علماء الإسلام في الطب والكيمياء والصيدلة والرياضيات حتى أنه عرف بين علماء الغرب باسم "جالينوس" العرب ، توفي سنة 320هـ/932م ، للمزيد عن ترجمته ، انظر: ابن أبي أصيبعة ، عيون ، صـ379-392. ابن خلكان ، وفيات ، جـ5 ، صـ157-159. الدفاع ، إسهام ، صـ183-238.

[4]) ابن سينا: أبو علي الحسين بن عبد الله ، من أشهر أطباء الإسلام ، كان أسطع نجم في سماء الطب العربي والإسلامي ، برع في الطب والفلك والرياضيات والكيمياء والفلسفة وغيرها من العلوم ، ولد سنة 370هـ/980م ، وتوفي سنة 428هـ/1036م ، للمزيد عن ترجمته، انظر: ابن أبي أصيبعة ، عيون ، صـ401-421. ابن خلكان ، وفيات ، جـ2 ، صـ157-162. الدفاع ، إسهام ، صـ276-324.

[5]) بدوي ، الحياة العقلية ، صـ299. الغامدي ، بلاد الشام ، صـ443.

لم تكن علوم الرياضيات سائدة في فلسطين قبيل وبعد العدوان الصليبي عليها ، بل إنها كادت تكون من اهتمامات الأفراد فقط ، فقد كان العالم أبو عبد الله محمد بن نصر المعروف بابن القيسراني عارفاً بفنون الفلك والنجوم والحساب والهندسة([1]). وكان الطبيب النصراني أبو سليمان داود بن المنى من العلماء الرياضيين ببيت المقدس ، كان مُلمّاً بأحكام النجوم ، حتى أنه استطاع أن يتنبأ بأن الملك الناصر صلاح الدين سيسترد بيت المقدس([2]) ، فقد ذكر ابن أبي أصيبعة أن الحكيم أبا سليمان ظهر له من أحكام النجوم أن الملك الناصر صلاح الدين يفتح المقدس في اليوم الفلاني من الشهر الفلاني من السنة الفلانية ، وأنه يدخل إليها من باب الرحمة ، فطلب من أحد أولاده الخمسة ، وهو الفارس أبو الخير بن أبي سليمان أن يذهب رسولاً عنه إلى الملك الناصر ، ويبشره بملك البيت المقدس في الوقت المذكور ، فوصل إليه في سنة 580هـ/1184م ، وأوصل إليه الرسالة عن أبيه ، ففرح بذلك فرحاً شديداً ، وأنعم عليه بجائزة ، فلما حضر الوقت ، صح جميع ما قاله الحكيم ، فاستدعاه الملك الناصر صلاح الدين إليه وقام له قائماً وقال له: "أنت شيخ مبارك ، قد وصل إلينا بشراك ، وتم جميع ما ذكرته فتمن علي" ، فقال له: "أتمنى عليك حفظ أولادي" فأخذ الملك الناصر أولاده ، واعتنى بهم ، وأعطاهم للملك العادل ، ووصاه بأن يكرمهم ، ويكونوا من الخواص عنده أو أولاده ، وكان كذلك([3]).

وفي عصر الأيوبيين نشطت ، وبرزت العلوم الرياضية في فلسطين ، وكانت المدرسة الصلاحية من أكثر المدارس عناية بهذه العلوم ، بل إنها كادت تكون المدرسة الوحيدة التي عنيت بها([4]) ، وكان من أبرز شيوخها الذين برزوا في العلوم الرياضية الإمام العالم مجد الدين أبو محمد طاهر بن نصر الله بن جهبل ، كان إماماً زاهداً فاضلاً عالماً في الحساب([5]).

وممن أشتهر بالعلوم الرياضية في فلسطين الإمام العالم الحسن بن الخطير ، فقد كان عالماً مبرزاً في الحساب ، ومن أشهر رجال الفلك والنجوم([6]).

---

[1]) اليافعي ، مرآة ، جـ3، صـ287. ابن كثير ، البداية، جـ14، صـ34. بدران ، مُنادمة الأطلال ، صـ363-364.

[2]) ابن أبي أصيبعة ، عيون ، صـ542-543.

[3]) ابن أبي أصيبعة ، عيون ، صـ543.

[4]) عبد المهدي ، المدارس ، جـ1 ، صـ106. العسلي ، معاهد ، صـ70.

[5]) ابن الصلاح ، طبقات ، جـ2 ، صـ762. الذهبي ، العبر ، جـ3 ، صـ115. اليافعي ، مرآة ، جـ3 ، صـ485. ابن كثير ، البداية ، جـ13 ، صـ30.

[6]) الحموي ، معجم الأدباء ، جـ3 ، صـ214. السيوطي ، بغية الوعاة ، جـ1 ، صـ502.

ومن أبناء فلسطين الذين اشتهروا بعلمي الحساب والنجوم الإمام العالم موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامه ، كما عرفت فلسطين أيضاً عدداً من العلماء البارعين في علوم الرياضيات ، كان منهم: الإمام العالم عبد اللطيف البغدادي الذي كان مبرزاً في علم الحساب ، والإمام العالم ابن القفطي ، وقد ذكر الحموي أنه كان يعرف علمي النجوم والهندسة([1]) ، ومنهم الإمام العالم الرياضي جمال الدين محمد بن سالم بن واصل الحموي الذي درس الرياضيات والعلوم الشرعية ببيت المقدس([2]).

سادساً: الكيمياء:

من بين العلوم التي عنى بها علماء العرب والمسلمون علم الكيمياء الذي كانت لهم فيه اكتشافات مهمة ، قامت على أساسها الكيمياء الحديثة ، بتجاربهم العلمية المتقنة ، وملاحظاتهم الدقيقة ، ومستحضراتهم الهامة([3]). وبالرغم من الأهمية الكبرى لهذا العلم ، إلا أنه لم يكن من العلوم السائدة في فلسطين في عصر الحروب الصليبية أو في عهد الأيوبيين ، وبذلك لم يكن علم الكيمياء من ضمن العلوم التي كانت تدرس في أمكنة التعليم المختلفة في فلسطين([4]) ، بل اقتصر الاهتمام به على بعض الصناع والنفاطين ، وتذكر المصادر التاريخية أنه في أثناء اشتداد الحصار على عكا سنة 586هـ/1190م ، جُمع الصناع والنفاطون لمواجهة الأبراج الصليبية المحاصرة لعكا والتي طلاها الصليبيون بمواد كيميائية عازلة للحريق ، وكان من بين هؤلاء الصناع شاب من أهل دمشق يقال له: على بن عريف النحاسين ، كان مهتماً بالعقاقير وصناعة الكيمياء ، وقد استطاع تركيب مواد انفجارية نسف بها هذه الأبراج ، بعدما طبخ "أدوية من النفط في قدور من النحاس حتى صار الجمع كأنه جمرة نار"([5]).

---

[1]) الحموي ، معجم الأدباء ، جـ5 ، صـ453.

[2]) الذهبي ، سير ، جـ17 ، صـ190. ابن العماد ، شذرات ، جـ6 ، صـ110. بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، جـ6 ، صـ32.

[3]) عاشور ، أوروبا ، جـ2 ، صـ518. حماد ، علم الكيمياء ، صـ13.

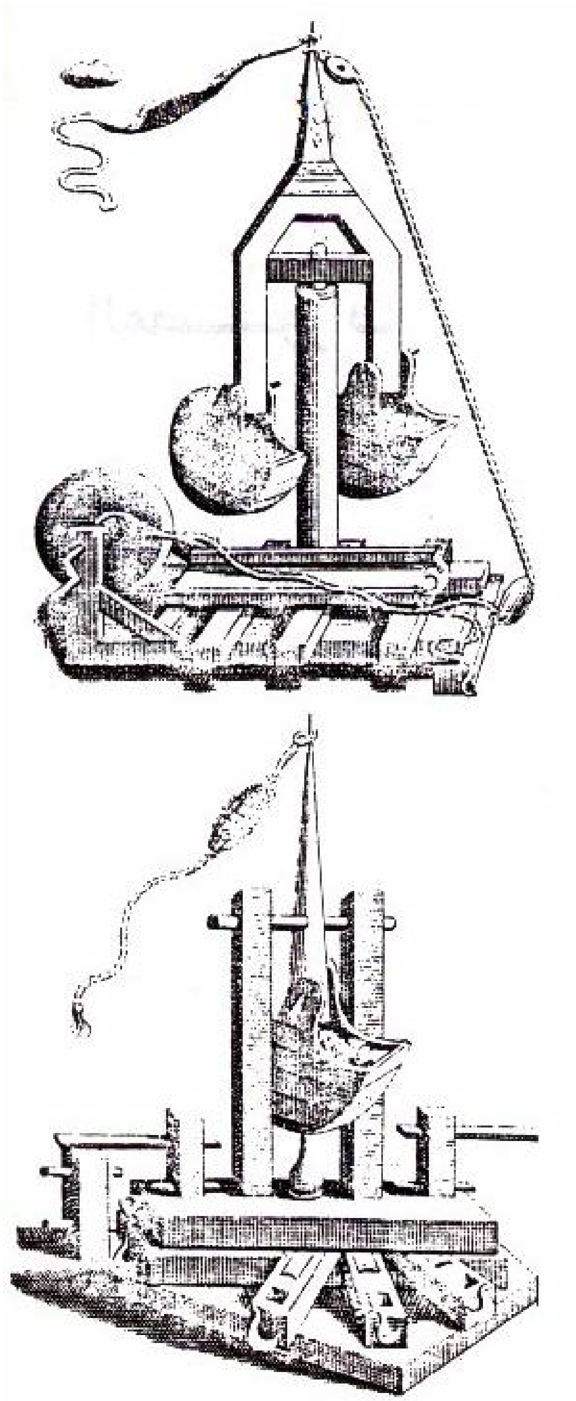
[4]) العسلي ، معاهد ، صـ70.

[5]) الأصفهاني ، الفتح ، صـ370-371. ابن شداد ، النوادر ، صـ120-121. أبو شامة ، الروضتين ، جـ2 ، صـ153. ابن واصل ، مفرج ، جـ2 ، صـ316. حماد ، علم الكيمياء ، صـ144.
وعد هذا الشاب الملك الناصر صلاح الدين بإحراق أبراج الصليبيين ، وعددها ثلاثة أبراج عالية ، ففرح الملك الناصر ووعده بكل جميل ، فدخل الشاب إلى عكا بعد أن حصل من الأدوية التي يعرفها ما يحتاج إليه ، وقام بتنفيذ ما خطط له ، وأحرق الأبراج الثلاثة. انظر: ابن واصل ، مفرج ، جـ2 ، صـ315-316.

الملاحــــق

ملحق رقم (1)

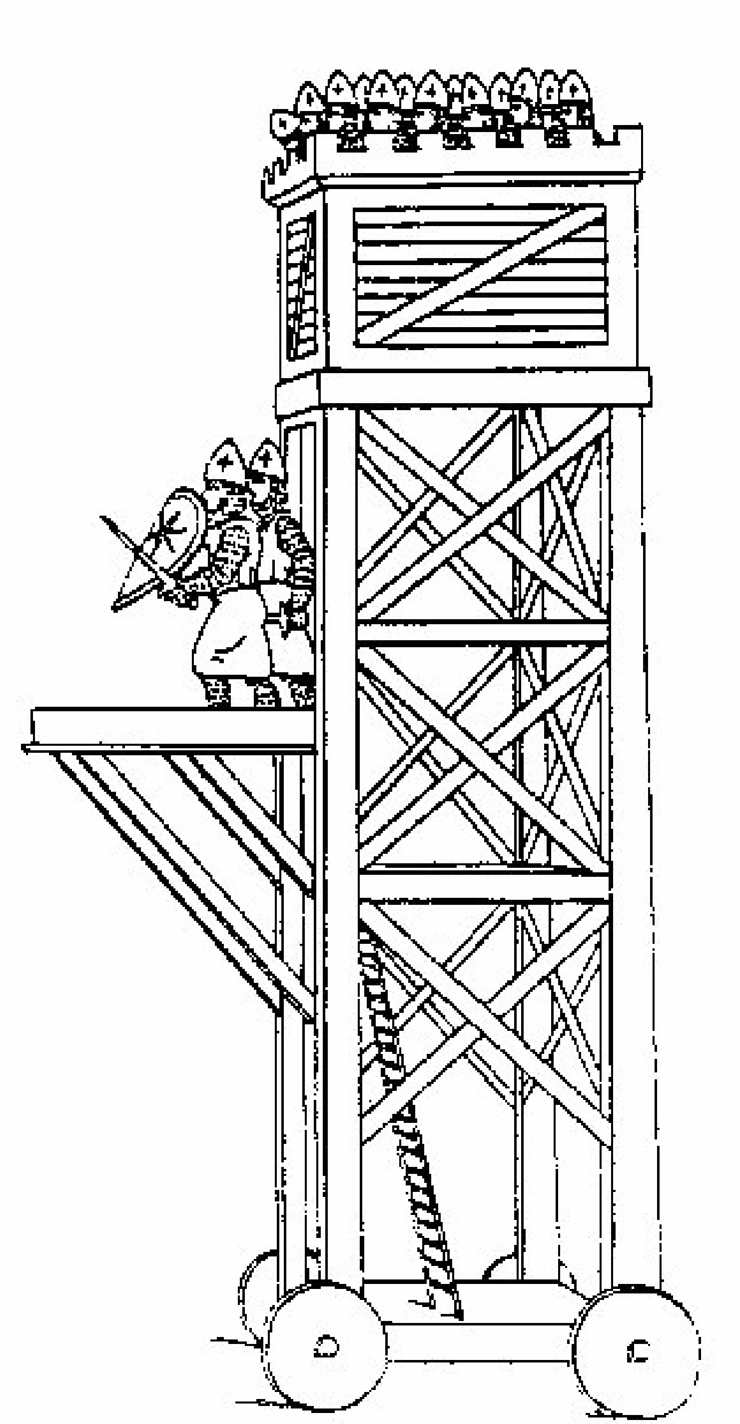
المنجنيقات



نقلاً عن: الجميل ، سيار ، "النسر الأحمر صلاح الدين الأيوبي " ص 104

ملحق رقم (2)

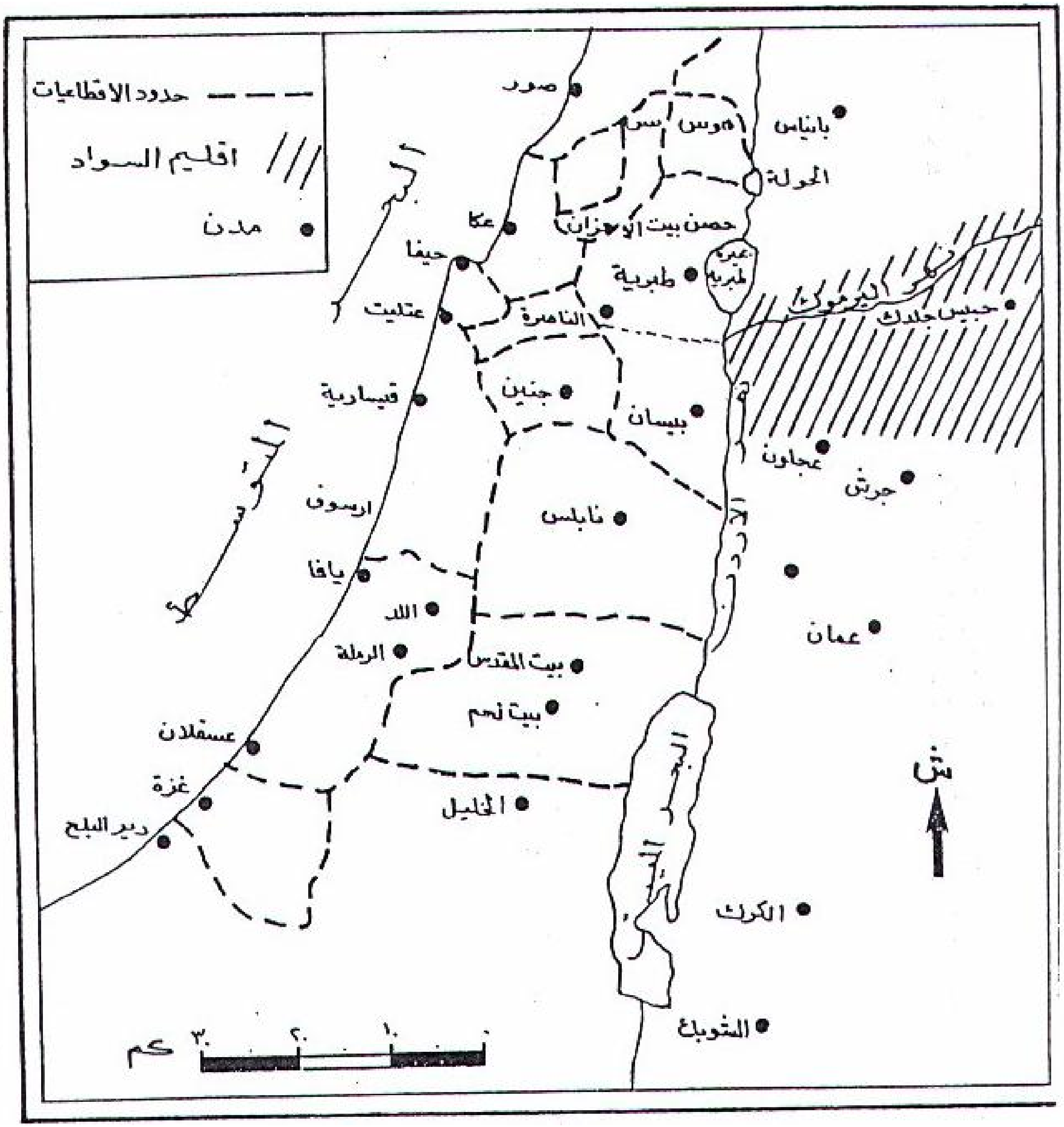
الدبابات الصليبية



نقلاً عن: الجميل ، سيار ، "النسر الأحمر صلاح الدين الأيوبي " ص 106

ملحق رقم (3)

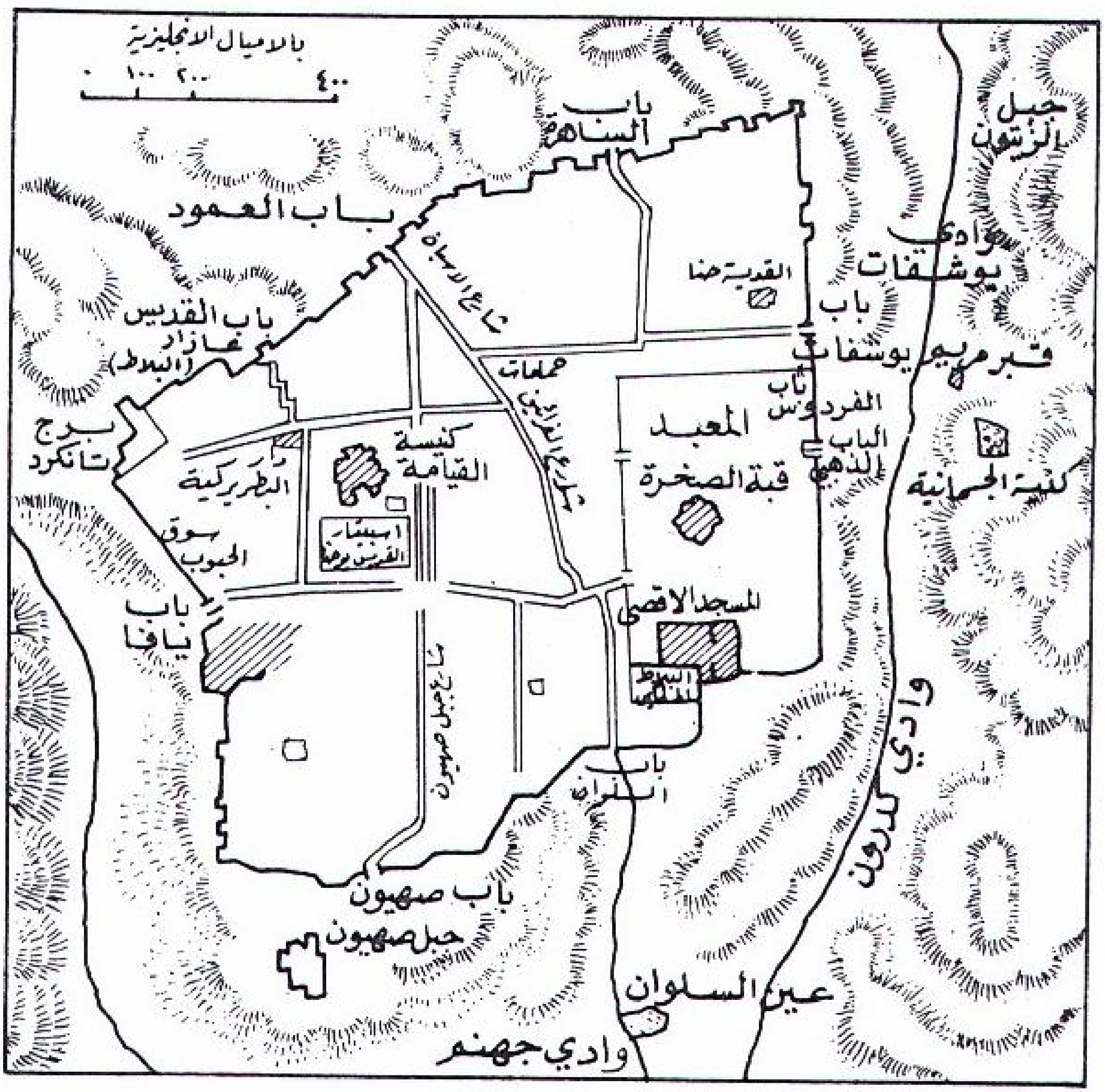
خارطة مملكة بيت المقدس الفرنجية في أقصى اتساع لها



نقلاً عن: نعيرات ، أسامة محمد ، " إقطاعية بيسان " ، ص 257

ملحق رقم (4)

بيت المقدس زمن ملوك اللاتين



نقلاً عن: رنسيمان ، ستيفن ، " تاريخ الحروب الصليبية " جـــ2 ، ق2 ، ص481

ملحق رقم (5)

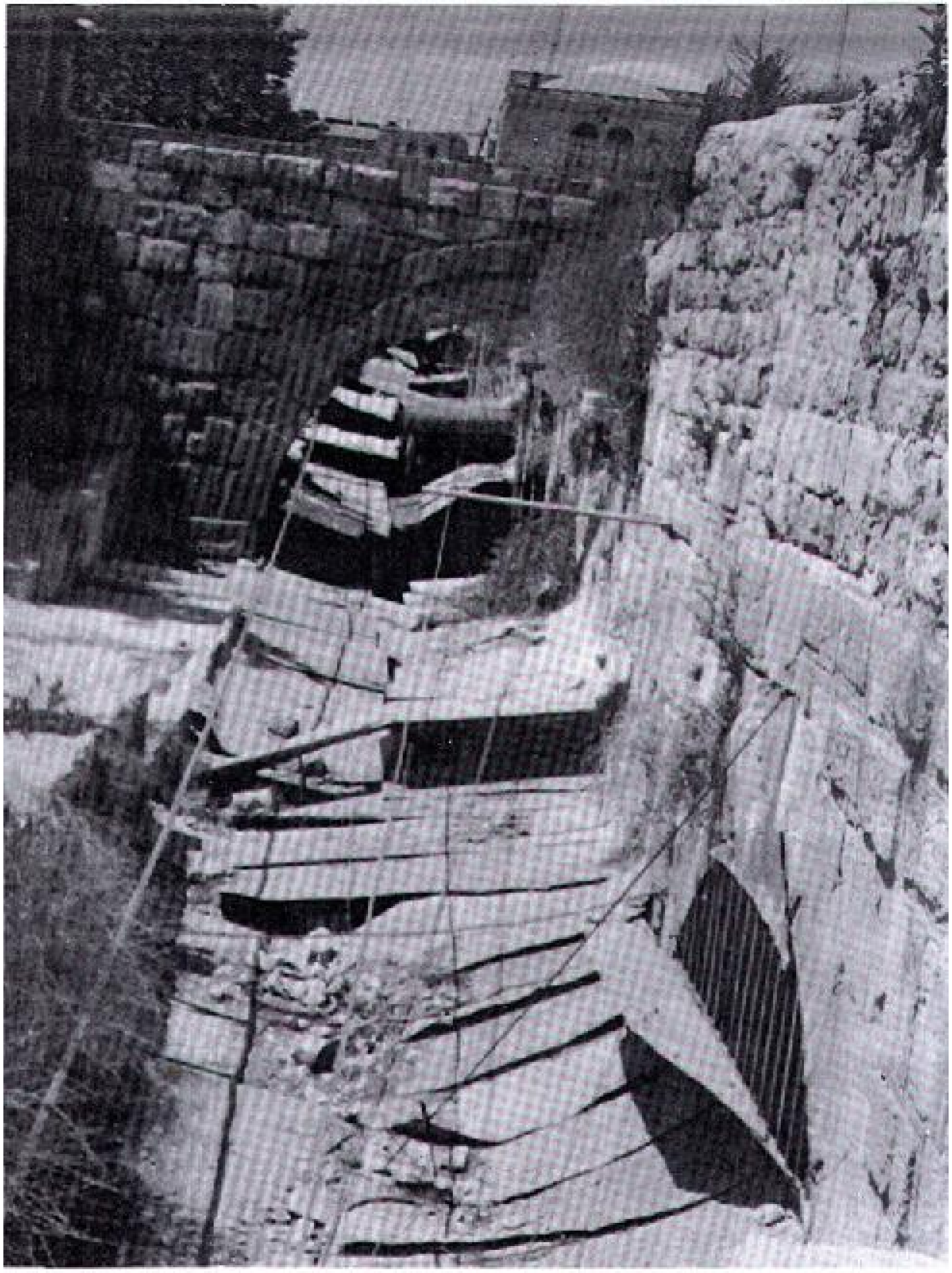
البيمارستان الصلاحي



نقلاً عن: نجم ، رائف يوسف ، "كنوز القدس" ص 92

ملحق رقم (6)

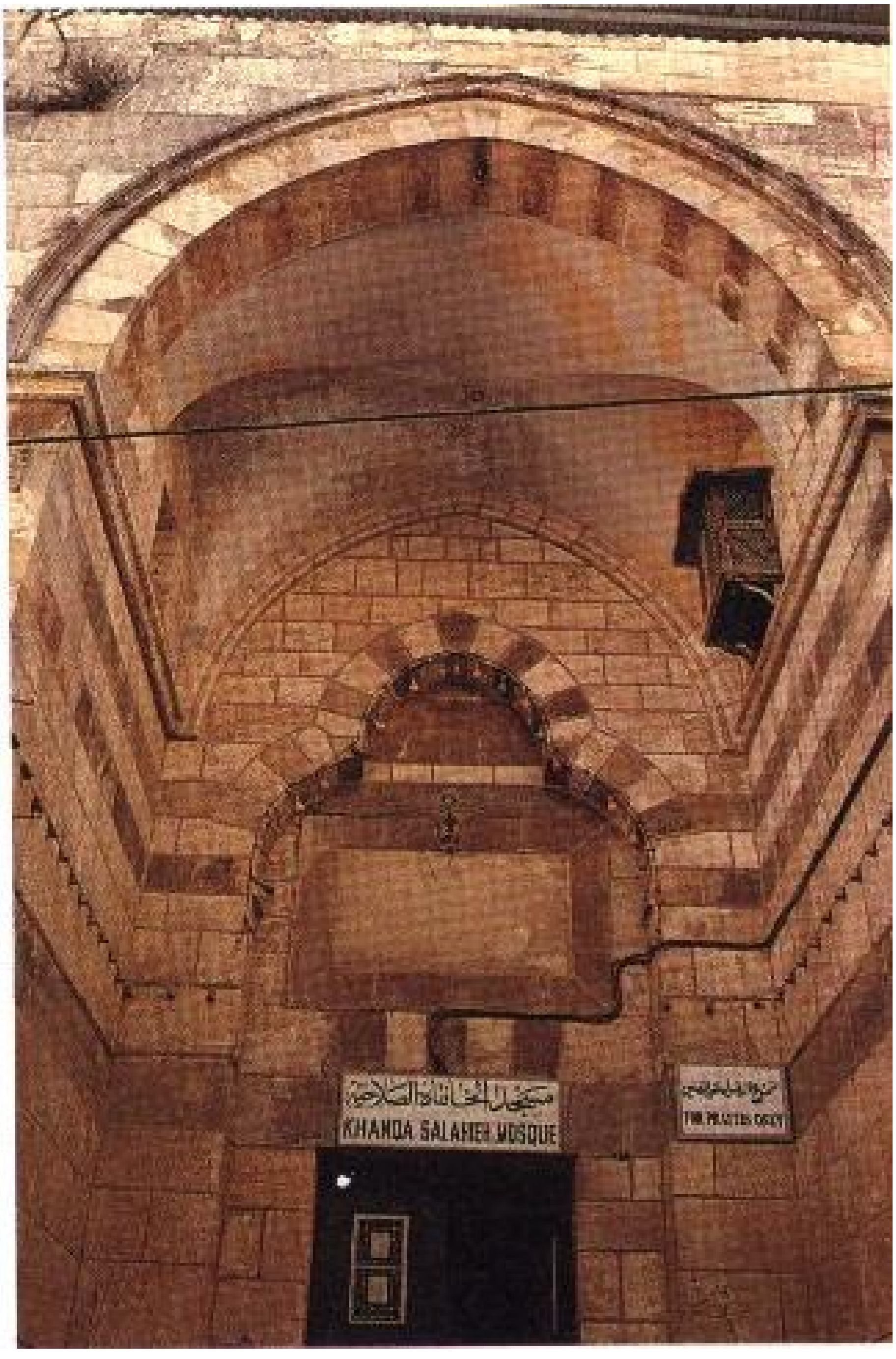
أبواب البيمارستان الصلاحي من الأعلى



نقلاً عن: غوانمة ، يوسف درويش ، " تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي"

ملحق رقم (7)

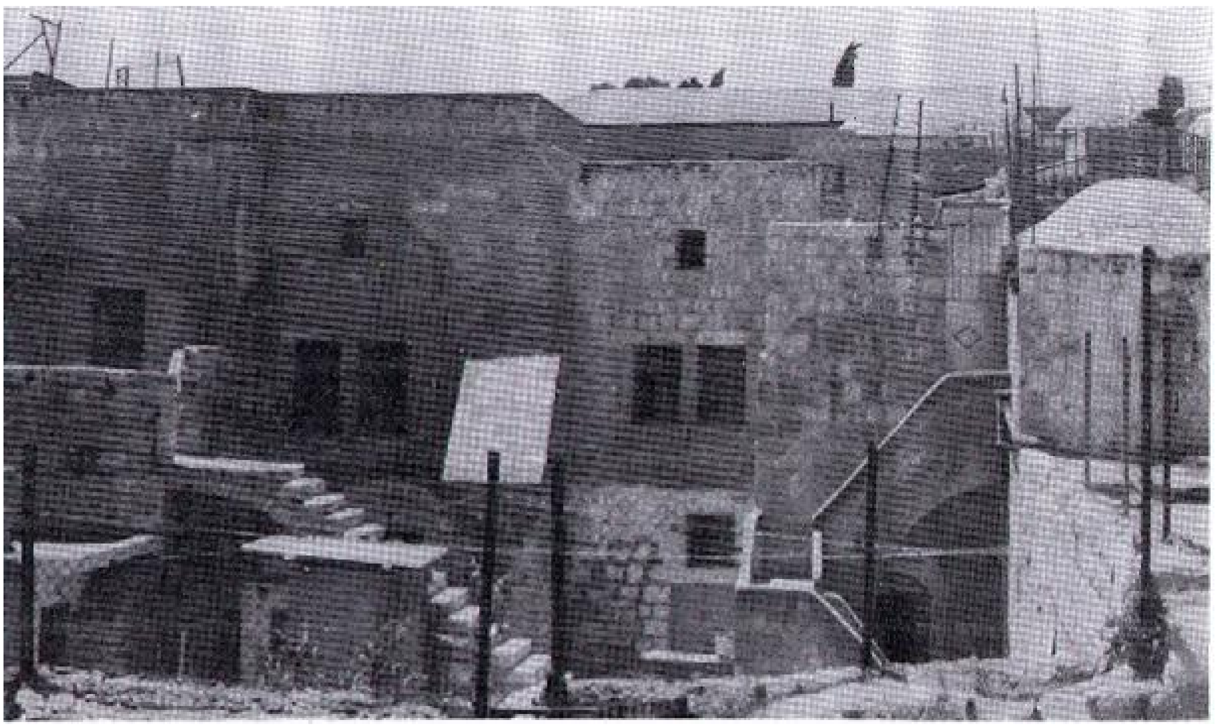
الخانقاة الصلاحية



نقلاً عن: نجم ، رائف يوسف ، "كنوز القدس" ص 97

ملحق رقم (8)

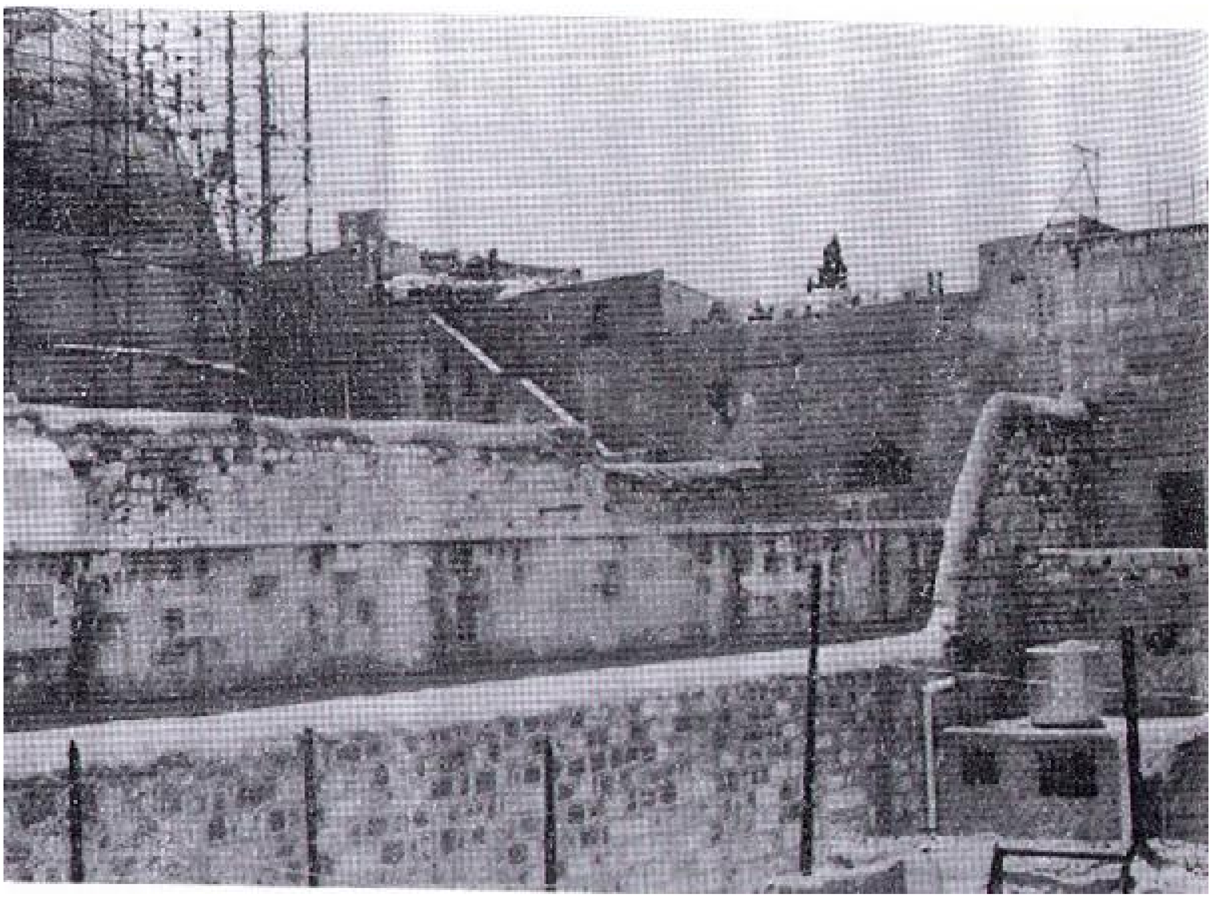
الخانقاة الصلاحية ببيت المقدس



نقلاً عن: غوانمة ، يوسف درويش ، " تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي"

ملحق رقم (9)

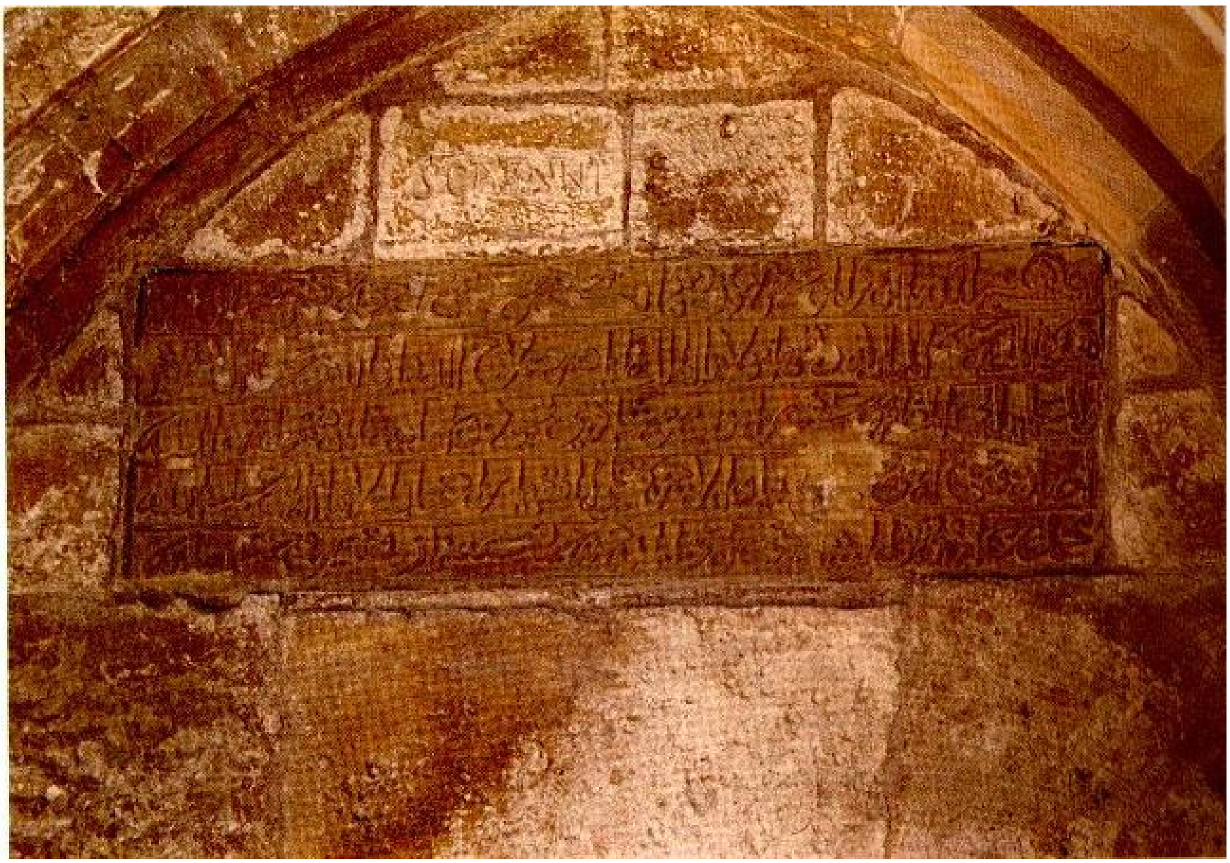
الجدار الفاصل بين الخانقاة الصلاحية وكنيسة القيامة



نقلاً عن: غوانمة ، يوسف درويش ، " تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي"

ملحق رقم (10)

لوح حجري يوجد على مدخل مدرسة الصلاحية



نقلاً عن: نجم ، رائف يوسف ، "كنوز القدس" ص 103

ملحق رقم (11)

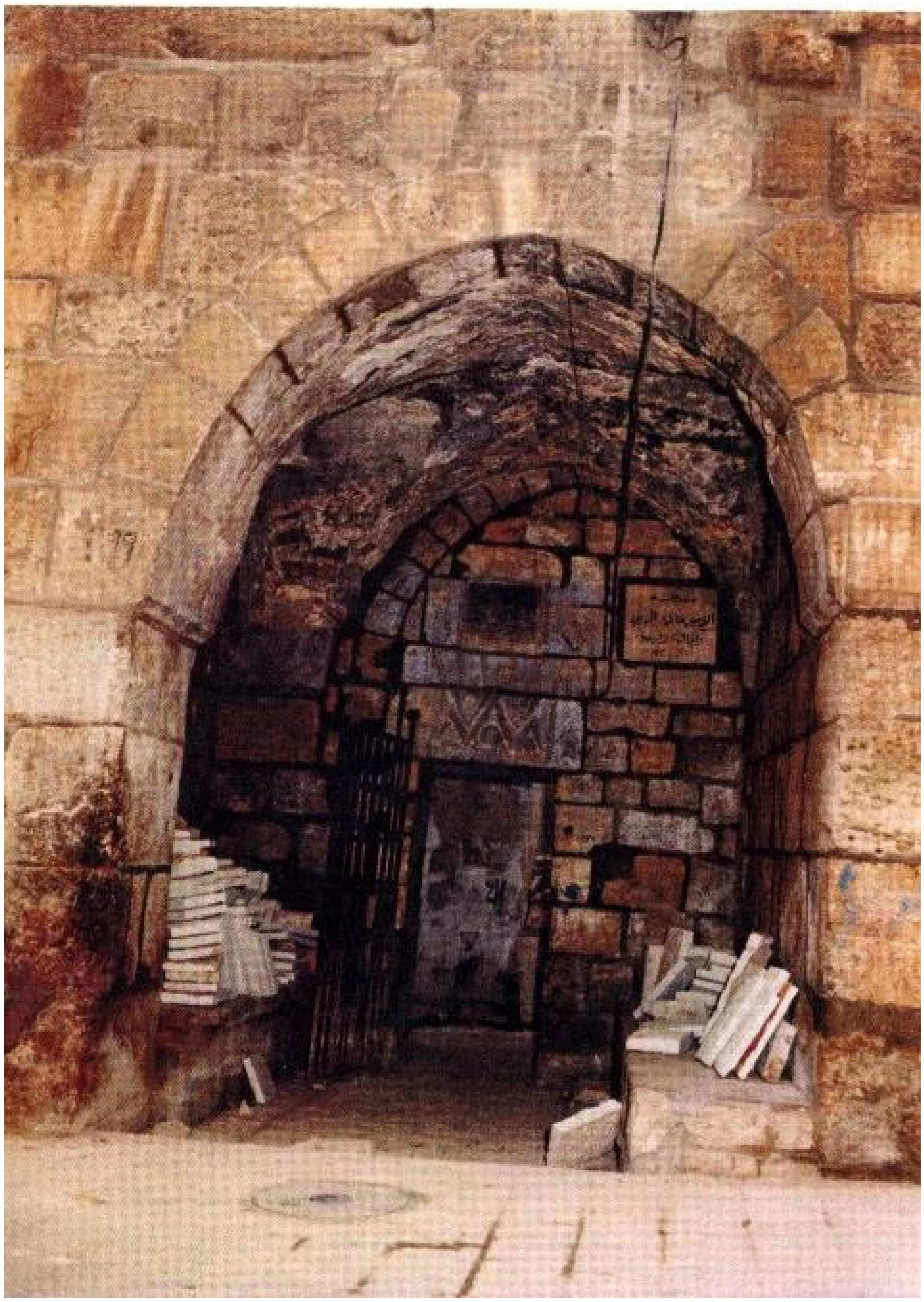
قبر الأمير بدر الدين الهكاري في المدرسة البدرية



نقلاً عن: نجم ، رائف يوسف ، "كنوز القدس" ص 125

ملحق رقم (12)

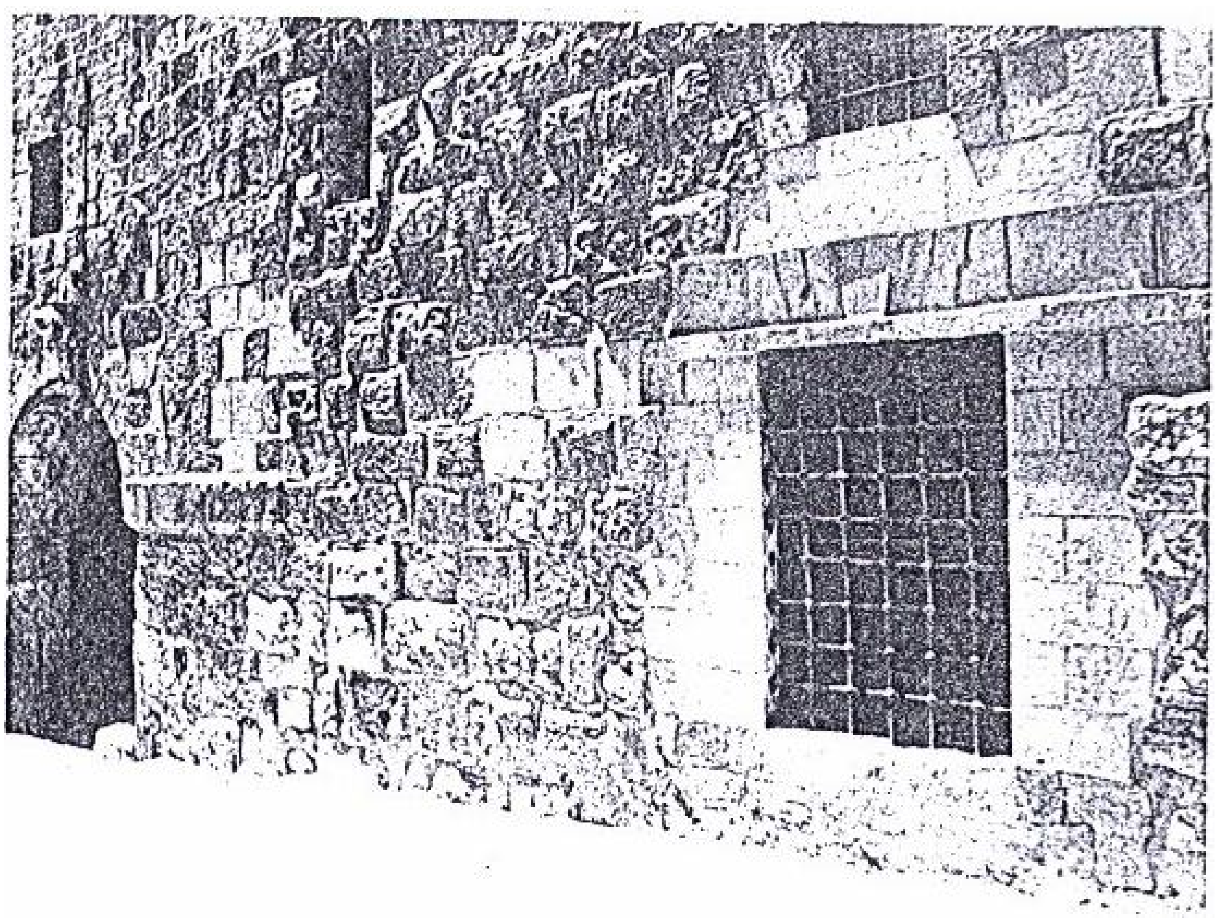
رباط علاء الدين البصير



نقلاً عن: نجم ، رائف يوسف ، "كنوز القدس" ص 143

ملحق رقم (13)

رباط علاء الدين البصير



نقلاً عن: العسلي ، كامل جميل ، "معاهد العلم في بيت المقدس" ، ص 315

ملحق رقم (14)

ملحق رقم (١)[١]

"صورة لإجازة علمية بخط ابن النفيس، علاء الدين أبو الحسن علي بن أبي الحزم القرشي الدمشقي (٦٠٧-٦٩٦هـ/١٢١٠-١٢٩٦م)، منحها لشمس الدولة، أبو الفضل بن الشيخ أبي الحسن المسيحي"، وجاء فيها:

الله الموفق.

بحث معي الشيخ الحكيم العالم الفاضل شمس الدولة أبو الفضل بن الشيخ أبي الحسن المسيحي أدام الله سعادته جميع كتابي هذا وهو شرح الإمام أبقراط وهو كتابه المعروف بطبيعة الإنسان كما دل على صفاء ذهنه واستقامة من خاطره والله تعالى ينفعه وينفع به. كتبه الفقير إلى الله تعالى علي بن أبي الحزم القرشي المتطبب حامداً لله على نعمه ومصلياً على خير أنبيائه محمد وآله ومسلماً. وذلك في التاسع والعشرين من جمادي الأولى سنة ثمان وستين وستمائة.

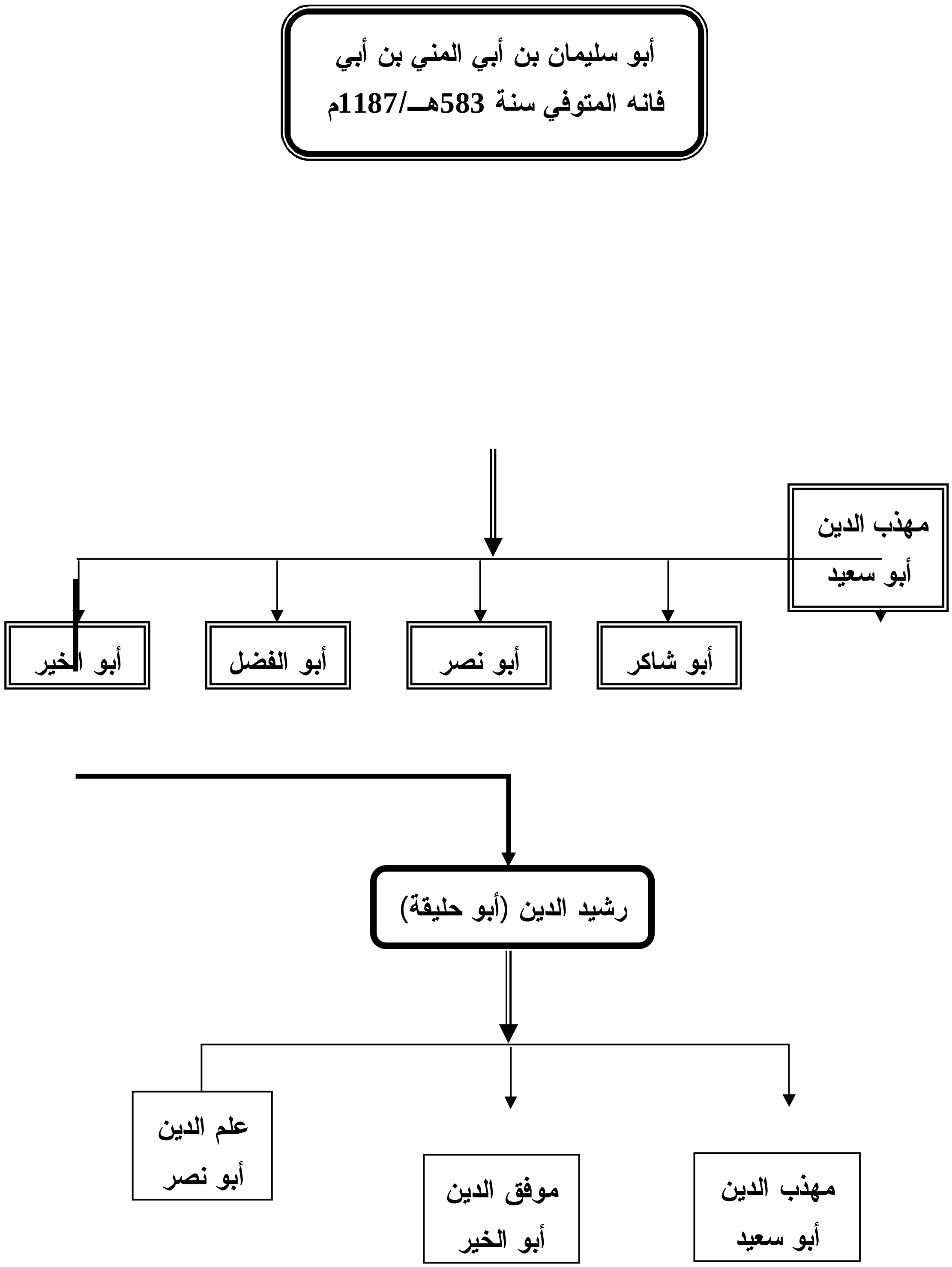


(١) نُقل من: محمد فؤاد الذاكري، "وثيقة من التعليم الطبي في الحضارة الإسلامية"، آفاق الثقافة والتراث، السنة الرابعة، ع١٣، إدارة البحث العلمي والنشاط الثقافي، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، حزيران ١٩٩٦م، ص٥٩، والنسخة الأصلية لهذه الوثيقة محفوظة لدى المكتبة الوطنية الطبية بالولايات المتحدة الأمريكية،
National Library Of Medicine, Bethesda, Maryland. (NLM MS A69 :تحت رقم).

نقلاً عن: المصري ، جهاد سليمان " التعليم في بلاد الشام في العهد الأيوبي " رسالة ماجستير غير منشورة ، ص244

ملحق رقــم (15)

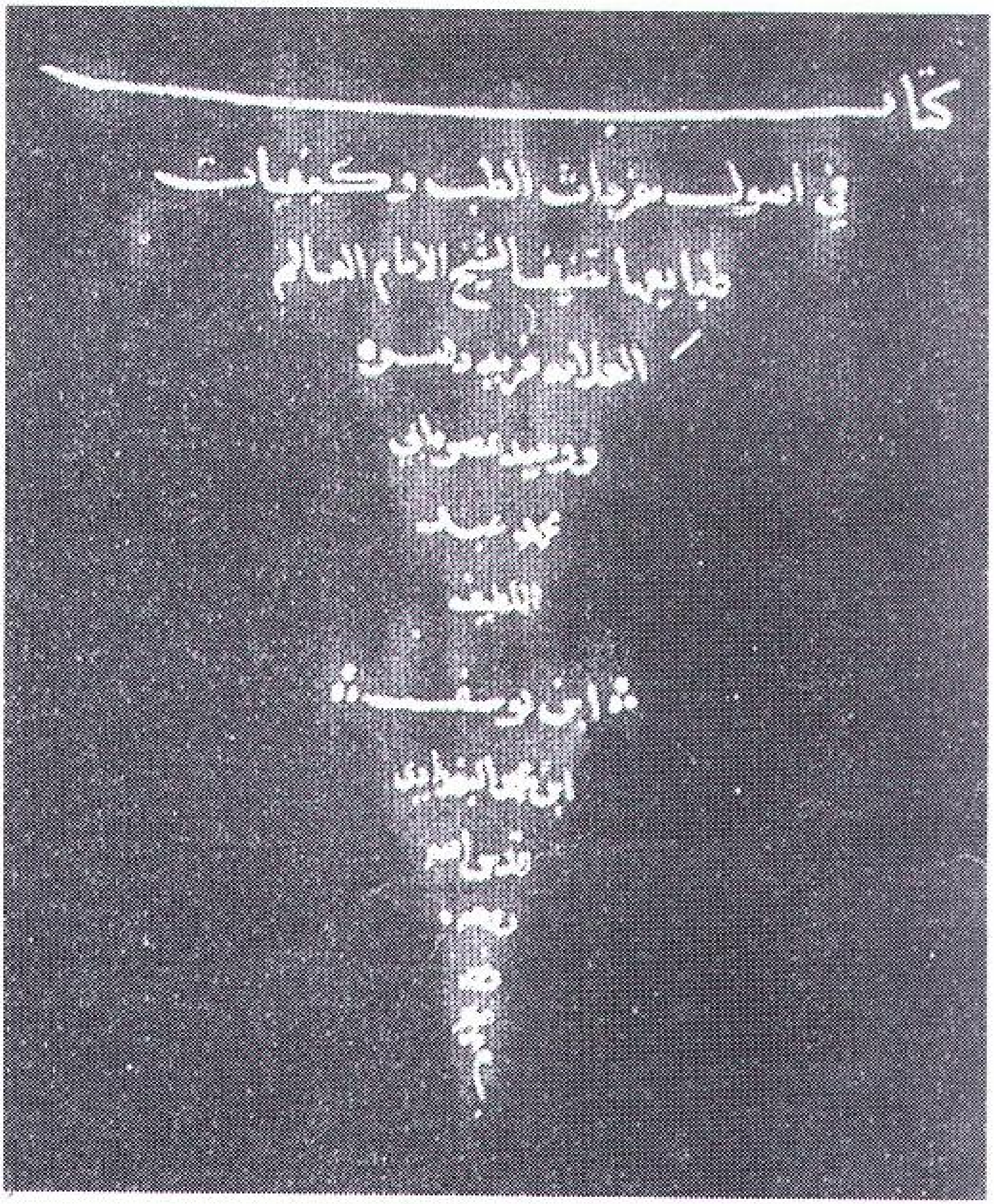
شجرة الأطباء من عائلة أبي فانه المقدسية في العصر الأيوبي



نقلاً عن: العسلي ، كامل جميل ، "مقدمة في تاريخ لطب في القدس منذ أقدم الأزمنة حتى سنة 1918م" ، صـــ117.

ملحق رقم (16)

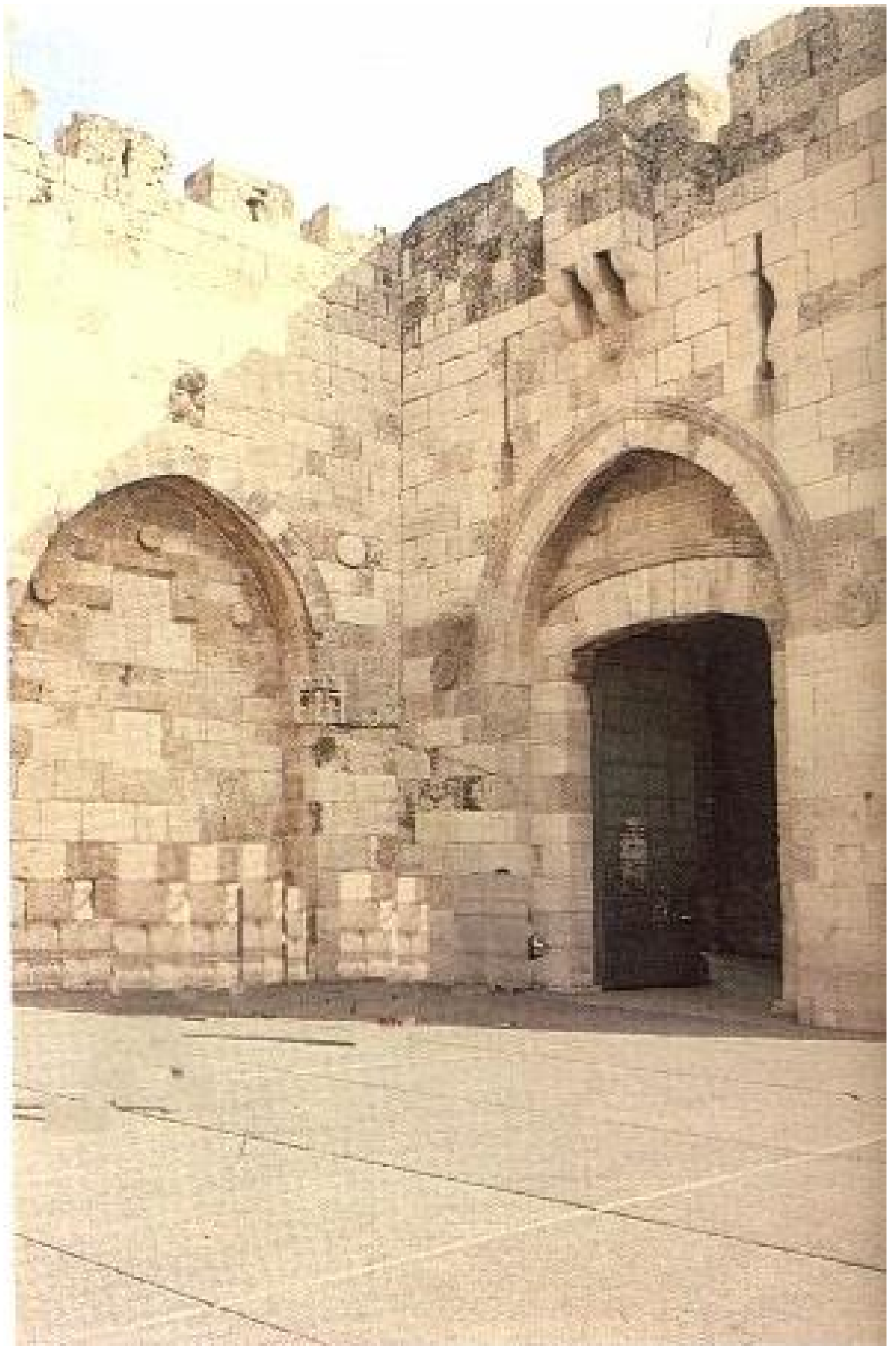
نهاية كتاب أصول مفردات الطب ، تأليف عبد اللطيف البغدادي


كتاب
في اصول مفردات الطب وكيفيات
طبايعهما تصنيف الشيخ الامام العالم
العلامة فريد دهره
ووحيد عصره ابي
محمد عبد
اللطيف
ابن يوسف
ابن محمد البغدادي

نقلاً عن: العسلي ، كامل جميل ، " مقدمة في تاريخ الطب في القدس" ص121

ملحق رقم (17)

باب الخليل



نقلاً عن: نجم ، رائف يوسف ، "كنوز القدس" ص 355

ملحق رقم (18)

باب الأسباط



نقلاً عن: نجم ، رائف يوسف ، "كنوز القدس" ص 353

ملحق رقم (19)

باب المغاربة



نقلاً عن: نجم ، رائف يوسف ، "كنوز القدس" ص 178

ملحق رقـــم (20)

فهرس الأعلام

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المخطوطات

ثانياً: المصادر العربية

ثالثاً: المصادر الأجنبية

رابعاً: المصادر الأجنبية المترجمة

خامساً: المراجع العربية

سادساً: المراجع الأجنبية

سابعاً: المراجع الأجنبية المترجمة

ثامناً: الرسائل الجامعية

تاسعاً: الدوريات العربية

أولاً: المخطوطات

1- السلامي ، شهاب الدين أحمد ، (عاش في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي) ، "مختصر التواريخ" ، مخطوط ، دار الكتب المصرية رقم 9051ج.

ثانياً: المصادر العربية

1- القرآن الكريم.

2- ابن الأثير ، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ، (ت 630هـ/1232م) ، "الكامل في التاريخ" ، 9 أجزاء ، تحقيق خليل مأمون شيحا ، ط1 ، دار المعرفة ، 1422هـ/2001م.

- "التاريخ الباهر في الدولة الأتا بكية بالموصل" ، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، 1382هـ/1963م.

-"اللباب في تهذيب الأنساب" ، 3 أجزاء ، دار صادر ، بيروت ، 1400هـ/1980م.

3- الإدريسي ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس ، (ت 560هـ/1164م) ، "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 1415هـ/1994م.

4- الأزدي ، علي بن ظافر ، (ت 613هـ/1216م)، "بدائع البدائه" ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1390هـ/1970م.

5- الأسنوي ، جمال الدين عبد الرحيم ، (ت 772هـ/1370م) ، "طبقات الشافعية" ، جزءان ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1408هـ/1987م.

6- الأصفهاني ، العماد الكاتب ، (ت 597هـ/1200م) ، "الفتح القسي في الفتح القدسي" ، تحقيق محمد محمود صبح ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، 1424هـ/2003م.

- "خريدة القصر وجريدة العصر ، قسم شعراء مصر" ، جزءان ، نشره أحمد أمين وآخرون ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1371هـ/1951م.

7- ابن أبي أصيبعة ، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم السعدي الخزرجي ، (ت 668هـ/1269م) ، "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" ، ضبطه وصححه ووضع فهارسه محمد باسل عيون السود ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1419هـ/1998م.

8- ابن بسام المحتسب ، محمد بن أحمد ، (ت 844هـ/1440م) ، "نهاية الرتبة في طلب الحسبة" ، تحقيق حسام الدين السامرائي ، بغداد ، 1388هـ/1968م.

9- ابن بشكوال ، أبو القاسم خلف بن عبد الملك ، (ت 578هـ/1182م) ، "كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم" ، جزءان ، عنى بنشره وصححه السيد عزت العطار الحسيني ، ط2 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة 1414هـ/1994م.

10- ابن بطوطة ، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم ، (ت 779هـ/1377م) ، "رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" ، د.ت.

11- البغدادي ، عبد اللطيف يوسف ، (ت 629هـ/1231م) ، "الإفادة والإعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر" ، القاهرة ، 1943م.

12- البكري ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد ، (ت 487هـ/1094م) ، "المسالك والممالك"، جزءان ، حققه ووضع فهارسه جمال طلبة ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1424هـ/2003م.

13- البلوي ، خالد بن عيسى ، (ت 765هـ/1363م) ، "تاج المفرق في تحلية علماء المشرق" ، تحقيق الحسن بن محمد السائح ، مطبعة فضالة ، المغرب ، د.ت.

14- البنداري ، الفتح بن علي ، (ت 622هـ/1225م) ، "سنا البرق الشامي" ، تحقيق فتحية النبراوي ، مكتبة الخانجي ، مصر ، 1400هـ/1979م.

15- ابن تغري بردي ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف ، (ت 874هـ/1469م) ، "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة" ، 16 جزء ، قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1413هـ/1992م.

16- ابن تميم المقدسي ، شهاب الدين أبي محمود ، (ت 765هـ/1363م) ، "مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام" ، تحقيق أحمد الخطيمي ، ط1 ، دار الجيل ، بيروت ، 1415هـ/1994م.

17- ابن الجزري ، شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد ، (ت 832هـ/1428م) ، "غاية النهاية في طبقات القراء" ، جزءان ، عنى بنشره ج. برجسيتر اسر ، مكتبة المتنبي ، القاهرة ، د.ت.

18- ابن الجزري ، شمس الدين ، أبي عبد الله محمد بن إبراهيم ، (ت 738هـ/1337م) ، "تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه المعروف بتاريخ ابن الجزري" ، 3 أجزاء ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، ط1 ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1419هـ/1998م.

19- ابن جماعة الكناني ، أبو إسحاق إبراهيم بن سعد الله ، (ت 733هـ/1332م) ، "تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم" ، حققه وعلق عليه السيد محمد هاشم الندوي ، ط1 ، رمادي للنشر ، الدمام ، 1415هـ/1994م.

20- ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمـد ، (ت 597هـ/1200م) ، "المنتظم في تاريخ الملوك والأمم" ، 17 جزء ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومـصطفى عبد القادر عطا ، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1413هـ/1992م.

21- حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله ، (ت 1067هـ/1656م) ، "كشف الظنـون عـن أسامي الكتب والفنون" ، جزءان ، دار الفكر للطباعـة والنـشر والتوزيـع ، بيـروت ، 1414هـ/1994م.

22- ابن حجر العسقلاني ، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد ، (ت 852هـ/1448م) ، "الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة" ، دار الجيل ، بيـروت ، د.ت.

- "لـسان الميـزان" ، 7 أجـزاء ، ط3 ، مؤسـسة الأعلمـي للمطبوعـات ، بيـروت ، 1407هـ/1986م.

23- الحريري ، أحمد بن علي ، (ت بعد سنة 926هـ/1519م) ، "الإعـلام والتبيـين فـي خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين" ، تحقيق سهيل زكار ، مكتبة دار المـلاح ، 1401هـ/1980م.

24- الحموي ، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله ، (ت 626هـ/1228م) ، "معُجم الأُدباء" المعروف بإرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، 7 أجزاء ، حققه وضبط نـصوصه وقدم له: عمر فاروق الطباع ، ط1 ، مؤسسة المعارف ، بيروت ، 1420هـ/1999م.

- "معجم البلدان" 7 أجزاء ، ط2 ، دار صادر ، بيروت ، 1416هـ/1995م.

25- الحنبلي ، أحمد بن إبراهيم ، (ت 876هـ/1478م) ، "شفاء القلوب فـي مناقـب بنـي أيوب" ، تحقيق ناظم رشيد ، بغداد ، 1399هـ/1978م.

26- ابن حوقل ، أبو القاسم محمد بن علي الموصلي ، (ت 356هـ/966م) ، "كتاب صورة الأرض"، قسمان في مجلد واحد ، ط2 ، دار صادر ، بيروت ، د.ت.

27- خسرو ، ناصر ، (ت 480هـ/1087م) ، "سفر نامة" ، ترجمة يحيى الخشاب ، الهيئـة المصرية العامة للكتاب ، 1414هـ/1993م.

28- ابن خلدون ، عبد الرحمن ، (ت 808هـ/1405م) ، "تاريخ ابن خلدون المسمى ديـوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر" ، راجعـه سهيل زكار ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1421هـ/2000م.

29- ابن خلكان ، شمس الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر ، (ت 681هـ/1282م) ، "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان" ، 8 أجزاء ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، د.ت.

30- ابن خير ، أبو بكر محمد ، (ت 575هـ/1179م) ، "فهرسة ما رواه عن شيوخه" ط3 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1418هـ/1997م.

31- الداوودي ، شمس الدين محمد بن علي بن أحمد ، (ت 945هـ/1538م) ، "طبقات المفسرين" ، ضبطه ووضع حواشيه عبد السلام عبد المعين ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1422هـ/2002م.

32- الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ، (ت 748هـ/1347م) ، "تذكرة الحفاظ" ، 4 أجزاء ، وضع حواشيه الشيخ زكريا عميرات ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1419هـ/1998م.

- "سير أعلام النبلاء" 17 جزء ، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي ، ط1، دار الفكر ، بيروت ، 1418هـ/1997م.

- "العبر في خبر من غبر" ، 4 أجزاء ، حققه وضبطه أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت.

- "معجم الشيوخ" ، جزءان ، تحقيق محمد الحبيب الهيلة ، ط1 ، مكتبة الصديق للنشر والتوزيع، الطائف ، 1409هـ/1988م.

- "الإعلام بوفيات الأعلام" ، تحقيق رياض عبد المجيد مراد وعبد الجبار زكار ، ط2 ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، 1414هـ/1993م.

- "تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام" ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، ط2 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1420هـ/1999م.

33- الزبيدي ، المرتضى ، (ت 1205هـ/1790م) ، "ترويح القلوب في ذكر الملوك بني أيوب" ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، ط2 ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، 1404هـ/1983م.

34- الزرنوجي ، برهان الدين ، (ت 593هـ/1196م) ، "تعليم المتعلم طريق التعلم" ، تحقيق ودراسة محمد عبد القادر أحمد ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، 1406هـ/1986م.

35- الزمخشري ، جار الله محمود بن عمر ، (ت 538هـ/1143م) ، "الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل" ، 4 أجزاء ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، د.ت.

36- ابن سباط ، حمزة بن أحمد بن عمر ، (ت 926هـ/1519م) ، "تاريخ ابن سباط" ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، ط1 ، جروس برس ، طرابلس - لبنان ، 1414هـ/1993م.

37- سبط بن الجوزي ، شمس الدين يوسف ، (ت 654هـ/1256م) ، "مرآة الزمان في تاريخ الأعيان" ، حيدر أباد ، 1370هـ/1951م.

38- السبكي ، أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي ، (ت 771هـ/1369م) ، "طبقات الشافعية الكبرى" ، 6 أجزاء ، تحقيق عبد القادر أحمد عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت.

- "معيد النعم ومبيد النقم" ، تحقيق محمد علي النجار وآخرين ، ط1 ، مكتبة الخانجي ، مصر ، 1367هـ/1948م.

39- ابن سعيد الدائي ، أبو عمرو عثمان ، (ت 444هـ/1052م) ، "التيسير في القراءات السبع" ، عنى بتصحيحه أوتو يرتزل ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1416هـ/1996م.

40- السلفي ، أبو طاهر أحمد بن محمد ، (ت 576هـ/1180م) ، "معجم السفر" ، تحقيق عبد الله عمر البارودي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1414هـ/1993م.

41- السمعاني ، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور ، (ت 562هـ/1166م) ، "الأنساب" ، 5 أجزاء ، تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي ، ط1 ، دار الجنان ، بيروت ، 1408هـ/1988م.

42- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن ، (ت 911هـ/1505م) ، "بغية الوعاه في طبقات اللغويين والنحاة" ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، د.ت.

43- أبو شامة ، شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم ، (ت 665هـ/1266م)، "الروضتين في أخبار الدولتين" ، جزءان ، دار الجيل ، بيروت ، د.ت.

- "تراجم رجال القرنيين السادس والسابع المعروف بالذيل علـــى الروضـــتين" ، ط2 ، دار الجيل ، بيروت ، 1394هـــ/1974م.
- "عيون الروضتين في أخبار الدولتين" ، جزءان ، حققه أحمـــد البيـــسومي ، منـــشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، 1413هـــ/1992م.
44- ابن شداد ، بهاء الـــدين ، (ت 632هـــــ/1234م) ، "النـــوادر الـــسلطانية والمحاســـن اليوسفية ، سيرة صلاح الدين" ، تحقيق جمال الدين الشيال ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، 1384هـــ/1964م.
45- ابن شداد ، عز الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم ، (ت 684هـــــ/1285م) ، "الأعلاق الخطيرة في ذكر أُمراء الشام والجزيرة" 3 أجزاء ، الجزء الأول تحقيق دومنيك سورديل ، دمشق 1953م. الجزء الثاني تحقيق سامي الدهان ، القسم الأول قـــسم مدينـــة دمشق ، ط. دمشق 1375هـــ/1955م. والقسم الثاني قسم لبنان والأردن وفلـــسطين ، ط. دمشق 1382هـــ/1962م. الجزء الثالث تحقيق يحيى عبادة ، منشورات وزارة الثقافـــة ، دمشق ، 1399هـــ/1978م.
46- الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك ، (ت 764هـــ/1362م) ، "الـــوافي بالوفيـــات" ، 30 جزء ، تحقيق أحمد الأرنـــاؤوط ، ط1 ، دار إحيـــاء التـــراث العربـــي ، بيـــروت ، 1420هـــ/2000م.
47- ابن الصلاح ، تقي الدين أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن ، (ت 643هـــــ/1245م) ، "طبقات الفقهاء الشافعية" ، جزءان ، تحقيق محيي الدين علي نجيب ، ط1 ، دار البـــشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1413هـــ/1992م.
48- ابن طولون ، محمد بن علي ، (ت 953هـــ/1546م) ، "القلائد الجوهرية فـــي تـــاريخ الصالحية" ، تحقيق محمـــد أحمـــد دهمـــان ، ط2 ، مجمـــع اللغـــة العربيـــة ، دمـــشق ، 1401هـــ/1980م.
49- ابن عبد الظاهر ، محي الدين عبد الله بن رشيد الدين ، (ت 692هـــ/1292م) "الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر" ، تحقيق عبـــد العزيـــز الخـــويطر ، ط1 ، الريـــاض ، 1396هـــ/1976م. د.ت.
50- ابن العديم ، كمال الدين أبي القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله ، (ت 660هـــ/1261م) ، "زُبدة الحلب من تاريخ حلب" ، وضع حواشـــيه خليـــل المنـــصور ، ط1 ، دار الكتـــب العلمية ، بيروت، 1417هـــ/1996م.

51- ابن العربي ، محمد بن عبد الله بن محمد ، (ت 543هـ/1148م) ، "العواصم من القواصم" ، تحقيق محب الدين الخطيب ، ط1 ، دار الكتب السلفية ، القاهرة ، 1405هـ/1984م.
52- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله، (ت 571هـ/1175م)، "تاريخ مدينة دمشق" ، 80 جزءاً ، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي ، ط1 ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1418هـ/1997م.
- "تهذيب تاريخ دمشق الكبير" ، هذبه ورتبه الشيخ عبد القادر بدران ، ط3 ، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1407هـ/1987م.
53- العليمي ، مجير الدين الحنبلي ، (ت 927هـ/1520م) ، "الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل" ، جزءان ، الجزء الأول تحقيق عدنان يونس أبو تبانة ، والجزء الثاني تحقيق محمود الكعابنة ، ط1، مكتبة دنيس ، عمان ، 1420هـ/1999م.
54- ابن العماد ، شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي ، (ت 1089هـ/1678م) ، "شذرات الذهبي في أخبار من ذهب" ، 8 أجزاء ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1419هـ/1998م.
55- العمري ، شهاب الدين بن فضل الله ، (ت 749هـ/1348م) ، "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" ، تحقيق أحمد زكي باشا ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1342هـ/1924م.
56- العيني ، بدر الدين محمود ، (ت 855هـ/1451م) ، "عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان" ، تحقيق محمد محمد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1408هـ/1987م.
57- الغساني ، الملك الأشرف ، (ت 803هـ/1400م) ، "العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك" ، تحقيق شاكر محمود عبد المنعم ، دار التراث الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1395هـ/1975م.
58- أبو الفداء ، إسماعيل بن علي بن محمود ، (ت 732هـ/1331م) ، "المختصر في أخبار البشر" ، جزءان ، علق عليه ووضع حواشيه محمود ديوب ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1417هـ/1997م.

59- ابن الفرات ، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم ، (ت 807هـ/1404م) ، "تاريخ ابن الفرات" ، عنى بتحرير نصه ونشره حسن محمد الشماع ، جامعة البصرة ، البصرة ، 1389هـ/1969م.
60- ابن الفوطي ، كمال الدين أبي الفضل عبد الرزاق بن أحمد الشيباني ، (ت 723هـ/1323م) ، "الحواث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة" ، تحقيق مهدي النجم ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1424هـ/2003م.
61- ابن قاضي شهبة ، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن محمد تقي الدين ، (ت 851هـ/1447م) ، "طبقات الشافعية" ، جزءان ، إعتني بتصحيحه وعلق عليه الحافظ عبد العليم خان ، ط1 ، عالم الكتب ، 1408هـ/1987م.
62- ابن قاضي شهبة ، بدر الدين أبي الفضل محمد بن تقي الدين ، (ت 874هـ/1469م) ، "الكواكب الدرية في السيرة النورية" ، تحقيق محمود زايد ، ط1 ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، 1391هـ/1971م.
63- القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود ، (ت 682هـ/1283م) ، "آثار البلاد وأخبار العباد" ، دار صادر ، بيروت ، د.ت.
64- القفطي ، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف ، (ت 646هـ/1248م) ، "أخبار العلماء بأخبار الحكماء" ، مكتبة المتنبي ، القاهرة ، د.ت.
65- ابن القلانسي ، حمزة بن أسد بن علي بن محمد ، (ت 555هـ/1160م) ، "تاريخ دمشق" ، تحقيق سهيل زكار ، ط1 ، دار حسان للطباعة والنشر ، دمشق ، 1403هـ/1983م.
66- القلقشندي ، أحمد بن علي ، (ت 821هـ/1418م) ، "صبح الأعشى في صناعة الإنشا" ، 14 جزء ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة ، 1383هـ/1963م.
67- الكتبي ، محمد بن شاكر ، (ت 764هـ/1362م) ، "فوات الوفيات" 5 أجزاء ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، 1393هـ/1973م.
68- ابن كثير ، أبو الفداء الحافظ ، (ت 774هـ/1372م) ، البداية والنهاية ، 14 جزء ، تحقيق أحمد عبد الوهاب فتيح ، ط5 ، دار الحديث ، القاهرة ، 1418هـ/1998م.
- "طبقات الفقهاء الشافعيين" ، جزءان ، تحقيق أحمد عمر هاشم ومحمد زينهم عزب ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 1414هـ/1993م.

69- ابن المستوفي ، شرف الــدين أبــي البركــات المبــارك بــن أحمــد الإربلــي ، (ت 637هــ/1239م) ، "تاريخ إربل المسمى نباهة البلد الخامل بمــن ورده مــن الأماثــل" ، تحقيق سامي السيد الصقار ، دار الرشيد للنشر ، الجمهورية العراقية ، 1980م.
70- ابــن مفلــح ، برهــان الــدين إبــراهيم بــن محمــد بــن عبــد الله بــن محمــد ، (ت 884هــ/1479م) ، "المقصد الأرشد في ذكر الإمام أحمد" ، 3 أجزاء ، تحقيق عبــد الرحمن بن سليمان العثيمين ، ط1 ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ، 1411هــ/1990م.
71- المقدسي ، شمس الــدين أبــي عبــد الله محمــد بــن أحمــد المعــروف بالبــشاري ، (ت 387هــ/997م) ، "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" ، وضــع مقدمتــه وهوامــشه وفهارسه محمد مخزوم ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، 1408هــ/1987م.
72- المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر ، (ت 845هــــ/1441م) ، "كتــاب المقفى الكبير" ، 8 أجزاء ، تحقيق محمــد الــيعلاوي ، ط1 ، دار الغــرب الإســلامي ، بيروت ، 1412هــ/1991م.
- "المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزيــة" ، جــزءان ، ط2 ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 1408هــ/1987م.
- "البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب" ، تحقيق عبــد المجيــد عابــدين ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1410هــ/1989م.
- "اتعاظ الحُنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخُلفا" ، جزءان ، تحقيق محمد عبــد القــادر أحمــد عطا ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1422هــ/2001م.
- "السلوك لمعرفة دول الملوك" ، أجزاء ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، ط1 ، دار الكتــب العلمية ، بيروت ، 1418هــ/1997م.
73- المنذري ، زكي الدين أبو محمد عبد العظيم عبــد القــوي ، (ت 656هــــ/1258م) ، "التكملة لوفيات النقلة" ، تحقيق بشار عواد معروف ، ط2 ، مؤسسة الرسالة ، بيــروت ، 1401هــ/1981م.
74- ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، (ت 711هــ/1311م) ، "لــسان العرب" ، دار صادر ، بيروت ، 1965م.
75- ابن منقذ ، أسامة بن مرشد بن علي ، (ت 584هــ/1188م) ، "كتاب الإعتبار" ، ط1 ، مؤسسة دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام ، الرياض ، 1407هــ/1987م.

76- النعيمي ، عبد القادر بن محمد ، (ت 978هـ/1570م) ، "الدارس في تاريخ المدارس" ، جزءان، أعد فهارسه إبراهيم شمس الدين ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1410هـ/1990م.

77- النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ، (ت 733هـ/1332م) ، "نهاية الأرب في فنون الأدب" ، 31 جزء ، مركز تحقيق التراث ، القاهرة ، 1412هـ/1992م.

78- ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم ، (ت 697هـ/1297م) ، "مفرج الكروب في أخبار بني أيوب" ، 5 أجزاء ، الأجزاء الأول والثاني والثالث تحقيق جمال الدين الشيال ، الجزء الأول مطبعة جامعة فؤاد الأول ، القاهرة 1953م. الجزء الثاني ، المطبعة الأميرية ، القاهرة 1957م. الجزء الثالث ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، القاهرة 1960م.

الجزء الرابع والخامس تحقيق حسنين محمد ربيع ، مراجعة سعيد عبد الفتاح عاشور. الجزء الرابع، مطبعة دار الكتب، القاهرة 1972م. الجزء الخامس، مطبعة دار الكتب، القاهرة 1977م.

79- اليافعي ، أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان ، (ت 768هـ/1366م) ، "مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان" ، 4 أجزاء ، ط2 ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، 1414هـ/1993م.

80- اليونيني ، موسى بن محمد ، (ت 726هـ/1325م) ، "ذيل مرآة الزمان" ، 4 أجزاء ، ط2 ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، 1413هـ/1992م.

ثالثاً: المصادر الأجنبية

1- Albert d' Aix:
"Historia Hieroseolymitana", in R.H.C. Hist. Occ. Vol. IV, Paris, 1879.

2- Jaques de Virty:
"The History of Jerusalem", Trans. by Aubrey Stewart, in P.P.T.S., Vol. XI, London, 1896.

3- John of Wurzburg, "Description of the holy Land", Translated by Aubery Stewart, London, 1890.

4- Roger of Wendover:
"Flowers of History", trans. by Gilles, J.A.2 Vols, London, 1848.

رابعاً: المصادر الأجنبية المترجمة

1- التطيلي ، بنيامين ، (ت 569هـ/1173م) ، "رحلة بنيامين" ، ترجمة عزرا حداد ، المدرسة الوطنية، بغداد ، 1365هـ/1945م.

2- بورشارد من جبل صهيون ، (عاش في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي) ، "وصف الأرضي المقدسة" ، ترجمة سعيد البيشاوي ، ط1 ، دار الشروق ، عمان ، 1416هـ/1995م.

3- توديبود ، بطرس ، "تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس" ، ترجمة حسين محمد عطية ، ط1، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1420هـ/1999م.

4- ثيودريش ، "وصف الأماكن المقدسة في فلسطين القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي" ، ترجمة وتحقيق ودراسة سعيد البيشاوي ورياض شاهين ، ط1 ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان، 1424هـ/2003م.

5- دانيال الراهب ، الحاج الروسي ، "وصف الأرض المقدسة في فلسطين 1106-1107م" ، ترجمة سعيد عبد الله البيشاوي وداود إسماعيل أبو هدبة ، ط1 ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، 1424هـ/2003م.

6- ريموندا جيل:

"تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس" ، ترجمة حسين محمد عطية ، ط1 ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1410هـ/1989م.

7- سايولف ، "وصف رحلة الحاج سايولف لبيت المقدس والأراضي المقدسة ، 1102-1103" ، ط1 ، دار الشروق ، عمان ، 1418هـ/1997م.

8- الشارتري ، فوشيه:

"تاريخ الحملة إلى القدس" ، ترجمة زياد العسلي ، ط1 ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، 1411هـ/1990م.

9- الصوري ، وليم ، "تاريخ الحروب الصليبية" المسمى "الأعمال المنجزة فيما وراء البحار" ، جزءان ، ترجمة سهيل زكار ، ط1 ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، 1411هـ/1990م.

10- الفيتري ، يعقوب ، "تاريخ بيت المقدس" ، ترجمة سعيد البيشاوي ، ط1 ، دار الشروق ، عمان ، 1418هـ/1997م.

خامساً: المراجع العربية

1- إبراهيم ، محمود ، "فضائل بيت المقدس في مخطوطات عربية قديمة" ، ط1 ، معهد المخطوطات العربية ، الكويت ، 1406هـ/1985م.

2- ألفا ، روني إيلي وآخرون ، "موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب" ، جزءان ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1412هـ/1992م.

3- أمين ، محمد محمد ، "الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر 648-923هـ/1250-1517م" دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1401هـ/1980م.

4- باشا ، عمر موسى ، "الأدب في بلاد الشام" ، ط1 ، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر ، دمشق ، 1409هـ/1989م.

5- بدران ، عبد القادر ، "مُنادمة الأطلال ومسامرة الخيال" ، ط1 ، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر ، دمشق ، 1380هـ/1960م.

6- بدوي ، أحمد أحمد ، "الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام" ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، د.ت.

- " الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام" ، ط2 ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، 1400هـ/1979م.

7- بك ، أحمد عيسى ، "تاريخ البيمارستانات في الإسلام" ، ط2 ، جمعية التمدن الإسلامي ، دمشق ، 1401هـ/1981م.

8- البيشاوي ، سعيد عبد الله ، "الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية 492-690هـ/1099-1291م" ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1411هـ/1990م.

- "نابلس: الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية خلال الحروب الصليبية 492-690هـ/1099-1291م" ، ط1 ، عمان ، 1411هـ/1991م.

9- جودة ، صادق أحمد داود ، "مدينة الرملة منذ نشأتها حتى عام 492هـ/1099م" ، ط1 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1406هـ/1986م.

10- جوني ، وفاء ، "دمشق والمملكة اللاتينية في القدس منذ أواخر القرن الحادي عشر حتى أواخر القرن الثاني عشر الميلاديين" ، ط1 ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، 1417هـ/1997م.

11- الجوهري ، إسماعيل بن حماد ، "تاج اللغة وصحاح العربية" ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، ط2، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1400هـ/1979م.

12- الحافظ ، محمد مطيع ، "المدرسة العمرية بدمشق وفضائل مؤسسها" ، ط1 ، دار الفكر ، دمشق ، 1421هـ/2000م.

13- الحريري ، سيد علي ، "الحروب الصليبية: أسبابها - حملاتها -نتائجها" ، ط1 ، دار التضامن للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1409هـ/1988م.

14- حسن ، حسن إبراهيم ، "تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي" ، ط1 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1387هـ/1967م.

15- حماد ، محمد رفيق ، "علم الكيمياء عند العرب وأعلامه" ، ط1 ، دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع ، الكويت ، 1422هـ/2001م.

16- حمادة ، محمد ماهر ، "المكتبات في الإسلام نشأتها وتطورها ومصائرها" ، ط2 ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ، بيروت ، 1398هـ/1978م.

17- حموده ، أحمد عبد الرحمن وآخرون ، "موسوعة المدن الفلسطينية" ، ط1 ، دائرة الثقافة ، منظمة التحرير الفلسطينية ، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، 1411هـ/1990م.

18- حميدان ، إرشيد يوسف راشد ، "سلاجقة الشام والجزيرة في الفترة ما بين 435-570هـ"، المؤسسة الصحفية الأردنية "الرأي" ، عمان ، 1409هـ/1988م.

19- حميدان ، زهير ، "أعلام الحضارة العربية الإسلامية" ، 6 أجزاء ، وزارة الثقافة ، دمشق ، 1417هـ/1996م.

20- الحويري ، محمود محمد ، "الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنيين الثاني عشر والثالث عشر من الميلاد" ، دار المعارف ، القاهرة ، 1400هـ/1979م.

21- الحياري ، مصطفى ، "القدس في زمن الفاطميين والفرنجة" ، مكتبة عمان ، عمان ، 1415هـ/1994م.

22- الخالدي ، أحمد سامح ، "المعاهد المصرية في بيت المقدس" ، المطبعة العصرية ، القدس ، د.ت.

- "أهل العلم والحكم في ريف فلسطين" ، ط1 ، جمعية عمال المطابع التعاونية ، عمان ، 1388هـ/1968م.

23- الخطيب ، إبراهيم ياسين ، "دور التعليم في تحرير بيت المقدس إبـان العـصر الأيـوبي" ، عمان ، 1414هـ/1993م.

24- أبو خليل ، شـوقي ، "الحـضارة العربيـة الإسـلامية" ، ط1 ، دار الفكـر ، دمـشق ، 1415هـ/1994م.

25- خليل ، عماد الدين ، "الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام 465-812هـ/1072-1409م" ، ط1 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1400هـ/1979م.

26- الدباغ ، مصطفى مراد ، "بلادنا فلسطين" ، 11 جـزء ، ط4 ، دار الطليعـة ، بيـروت ، 1409هـ/1988م.

- فلسطينيات 1 "القبائل العربية وسلائلها فـي بلادنـا فلـسطين" ، ط3 ، منـشورات اليـسار ، 1409هـ/1988م.

- فلسطينيات 2 "الموجز في تاريخ الدول العربيـة وعهودهـا فـي بلادنـا فلـسطين" ، ط3 ، منشورات اليسار ، 1409هـ/1988م.

- فلسطينيات 3 "الموجز في تاريخ الدول الإسلامية وعهودهـا فـي بلادنـا فلـسطين" ، ط3 ، منشورات اليسار ، 1409هـ/1988م.

27- دعبول ، رضوان ، "تراجم أعلام النـساء" ، ط1 ، مؤسـسة الرسـالة للطباعـة والنـشر والتوزيع ، بيروت ، 1419هـ/1998م.

28- الدفاع ، علي عبد الله ، "إسهام علماء العرب والمسلمين فـي الـصيدلة" ، ط2 ، مؤسـسة الرسالة ، بيروت ، 1407هـ/1986م.

29- الدويكات ، فؤاد عبد الرحيم ، "إقطاعية طبريا ودورها في الصراع الصليبي الإسـلامي" ، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع ، اربد ، 1423هـ/2002م.

30- الزركلي ، خير الله ، "ترتيب الأعلام على الأعوام" ، جزءان ، دار الأرقم للطباعة والنـشر والتوزيع ، بيروت ، د.ت.

31- الزرو ، خليل داود ، "الحياة العلمية في الشام في القرنيين الأول والثـاني للهجـرة" ، ط1 ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، 1391هـ/1971م.

32- زيـدان ، جرجـي ، "تـاريخ آداب اللغـة العربيـة" ، دار مكتبـة الحيـاة ، بيـروت ، 1413هـ/1992م.

- "تاريخ التمدن الإسلامي" ، 5 أجزاء ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، د.ت.

33- سالم ، السيد عبد العزيز ، "طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي" ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر ، الإسكندرية ، 1386هـ/1966م.
- "التاريخ والمؤرخون العرب" ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1402هـ/1981م.
34- السعداوي ، نظير حسان ، "المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين الأيوبي" ، مكتبة النهضة، القاهرة ، 1382هـ/1962م ، د.ط.
35- السعيد ، عبد الله عبد الرزاق مسعود ، "المستشفيات الإسلامية من العصر النبوي إلى العصر العثماني" ، ط1 ، دار الضياء للنشر والتوزيع ، عمان ، 1408هـ/1987م.
36- سكيك ، إبراهيم خليل ، "غـزة عبر التاريخ الإسلامي" ، 15 جزء ، الجزء الثاني طبعة 1401هـ/1980م ، غـزة.
37- سلامة ، جلال حسني ، "عكا أثناء الحملة الصليبية الثالثة" ، ط1 ، دار الفاروق للثقافة والنشر ، نابلس ، 1419هـ/1998م.
38- سلام ، محمد زغلول ، "الأدب في العصر الأيوبي" ، دار المعارف ، القاهرة ، 1387هـ/1967م.
39- سيد ، أيمن فؤاد ، "الدولة الفاطمية في مصر" ، ط2 ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، 1420هـ/2000م.
40- شراب ، محمد محمد حسن ، "بيت المقدس والمسجد الأقصى" ، ط1 ، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، 1415هـ/1994م.
41- شكيل ، هادية دجاني ، "القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني" ، ط1 ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ، 1414هـ/1993م.
42- شلبي ، أحمد ، "تاريخ التربية الإسلامية" ، ط3 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1386هـ/1966م.
43- شميساني ، حسن ، "مدارس دمشق في العصر الأيوبي" ، ط1 ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، 1404هـ/1983م.
44- صبره ، عفاف سيد ، دراسات في تاريخ الحروب الصليبية ، دار الكتاب الجامعي ، القاهرة ، 1406هـ/1985م.
45- طقوش ، محمد سهيل ، "تاريخ المماليك في مصر والشام 648-933هـ/1250-1517م"، ط1 ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1418هـ/1997م.
46- طوقان ، قدري حافظ ، "العلم مع الحياة" ، ط2 ، بيروت ، 1408هـ/1987م.

47- العارف ، عارف ، "المفصل في تاريخ القدس" ، ط1 ، مكتبة الأندلس ، القدس ، 1381هـ/1961م.
- "تاريخ غزة" ، مطبعة دار الأيتام الإسلامية ، بيت المقدس ، 1362هـ/1943م.
48- عاشور ، سعيد عبد الفتاح ، "الحركة الصليبية" ، الجزء الثاني: ط7 ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1418هـ/1997م.
- "أوروبا العصور الوسطى" ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1407هـ/1986م.
49- عباس ، إحسان ، "فصول حول الحياة الثقافية والعمرانية في فلسطين" ، ط1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، 1414هـ/1993م.
50- عبد الدائم ، عبد الله ، "التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين"، ط2 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1395هـ/1975م.
51- عبد المهدي ، عبد الجليل حسن ، "الحركة الفكرية في ظل المسجد الأقصى في العصرين الأيوبي والمملوكي" ، ط1 ، مكتبة الأقصى ، عمان ، 1400هـ/1980م.
- "المدارس في بيت المقدس في العصرين الأيوبي والمملوكي" ، جزءان ، ط1 ، مكتبة الأقصى ، عمان، 1401هـ/1981م.
- "بيت المقدس في أدب الحروب الصليبية" ، ط2 ، دار البشير للنشر والتوزيع ، عمان ، 1415هـ/1995م.
52- عثامنة ، خليل ، "فلسطين في خمسة قرون" ، ط1 ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ، 1421هـ/2000م.
53- العزة ، رئيسة عبد الفتاح ، "نابلس في العصر المملوكي 648-923هـ/1250-1517م" ، ط1 ، دار الفاروق للثقافة والنشر ، نابلس ، 1420هـ/1999م.
54- العسلي ، كامل جميل ، "معاهد العلم في بيت المقدس" ، جمعية عمال المطابع التعاونية ، عمان ، 1402هـ/1981م.
- "أجدادنا في ثرى بيت المقدس" ، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية ، عمان ، 1402هـ/1981م.
- "مقدمة في تاريخ الطب في القدس منذ أقدم الأزمنة حتى سنة 1918م" ، الجامعة الأردنية ، عمادة البحث العلمي ، عمان ، 1414هـ/1994م.
55- عمران ، محمود سعيد ، "تاريخ الحروب الصليبية 1095-1291م" ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1411هـ/1990م.

56- العمري ، عبد الله منسي السعد ، "تاريخ العلم عند العــرب" ، ط1 ، دار مجــدلاوي للنــشر والتوزيع ، عمان ، 1410هــ/1990م.
57- عوض ، محمد مؤنس ، "الحروب الصليبية دراسات تاريخية ونقدية" ، ط1 ، دار الشروق ، عمان ، 1420هــ/1999م.
- "الرحالة الأوربيون في مملكة بيت المقدس الصليبية 1099-1187م" ، ط1 ، مكتبة مــدبولي ، القاهرة ، 1413هــ/1992م.
- "الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية" ، ط1 ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة ، 1416هــ/1995م.
58- الغامدي ، علي محمد علي ، "بلاد الشام قبيل الغــزو المغــولي 589-657هــــ/1193-1259م" ، ط1، مكتبة الطالب الجامعي ، مكة المكرمة ، 1408هــ/1988م.
59- غوانمة ، يوسف درويش ، "تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملــوكي" ، دار الحيــاة للنشر والتوزيع ، عمان ، 1403هــ/1982م.
60- غوشه ، محمد هاشم ، "تاريخ المسجد الأقصى" ، ط1 ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينيــة ، فلسطين ، 1423هــ/2002م.
61- فوزي ، فارق عمر ومحسن محمد حسين، "الوسيط في تاريخ فلسطين في العصر الإسلامي الوسيط"، ط1 ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، 1420هــ/1999م.
62- القطب ، سمير عبد الرزاق ، "أنساب العرب" ، مكتبة دار البيان للطباعة والنشر ، بيروت ، د.ت.
63- كحالة ، عمر رضا ، "معجم المؤلفين" ، 15 جزء ، دار إحياء التــراث العربــي للطباعــة والنشر والتوزيع ، بيروت ، د.ت.
64- كرد علي ، محمد ، "خطط الشام" ، 6 أجــزاء ، ط3 ، دار العلــم للملايــين ، بيــروت ، 1404هــ/1983م.
65- كلبونة ، عبد الله صالح ، "تاريخ مدينــة نــابلس 2500 ق.م - 1918م" ، ط1 ، نــابلس ، 1413هــ/1992م.
66- مخلوف ، حسنين محمد ، "صفوة البيان لمعاني القرآن" ، ط1 ، وزارة الشؤون الإســلامية والأوقاف ، أبو ظبي ، 1401هــ/1981م.
67- المعاضيدي ، خاشــع ، "تــاريخ الــوطن العربــي والغــزو الــصليبي" ، ط2 ، بغــداد ، 1407هــ/1986م.

68- مكرم ، عبد العال سالم ، "المدرسة النحوية في مصر والشام في القرنين الـسابع والثـامن من الهجرة" ، ط2 ، مؤسسة الرسالة ، 1410هـ/1990م.
69- نجـم ، رائـف يوسـف ، "كنـوز القـدس" ، ط1 ، مؤسـسة آل البيـت ، عمـان ، 1403هـ/1983م.
70- نعيرات ، أسامة محمد ، "إقطاعية بيسان ودورها في الصراع الإسلامي الفرنجـي" ، ط1 ، مؤسسة الأسوار ، عكا ، 1423هـ/2002م.
71- النقاش ، زكي ، "العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والإفـرنج خـلال الحروب الصليبية" ، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر ، بيروت ، 1378هـ/1958م.
72- النمر ، إحسان ، "تـاريخ جبـل نـابلس والبلقـاء" ، مطبعـة ابـن زيـدون ، دمـشق ، 1357هـ/1938م.
73- نوار، صلاح الدين محمد ،"العدوان الصليبي على العالم الإسلامي (490-515هـ/1097-1221م)" ، ط1 ، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع ، الإسكندرية ، 1414هـ/1993م.
74- يوسف ، عبد القادر ، "علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عـشر والخـامس عشر الميلادي" ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1389هـ/1969م.

سادساً: المراجع الأجنبية

1. Antressian, A.:
"The timeless Holy Land, 2nd. ed., Jerusalem, 1979.
2. Archer, T.A.:
"The Crusades", London, 1919.
3. Benvenisti, Meron. "The Crusaders in the Holy Land, Jerusalem, 1970.
4. Berchem, Max Van, Materiaux Pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum, 1,2,3 Le Caire 1922.
5. Campbell, G.A.
"The Crusades", London, 1935.
6. Dowling, T.E.,
"Gaza A city of Many Battles", Newyork, 1913.
7. Duggan, Alfred:
"The story of the Crusades", London, 1969.
8. Enlart, C.,
Les Monuments des Croises dans Le Royaume de Jerusalem, 2Vols. Paris, 1928.
9. Hume, Edgar:
Medical Work of the Knights Hospitallers of the Saint John of Jerusalem,
Baltimore 1940.
10. King, E.J.:
"The Knights Hospitallers in the Holy Land, London, 1931.
11. Lamb, H.;
"The Crusaders: ironmen and saints", London, 1931.
12. Mayer, H.E.:
The Crusades, Oxford university press, 1972.
13. Miller, W.:
"The Latin in the Levant", London, 1908.
14. Shaefer, Karl,
Jerusalem in the Ayyubid and Mamluck Eras, New York University, 1985.
15. Smail, R.C.
The Crusaders in Syria and The Holyland. Southamton, 1973.
16. Stevenson, W.B.:
"The Crusaders in the East," Cambridge, 1907.

سابعاً: المراجع الأجنبية المترجمة

1- باركر ، أرنست ، "الحروب الصليبية" ، ترجمة السيد الباز العريني ، ط2 ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1386هـ/1967م.

2- براور ، يوشع ، "الإستيطان الصليبي في فلسطين مملكة بيت المقدس" ، ترجمة عبد الحافظ البنا ، ط1 ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، جمهورية مصر العربية ، 1422هـ/2001م.

3- بروكلمان ، كارل ، "تاريخ الشعوب الإسلامية" ، ترجمة منير البعلبكي ، ط10 ، بيروت ، 1405هـ/1984م.

- "تاريخ الأدب العربي" ، ترجمة السيد يعقوب بكر ، الجزء السادس ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ت.

4- حتي ، فليب ، "تاريخ العرب المطول" ، ترجمة ادوارد جرجي وجبرائيل جبور ، بيروت ، 1952م.

5- رنسيمان ، ستيفن ، "تاريخ الحروب الصليبية" ، ترجمة السيد الباز العريني ، دار الثقافة ، بيروت ، 1417هـ/1997م.

6- سترانج ، لي ، "فلسطين في العهد الإسلامي" ، ترجمة محمود عمايرة ، ط1 ، وزارة الثقافة والإعلام ، عمان ، 1390هـ/1970م.

7- سميل ، ريلى ، "الحروب الصليبية" ، ترجمة: سامي هاشم ، ط1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1403هـ/1982م.

8- كاهن ، كلود ، "الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية" ، ترجمة أحمد الشيخ ، ط1 ، سينا للنشر ، القاهرة ، 1416هـ/1995م.

9- ماير ، هانس ابرهارد ، "تاريخ الحروب الصليبية" ، ترجمة عماد الدين غانم ، منشورات مجمع الفاتح للجامعات ، 1411هـ/1990م.

10- هونكه ، زيعزيد ، "شمس العرب تسطع على الغرب" ، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي ، ط10 ، دار الآفاق الجديدة ، 1423هـ/2002م.

11- وبست ، أنتوني ، "تاريخ الحروب الصليبية" ، ترجمة شكري محمود ، شركة النبراس للنشر والتوزيع ، بغداد ، 1387هـ/1967م.

ثامناً: الرسائل الجامعية

1- إبراهيم ، عبد المجيد غفور ، "الحياة الاجتماعية في بلاد الشام في العصر الأيوبي 569-658هـ/1173-1260م ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا ، بغداد ، 1421هـ/2000م.

2- خليل ، مقبولة حسن ، "مدينة القدس في العهد الأيوبي" ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الدراسات العليا ، الجامعة الأردنية ، 1411هـ/1991م.

3- زعرور ، إبراهيم ، "الحياة الاجتماعية في بلاد الشام في العصرين الأيوبي والمملوكي" ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة دمشق ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، 1411هـ/1990م.

4- السيد ، علي أحمد ، "إمارة الجليل تحت حكم اللاتين ودورها السياسي في الصراع الصليبي الإسلامي 492-549هـ/1099-1154م" ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية، 1409هـ/1988م.

5- شاهين ، رياض مصطفى ، "الملك المعظم عيسى 576-624هـ/1180-1227م ، سياسته الداخلية والخارجية" ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الدراسات العليا ، جامعة الخرطوم ، 1415هـ/1994م.

6- عبد الهادي ، عادل محمد خضر ، "عسقلان منذ منتصف القرن الرابع الهجري وحتى النصف الثاني من القرن السابع الهجري دراسة تاريخية وحضارية (359-669هـ/969-1270م)" ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة أم القرى ، 1421هـ/2000م.

7- عثمان ، سر الختم ، "مدينة صور في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين" ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، 1391هـ/1971م.

8- عطية ، سليمان إسحق ، "تاريخ التعليم في فلسطين من الفتح العربي إلى آخر الأيوبيين" ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، 1373هـ/1953م.

9- أبو الكاس ، جهاد علي ، "النشاط الاقتصادي في فلسطين 583-650هـ/1187-1252م"، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الدراسات العليا ، قسم التاريخ والآثار ، الجامعة الإسلامية ، غـزة ، 1425هـ/2004م.

10- المسحال ، حسن إبراهيم ، "عسقلان في فترة الحروب الصليبية 492-690هـ/1099-1291م" ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة عين شمس ، كلية التربية الحكومية ، غـزة ، 1420هـ/1999م.
11- المصري ، جهاد سليمان سالم ، "التعليم في بـلاد الـشام فـي العهـد الأيـوبي 570-648هـ/1174-1250م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب والعلوم ، جامعة آل البيت ، 1420هـ/1999م.

تاسعاً: الدوريات العربية

1- أحمد ، محمد حلمي محمد ، "الحياة العلمية في مصر والشام 521-648هـ/1127-1250م" ، المجلة التاريخية المصرية ، القاهرة ، المجلد السابع ، 1378هـ/1958م.

2- البيطار ، أمينة ، "التعليم في دمشق في القرن السادس الهجري" ، مجلة آداب الرافدين ، الموصل ، جامعة الموصل ، العدد الحادي عشر ، 1400هـ/1979م.

- "التعليم في الشام في العصر الأيوبي" ، مجلة تاريخ العرب والعالم ، دمشق ، جامعة دمشق ، كلية الآداب ، العدد السابع ، 1404هـ/1984م.

3- الجندي ، إبراهيم ، "فلسطين بعيون الرحالة الأوروبيون" ، المجلة الفلسطينية للدراسات التاريخية ، رام الله ، العدد الثالث ، ذو القعدة 1423هـ/يناير 2003م.

4- حسين ، عبد الله محمود ، "بنو قدامه: إسهام عمراني وفكري في بلاد الشام" ، مجلة الكاتب ، القدس ، العدد الثالث والعشرون ، 1412هـ/1991م.

5- حمارنة ، سامي خلف ، "الطب العربي في فلسطين في زمن الفاطميين والأيوبيين" ، المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام ، ط1 ، المجلد الثاني ، الجامعة الأردنية ، عمان ، 1403هـ/1983م.

6- خرابشة ، سليمان ، "فلسطين في العصر السلجوقي" ، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية ، عمان ، الجامعة الأردنية ، المجلد الرابع والعشرون ، (ملحق) ، 1418هـ/1997م.

7- خوري ، رئيق جورج ، "فضل المقدسيين اللاجئين إلى دمشق في إحياء العمران والحضارة" ، المؤتمر العلمي الدولي لجامعة بيرزيت ، جامعة بيرزيت ، 1415هـ/1994م.

8- الخيري ، فيصل ، "بيسان منذ الفتح الإسلامي" ، مجلة القدس ، مركز الإعلام العربي ، الجيزة ، العدد التاسع والعشرون ، صفر 1422هـ/مايو 2001م.

- "غزة" ، مجلة القدس ، مركز الإعلام العربي ، الجيزة ، العدد السادس عشر ، 1421هـ/2000م.

9- رشيد ، ناظم ، "الأدب عند بني أيوب" ، مجلة المورد ، الجمهورية العراقية ، المجلد الخامس ، العدد الثالث ، 1396هـ/1976م.

- "التعليم في ظل الدولتين الزنكية والأيوبية في الشام" ، مجلة آداب الرافدين ، الموصل ، جامعة الموصل ، العدد العاشر ، 1399هـ/1979م.
10- الرقب ، شفيق محمد ، "صور من الحياة الاجتماعية للفرنجة في النثر الفني زمن الحروب الصليبية" ، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية ، عمان ، الجامعة الأردنية ، المجلد الثالث والعشرون ، العدد الثاني ، 1417هـ/1996م.
11- سعيد ، خير الله ، "مدن فلسطين في تراث الأقدمين" ، مجلة الكاتب الفلسطيني ، القدس ، العددان السادس عشر ، السابع عشر ، 1410هـ/1989م.
12- سيفان ، إيمانويل ، "اللاجئون السوريون – الفلسطينيون في زمن الحروب الصليبية" ترجمة حسن عبد الوهاب حسين ضمن كتابه "مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعي للحروب الصليبية" ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1418هـ/1997م.
13- شاهين ، رياض مصطفى ، "النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية لبهاء الدين بن شداد ، دراسة تحليلية" ، مستلة من مجلة كلية الآداب ببنها ، العدد السابع ، 1422هـ/2001م.
14- صالح ، عبد العزيز حميد ، "الحرم الشريف في ظل الغزو الفرنجي" ، المورد ، بغداد ، المجلد السادس ، العدد الثالث ، 1408هـ/1987م.
15- صالحية ، محمد عيسى ، "التاريخ والمؤرخون في فلسطين" ، بحث في الموسوعة الفلسطينية ، ط1 ، المجلد الثالث ، القسم الثاني ، بيروت ، 1411هـ/1990م.
16- صفوري ، رزق ، "علماء من سوريا الجنوبية" ، مجلة الإسراء ، القدس ، العدد الثامن والعشرون ، محرم – صفر 1421هـ/إبريل – مايو 2000م.
17- العبادي ، أحمد مختار ، "العلم والعلماء في دولة المماليك البحرية المصرية" ، مجلة معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ، مجلد 15 ، 1390هـ/1970م.
18- عباس ، إحسان ، "رحلة ابن العربي كما صورها قانون التأويل" ، مجلة الأبحاث ، بيروت ، الجامعة الأمريكية ، العدد الثاني ، 1388هـ/1968م.
19- عبد الرحمن ، عفيف ، "علم اللغة في فلسطين" ، بحث في الموسوعة الفلسطينية ، بيروت ، هيئة الموسوعة الفلسطينية ، مج3 ، ق2 ، ط1 ، 1411هـ/1990م.
20- عبد المهدي ، عبد الجليل حسن ، "المرأة في بلاد الشام في العصريين الأيوبي والمملوكي" ، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ، عمان ، العدد الثامن والثلاثون ، 1411هـ/1990م.

- "المؤسسات التعليمية والثقافية في بلاد الشام في العصرين الأيوبي والمملوكي" ، في التربية العربية الإسلامية (المؤسسات والممارسات) ، جـ2 ، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية ، مؤسسة آل البيت ، عمان ، 1410هـ/1989م.

21- العسلي ، كامل جميل ، "مؤسسة الأوقاف ومدارس بيت المقدس" ، ندوة مؤسسة الأوقاف في العالم العربي الإسلامي ، المنظمة العربية للتربية والثقافية والعلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية ، بغداد ، 1403هـ/1983م.

- "الفكر الديني: العلوم الإسلامية في فلسطين" ، بحث في الموسوعة الفلسطينية ، ط1 ، المجلد الثالث ، القسم الثاني ، بيروت ، 1411هـ/1990م.

22- عطية ، حسين محمد ، "المسلمون في الإمارات الصليبية في بلاد الشام" ، ندوة بلاد الشام في فترة الصراع الإسلامي الفرنجي 491-690هـ ، جامعة اليرموك ، الأردن ، 1420هـ/1999م.

23- العوفي ، محمد سالم بن شديد ، "الحركة الصليبية وأثرها في تطور العلاقات بين مصر والشام في الفترة 490-554هـ/1096-1159م" ، مجلة كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، العدد الثامن ، 1404هـ/1984م.

24- القوصي ، عطية ، "صلاح الدين واليهود" ، المجلة التاريخية المصرية ، القاهرة ، العدد الرابع والعشرون ، 1398هـ/1977م.

25- محمد ، علي السيد علي ، "المقاومة الشعبية للغزوة الصليبية في بلاد الشام 491-690هـ/1097-1291م" ، مجلة العصور ، المجلد السادس ، الجزء الثاني ، 1412هـ/1991م.

26- مصطفى ، شاكر ، "آل قدامه والصالحية" ، حوليات كلية الآداب ، الحولية الثالثة ، كلية الآداب ، جامعة الكويت ، 1403هـ/1982م.

27- المنجد ، صلاح الدين ، "اللاجئون المقادسة إلى دمشق بعد الغزو الفرنجي ونتائج هجرتهم ، المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام – فلسطين" ، ط1 ، المجلد الثالث ، الجامعة الأردنية ، عمان ، 1404هـ/1983م.

28- النقر ، محمد الحافظ ، "التغيرات الإدارية والعمرانية والسكانية في مدينة القدس في فترة الاحتلال الفرنجي 492-583هـ/1099-1187م" ، ندوة بلاد الشام في فترة الصراع الإسلامي الفرنجي 491-690هـ ، جامعة اليرموك ، الأردن ، 1420هـ/1999م.

29- يوسف ، محسن ، "سكان القدس في نهاية القرن الحادي عشر الميلادي" ، مجلة العصور ، المجلد الثاني عشر ، الجزء الأول ، شوال 1422هـ/يناير 2002م.

- "مقدمة في تاريخ التعليم في فلسطين منذ الفتح العربي الإسلامي حتى الاحتلال البريطاني" ، المؤتمر الدولي الثاني للدراسات الفلسطينية ، ط1 ، جامعة بيرزيت ، رام الله ، 1418هـ/1997م.

Abstract

The topic of this study is " The Scientific Life in Palestine in the Stage of the Islam – Crusaders Conflict " in the period ranged between 1098 – 1291. In the fifth century of Hijra, before the Crusaders had started their aggression on Palestine, the scientific life there was vital and active. Fatimids had established various scientific centers such as : "Fatimid Science House ", " Fatimid Hospital " which both offered services for Palestinians in education and health.

During the rule of Salajaq Turks, after the mid- fifth of Hijra, Palestine had witnessed a cultural revival, particularly; the sciences of Interpretation, Theology, Hadith and Jurispreduence. Alaqsa Mosque was a center for meeting the scholars, jurists, and students. Besides, a lot of seminars and debates were held there. Among those famous scholars was Elamam Elghazali, who contributed greatly in activating the scientific movement in Palestine. In addition, some moslem scholars from different Islamic countries shared well in this field.

The first Crusade campaign invaded the East in the 11^{th} century, occupying Jerusalem in 1099, then they continued their aggression on whole Palestine and seized most cities, including Asqalan which was occupied in 1153. In this campaign, the crusaders committed savage massacre in Palestine. They had killed about 70000 people in Jerusalem and forced many Palestinians to leave their homeland to Syria, including Qudama family members, who settled in Damascus and contributed much in the field of science, particularly; in writing religious books. Elamam Elqadi Elfadel was well- known Palestinian scholar outside Palestine who built the most famous school named " Elfadilia School " in Cario in 1184. He was also the first aide for King Salah Eddeen.

During the Crusade occupation for Palestine, the Intellectual movement had stagnated, particularly in Jerusalem. As a result of the Crusaders integration in the Palestinian Moslem community, they got a lot of benefits in the social, administration and intellectual fields through interacting with people. Consequently; the crusade wars were important factors in spreading and transferring the Eastern culture and knowledge to the West.

As a result of the great battle of Hateen in 1187 between Moslems and the Crusaders, most Palestinian cities were liberated and the scientific life and the intellectual movement had been revived and activated. A great number

of scholars came to Jerusalem from Egypt and Syria, who contributed much in the revival stage in Palestine. A lot of schools, cultural and religious centers had been established. At Ayyubid and Mamluck eras, Sultans and Kings had supported and encouraged the Scientific life. They received scholars in their courts and granted them money and prizes. Consequently; sciences of religion, intellectualism and Arabic language had prospered.

The researcher ends his paper by stating the outcomes of his study, followed by references,sources and appendixes.